مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

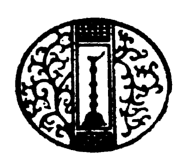
المجلد : ٣٩ العدد : ١-٢

١٩٨٨م

عدد ممتاز

بمناسبة المئوية الأولى لمولد
مولانا أبى الكلام آزاد
(١٩٥٨م - ١٨٨٨م)

الجزء الاوّل



المجلس الهندى للعلاقات الثقافية
آزاد بوان، نيو دلهى
الهند

مجلة ثقافة الهند فصلية

المجلد ٣٩ - العدد ١- ٢

محتويات هذا العدد :

إن المجلس الهندى للعلاقات الثقافية منظمة حرة تحت وزارة الشئون الخارجية للحكومة الهندية، أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و كجزء من برنامج مطبوعاته الموجه لتحقيق هذا الحوار الثقافي بين الهند و البلدان الأخرى، ينشر، بين ما ينشر، عدة مجلات ففى الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و فى الفرنسية "Rencontre Avec l' Inde" و فى الاسبانية "Papeles de la India" و فى الهندية "Gagananchal" كلها تصدر أربع مرات فى السنة. وبدل الاشتراك السنوى للمجلات فى الانكليزية و فى الهندية مطبوع فى العمود المقابل *إلاّ ان مجلاّت المجلس فى اللغات العربية و الفرنسية و الاسبانية توزع مجاناً*.
و المراسلات المتعلقة ببدل الاشتراك و دفع الثمن و بشئون الطباعة و النشر توجه إلى :

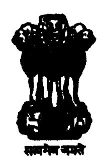
The Editor,
Indian Council for Cultural Relations,
Azad Bhavan,
Indraprastha Estate,
New Delhi - 110002

بدل الاشتراك

عدد واحد ـ ٥ روبيات ، £1.00 - $2.50
سنويا – ٢٠ روبية، £4.00 - $10.00
٣ سنوات – ٥٠ روبية، £10.00 - $25.00

نشرها و طبعها، سكرتير المجلس الهندى للعلاقات الثقافية، آزاد بوان، نيو دلهى ـ الهند. طبعت فى مطبعة فاب انتربرائسيز جرين بارك ، نيو دلهى.

رئيس التحرير: البروفسور نثار أحمد الفاروقى



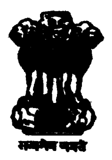
PRIME MINISTER

MESSAGE

With his deep understanding of the roots of Indian civilization, Maulana Azad had a deep understanding of the needs and aspiration of the Indian people. Dedicated to secularism and the unity of the country, he strove hard to promote these. An educationist of vision and perception, Maulana Azad was one of the greatest builders of new India.

The decision of the ICCR to publish a special number of their Arabic Journal dedicated to Maulana Azad's life and achievements is a befitting tribute to a great Son of India.

New Delhi
December 15, 1988



उप-राष्ट्रपति भारत
नई दिल्ली

VICE-PRESIDENT
INDIA
NEW DELHI

October 31, 1988

MESSAGE

I note with pleasure that a special number of Arabic journal 'Thaqafat al-Hind' founded by Maulana Abul Kalam Azad himself is being dedicated to the glorious achievements of this great son of India on the eve of his first birth cenetenary.

Through the pages of the special number, I pay my humble homage to the memory of Maulana Abul Kalam Azad whose menifold contributions in various fields of nation-building activity shall ever be remembered by a grateful nation. His dedication and sense of service will remain a perennial source of inspiration to the succeeding generations.

S D Sharma

(Shanker Dayal Sharma)

كلمة من المحرّر :

المئوية الأولى لمولد أبى الكلام آزاد

يحتل مولانا أبو الكلام آزاد مكانة بارزةً فى صفوف المجاهدين للحرية و لكن هذا الاسم ليس لزعيم سياسيٍّ فحسب، بل إنه كان نجماً لامعاً متألقاً طلع على أفق الهند ليناديٰ بطلوع صبح الحرية و الاستقلال و يبشر بأن الحياة تتقلب إلى جنب جديد، فاليوم الطّالع سيكون يوم الانتصار للمظلومين، و يوم الذلة و الهزيمة للظالمين، كان شعلة جوّالة قهرت الظلمات، ذلك هو الرجل الذى لم تزل أطراف قلمه تطلق و تلهب النار طيلة نصف قرن تقريباً، و حوّلت مدافع الاستعماريين و بنادقهم إلى أكوام من التراب، بينما أحدث لسانه سيلا عارماً صعب للإستعمار فيه أن يجدف سفينته إلى ساحل النجاة و شاطىء الفلاح.

كان مولانا أبو الكلام آزاد وليد المنتصف الآخر من القرن المنصرم، و ظل مسيطراً على النصف الأوّل من القرن المعاصر، و عن طريق ذلك فانه ترعرع و تربى فى الأمهاد الجديدة و القديمة لكلا القرنين، كان القديم تناوله بالترئين بينما كان الجديد جلاّه و نضره، لم تكن الحدة وحدها فى ذهنه بل الابتكار كذلك كان الأخيلة فضة طرية، و الأفكار ملتقى للعلوم الاجتماعية و الفلسفة و الدين، و قد امتزجت فيها مجارى الشرق و الغرب بحيث كان لكن من شأن القدامة و أبّهة الحداثة شان و مجال واسع، و دعه يقول عن نفسه :

> " *ما كان القديم فقد ورثته، و ما كان الجديد فقد ابتكرت الطريق نحوه لنفسى، كما أننى لم أزل أمشى على الطرق القديمة للوقت، كذلك طرقه الجديدة معروفة لدىّ، و إنّنى رفضت القناعة من أول يوم على*



معطيات الدراسة الأسرية و المجتمع، و لم تكن قيود
التقليد عقبةً لى فى أى ناحية، و لم يترك عطش البحث
و التحقيق صحبتى فى أى مجال من المجالات"

تعلم العربية و الفارسية على الطراز الذى كان شائعاً آنذاك• و درس الحضارة و الثقافة الاسلاميتين و العلوم الدينية دراسة نقدية، و اكتسب بصيرة عميقة فى الدراسات القرآنية، و مع ذلك لم يزل يكتسب الخبرة عن الأدب الانجليزى و الأدب الفرنسى فى آخر عمره، و كان أودع ملكة الفكر الاجتهادى من المنبع الفياض، و قد عاد من أوائل عمـــره نداءاً ثوريــــا، و هتافا ثائرا لكسر جمود البيئة و خمودها، و تلك هى العاطفة التى دفعته إلى مساحة السياسة، حتى بدأ يسحر بأشهب قلمه و خطابته اللهيبة طيلة نصف قرن تقريباً، و تمكن من هز ضمائر الهنود المرسفين بقيود التبعيـــة و المقيدين بسلاسل العبودية، و أثار فيهم غيرةً و عزيمة حتى يكسروا تلك القيود و السلاسل و يضموا بركب شعوب العالم فى منازل الرقى، متقدما نحو ميدان الحرية و الاستقلال•

كانت نظرته فى السياسة، نظرة الوطنية البحتة و القومية المتحدة، إنه كان درس الدين دراسة عميقةً و لم يرض قط بتعريف نفسه خارجاً عن نطاق الدين، و لكن لم يدع الدين يتغلب على نظراته السياسية، و لم يدع المصلحة القومية الرئيسية تذهب ضحية الضيق الدينى، إنه لم يقتحم فى مجال السياسة للمصلحة الذاتية أو للسمعة و الصيت ـ كما قال غالب فى بيته الفارسى : " إننى لا أقرض الشعر بحكم رغبتى، و لكن الشعر هو الذى رغب فى أن يصبح فنّاً لى "•

و كذلك فإن مجال السياسة جذبته إليها، و إن لم يكن ذلك عهد التبعية و العبودية و لم يكن أهل البلاد يعيشون حياة الذل و المهانة و الاستغلال لم يكن هو فى أى حال أن يتجه نحو السياسة، بل و عاش فـــى عالم فكره و فلسفته و يطرب فيه، و لكنه قدم تضحية كبيرة لتحرير البلاد و لم يتمكن من اتمام مآثرته العلمية الجليلة الأنيقة، بل و تركها ناقصة، و لاشك فانها خسارة و سوء حظ لدنيا العلم ، ما لايمكن استدراكها فى أى حال•

إنه احتفظ بأقدامه ثابتة على الرصيد النظرى التى وضعها فى أول يومه و صانها بدقة من العثرة و التزلزل، فلم يكتئب باهمال الأغيار، ولم يتألم بخيانة الأقرباء، إلاّ أن مرة اجتمعت فى قلبه قروح و كلوم أدت إلى انفجاره قائلا :

" وا أسفاه ! ليس فيكم من يفهم لغتى، ليس فيكم من يعرفنى، أقول و الحق أقول، أننى مخذول غريب وسط مجتمعات بلادكم أجمع، أسفاً عليكم أنكم لاتحبون الناصحين، و لاتحبون القائلين بالصدق و الحق، أنتم عبدة الظواهر و المظاهـــر، توابع الصخب و الضجــــة و ناشئة العواطف الزائلة الفورية و الثورة و الانفجار، لاتحملون البصيرة و لا السليقة لاتعلمون و لاتعرفون، إنكم كما تأتون مسّرعين تفرون مسرعين"

و فى مناسبة أخرى قدم شكواه :

" إن غاية مشكلة حياتى، أننى لم أكن صالحاً لذلك المنصب و المكانة التى فوضت إلىّ "

و فى شهر أكتوبر من ١٩٤٧م ارتفع دوىّ صوته من خلال منبر المسجد الجامع بدلهى، ظهر أبو الكلام فيه فى غاية من الجمال و الكمال، و بعد ذلك فلم تظهر حماسته وفورانه فى أى مناسبة، و لم يتخط حدود الكلمات التقليدية، تعالوا نسمع كلماته المؤثرة الرقيقة فى ذلك الوقت :

" الواقع أننى جمود، و هتاف فى الصحراء قد قضى فى وطنه حياة النفى و الشرد، و لايعنى ذلك أن المكانة التى احتلتها لنفســى فى أوّل يوم قطعت ريشتها أو جناحها، أو لم يبق مكان لوكرى، بل أقول : إنّ ذيلى يشكو اعتداءات أياديكم، إن شعورى جريح، و قلبى متألم تفكروا قليلا ما، أى طريق انتهجتموه و أين وصلتم؟ و أين أنتم واقفون الآن؟ ألا تذكر ذلك الوقت حين قلت لكم قبل مدة أن تصور الشعبين يكون بمثابة مرض الموت للحياة المعنوية فتخلوا عنه، إنّ هذ العماد التى اتكئتم عليها تنكسر بسرعة مذهلـــــة، و لكنكم أهملتم، و ظلتم فى هذا الوضع، و لم تفكروا أن الوقت و سيره السريع لايمكن أن يغيرا ضابطتهما للمرور، لقد كان وقت حين ناديتكم اشعارا بالحصول على استقلال الهند، و قلت لكم : لايستطيع شعب من الشعوب بشؤمه أن يمنع من الوقوع ما هو كائن، لقد تم تسجيل الثورة السياسية فى حظ الهند، و تنقطع

أغلال تبعيتها بعواصف الاستقلال للقرن العشريـــــن،
و فعلاً فإن عَلَم الهند يرفرف اليوم بكامل حشمتـــــه
و سطوته، ذلك هو العلم الذى كانت النفخات المؤلمة
للنخوة الحاكمية تستهزء بطيرانه"

اختار مولانا آزاد للسياسة طريق الصحافة . فالهلال" و البلاغ " ليس فى الأردية فحسب بل فى تاريخ الصحافة الهندية تتمتعـــان بحياة الخلـــود و البقاء الدائم كانت الهلال قد طلعت كشعاع للنور فى ظلمات مطبقـــة، و قد هزت قلوب الخاصة و أذهانهم• و ألهبت دماء العامة، و إذا تناسينا خدمات " الهلال " فى تاريخ استقلال الهند• فلا شىء يكون أكبر نكران للجميل من هذا•

كان مولانا مفكرا، كانت له نظرة عميقة على القضايا العصرية، كان ثورياً عاطفيا للغاية فى خطابته، و لكن تصوراته السياسية لم تكن وليدة العواطف، كان يحلل القضايا بعقل منطقى رزين، و لايندفع مع الحماس الفورى، كان ذوق جماله فذاً مرهفاً، و رغم أنه كان عالما دينيا كان خبيرا برموز الموسيقا و التصوير و يمكن تقدير ذلك بدراسة " غبار خاطر " كان يتمتع بذوق نزيه ناضر للشعر العربى و الفارسى و الأردى، و كان يرصع الأبيات فى كتاباته كما يرصع الفص ، كان أسلوب نثره فـذاً فريداً• امتزجت فيه صلابة النطق الهندى و خشونته، و حلاوة الفارسية و جاذبيته، و جلال العربية و سطوته بغاية من الدقة و البراعة، وهبه الله نظرة حكيم و عقل فيلسوف، و شعور شاعر و طبيعة درويش، كان يتكلم أو يكتب فكانت الأفكار تخفز عواطفه " ماوراء الكلام " كالوميض، و كان يبدو أن الكلمات تندفع فى سيل أفكاره كالفتاء، إن تاريخ الهند السياسى لم ينجب خطيبا أعظم منه• كان صوته يصطدم مع نواحى القلب البعيدة، و قد أقام علمـــه و فضله ، و فكره و فلسفته حصارا حوله للرزانة و المتانة، الذى منعه من ظهوره فى مسرح العامة " كزعيم شعبى" و لم تكن علاقته بالعامة مباشرة كغاندى و بندت جواهر لال نهرو، و لاشك فإن مولانا آزاد كان بمثابـــة " العقل" فى حركة الاستقلال و كان غاندى ضميرها، و بندت نهرو قلبها •

إنه ليس من اليسير ابتكار طريق الاجتهاد فى الديـــن بل هو أصعب و أخطر للغاية• و لكن الشأن الاجتهادى يترشح فى فكره الدينى، إنه كتب حول القضايا و المباحث الدينية ببصيرة و فكر عميقين، إنه قد ألف حتى الآن مآت من التفاسير للقرآن الكريم و لكن تفسيره " ترجمان القرآن"

رغم أنه ظل ناقصا بسبب أشغاله مظهر واقعى لأناقته و شأنه الفذ، و لاشك فإن تفسيره لسورة الفاتحة اضافة موقرة يفتخر بها فى ذخيرة العلوم القرآنية•

كان مولانا فى الحقيقة عبقريا و شخصية فذة، و مفكراً فريداً، و قد أتى فى أواخر الزمان بما لم يأت به الأوائل كما قال المعرى :

وإنـــى و ان كنت الأخير زمانـــه
لآت بما لم تستطعــــه الأوائــــل

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله   و أخو الجهالة فى الشقاوة ينعـــم

و لم يكن فى ذلك العصر أى قيمة للفضلاء• فكان مولانا آزاد و أمثاله العقلاء فى كساد، و كان " عنق الحمار" آنذاك يعتبر أجدر" بالعقد الذهبى"•
قال المتنبى :

يعنى أن العاقل لايزال فريسة الكآبة المعنوية رغم أنه يعيش فى خضم الآلاء و النعم، و لكن جاهلاً يقضى حياة رغيدة طيبة، رغم أنه تحيط به المصائب و الآلام• و من هذا المنطلق فإنه لايصعب علينا تقدير مدى قلقه الفكرى من كتاباته• إنه ضحى حياته لمهمة قومية عظيمة، و قضى جزءاً ذهبياً من حياته خلف قضبان السجن، و قدم نفسه فى كل مناسبة للتضحية و الايثار، و بالرغم من أنه قضى حياة شاملة كاملة، ودّع الدنيا و هو ينفض ذيله، لايملك من الدنيا شيئاً، كدرويش يذهب نافضاً ذيله، و مما لاشك فيه أنه كان قلقا على انفصال البلاد رغم محاولات لمنع البلاد من الانفصال مما أسفر عن تشرد مآت من الألوف و أصبحوا بدون مأوىً، و لكنه ظل حاملا كبيراً للواء الأمن و السلام و داعياً إلى الصلح و الهدنة و التواحد بعد الانفصال كذلك، إنه لعب دوراً هاماً فى نشأة البلاد الجديدة و تشكيل مستقبل البلاد و إن كان خلف الستار، كان هو أكبر ثقة عند نهرو، لأنه كان يشعر بأن بلداً كالهند• حيث تنطق بها مآت من اللغات، و يعيش فى ظلها أديان، مختلفة و تقاليد متعددة، و لها تاريخ طويل للحضـــــارة و الثقافة ، فانه لايمكن جمع شملها إلاّ على أساس الوحدة القوميـــــة و العلمانية و التسامح المتبادل، و تحقيقا لذلك فانه رسم خطوطاً أساسية كذلك، و لكن سم الطائفية لم يزل يقضى على جميع خطوطه، الذى ضاعف من قلقه الفكرى و المعنوى فى آخر حياته، و إن كان زمام الحكومة فى يد

الأجانب لكان هو أن يقتحم فى الساحة مرة أخرى، و لكن الحكومة هى التى ساهم نفسه فى تكوينها و نشأها أو إلى من كان هو أن يستغيث ! حتى بدأ يقتصر فى عزلته و عاد كما قال نفسه " نداءاً فى الصحراء "•

و لكن إن سمعنا بآذان الشعور نجد أن نداء ذلك المجاهد البعيد لايزال يرنّ فى الفضاء حتى اليوم• تلك الشعلة لاتزال تخطف إلى قلوبنا حتى اليوم، و لكننا أغلقنا منافذ قلوبنا و أذهاننا، نداء يأتينا ليهزنا ثم يرجع كالصدى، و إذا كان أحد لم يعرفه فى حياته، فمن ذا الذى يعرفه بعد انقضاء ثلاثة أجيال متتالية، حتى أصبحت حجاباً دونه، و من يسمع الآن إذا لم يسمع أحد حين كان يهتف و ينادى ؟

و هكذا كنت فى أهلى و فى وطنـــــى
إنّ النفيـــس غريب حيثمــــــا كانا

د/ نثار أحمد الفاروقى

مولانا أبو الكلام آزاد - منبع الذكـــاء

بقلم : د/ شنكر ديال شرما
نائب رئيس الجمهورية

ينبغى لفهم ما قام به مولانا آزاد من خدمات جليلة من أجل الوحدة القومية و الوطنية، أن نفهم أولاً عقلَه و نحللّه• ذكره المستر جواهر لال نهرو الذى عرف مولانا آزاد عن قريب و منذ سنوات فى أسلوبه الخاص• حيث قال :

> *" كان مولانا آزاد ينبوعاً للذكاء و كانت تختفى فيه كفاءات لاتُحصى و كانت له يد طولى و قدرة استثنائية على حل المشاكل و المسائل المعقدة• إننى استخدمت كلمة " ينبوع الذكاء " و اعتبر أن هذه الكلمة أنسب و أليق لبيان ما كان قد أوتى من سعة فى العقل و الذكاء"*

إن هذا التحليل لعقل مولانا آزاد، قد جاء من قِبل شخص يعتبر من بين كبار فلاسفة هذا العصر و ستحفظه الأجيال القادمة دائماً إن شاء اللّٰه•

إن أفكار و آراء مولانا آزاد أثرت فى البيئة القومية و الوطنيـــــة كثيراً و لكى ندرك مدى تاثير هذه الآراء و مستواها الحقيقى لابد لنا أن نعير اهتماماً لتحليل المستر نهرو و هو خير من يعرف مولانا آزاد و ذكاءه•

كان مولانا آزاد بوصفه الشخصـــى نتاج الحضارة الاسلامية و التمدن الاسلامى العظيم• رُبّى مولانا فى طفوليته و فى عنفوان شبابه فى اللغات الثلاث العربية و الفارسية و الأردوية و آدابها و تتفقها على طراز قديـــم• و كان بارعاً و خبيراً فى العلوم الاسلامية و الفلسفة العامة و فلسفة ماوراء الطبيعة• و كان قد فرغ و أكمل منهج و مقررات الدراسات النظامية و هو

فى السنة السادسة عشرة من عمره• و بقدرما أعلم إنه يدل على ذكاءه الإستثنائى و هو مما لايوجد له نظير يومنا هذا• كان مولانا رجلاً غير عادى يملك عقلاً و ذكاءاًنادرين من طفولته• و كما كان فاره البال و ثرياً أيضـاً، و هكذا كان قد أصبح خزانة للعلوم و المعلومات و ركزّ أفكاره فيما بعد على أهم القضايا السياسية لبلادنا•

و إنه ليجدر بالذكر فى صدد الوحدة الوطنية و القومية أن آراء مولانا آزاد كانت أرفع فيما يتصل بالفلسفة و الدين و العلم• و كانت مبنية على أسس الفكر المتينة• لقد حصلت آراء مولانا آزاد المليئة باللباب حول القضايا العديدة عن طريق اتصاله بالدبن اتصالا وثيقا• و كان من ضمنها العديد من المسائل و القضايا الجديدة للغاية• التى ظهرت أمامه فى حياته• كان منبع الحب للعقل فى مولانا آزاد يرجع إلى دينه الاسلام الذى توجد فيه قوة دافعة و حركية كبيرة لتنشيط الأفراد• و يقول مولانا آزاد بأن الذين لايستعملون العقل الذى وهبه اللّه هم من كفرة الحق و جاحديه و يكتب فى المجلد الثانى من"ترجمان القرآن" أنه من قانون اللّه الطبيعى الذى لايتغير أنك إذا لم تفتح عينيك فافهم أن غطاءاً مظلما سوف يغشاه• إذا أنت لم تستعمل اذنيك فانك ستصبح مثل الأصم اذا أنت أبيت التفكير فان نور عقلك سيتضاءل و يصبح مظلماً• إن قول مولانا آزاد المذكور هذا سيعاون و يساعد فى فهم حبه للعقل ذاك الذى ظهر على وجه خاص و بوضوح فى ترجمان القرآن• لعل هذا الكتاب أكبر شهادة لأفكاره الإسلامية و أهم تفسير للإسلام فى العصر الحديث• و على عكس العلماء الآخرين وضع مولانا آزاد أساس إيمانه و إيقانه على التحليل و الدراسة و التفكير فى أدق الجوانب لكل مدرسـة فكريـة بدلاً من أن يضعه على التقليـد و التوارث• يمكن التقدير بأسلوب مولانا آزاد فى الفكر بجملة وردت فى كتاب ترجمته الذاتية المعروف بـ " *التذكرة* " فقد كتب :

> " *إننى أبيت منذ اليوم الأول بالذات، أن أطمئن إلى* جميع *تلك الأشياء* التـى ورثتهـا من أسرتـى *و ثقافتى و مجتمعى و فى أى جهة لم أتقيد بسلاسل التقاليد و لم اتنازل عن العطش للصدق أبـداً•* *و ليس إيقان فى قلبى* لم أثقبه *بأشـواك الريـب و الشك•* لم يكن *فى روحى تصور لم أحكه على محك التشكيك•* و هكذا *دخلت حدود العقيدة العقليـة*

و الفلسفية الحساسة للغاية و المحبة للحياة دخلتهـا
أو قلبتها و عمله هذا ينال أهمية كبرى"

لُقب مولانا آزاد بإمام الهند - و ليس هذا اللقب بأمر مدهش و محير. لأن مولانا آزاد لم يدرس الاسلام بنظرة عميقة فحسـب بل درس مبادىء كبار الديانات الأخرى دراسة شاملة أيضا.

لذا فمن الضرورى لنا فى خلفية الوحدة الوطنية والمبادىء القومية، أن نبلغ العامة آراء مولانا آزاد التى وردت عنه عن التسامح الدينى إننا نجد فى تفسير سورة الفاتحة، بقلم مولانا آزاد، فى" ترجمان القرآن "نموذجاً رفيعاً لعقله و فهمه. يستطلع مولانا آزاد فى تفسير سورة الفاتحة عن الفكر النفسـى لذلك الرجل الذى يؤمن بكلمات سورة الفاتحة و معانيها إيماناً كاملاً. و يوضح قائلا : إن مثل هذا الشخص يذكر اللّٰه و يحمده و يثنى عليه بكل اخلاص ومن اعماق قلبه.وليس إلٰهـاً تدّعى عنه مختلف الفـرق و الأمم و الديانات بأنه لها وحدها بل اللّٰه الذى هو الرحمن و الرحيم و الذى هو خالق الكائنات و رحمته تغشى و تعمّ العالمين ثم هو يدعو اللّٰه أن يوفقـه و يهديه إلى الصراط المستقيم و أن يسلك المسلك الصحيح القويم. لايستطيع لسانه إلاّ أن يدعو اللّٰه به و هل هو الطريق السوى و الصحيح الذى لايلتوى؟ هل هو طريق أمة أو طائفة و طبقة من الناس؟ لا إنه طريق عادى معبد ظل يسلكه كبار قادة و زعماء الدين الواثقين بالانسانيـة و جميع عبّاد الصدق و الباحثين عن الحق و الهائمين له فى جميع أنحاء العالم. مهما اختلفت عصورهم و مهما كانت الأمم التى كانوا ينتمون إليها . كذلك فانه يقول فى دعائه : اللّٰهم احفظنى و انقذنى من الشـر. و لكن لايذكر هنا أيضا عن قبيلة أو طائفة خاصة أو مولى خاص أو أمة خاصة بل فيه ذكر لأولئك الذين ابتعدوا عن اللّٰه سبحانه و حادوا عن الطريق القويم. و هكذا يدعو للخير البشرى العميم و يلحّ فيه. فى أى قالب يكون قلب مثل هذا الرجل قد صاغ يا تُرى؟ إنه يعبد اللّٰه الذى يرحم العالمين بأسرها و لايوجد فيه اثر لقبيلة أو طائفة إنه يكون مملوءاً بالعاطفة الانسانية و الاخوة العالمية.

و قد أكدّ مولانا آزاد فى مقالاته على ما جاء فى القرآن الكريم : من التصريح الواضح الذى يقول : "ولكل قوم هاد" أى ما من بلد أو بضعة فى العالم إلا وقد أتاها رسول. فينبغى لنا أن نؤمن بهم جميعاً أو لانؤمن بأحد و نرفضهم جميعاً. لأنهم جميعاً كانوا مرسلين من إلٰه واحد و هو اللّٰه. و قد

وردت فقرة هامة أخرى أيضا فى مقالات مولانا آزاد أريد أن أذكرها على الوجه الأخص و هى أن عنصر ضيق القلب هو أكبر عائق فى تقدم البلدان• فيجب علينا أن نبعد أنفسنا عن هذا الداء فى عصر الاستقلال الجديد الذى بدأ عهده آنفاً• و لايوجد داء آخر اخطر منه لتقدم الحياة القومية و ازدهارها •يعترى هذا الداء و يتواجد هذا المرض فى كل حقل من حقول الفكر و العمل• إنه يعمل عمله مختفيا و محتجبا بالقناع مثل الفنان•

ففى نطاق الدين يأتى أمامنا فى شكل التقليد الأعمى• و يريد أن يخدعنا بإسم الأعراف و التقاليد القديمة و فى نطاق العلم و الحضارة يتخذ شكل الحب و العبادة لكل ما هو قديم و يغرينا و ما أحسن و أليق بنا أن لا نقع فى هذا الخداع•

و باستثناء أناسٍ لا صلة لهم بالعقل و عددهم قليل جداً يقبل جميع الناس تلك الأفكار للأخوة و الانسانية العالمية التى هى قوام و أساس العلمانية• و يعلم من هذا مدى ما حققناه من تقدم فى مجال الوحدة الوطنية و القومية خلال الأربعين عاما الماضية• لقد اختار أبناء وطننا المعانى الصحيحة و القويمة للدين و للحب و العبادة للقديم ببطء و بالتدريج و لكن على نطاق كبير و هم يحفظونها• و قد ازدادت بلادنا قوة بهذه و تلك و أصبحت الحياة القومية أقوى• إذا رأينا سنين و عقود ما قبل الاستقلال و انقسام البلاد نذكرناه و يذكر معى كثير من السادة المستمعين الحاضرين هذه الحفلة — أن البيئة كانت مسمومة جداً آنذاك• كانت هذه البيئة قد أفسدت و سمّمت عمداً بمبادىء الاستعمار و بُذلت محاولة لتعميم و نشر هذه السياسية بالقوة الطاغية و إلى أن أثارت و أقامت هذه السياسة جاراً ضد جاره و أخا ضد أخيه و أصبحت الحياة الانسانية القديمة التى يرجع عهدها إلى آلاف السنين ضحيةً للجنون الطائفى•

ففى مثل هذه الأحوال و الظروف، نورّت أفكار و آراء مولانا آزاد عقول الناس ليعودوا إلى الصواب و يفيقوا إلى الوعى و يقوموا على أرجلهم وتعتبر الأفكار التى عبّر عنها مولانا آزاد فى خطابه الرئاسى الذى ألقاه فى اجتماع المؤتمر الوطنى الثالث و الخمسين الذى انعقد فى رام كره (Ram Garh) فى سنة ألف و تسعمأة و أربعين نموذجاً أعلى لمبادىء الوحدة الوطنية و القومية الأساسية• فقد أعلن فيه قائلا : " إننى مسلم و إننى لفخور بأننى ... التقاليد الاسلامية الرفيعة و الفخمة التى مضى

علَيها ثلاثة عشر قــرناً• إننى لفخور بكونى هندياً ـ إننى جزء لايتجزأ من الوحدة التى لاتقبل الانقسام ومن الوحدة القومية الهندية• إننى ركن و عمود هام فى هذا البناء الفخم و إن هذا البناء الفخم غير مكتمل من دونى•

...... كما يحق لأى هندوكى أن يقول بفخر إنه هندى و يؤمن بالديانة الهندوكية• كذلك يحق لنا أيضا أن نقول بمثل هذا القدر من الفخر أننا من أبناء الهند و نؤمن بالإسلام إيماناً لايتزعزع ..... لقد صاغتنا حياة الوئام و الانسجام التى مرت عليها آلاف السنين فى قالب للقومية المتساوية• لقد اكتمل القالب الآن و قد وضعت الطبيعة ختامها عليه ..ولايمكن تصور أى خطة و مكيدة شرّيرة لإحداث الشقاق و الفصل بحيث يلحق أى ضرر بهذه الوحدة القومية و الوطنية"

كان مولانا آزاد مسلماً صادقاً و مخلصاً و لذا كان وطنياً صادقاً أيضـا• و قد عمل مولانا آزاد بوصفه عالماً و كاتباً و مفكراً أو بوصفه عضواً فى حزب المؤتمر أو فى البرلمان أو بوصفه وزيراً أو بوصفه صديقاً عزيزاً و غالياً لجواهر لال نهرو و قائـداً كبيراً للشعب الهندى من أجل الوحدة القوميـة و الوطنية بجرأة استثنائية و طموح غير عادى للعمل الفعال وفقـاً لآرائه و ليت الناس يتأملون ما قاله إلى مدى أكثر و لو فعلوا لكان تاريخنا الحاضر مثار فخر و اعتزاز لنا أكثر من ذى قبل•

لقد ذكرت آراء و أفكار مولانا آزاد هنا لغرض و هدف خاص ففى مثل هذا الوقت الذى يواجه فيه المجتمعَ الانحطاط و الإنهيار، يصبح ذكر هذه الأحاديث و الآراء ضرورياً، و ينبغى لنا ألاّ نغفل عن أفكار و نظريات التعصب،لأنها قد أصبحت قضية أساسية اليوم• يجب علينا أن ندرس أسباب القضايا و المشاكل الرئيسة دراسة عميقة و نفهم ما فى مثل هذه الأفكار من مساوى قاتلة فهماً كاملاً ثم نخبر الآخرين عنها أيضا• لأنها تؤثر فى حياتنا اليومية و تعرقل تقدم البلاد و تحدث الفوضى فيها• إن هذه المساوى القاتلة تبعدنا عن مبادئنا و أهدافنا القومية• لذا فان عمل تسليط الأضواء على حقيقة و أصالة مثل هذه النظريات• ينبغى أن يكون ضمن واجبات المفكرين و الباحثين و لم أجـــرأ أن أقول شيئاً حول هذا الموضوع إلا لهذا السبب بالذات• إننى أحس أن أتحدث إليكم و ألقى بعض الكلمات بمناسبة احتفالات الذكرى المئوية لمولد مولانا أبى الكلام آزاد ، التى تكون أنسب لترويج هذا الهدف المنشود•

قال رئيس الوزراء الراحل جواهر لال نهرو و هو أقرب أصدقاء مولانا آزاد :

" كان مولانا آزاد من بين الذين نشأووا و ترعرعوا مع الحركة الوطنية و القومية خلال مدة تزيد على نصف قرن و كان قد رأى عهودا مختلفة للحركة الوطنية و القومية و ساهم فيها و شارك فى جهودها و فى النضال من أجلها أقصى ما كانت تصبو و تتوق إليه• إنه كان جزءا هاما من هذه الحركة و تولى تنظيمها و تنسيقها إلى مدى أكبر• إلا أنه ظل عالما راسخا و محبا للتفـرد و الفرديـــة بل كان وفذة بين جماهير الشعب الهنـدى• إنـــه سيظل يحتفظ بمنزلة رفيعة و خالدة فـى تاريخنـــا القومى و الوطنى بفضل قيادته الرشيـدة للحركــــة القومية و الوطنية أثناء هذه المدة الطويلة" •

قال جواهر لال نهرو أيضا :

" كانت شخصيته تملك ميزةً علميةً غير عادية و ذكاءً محيراً للعقول• لم تقدر العواطف أو التعصب على أن تتغلب عليهما أبداً• و ما يفوق كل هذا و ذاك هو أن شخصيته كانت مرآةً توجد فيها انعكاسات هذه الحضارة الهندية المتنوعة التى أثر فيها العديد من الاتجاهات الأجنبية و جعلها ثريةً .... كان أسلوبه فى التفكيـــر جديداً من بعض النواحـــى و من الأساس و فى بعض الأشياء الأخـــرى كانت صلتـــه بالماضـــى وثيقـــــة جداً و كان انعكاساً لإحساس ذلك العصر الذى يسمى عصر التنور• و بالإجمـــال كان شخصا غيـــر عادى له الهـــدف الذى ظل يناضل من أجله مدى الحياة و ذا مكانة بارزة و ذلك أيضا بطريقـــة و فى أسلوب لا يمكن لأحد أن يضارعـــــه و يضاهيه" •

و قال الدكتور ذاكر حسين : و هو الخبير البارز فى التعليم و التربية، "لقدأوضح مولانا بنموذج حياته أنه يستطيع أن يقضى حياته كلها كمجاهد

من أجل استقلال أمته و شعبه و لأجل الحصول على الإستقلال و لتشييده على أسس وطيدة و طيبة بعد الحصول عليه• إنه أثبت أن العلم ليس شعوذة و ليس مما يخدع به الناس و لكنه نور يستطيع الانسان أن ينير به الطريق للآخرين"•

أرى أن أكبر خدمة قام بها مولانا آزاد هى أنه قال أن روح الدين هى روح وئام و انسجام إن روح الدين هى روح تعارف بعضهم البعض إن روح الدين هى روح الخدمة• إن روح الدين هى روح التضحية بالنفس من أجل الآخرين• إن روح الدين هى روح الإيمان بالوحدة بل و روح الإيمان بوحدة الحياة كلها• و انه لدرس ينبغى أن تتلقن و تتعلمه كافة الجماعات الدينية و جميع أولئك الذين يريدون تشكيل و إنشاء فئات و مجموعات صغيرة الذين يريدون القضاء على وحدة حياتنا بتشكيل فرق و فئآت على أساس اللغة أو على أساس الاقليم و الولاية أو على أساس قبيلة و طائفة أو على أساس دين• إن أكبر داء فى بلادنا فى هذا الوقت هو أن ما يوجد عندنا من ولاءات صغيرة و ولاءات ضيقة هى قوية جدا• إننا ننتمى إلى فئآت و فرق صغيرةو نرتبط بها إلى حد أكثر و لا نفهم الفئات و الأحزاب الكبيرة حق فهمها• فينبغى لنا أن نجعل ولاءاتنا الصغيرة خاضعة لهذا الولاء الكبير• من دون الحاجة إلى قطع الولاءات الصغيرة• لايلزم لأحد أن يقطع صلته بالديانةالسيخية أو بدين الاسلام و بالهندوكية أو الزرداشتية و المجوسية• و لكن ينبغى له أن يكون خادما لهذه البلاد أولاً و خادماً للبشرية جمعاء ثانيا : اذن يقال بأنه مسلم صادق أو هندوكى صادق أو مسيحى صادق أو سيخى صادق أو مجوسى و زاردشتى صادق• نتلقى هذا الدرس من حياة مولانا آزاد بوضوح ......•

تعريب : محمد رضا خان الندوى

رائـــــــد القـــــــوم

بقلم : محمد عثمان عارف النقشبندى
الحاكم لولاية اترابرديش

إمام الهند مولانا أبو الكلام آزاد ـ هو الشخصية العبقرية التى حازت قبولها و نالت شهرتها كأديب كبير، و كاتب مترسل مبدع، و صحافى بارع، و سياسى محنك، و مفسر ممتاز، و محدث جليل، و مفكر نابع، و بطل شهير للاستقلال، و الواقع أن شخصيته كانت جامعة بين أذواق متنوعـــــة و مشارب شتى، إنه أنجز بذكائه الحاد و بصيرته النافذة و استعداده الموهوب من الآثار الباهرة الخالدة على المواضيع الثقافيـــــة و الأدبيـــة و الصحافيـــــة و السياسية و الإجتماعية و الدينية من محيط الصحافـــة و منصة الخطابة مايَنْدر نظيره فى هذا العصر•

إن شخصيته شخصية ألمعية فذة قلما يجود الزمان بمثلها، ولد الانسان منذ مئات آلاف من السنين و ستستمر هذه السلسلة حتى تقوم الساعـــــة و لكن هذا الحشد الهائل من الأنام كم برز منهم من عرفهم الناس كقائد ركب أو رائد جيل، و خلعت عليهم القدرة الالٰهية من المحاسن و المكرمات ما أشار إليه شاعر الشرق الدكتور إقبال قائلا :

" النظر الثاقب و الحديث الساحر الأخاذ و الروح
الملتاعة هذه الزاد لرائد الركب"

لو وضعنا مولانا آزاد على هذا المحك لوجدنا أن شخصيته تمثل هذه المحاسن فى طول الخط و نهاية المطاف، فقد كان فى طليعة القواد الوطنيين الذين يجمعون بين القول و السلوك• و لم يكن مفكرا عظيمـــــا، و عالما متبحرا، و خطيبا مصقعاً، و كاتبا قديرا، و أديبا مبتكرا، و صحافيا فريدا فحسب بل كان نسيج وحده فى الفلسفة و الحكمـــة و الشعر و الأدب

و التراجم و التاريخ كذلك • أحدثت بصيرته النافذة و ابتكاره و دقته انقلابا فى سياسة البلاد، و كان كبار الزعماء السياسيين أمثال غاندى وجواهر لال نهرو الراحلين يستشيرون منه فى القضايا السياسية المعقدة، كان يمثل شخصية تاريخية نموذجية حققت إنجازات تاريخية عديدة لكنه فوق ذلك قام بخدمات تصنع التاريخ و تعدّ معجزات، إن تفنن هذه الإنجازات و وفرتها تبعث على حيرة المؤرخين و تثير استعجابهم، كثيرا ما نرى أن الشخصيات التاريخية تحدد نشاطاتها فى نطاق واحد و لكن مولانا آزاد خاض فى كل مجال من مجالات السياسة و الصحافة و الأدب و التاريخ و الفلسفة و صنع معجزات و خوارق تبهر العيون و تدهش العقول، كان إسمه التاريخى " فيروز بخت " و كان والده أصدر تاريخ ميلاده بالشطر التالى :

" جوان بخت و جوان طالع، جوان باد"

(أى جعله اللّه شابا، سعيدا، نجيبا)

هذا الشطر صورة صادقة لحياته، و كانت أسرته قد اجتمعت فيها ثلاث أسر مختلفة كلها تعد من أكرم و أفضل أسر الحجاز، و منّ اللّه تعالى إذا أفاض على أسرته من مكارم الإرشاد و التوجيه و محاسن العلوم و المعارف مايفوق العدّ و الحصر•

كانت قد خاض فى محيط الصحافة و الأدب منذ نعومة أظفاره حيث كتب أول مقالة له فى سنة ١٨٩٩م و هو من عمره إحدى عشرة سنة، و منذ ١٩٠٢م بدأت مقالاته و بحوثه تحتل مكانها من النشر فى المجلة الشهيرة "مخزن" الصادرة من لاهور، و فى سنة ١٩٠٣م أصدر صحيفته " *لسان الصدق*" الأردية من كلكتا شرقى الهند، و قد نالت إعجاب كبار العلماء و الباحثين أمثال العلامة شبلى النعمانى و العلامة حالى و الشيخ نذير أحمد و فى تلك الأيام لما عرف به مولانا وحيد الدين سليم للعلامة حالى قائلا إنه رئيس تحرير لصحيفة " *لسان الصدق* " فكاد حالى يقضى منه العجب و لم يتيقنه و بقى يظن أنه ابن رئيس تحرير " *لسان الصدق*"• وقام برئاسة تحرير مجلة " *الندوة* " الصادرة فى لكناؤ من أكتوبر ١٩٠٥م إلى ١٩٠٦م، و الإنتاجات الأدبية و العلمية التى دبجها يراعه خلال هذه المدة رفعته إلى ذروة العظمة و الشهرة، ثم قضى بعد ذلك مدة وجيزة فى جريدة " *وكيل* " الصادرة فى أمرتسر ببنجاب، و لكن عبقريته العلمية و الأدبية و الصحافية ترجع إلى " *الهلال* " و " *البلاغ* " و " *التذكرة* " و " *الهلال*" فى مرحلتها الثانية " و " *ترجمان القرآن* " و " *غبار خاطر* "،

فانها من إنتاجاته المثالية التى تندر نظائـــرها فى تاريخ الأدب الأردى و الصحافة الهادفة البناءة، و كان يزدان فى كلا المجالين من الكتابـــة و الخطابة بسعة البحر و ضخامة الجبل و سيل النهر و تلطف النسيـــم و صرصرة الطوفان، و نستطيع أن نقدر عبقرية شخصيته بما أنه أحرز البراعة فى علوم و فنون متعددة، فأى موضوع من مواضيع الطب و الفلسفة و المنطق و الديانة و التاريـــخ و الأدب و الموسيـــقى و علم النفـــس و الجغرافية لم يدرسه دراسة واعية وافية؟ و تآليفه كذلك كثيرة تطول قائمتها ، و رزقه الله ذاكرة قوية لم يطالع شيئا إلا وعته و ذل به لسانه، فكان يحفظ المحادثات و العبارات بطولها فضلا عن المعانى و المفاهيـــم و الأبيات، حتى انه كان يذكر أن العبارة من أين اقتبست و أنها فى الصفحة اليمنى أو اليسرى، بداية الصفحة أو وسطها أو نهايتها •

يتحدث فى كتابه " تذكره "

" إن كل ما حظيت به يرجع فضله إلى العشق و محبة النبى صلى الله عليه وسلم• و كل ما تشرفت به من الرشد و التوجيه ليس إلا رهنا لعناية المرشد الأعظم و هادى السبل صلى الله عليه وسلم، فهو الذى فتح لى آفاق العلم واسعة و عرفنا بحقيقة العلم و هدانا إليها، و كانت صحف الحكم و المعارف على طرف لسانه، و كانت ذخائر الحقائق بيده، و كان معلما لحقائق الشريعة، و كان منارة الراهب فى جليل التزكية و الإحسان و دقيقه، و دلنا على أسرار القرآن الكريم و كشف لنا غوامضه، و منحنا النظر الثاقـــب و البصيرة النافـــذة و القلب المتفتـــح، فأى اعوجاج لم يستقم بفضل نظره السديد، و أى مرض لم يتوفر دواءه من مستشفاه؟"

فبفضل هذا العشق الأصيل وحده استطاع مولانا آزاد أن يدين له العالم بفضله و علو كعبه فى علم القرآن و التفسير و الحديث و الفقه، و إلى ذلك وحده يرجع الفضل فى إلمامه الواسع بالتاريخ و الفلسفة و السياسة، وبراعته فى النقد و قرض الشعر، كما أن جدارته و كفاءته فى إيقاظ الشعور

و الوعى الدينى و السياسى فى الجماهير، و معالجة القضايا و حل العقود السياسية ليس إلا مدينا لحبه و هيامه بالنبى صلى الله عليه وسلم، كان قد بدأ يبذل جهوده و يقدم خدماته و تضحياته فى معارضة الحكومة الوافدة و التحرر من يدها قبل أن تبتدأ حركة الاستقلال بنظام، بدأت مجلة الهلال تصدر فى ١٩١٢م، و صودرت فى ١٩١٥م، و لأجل هذه المعارضة الشديدة تم نفيه من بنغالة، و لما أطلق سراحه سنة ١٩٢٠م بعد ما قضى أربع سنوات معتقلا فى رانجى(RANCHI) بولاية بيهار، قابل غاندى لأول مرة، و انضم فى نفس السنة " بحركة عدم الولاء " التى قادها غاندى، و من هنا نشأ بينهما من أواصر المحبة و الصداقة و الاحترام مادام وطيدا مدى الحياة؛

إن التعريف به كسياسى محنّك خبير و قائد وطنى كذلك من الصعوبة بمكان، و قد صدق جواهر لال نهرو عند ما قال :

> " *إنه سياسى فريد و تغاير سياسة العالم العادى تماما، فانه عالم متبحر جليل و ممثل و ترجمان للوحدة الهندية فى آن واحد، و لم يشعر قط بأى عرقلـــــة أو صعوبة فى المجمع بين هذين المجالين*"

كانت سياسته تقوم على النزاهة و الكرامة، كان يعتقد أن العبوديـــة و التطفل على مائدة الأمم ينافى شرف المسلمين و كرامتهم الدينيـــــة، و يشعر بضرورة استقلال الهند إعادة لهذا المجد الغابر و الكرامة التليدة للعالم الأسلامى، و يدعوا المسلمين إلى التفكير الجاد و العمل المتواصل تحقيقا لهذا الاستقلال المنشود، و كان ذلك هو الهدف الأساسى لإصدار "*الهلال*"، كان مولانا آزاد ترجمانا لشمول النظام الاسلامى و سماحة الاسلام و حبه و احترامه للانسانية و داعية متحمسا له كذلك، و لأجل ذلك كان يبذل قصارى جهده لينتقذ المسلمين من براثن الاستعمار و يصففهم فى وجهه يقاومونه و يكافحونه مع أبناء البلاد شبرا بشبر و ذراعا بذراع، كان يعتقد أن المسلمين يستحقون من موارد هذه البلاد و خيراتها ما يستحق به أبناء الفرق الأخرى لهذه البلاد، و كان ذلك نفس موقفه من تأدية المسؤليات و الواجبات و تقديم الخدمات لترقية هذه البلاد، كانت حياته السياسية تجمع بين روعة الحنكة و الخبرة و التفتح و وفرة الصبر الجميل و تحمل المشاق و ضبط النفس و نكران الذات، و إن الذكاء الحاد و التفهم للأوضاع و البصيرة النافذة التى استخدمها فى أعصب و أحرج

ساعات الحركة الوطنيـــة لتحرير البلاد مابيـــن فتـــرة ١٩٤٢م و ١٩٤٦م قد ذلّلت الصعوبات فى سبيل الاستقلال و عاد الفرض سهل المنال، كان يحلم بأن يرى البلاد حرة مستقلة بأسرع وقت ممكن، و انطلاقا من ذلك كان يؤكد على ضرورة الوحدة و التضامن بين جميع الفرق و الطوائف، فكثيرا ما صدع بأن سبعين مليون مسلم من هذه البلاد لينضموا بمائتـــى و عشرين مليون هندوكى و يتحدوا معهم بحيث يعودوا شعبا واحدا، تحقيقا لهذا الفرض قال سنة ١٩٤٣م بكل وضوح :

" لو نـــزل أى ملـــك من سحب السمـــــاء و إرتقـــى " منارة القطب" بدلهى و أعلن بأن الاستقلال سيتحقق فى ٢٤ ساعة بشريطة أن الهند تتخلى عن التضامن الاسلامى الهندوكى فاننى سوف أتخلى عن الحريـــــة و الاستقلال، فان الاستقلال لو تأخر ظهوره لم يلحق الضرر إلا بالهند فحسب و لكن ـ لا سمح اللّه ـ لو انقض تضامننا و انصرفت وحدتنا لتعدى الضرر إلى الإنسانية جمعاء"

رفع مولانا آزاد مستوى الصحافة بجرائد القيمة البارزة إلى أعلى الذروة و منتهى القمة، و ترك للأجيال القادمة آثارا علميـــة خالـــدة مثل " *تذكرة* " و " *ترجمان القرآن* " و " *غبار خاطر* " و غيرها من إنتاجاته التى تعد من روائع الأدب و البيان، إنه قضى عشر سنوات و سبعة أشهر فى مشاق السجن و متاعبه الزائدة توخيا لتحرير البلاد، و حقق ذكرى قيمة تعتبر بحق درسا سياسيا مثاليا •

كيف نفى بتعريف هذه الشخصية الجامعة العملاقة و الإشادة بمآثرهـــا و خدماتها، فمآثره و مكارمه وافرة زاخرة و القلم عاجز و الآراء قاصرة، كان أمينا للقيم و المثل الثقافية و الحضارية و الدينية و السياسية و الأدبيـــة و العلمية لهذه البلاد و محافظا عليها، و إنه أيقظ الشعب الهندى و نفخ فيه روحا جديداً، كان مبدعا مبتكرا لأسلوبه و خاتما له كذلك، و ذلك مايدل على ندرة هذه الشخصية و عبقريتها •

تعريب : آفتاب عالم الندوى

مولانا أبوالكلام آزاد

بقلم : أبى الحسن علي الحسنى الندوى

دارالعلوم ندوة العلماء بلكناؤ

كان العهد الذى بلغت فيه رشدى، و بدأت فيه المطالعة و الكتابة عهدا طبق فيه صيت مولانا أبى الكلام آزاد الآفاق، كان يسمع دويّه فى سائر أنحاء الهند، لميكن يتمتع بهذه المكانة فى القلوب، و التاثير على النفوس أديب و لاشاعر و لا مؤلف آخر، و لا أعرف أحدا فى دنيا العلـــــم و الأدب ممن وهبهم اللّه الذوق الأدبى و المعرفة العلمية شخصا لميتذوق بأدب مولانا أبى الكلام آزاد، و لم يتأثر بخطابته المجلجلة، و رشاقة قلمه الفياض، و قوة تعبيره، و لم يسحره ما دبجه قلمه من مقالات مثيرة فى صحيفة الهلال، التى عرفت بسحرها الحلال •

[illegible] ة كانت على صلة بأبى الكلام آزاد، و على انسجام فكرى معه و كانت تشتمل على عدد من رجال تعرفوا على مولانا آزاد و رأوه عن كثب، فى عهد شبابه الذى كان فيه مساعد مدير مجلة " الندوة " و كان يقيم فى الدار القديمة لندوة العلماء الواقعة فى " خاتون منزل " و كان يقيم بذلك المكان الأستاذ عبد الماجد الدريا بادى أيضا و كان يستفيد بمجالس العلامة الشبلى النعمانى •

لميكن هؤلاء الأقارب الذين صحبوا مولانا آزاد فى ذلك العصر من مؤيدى مولانا آزاد و مريديه، فيستجيدوا كل ما يصدر منه من عمل أو قول، لكنهم كانوا فى الواقع مسحورين بذكائه المفرط و حضور البديهة، و حسن المحاضرة، و قدرته الكتابية من جانب، و بغيرته، و أناقته، و خفة روحـــه، و صفاء ذهنه من جانب آخر، فكانوا يسردون قصصه بلذة و اعجاب، كنت أحسب فى ذلك الوقت كأنى أسمع قصص حكمـاء اليونان، و فلاسفتهـــا،

و الصور الخيالية لألف ليلة وليلة، و لم يكن هؤلاء المعجبون بشخصية مولانا أبى الكلام آزاد يعتبرونه شخصية مثالية منزهة عن كل عيب، أوفى نجوة من مواضع النقد، بل كانوا يلوحون الى بعض المآخذ فى تصرفه الا أنهم كانوا مجمعين على ذكائه و قوة ذاكرته الموهوبة من الله و غيرتـــه، و ثقته بالنفس و تلك خصال لم يكن يتنازع فيها اثنان، ثم سمعت من العلامة السيد سليمان النـــدوى فى عدة مجالس عن ذكائه المفـــرط و صلاحيته للفهم، و إدراكه للدقائق، و نفاذ ذهنه، و قدرته على العـــرض و التعبير، و الاستفادة من معارفه مالا يتوفر عادة•

و حدث مرارا، أن العلامة شبلى النعمانى طلب من تلامذته النبغاء الكتابة فى موضوع، فحشد هؤلاء التلامذة المواد العلمية عن ذلك الموضوع بعد مطالعة عميقة، و عرض بعض هؤلاء التلامذة البارزين مقالاتهم ، لكنه لميقتنع بها و اعاد بعض التلامذة مجهودهم للكتابة فى الموضوع، لكنهم اخفقوا فى كل مرة، و كان مولانا أبو الكلام آزاد فى زاوية يسمع ما يجرى بين الأستاذ و التمليذ، فتقدم و استفسر عما يريده العلامة شبلى النعمانى، فعرض العلامة شبلى النعمانى الخطوط العريضة فى كلمة وجيزة، و جلس مولانا أبو الكلام آزاد يكتب حسب هذه الخطوط العريضة، و عرض بعد فترة قصيرة مقاله، فقال العلامة النعمانى، هذا ما كنت أريده•

كانت هذه الموضوعات فى بعض الأحيان دقيقة كلامية أو فلسفية، و كان يحسب كل من يشاهد هذا الشباب الذى كان يبرز على أقرانـــــه عادة، و يدهش بمقالاته، أنه سيخفق هذه المرة و يزول رعبه و هيبته على النفوس، و تظهر قلة بضاعته، لكنه كان ينتصر دائما، و ينجح فى كل امتحان•

و لايغرب أن يكون مولانا آزاد قد زار والدى في بيته عدة مرات لأمر من الأمور التى تتصل بندوة العلماء خلال صلته بها فقد وجدت فى أوراقه بطاقة تحمل توقيع الحكيم أجمل خان، و أبى الكلام آزاد معا، كما توجد عدة رسائل لأبى الكلام آزاد خلال دراسته و عهد شبابه الذى كان يستفيد فيه من شمس العلماء الشيخ محمد يوسف رانجور العظيم آبادى فـــى كلكتا• و كان الشيخ سليل أسرة صادقفور التى كانت من أتباع الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد، و الأوفياء له و كانت لها مساهمة كبيرة فى حركة الجهاد و الدعوة التى قام بها أتباع الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد فى العهد البريطانى الغاشم•

صدرت تذكرة المجاهدين لصادقفور المعروفة " بتذكرة صادقة " بتأليف الشيخ عبد الرحيم الصادقفورى أسيراندمان، فقدم لها هذا الأديب الشاب، و الكاتب المغمور، محى الدين أبو الكلام أحمد، و يحمل تقديمه أسلوبا قديما لايعرف منه ان كاتبه سيظهر فى المستقبل على سماء الهند العلمية و الأدبية، كهلال العيد و يبهر العيون، رغم هذه الصلة العميقة لا أذكر قدومه الى بيتى، لأنى كنت فى التاسعة من عمرى حينما توفى والدى رحمه الله فاذا قدم قبل ذلك، فى بداية حركة الخلافة ، أو لدى تأسيس ندوة العلماء فذاك قبل أن أبلغ رشدى•

كانت زيارتى الأولى له كما أذكر اليوم فى قاعة كنكا برشاد بلكناؤ فى حفل أقيم لبث دعوة الوحدة بين المسلمين و الهنادك، و كان من بين الحضور مولانا محمد على جوهر، فحان وقت صلاة المغرب، و كان الحفل يستمر، و الكلمات تلقى فنهض مولانا أبو الكلام آزاد رحمه الله و توجه إلى الضاحية الشمالية من القاعة، حيث نظم المكان لاداء الصلاة، فصلينا جميعا خلفه، فرأيته ذلك الحين عن كثب لأول مرة فاذا هو فارغ القامة، أسيل الوجه، أحمر اللون، بعينين نخلائين متوقدين و كأن عينيه تنطقـــان و تتكلمان تعلوه ابتسامة، و يلمع على جبينه الاستبشار، و تلمس فيه ملامح الذكاء و الثقة بالنفس و الحظ السعيد، فى ثياب بسيطة تشبه بثياب الأشراف و الأعيان من دلهى و لكناؤ• تتميز فى الأناقة و حســن الاختيار و الذوق، و قلنسوته مرتفعة، تمتاز بها شخصيته المتميزة فهذا هو مولانا أبوالكلام آزاد رحمه الله، الذى لقيته لأول مرة، و أعجبت به، و لاتزال فى ذاكرتى بعض كلماته التى ألقاها فى ذلك الحفل، استشهد برواية سنن أبى داؤد و هو يبين وجهة نظر الاسلام عن الاخوة الانسانية، و المساواة الانسانية، فقال : *"سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر الليل عندما كان يناجى ربه، و يدعوه، و يتضرع اليه، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة"*•

كان مجلد صحيفة الهلال الدينى الذى أصبح اليوم هدية سنية نادرة• يوجد فى بيتى بمدينة لكناؤ، و فى بيتى الواقع فى قرية صغيرة من قرى مديرية رائى بريلى و كان يحصل عليه الصغار للمطالعة بغاية من الحيطة و الحذر لأهميته و قيمته العلمية، و فى هذا العهد امسكت القلم، و بدأت فيه بالكتابة، و تمكنت من تعبير مايدور بخلدى، فكانت مقالات الهلال تدور فى ذلك الوقت حول حروب ادرنا نوبل و سمرنا أو بلقان، و طرابلس

الدامية، و حول بطولة أنور باشا، و مآثره الحربية و حادثة مسجد كانفور المؤلمة، فقرأتها و اهتززت بها، و كنت اعتبرها على ذروة من الخطابـــة و أعلى نموذج للبلاغة، و القدرة البيانية، و لا أنسى وصف مولانا أبو الكلام آزاد بقلمه السيال لمنظر قدوم أنور باشا فى طرابلس المثخنة بالجـروح، و تفقده لجثث الشهداء و أشلائهم الممزعة، و ما كان لهذه المناظر من تأثير على قلبه و ذهنه•

هذا المشهد المقدس للعنادل، و قدوم رجل مجاهد جليل عالى الهمة، رابط الجأش، خافق القلب، مثل أنور باشا، و قلم مولانا آزاد النازل كالشلال، كل ذلك جعل مؤثرا كالصاعقة من حيث انه لم يستطـــع أحـــد أن يتمالك عواطفه، ففاضت العيون، و كان من حقها أن تفيض، و التهبت النار فى الجسم، و اضطرمت فى القلب، و هاجت النفوس•

و بعد مدة قصيرة طالعت كتابه الشهير المسمى بالتذكرة، الذى كان يعدّ من أروع كتبه على أسلوبه فى ذلك الوقت، الذى يمتزج فيه جريان النهر و ضجيج الشلال الذى كان قد طعم بتعبيرات فارسية، و عربية كاملة، لو استخدمها كاتب آخر فى كتاباته لأعتبر عيبا، و لعد نقصا، لكن قوته الخطابية، و قدرته الكتابية، و صلاحيته لتدبيج اللفظ تزيدها حسنا و جمالا و بهاءا، و لاتعطى بداهته النادرة المفرطة قارئه فرصة ليفكر فى مصدرها و تركيبها، و هذا هو أسلوبه الخاص الذى يصعب أتباعه و محاكاته، و هو طريق ملىء بالأخطار للمقلدين•

ترك مولانا آزاد هذا الأسلوب بعد مدة، و حدث اعتدال فى تدفق الألفاظ و وفرتها و دخلت فيها السهولة و البساطة، و السلاسة و العذوبـــة و خير نموذج من كلامه الساذج خطبته الرئاسية التى كان ألقاها فى المؤتمر السنوى للمؤتمر الوطنى(INDIAN NATIONAL CONGRESS) المنعقدة فى رام كره (RAMGARH) سنة ١٩٤٠م لكن فى بعض الأحيان كان يتدفق السيل فى ذلك البحر الهادى• و يعود عهد شبابه، و عهد صحيفة الهلال الساحر•

ثم و نشر المجلد الأول ثم الثانى من تفسيره ترجمان القرآن و كنت أشتغل آنذاك بالتدريس فى دار العلوم ندوة العلماء، و كان التفسير موضوعى الخاص، فقرأت هذين المجلدين، و انتفعت بهما كثيرا، انه ذكر فى تفسير سورة التوبة قصة الأصحاب الثلاثة الذين تخلفوا فـــى غزوة تبوك، و ذكر هذه القصة على لسان كعب بن مالك الذى كان من بينهم، و نخـف

أيضا عن الحضور فى الغزوة، و نفخ فيها الروح بقلمه الساحر مع رعاية أصول الترجمة• و صوّر صراعهم الذهنـــى، و الاختبار الذى ابتلـــــوا به و وفاءهم الصادق للاسلام• و حب الرسول صلى الله عليه وسلم، و نقل دقات قلوبهم الى القارئ، بألفاظه، و رصّعه بالأشعار العربية و الفارسية ذات رونق و بهاء كاللآلى الثمينة اللامعة، فبذلك يستحق هذا البيان أن ينال مكانا عاليا فى الأدب الكلاسيكى العالمى فضلا عن الأدب الاردى•

و بلغ قلمه الساحر ذروة الكمال فى تمثيل استقامـــــة سيدنــــا يوسف و سيدنا يعقوب عليهما السلام، و تصوير آلامهما و أحزانهما، و عرض سلوكهما و حياتهما رغم أن هذا الموضوع موضوع التفسير، و يتطلب غاية من الحيطة و الحذر، لكن الأديب و الأديب الموهوب، و الذكى النادر لاينتهى عن فتح مغالق جديدة و بيان نكت غريبة، و اشارات لطيفة، الى مواضع البحث و النظر، و عن ابداء براعته الكتابية•

ذكر مولانا آزاد فى هذه القصة أيضا، و فى تعليقاته التفسيرية نكت علم النفس و نكت علم الاجتماع و الأخلاق التى تجدر بأن يدرسها طلاب الأدب و الأخلاق فضلا عن طلاب علم التفسير، و يستفيدوا منها•

و أقول بصراحة أنى قرأت الكثير فى هذا الموضوع و لكن هذه المطالعة الواسعة زادتنى علما، و لم أجد أحسن وصف، و أوسع بحث عما قرأته فى تفسير مولانا آزاد و قد قرأته مراراً و استفدت به كثيرا•

كان مولانا آزاد مراقبا على تأليف الوزارات لحزب المؤتمر الوطنى فقـــدم الى لكناؤ و أقام فى منزل كوبند بلب بنت (GOVIND VALLABH PANT) كبير وزراء ولاية أترا براديش فذهبت اليه مع بعض أصدقائى، و اجتمعنـــــا بـــه، و عرفته على نفسى، فذكر بعض الكتب التى ألفت حول ترجمة الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد نظرا الى صلتى به، و كنت أيضا مشغولا بتأليف سيرة السيد أحمد الشهيد فى تلك الأيام، و هو أول كتاب ألفته، و كان معى بعض صفحات من أصول الكتاب، و كنت أهدف بهذا اللقاء ان أطلب منه أن يقدم لكتابى فقبل عرضى، و وعد بأن يقدم له•

و أعربت خلال حديثى معه عن أمنية لى، و هى أننى أريد أن أنقل بعض أجزاء تفسيره إلى اللغة العربية، فسمح لى به، و بينما كان يدور الحديث، دخل بعض الوزراء فى حكومة ولاية أترا براديش فلم يبد من ملامح وجهه انه يرغب فى أن ننصرف، فيتحدث معهم، رغم مكانتهم العالية فى الحكومة، و هذه هى ميزته الخاصة التى عرفناها بعد لقاء أو لقائين، و جربناها مرارا،

وليس ذلك فحسب، بل انه صرح فى بعض المناسبات أن سروره يزداد بقدوم العلماء و الطلاب، و الاجتماع بهم، و التحدث معهم علميا و فكريــا و ثقافيا فكان لايؤثر الزعماء و القادة السياسيين على طلاب العلم، بل شعرت فى بعض الأحيان بأنه يعتبر طائفة العلماء أسرته الخاصة و يأنس اليها أكثر.

ثم أتيحت لى فرصة اللقاء الثالث عندما زار لكناؤ مرة ثانية فى عهد وزارة المؤتمر الوطنى، و أقام فى منزل السيد محمد ابراهيم، وزير المواصلات فى ولاية أترا براديش و لعله كان فى عام ١٩٣٩م و كنت أرسلت اليه رسالة و ذكرته فيها بما وعد به من تقديم كتابــى، و لكنــى لم أتلق ردا على رسالتى، ثم عرضت بعد ما انتظرت طويلا على العلامة السيد سليمان الندوى أن يقدم لكتابى، فقبل ذلك و صدر الكتاب بتقديمه الذى يحتل مكانة خاصة فى كتابات العلامة السيد سليمان الندوى فى عام ١٩٣٩م.

و وصلت الى مقر مولانا آزاد، و وددت أن ألاقيه لكن أمِينَهُ السيــد أجمل خان قال لى، انه مشغول جدا فى ذلك الوقت و لايمكن لقاءه، فانتظـــرت، و قعدت على الكرسى برهة لأروح نفسى لأننى وصلت اليه بالدراجة، فتعبت كثيرا فأردت أن أستريح قليلا و بدأت أتحدث مع أمينه السيد أجمل خان، ودار الحديث، فجاء ذكر السيد أحمد الشهيد، فأخذ ينوه به، و يبدى اعجابه به بلذة، لأن جده الكريم كان من أتباع السيد أحمد بن عرفان الشهيد و محبيه، فلما علم انتمائى اليه و صلتى الخاصة به و كتابى الذى ألفت حوله سرّ كثيرا، و أعرب عن اعجابه و دخل على الفور، و أخبر مولانا آزاد بقدومى، فما لبث أن طلبنى كأنه كان منى على ميعاد، و لما ذكرت له رسالتى التى أرسلتها إليه، قال إنها لم تصل إلىّ، و قال انه مستعد ليكتب تقديمه الآن، لكن لم ألح عليه و منعته كثرة اشتغالـــــه، و مسئولياته التى لم تزل تتصاعد و تزداد من أن يكتب و يرسله اليّ.

تحدث مولانا آزاد فى هذا اللقاء عن ندوة العلماء، و عن العلامة شبلى النعمانى و حركة ندوة العلماء، و أهدافها و أهميتها، و نفعها طويلا، ذكر أيضا أن هذه الحركة لم تنجح كما كان يتوقع لأنه لم يتفرغ لها و ينقطع إليها بعد العلامة شبلى النعمانى أحد.

و كان اللقـــاء الرابع به فى عام ١٩٤٦م فى فندق كارلتن لما قدم مولانا آزاد إلــى لكناؤ فى صدد تأليف الوزارة، و قررت أنا و أحبائـــى

و زملائى الشيخ عمران خان الندوى و الشيخ محمد أويس الندوى، و لعل الأستاذين، عبد السلام القدوائى الندوى و محمد ناظم الندوى، كانا من بيننا فى هذا اللقاء، أن نصلى صلاة الفجر فى ساحة الفندق، و نلتقى بمولانا آزاد صباحا، ففعلنا ذلك و وصلنا الى غرفته، فواجهنا أولا أمينه البروفسور أجمل خان كالعادة، فلم يمكث أن أخبر مولانا آزاد بمجيئنا، فدخلنـــا الغرفـــة، فاذا هو قد فرغ مــن شرب الشأى، و لعله كان الشأى (WHITE JASMINE) الذى نال الشهرة بانتسابه و ظروف الشأى كانت أمامـــه، و لعل مولانا عاكفا ملازم كتابه " كاروان خيال " فجرى الحديث بيننا، و دار حول الكتب التى تدرس فى ندوة العلماء و أعرب مولانا آزاد عن نظرياته عن الانشاء و الكتابة باللغة العربية و سألنى عن الموضوعات التى كنت أدرسها، و بعد حديث علمى انتهى المجلس، و افترقنا•

و تكررت زيارات مولانا آزاد للكناؤ فى تلك الأيام، فاجتمع به مرة طلبة ندوة العلماء، و تحدثوا معه من حيث أنه لم يستطع أن يشعر رغم ذكائه المفرط بأن الأمير مولانا حبيب الرحمن الشيروانى الذى كان من أحب أصدقائه يوجد فى لكناؤ فحسب بأنه فى ندوة العلماء فى ذلك الوقت، فأتى الى دار العلوم التابعة لندوة العلماء شوقا الى لقائه، و كنت ألقى دروس فى ذلك الوقت فى أحد الصفوف، فلما علمت بقدومه، أتيت اليه، فوجدته فى محراب المسجد يلقى كلمته و العلامة السيد سليمان الندوى بجانبـــه، و الطلبة بين يديه، فذكر مولانا آزاد مؤامرة الطلاب التى أصبح فريستها بلطف ليس فيه مرارة الامتعاض و الاستنكار، و انما هو شكوى الكبار الملىء بالحب و الاشفاق، و كذلك شرف مولانا آزاد نادى الطلبة " جمعية *الاصلاح*" بقدومه المبارك مرة على دعوة من الطلاب لوقت قصير فى الليل، و كان معه الشيخ عبد القادر القصورى•

و وصل مولانا آزاد الى لكناؤ فى شهر فبراير سنة ١٩٤٧م و كان سمفورنا نند. وزير التربية فى الولاية، و اقترحت الحكومة اعادة ترتيب المناهج المتبعة فى المدارس العربية، و ألقى بهذه المناسبة كلمة علمية قيمة حول تطوير المنهج الدراسى، و عناصره الرئيسية أمام جمع من العلماء و المسئوليـــــن و المشرفيـــن على المدارس العربية فى قاعة المجلس التشريعى للولاية، و كان يبدو منها انه لم يتخلف عن ركب العلماء الذى كان يسلك فيه من بداية عمره، رغم أشغاله السياسية الدقيقة و كان ممن حضر هذا الحفل شيخ الاسلام مولانا حسين أحمـــد المدنـى،

و العلامة السيد سليمان الندوى و فضيلة الشيخ محمد طيب و غيرهم من علماء فرنجى محل و مسئولى المدارس الاسلامية و وجدت جميعهم يعترفون بفضل مولانا آزاد و علمه الغزير و يكرمونه•

و تشرفت بلقائه مرارا، مرة لما رحل الى كشمير لترويح نفسه بعد ما أطلق سراحه من معتقل أحمد نجر، و من المصادفات إنى كنت وقتذاك فى كشمير من قبل، و كان مقيما فى (HOUSE BOAT) فى نسيم باغ فى سرى نجر، و كان معه السيد آصف على، و الشهر شهر رمضان فحضرت اليـــه و قابلته و كان لم ينس الكتب التى أدرسها فى ندوة العلماء رغم مرور وقت طويل فأعجبنى ذكاؤه، و حفظه لهذه الأمور الجانبية و قدمت اليه كتابى الجديد الذى ألفته عن مولانا محمد إلياس و دعوته الدينية•

و فى عام ١٩٥١م التقيت بمولانا آزاد فى مطار القاهرة عندما كان مولانا آزاد فى رحلة الى أوربا لأول مرة بعد توليه منصب وزير التربية فى حكومة الهند المركزية و كانت طائرة مولانا آزاد تمر بالقاهرة بالليل، و تقف لبعض الوقت و طلب منى بعض أصدقائى الهندوس أن أكون معهم فى استقبال مولانا آزاد، لأنه يزور القاهرة لأول مرة كوزير للهند المستقلـــة، و ما كان هؤلاء الهنود يعرفون صلتى الخاصة بمولانا آزاد، و لم يوجهوا الىّ الدعوة للاشتراك فى الاستقبال الا كفرد من الجالية الهندية فى القاهرة، فقبلت هذه الدعوة بسرور بالغ، و فى تلك الأيام حدث أن زرت السفارة الهندية لبعض أمور طارئة فلم أجد من المسئولين فيها تجاوبـــا و لم يتلقونى تلقيا لائقا بى و بهم و شعرت بوحشة فى سفارة بلدى

وصلت أنا و صديقى مولانا عبيد اللّه البلياوى مطار الماظة، و هبطت الطائرة فى آخر الليل، و أتينا بمولانا آزاد فى صورة موكب الى مكان لشرب الشأى، و كان ارهاق السفر باديا فى وجهه، و جعل الصحفيون الأذكياء يطرحون عليه الأسئلة بالعربية حينا، و بالانجليزية حينا آخر، و يرد مولانا آزاد عليها بطمأنينة دون أن يخوض فى تفاصيلها، و يقدم نموذجا رائعا لسرعة خاطره و حضوره بديهية•

ثم أتينا الى طاولة الفطور لتناول الشأى و لم يعرفنى مولانا آزاد، لأنه كان لم يتوقع أن أكون هنا، فاسترعى الأستاذ أبو النصر الذى كان نقل بعض أجزاء تفسيره " *ترجمان القرآن* " إلى اللغة العربية، و كان مقيما فى مصر من مدة طويلة و قد تعرف على أيضا، استرعى الأستاذ انتباه مولانا آزاد الىّ بقوله، هذا ابن العلامة السيد عبد الحى الحسنى فحانت من مولانا

آزاد التفاته الىّ على الفور، و لم يزل منصرفا الىّ و يتحدث معى الى ان انصرفت •

و كان الحديث يدور حول الاستفادة من النظريات الجديدة، و الاكتشافات الحديثة فى تفسير القرآن الكريم، و ربط القرآن بها، فقال ان التطبيق بينهما يتطلب غاية من الحذر و الحيطة، و ذلك لأن العلم لايزال يرتقى و يتوسع، يتغير و يتطور، و الانسان فى اختبار و اكتشاف، فلايقدر أحد أن يقول ان النظريات الجديدة، و الأفكار الحديثة تبقى على حالها، و لاتنقضها نظريات أحدث منها، و أدان أيضا فى هذا الصدد تفسير طنطاوى جوهرى الذى أعتبر أكبر نموذج للتفسير بهذا الطراز، و ادخلت فيه الاكتشافات الجديدة بسخاء تام •

و خاطبنى مولانا آزاد قائلا، كنت علمت أنك هنا، فما هى البلدان التى زرتها هل قمت بزيارة اليمن، ثم قال : ان والدك رحمه الله كان يقول ان فى " تونك " تتوفر معلومات قيمة نافعة عن الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد، فهل راجعت تلك الكتب •

و خلال ذلك لم يزل يلفت المسئولون فى السفارة انتباه مولانا آزاد اليهم، و كانوا يريدون أن يتحدث مولانا آزاد مع كل من حضر من المستقبلين، و استرعوا انتباهه أيضا الى ضيق الوقت، لكنه لم يزل منصرفا الينا، فلعلهم شعروا بخطأهم ان الرجل الهندى الذى لم يقيموا له وزنا و لميحتفلوا به و عاملوا معه معاملة جافة يستحق الالتفات التام عند مولانا أبو الكلام آزاد، ثم استعد مولانا آزاد للذهاب فودعناه و رجعنا •

تشرفت بلقائه ثلاث مرات بعد ذلك فى عهد وزارته مرة لما ذهبت الى دلهى على دعوة من شيخ الاسلام حسين أحمد المدنى رحمه الله و ذلك لأنه كان يريد حضورى عندما يلفت نظر مولانا آزاد الى طبع كتاب "نزهة الخواطر" الذى كانت دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد نشرت خمس مجلدات منه ، ثم توقف طبع بقية أجزائه بعد العملية العسكرية ضد حيدرآباد •

كان هذا اللقاء فى اجتماع اللجنة العاملة لجمعية العلماء، فلما دخل مولانا آزاد عرفه بى مولانا حسين أحمد المدنى، و ذكر له كتاب "نزهة الخواطر" فأبدى مولانا اعجابه به، و أبدى اطلاعه عليه، و عنايته به ، و قال لابد من طبعه و نشرهقلت هل يحتاج الأمر الى التذكير و الاعادة، قال لا، وجدت ذلك فعلا فلم تنقض الا أيام قلائل الا وطلبت دائرة المعارف

العثمانية الأجزاء التى كانت بقيت و لم تطبع بعد صدر الكتاب بكامله •
كان اللقاء الثانى فى مكتبه فى البرلمان، و كان معى صديقى الحبيب الدكتور سعيد رمضان، فتحدث مولانا آزاد معه باللغة العربية و سأله عن منظمة " ماشومى " فى اندونيسيا، بالايجاز•

أما اللقاء الثالث فكان فى منزله فى دلهى الجديدة،و كان الشيخ عمران خان الندوى معى و كنا حضرنا منزله لقضية من قضايا ندوة العلماء فعنى بها عناية كبيرة، و وجه الينا نصائح نافعة قيمة، و تحقق الأمر بسرعة غريبة •

يعتبر ذلك سوء حظ المسلمين، أو مقتضى طبيعة مولانا آزاد المضطربة المتحركة الفذة، و شخصيته العبقرية، ان مولانا آزاد قد أوقف عمل ايقاظ الوعى الفكرى و السياسى الذى كان بدأه فى بداية اصدار صحيفة الهلال، و الذى كان يهدف الى اقامة الامارة الشرعية، و نفخ الروح فى القيادة الدينية، و تربية حزب الله، تربية خلقية، سياسية فكرية بعد ان كانت معطلة من مدة طويلة فجعلت الحياة تعود اليها بندائه و دعوته و جعلت طبقة من المثقفين من أصحاب الغيرة و الحمية الدينية تلقبه بامام الهند بعد أن أقروا بامارته، و بايعوا على يديه، و لعل مولانا آزاد انفعل انفعالا شديدا لخيبة حركة الخلافة، و حركة الوحدة الاسلامية الهندوكية، و تصعد الحركات الطائفية، ورد فعل المسلمين العنيف ضدها، و تغلب العاطفية عليهم، فأدى تذمره بهذه الأمور إلى تفويض جميع طاقاتـــه و نشاطاتـــه و صلاحيته إلى حزب المؤتمر الوطنى المستقل، الفعال المنظم الذى لايحدث فيها المد و الجزر حينا بعد حين، و الذى يعترف زعمائه و قادته بكمال فضله و استقامة طبيعته، و صلاحياته الموهوبة، و سرعة خاطره المفرطة و بصيرته السياسية النادرة الى حد كبير، و بهذا الانقطاع عن قضايا المسلمين وقع انفصال فيه عن عامة المسلمين، و انعزل مولانا آزاد عنهم و كان ذلك مطابقا لطبيعته الانعزالية •

كان مولانا آزاد، ذا طبيعة قلقة مضطربة، و على ذروة عالية من الكمال العلمى و الفكرى، فلم يكن ليقتنع بالدراسة الهادئة و العزلة فى الزاوية التى ورثها من والده، فآثر المنبر الموقر للحزب الوطنى و اختير رئيسا له مرتين، و أثبت كفائته و معدنه و أظهر براعته الفكرية و اختار طريقا وسطا ثم تولى الوزارة، فزاد انعزاله و انقطعت الآمال المعقودة به فى العهد الأول لحياته، و لم يكن أحد يجرؤ على أن يلفت نظره الى مادبجه يراعه فى ترجمة الشيخ اسماعيل الشهيد على صفحات التذكرة، و قد أوضح فيها

مولانا آزاد بقلمه القوى البليغ، و قدرته الكتابية الفائقة، ماهى الصفات التى يجب أن تتوفر فى الامام و المجدد، و كيف يستغنى الامام و المجدد عن البيئة و الوسائل و كيف تتهيأ له هذه الوسائل، و تخضع له كثمرة لجهوده المخلصة، و يسير معه الزمن و يولد الربيع من الخريف•

يشكو كثير من كبار الشخصيات ان الوقت لايسايرهم و أن الوسائل لاتتوفر لديهم، و لكن ينهض صاحب العزيمة، و فاتح العصر، و يقول ان الوقت اذا لم يسر معى، فانى سأسيره معى، و الوسائل اذا لم تتوفر، فانى سأهيىء الوسائل و أضعها بيدى، و ان الأرض اذا لم توافقنى و لم تلائمنى الظروف، فلتنزل السمـــاء و تساعدنـــى و اذا لم يتهيأ لى الرجـــال، و يناصرونى، فستنصرنى الملائكة، و اذا أصبحت ألسنة الرجال خرساء، فستصرخ الأحجار و تهتف، فلا حرج اذا لم يكن معى أحد، فان الأشجار تسير معى، و اذا كان الأعداء أشداء و عددهم ضخما فان الشهب، و برق السحب و النجوم و الكواكب لاتعد و لاتحصى، و سيسخرها الله لى، و مهما تكن العقبات و المشاكل فان العصامى، صاحب العزيمة و العظائم ، ليس ابن الوقت ، و لا عبد العصر، و لاضنيع الانسان، فيخدم الزمان، و يخضع له ويسلم رقابه له، ان الرجل الذى خلق له الزمان، و سخر له الكون ، يرعى الزمان، و يربى العصر، انه لاينتظر لأوامر الزمان بل ينتظر الزمان لأوامره، انه لايلقى نظرته على الزمان ليختار منه مايريد، و يقتنى منه ثمراتـــه، و انما هو يلقى نظرته على الزمان ليعطيه ما ينقصه و يجبر كسره•

قد كتب عن مولانا أبو الكلام آزاد كثيرا، و لايزال يكتب، و يعرض كل ناحية من نواحى حياته و كماله، و قيل عن نظرياته السياسية كثيرا جدا، ولايزال يقال عنها، انه كان عموداً للسياسة الهندية، و ثقافتنا القديمـــة، و حضارتنا العتيقة ذات الاله بريئة عن كل عيب و نقص، و عصمة الأنبياء لايرتاب فيها أحد و ليس فيها مجال للشك، لكن لايمكن أن يمنع معاصرو مولانا آزاد و المنتقدون له، من أن يكتبوا و يذكروا ضعفه البشرى و زلاته البشرية•

و ما ذكر كتاب ترجمته من رحلاته و جولاته، و ما حدث خلالها من الوقائع فيه مجال للخلاف و الجدال، و البحث و التحقيق فى تعيين زمنهـــا و ثبتها التاريخى•

لكن قوة ذاكرته المحيرة للعقول، و ذكائه المفرط النادر، و سرعة خاطره، و أدبه، و أسلوبه الخاص، الذى كان لايتركه فى لحظة من

اللحظات، و فى مكان من الأمكنة، و صلاحيته الغريبة للاستفادة من المطالعة و العلوم و المعارف، أكثر فأكثر، و بصيرته السياسية، و بعد نظره، و سداد فكره، و رسوخه فى نظرياته، و ثباته فى عقيدته، و عدم مبالاته بالمدح و النقد و الادانة و اباءه و غيرته و حميته تفوق كـــل شك و ريبة و تبعد عن كل خلاف و نزاع•

بينما كنت فى زيارة لاهور أنبأت اذاعة باكستان فى ٢٢/ من شهر فبرائر عام ١٩٥٨م نبأ كالصاعقة، ان مولانا أبو الكلام آزاد انتقل الى جوار رحمة الله، و لحق بالنبغاء الذين تتواصل رحلاتهم من هذا العالم الفانى من بداية خلق العالم•

تعريب : جعفر مسعود الحسنى

حياة مولانا أبى الكلام آزاد

بقلم: عبد القوى الدسنوى
كلية سيفية - بوفال

انحدر آباء مولانا أبى الكلام آزاد من الهراة إلى الهند فى عهد الملك المغولى بابر، استوطنوا آكره(AGRA) ثم إنتقلوا إلى دلهى فى عهد الملك أكبـــر و استوطنوها، و ينتمى إلى هذا الدولة الكريمة الشيخ جمال الدين المعروف بالشيخ بهلول الدهلوى الذى كانت معه لجد أبى الكلام آزاد الأعلى الشيخ محمد أفضل قرابة من جهة الأم، و كان الشيخ محمد هادى ابنا للشيخ محمد أفضل، و تزوج الشيخ محمـــد هادى من بنت الشيخ منور الدين، ولد له منها الشيخ خير الدين سنة ١٨٣١م٠

كان جد مولانا أبى الكلام آزاد الشيخ محمد هادى عالما شهيرا ذائع الصيت فى زمنه فوض إليه منصب الإشراف على حصن آكره سنة ١٨٣٤م أو ١٨٣٥م، فلما مات الشيخ هادى لم يكن بلغ الشيخ خيـــر الديـــن والد أبى الكلام آزاد من عمره إلا أربع أو خمس سنوات، فتولى تربيته و تعليمه الشيخ منوّر الدين ٠

شدّ الشيخ منور الدين رحله مع الشيخ خير الدين من دلهى للحجاز من طريق بوفال فى حوالى سنة ١٨٥٥م و أقام ببوفال، و لكن كارث خلال هذه المدة أول حرب للاستقلال، فلما استقرت البلاد و سادها الأمن و الهدوء بعد سنة ١٨٥٧م خرج الشيخ منور الدين مع الشيخ خير الدين إلى بومباى، أقام بها بالحاح من مريديه و أتباعه لمدة شهور، فأجاءه المرض بها سنة ١٨٥٨م أو ١٨٥٩م و انتقل إلى رحمة الله، فبقى الشيخ خير الدين وحيداً، و لكنه لم تتشبط عزيمته، و ارتحل إلى الحجاز وحده بعد أيـــام، و وصل إلى مكة و أقام بها، و بنى فيها بعد عدة سنوات بيتا يسكن فيـــه،

و بدأ يختلف إلى مجالس الشيخ عبد الله السراج و الشيخ محمد الظاهر الوترى و يستقى من منابع علومهما •

ثم زواج الشيخ خير الدين من عالية بنت الشيخ محمد الظاهر الوترى سنــة ١٨٧٠م أو سنـــة ١٨٧١م، ولـدت له منها ثلث بنات زينب بيغـم، و فاطمـة بيغـم آرزو و حنيفة بيغم آبرو ، و ابنان أبو النصـر غلام ياسين آه، و أبو الكلام محى الدين أحمد آزاد •

كان أبو الكلام آزاد أصغرهم سناً ولد بمكة فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٠٥هـ (٩/ أغسطس سنة ١٨٨٨م) قضى سبع سنين من عمره فى مكـــة، و افتتح بها بسم الله مع أخيه غلام ياسين آه، على يد الشيخ عبد الله مراد وهو ابن خمس سنوات. و كان الشيخ محمد عمر و الشيخ حسن من كبار الاساتذة المعروفين بمكة عنيا بتعليم أبى الكلام آزاد •

انكسرت رجْل الشيخ خير الدين والد أبى الكلام آزاد فى بعض الحوادث نحو سنة ١٨٩٥م، فسافر مع أهله إلى كلكتا من أجـل العـــلاج و الدواء و توفيت بها زوجه بعد عام، سنة ١٨٩٦م •

كان الشيخ خيرالدين مهتمماً بتعليم أولاده منذ أول يوم و لكنه لم يرض بالحاقهم بالمدارس العامة بناءاً على بعض الأسباب التربوية و التعليمية فقام بتدريس ولديه فى بيته، بدأ يدرسهما بنفسه ثم ظفر بالشيخ المولوى محمـــد ابراهيـــم و المولوى محمـــد عمر و شمس العلماء المولوى سعادت حسين و استرضاهم لتعليم إبنيه، كتب مولانا أبوالكلام آزاد فى كتابه " *غبار خاطر* " و هو يتحدث عن دراسته :

> *" إن شأنى يختلف عن عامة المناهج التعليمية و إنى لأتذكر جيدا أنى كنت قد اجتزت مرحلة دراسة اللغة الفارسية و مرحلة دراسة مبادىء اللغة العربية حتى سنة ١٩٠٠م و كان عمرى يناهز اثنى عشر عاما و كنت أدرس آنذاك شرح ملاّ و شرح القطبى، كان أخى يكبرنى من بين زملائى بسنتين، و أما الآخرون فكانوا قد تجاوزوا العشرين، كان منهج أبى فى التدريس أنه من الضرورى حفظ مختصر من كل فن قبل تدريســـه، و كان يقول إن هذا المنهج هو الذى سارت عليه أسرة الشاه ولى الله الدهلوى، فكنت قد حفظت فى ذلك*

الوقت الفقه الأكبر و التهذيب و خلاصته الكيرانـــــى و غيرها من المختصرات و كنت أدهش باستحضارى لهذه المتون الطلاب و المدرسين كذلك، و كانوا يوجهون إلىّ أسئلة الميزان و المنشعب(كتابان فى علم الصرف) فكنت أبهتهم بقضايا المنطق و تعريفات الأصول "

و استكمل مولانا أبو الكلام آزاد مقررات المنهاج النظامى حتى ١٩٠٣م٠

و بدأ مولانا آزاد عمل النقل و الترجمة خلال دراسته و نشأت فيه رغبة فى الشعر حتى ١٩٠٠م، و أرسل غزلا له للنشر فى مجلة " *أرمغان فرخ* " الصادرة فى بومباى، و أصدر مجلة باسم " *نيرنگ عالم* " فى نهاية ١٨٩٩م أو مستهل ١٩٠٠م نشر فيها أول مقال له عن " العيد " و هذا هو الزمن الذى بدأ فيه يحضر الاجتماعات، و بدأ يساهم فى الحفلات الشعرية حتى سنة ١٩٠١م، يذكر أن مولانا أبا الكلام آزاد تشرف بمقابلة العلامة شبلى النعمانى (أحد قادة المسلمين فى مجال الثقافة و التعليم) فى جلسة كلكتا٠

طبع له أول كتاب باسم " *اعلان الحق* " فى يناير سنة ١٩٠٢م بكلكتا، ألفه فى تائيد أبيه الشيخ خير الدين و الردّ على بعض العلماء، و كانت كتاباته قد نشرت من قبل فى مجـلات " *أحسن الأخبـــار*" و " *مخـــزن*" و" *تحفهٔ أحمدية* " و"*البنج*" و غيرها من المجلات٠

و أصبح مساعد رئيس التحرير لقسم النشر من مجلة " خدنگ نظر " حتى نهاية عام ١٩٠٣م، و كان قد انعزل عن الشعر و الحفلات الشعريـــة، و تحققت أمنيته فى اصدار مجلة " *لسان الصدق* " فى كلكتا تحت ادارتـــه منذ ٢٠ نوفمبر، و كان من أهم أهداف هذه المجلة :

١- الاصلاح الاجتماعى : أى اصلاح مجتمع المسلمين و عاداتهم٠
٢- تطور اللغة الأردية و تنميتها أى توسعة نطاق الأدب العلمى للغة الأردية٠
٣- نشر الذوق العلمى و لاسيما فى بنغال٠
٤- الانتقاد العادل المتزن على مؤلفات اللغة الأردية٠

و هذه المجلة الشهرية قد ضاعفت من ذيوع صيت مولانا أبى الكلام آزاد

و شهرته، لم يكن الناس يحسبونه إبن خمس عشرة سنة بل كانوا يرون أنه قد طعن فى السن و حنكه الدهر، و لكن هذه المجلة تعرضت للفوضى و اللامنهجية بعد صدور عدة أعداد لها، و توقفت بعد عدد ابريل - مايو سنة ١٩٠٥م.

كان العلامة شبلى النعمانى يعرف قيمة أبى الكلام آزاد و فضله، و كان يحرص على أن يستصحبه معه، فى الشؤن العلمية، و بعد أن توقف صدور مجلة " *لسان الصدق* " دعاه العلامة شبلى النعمانى ليساعده فى ادارة مجلة " *الندوة* " الصادرة من ندوة العلماء بلكناؤ، فأجاب مولانا أبو الكلام آزاد دعوته و وصل إلى لكناؤ فى سبتمبر سنة ١٩٠٥م، و ظل يعمل فى مكتب الندوة كمساعد لرئيس التحرير مدة ستة شهور من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٥م حتى مارس سنة ١٩٠٦م، ثم انعزل عن ادارة الندوة لبعض الأسباب.

فلما وصل " *وكيل* " امرتسر نبأ انعزاله عن الندوة استدعاه حتى يتولى ادارة مجلة " *وكيل* " فرضى مولانا أبو الكلام بذلك و أجاب دعوته، و شارك فى ادارتها منذ ابريل سنة ١٩٠٦م، و لكن لم يكتب له الثبات، توفى أخوه الأكبر مولانا أبو النصر آه الدهلوى فى سبتمبر سنة ١٩٠٦م، فطلبه أبوه إلى كلكتا، حتى يشاركه فى اشغاله، و حتى يستقر أبو الكلام فى كلكتا زوّجه أبوه من زليخا بيگم بنت المولوى آفتاب الدين، و توفر له سبب آخر من التسلية ، فأعيد من أجله اصدار مجلة " *دار السلطنت* " التى توقفت منذ مدة، و ضم أبو الكلام آزاد إلى مجلس إدارتها، و ظل متصلا بها منذ يناير سنة ١٩٠٧م لمدة شهور.

و أخذ صيته يخترق الحدود و الناس يقرون له بالفضل و النبوغ على الأيام، فلما علم " *وكيل* " أمرتسر أن أبا الكلام قد ترك إدارة مجلة " *دار السلطنت* " وجه إليه الدعوة مرة أخرى ليتولى إدارة " *وكيل* " فأجابه مولانا أبو الكلام آزاد و سافر إلى أمرتسر فى أغسطس أو سبتمبر سنة ١٩٠٧م و لكن يبدو أنه واجهته عراقيل و مصاعب فى الإشتغال بإدارة هذه المجلة الأسبوعية بالمستوى الذى يتوخاه لها، فانعزل عنها و سافر إلى بوفال (BHOPAL) فى يوليو سنة ١٩٠٨م، و أقام لدى أخته حنيفة بيگم آرزو، ثم سافر بعد أيام إلى بونا(PUNE) و بعد قليل وصل إليه خبر مرض أبيه مولانا خير الدين، فرجع إلى كلكتا و قابل أباه فى وعى و رشد و تحدث إليه و لكنه توفى فى اليوم التالى فى ١٦/ أغسطس سنة

١٩٠٨م•

شعر مولانا أبو الكلام آزاد بعد وفاة أبيه أن ليست له الآن مسؤليات تحول دون أعماله، فأراد أولا أن يزور البلدان الاسلامية و كانت هذه الأمنية قد أزعجته إذ زار أخوه أبو النصر آه هذه البلاد سنة ١٩٠٥م، فارتحل فى سبتمبر سنة ١٩٠٨م أو بعده بعدة شهور، وصل إلى العـــراق، و قابل الثوار بها، كما لقى فى مصر أتباع مصطفى كامل، و تبادل الآراء مع الأتراك الشبان فى تركيا، و رجع إلى الهند بعد شهور•

كان مولانا أبو الكلام آزاد قد توثقت صلته قبل هذه الزيارة بالقائد الثورى البنجابى شيام سندر تشاورتى ، و كان قد أثبت ثقته فى هذه الحزب بناءا على جهوده و إهتمامه، و بعد أن عاد من رحلته رغب فى أن يساهم فى حركة تحرير الهند بحماس و قوة موفورين، كما كان يحرص على أن ينشئ فى نفوس المسلمين الوعى السياسى حتى يحملهم على محاربة الإنجليز و حرر الهند من نير الإستعمار البريطانى•

و من هنالك فقد كان يريد أن يصدر من كلكتا مجلة أسبوعية موقرة، مصورة نزيهة سامية و إتخذ الصحف العربيـــة "*الهـلال*" و "*المنـار*" و "*العروة الوثقى*" أسوة لنفسه، كان فى نفسه تاثير كبير لهذه الصحـف• و أراد أن يصدر صحيفة باللغة الأردية تقتض أثر أخواتها باللغة العربية، و لاتقل عنها شأنا و قيمة•

لو أن أبا الكلام آزاد أراد يصدر صحيفة عامة لما واجهته صعوبة و لكنه لم يكن يرض بأن ينزل عن مستواه الذى هدف إليه، فرأى من المصلحة أن يؤجل إصدار المجلة•

و خلال هذه المدة كما أنه وثق اتصاله بالحزب الثورى لشيام تشاورتى وطد وشيجه كذلك بالعلامة شبلى النعمانى و مولانا حبيب الرحمن خان الشيروانى و العلامة السيد سليمان الندوى و كان يزور ندوة العلماء فى لكناؤ فنيئه لأخرى، عقدت ندوة العلماء اجتماعها السنوى فى مارس سنة ١٩١٠م فى رحاب الكلية العربية فشارك فيها مولانا أبو الكلام آزاد، و ألقى بهذه المناسبة خطابا مؤثرا شغل الناس لمدة طويلة•

حتى سنة ١٩١١م وجد مولانا أبو الكلام آزاد فرصة سانحة ليجدد منهجا لحياته فى المستقبل فعزم بعد اعمال فكر طويل و دراسة عميقة على أن يساهم فى حركة تحرير الهند كجندى شجاع جرئ•

وحان له أن يحقق أمنيته فى اصدار صحيفة أسبوعية على المستوى

العالى سنة ١٩١٢م؛ و بدأ يفكر فى اسم هذه الصحيفة، و عزم على أن يصدر صحيفة أسبوعية باسم "*الهلال*" و أصدر أول عدد لها فى ١٣/ يوليو سنة ١٩١٢م من كلكتا.

إن أول عدد من هذه الصحيفة أخذ بمجامع القلوب و استهوى أفئدة الناس، و*الطلاب* كل من طالعها و لم يملك نفسه من الاشادة و التنويه بها الثناء عليها.

حاولت هذه الصحيفة أن توقظ المسلمين من سباتهم و تنشىء فيهم روح المساهمة فى نضال تحرير الهند، و تحتل كارثة مسجد بلدة كانفور أهمية كبيرة بهذا الصدد فقد عم بها الاستياء و التذمر الشديدان فى المسلمين نحو الانجليز و سياستهم.

و ظل صدى كتاباته بعنوان "*مشهد أكبر*" وغيره فى صحيفة الهلال يتردد و يتراجع إلى سنوات طويلة، و من مآثر هذه الصحيفة أنها استلفتت لأول مرة أنظار الصحف الهندية الصادرة باللغات المختلفة إلى جمعية الصحافة الهندية و ألف جمعية من ممثلى الصحف المختلفة.

كانت علاقة مولانا أبى الكلام آزاد وثيقة بالعلامة شبلى النعمانـــــــى و زادها الزمان توثقا و توطدا، و تشهد صفحات "*الهلال*" أنه لم يكن متوافقا منسجما معه فحسب بل كان يؤيده و يناصره فى مواقفه و قضاياه من شئون ندوة العلماء و دار المصنفين ، و طباعة سيرة النبى، و كان مستعدا لأن يهب كتبه لمجمع دار المصنفيـــــن، و كان يود أن يطبـــع "*سيرة النبى*" فى مطبعة "*الهلال*" فلما أسست دار المصنفين سنة ١٩١٤م عرض نفسه لخدمتها، و لما صدر أول عدد من مجلة "*معارف*" فى يوليو سنة ١٩١٦م أبدى عن سروره البالغ، و دام اهتمامه بدار المصنفيـن و شئونها إلى آخر لحظة من حياته.

فلما نشبت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس سنة ١٩١٤م أخذ يصدر ملحقا يوميا لمجلته "*الهلال*" اجابة لرغبات عامة الناس.

و نشر عددان من صحيفة الهلال ١٤- ٢١ اكتوبر معا، و تضمن هذا العدد المشترك مقالتين "*حديث الجنود*" و *سقوط انتروب*" اعتبرتها الحكومة اعتداء و اجتيازا للحدود فصادرت الصحيفة و مبلغ التأمين ألفى روبية فى نومبر سنة ١٩١٤م، فتوقفت "*الهلال*" بعدما صدر عددها الأخير فى ٨/ نوفمبر سنة ١٩١٤م.

و بعد ذلك عكـف مولانا أبو الكـــــلام آزاد على تأليف تفسيره

"*ترجمان القرآن*" كما بدأ يحاول لإصدار صحيفة باسم آخر، فأصدر مجلة "*البلاغ*" الأسبوعية فى ١٢/ نوفمبر سنة ١٩١٥م و لكنها إنما صدرت حتى ٣١/ مارس سنة ١٩١٦م فى صورة غير منظمة، و أصدرت الحكومة فى ٢٣/ مارس سنة ١٩١٦م الأمر بمغادرته بنغال، فسافر وحده فى ٣٠/ مارس سنة ١٩١٦م إلى رانجى(RANCHI)، و اختار لإقامته قرية مورابارى المجاورة لرانجى، حيث صدر الأمر بحبسه فى ٨/ يوليو سنة ١٩١٦م.

ظل مولانا أبو الكلام آزاد مشتغلا بتأليف "*ترجمان القرآن*" خلال إقامته برانجى و قيد كتابه "*التذكره*" اجابة لرغبة مولانا فضل الدين و ألف رسالة مهمة باسم "*جامع الشواهد فى دخول غير المسلم فى المساجد*" و أسس "*الهيئة الاسلامية برانجى*".

قامت الحكومة بتفتيش بيت مولانا آزاد مرتين خلال اقامته برانجى، و صودرت أوراق تفسيره و الكتابات الأخرى ثم لم ترد إليه.

نشرت رسالة "*جامع الشواهد فى دخول غير المسلم فى المساجد*" فى مجلة "*معارف*" الصادرة من دار المصنفين باعظم كره فى عدد مايو و يونيو سنة ١٩١٩م، ثم طبعت فى صورة رسالة مستقلة، و طبع كتابه "*التذكره*" لأول مرة فى سبتمبر سنة ١٩١٩م.

أفرج عن مولانا آزاد فى ٢٧/ سبتمبر سنة ١٩١٩م و غادر رانجى إلى كلكتا فى مستهل يناير سنة ١٩٢٠م حيث لقى لأول مرة المهاتما غاندى فى ١٨/ يناير سنة ١٩٢١م و قام مولانا بجولة ثالثة مع المهاتما غاندى إلى بنجاب، و ألقى يوم الجمعة فى المسجد الملكى (بادشاهى مسجد) خطبة حماسية ارتجفت لها القلوب و اقشعرت منها الجلود، كتبت عنها مجلة "*سول ايند ملترى كزت*" افتتاحيتها بعنوان "*خطبة ثورية فى فناء المسجد*" و بعد أسبوع ألقى خطبة ثورية أخرى فى أمرتسر.

و فى غرة شهر ابريل سنة ١٩٢١م أصدر مولانا عبد الرزاق المليح آبادى بتعزيز من مولانا أبى الكلام آزاد مجلة عربية باسم "الجامعة" من كلكتا و لكن لم يكتب لها البقاء، صدر عددها الأخير فى مارس ١٩٢٤م ثم توقفت للأبد، أصدر صحيفة أسبوعية "*الرسالة*" فى ٢٣/ سبتمبر سنة ١٩٢١م تحت اشرافه و إدارة مولانا عبد الرزاق المليح آبادى من كلكتا.

فى ١٠/ ديسمبر سنة ١٩٢١م زج لأول مرة فى السجن و فى ١٦/ ديسمبر سنة ١٩٢١م صدر العدد الأخير من الصحيفة الأسبوعية "*الرسالة*" ثم توقفت.

فى ٩/ فبراير سنة ١٩٢٢م حكم على مولانا أبى الكلام آزاد بعقوبة عام، و أطلق سراحه فى ٦/ يناير سنة ١٩٢٣م بعد سنة تقريبا و نشر تصريحه الذى أدلى به فى محكمة كلكتا بعنوان " *القول الفيصل*" فى صورة كتاب.

فى سبتمبر سنة ١٩٢٣م عقد اجتماع المؤتمر الوطنى فى دلهى تحت رئاسة مولانا أبى الكلام آزاد، و كان يناهز الخامس و الثلاثين و هو أول من اختير لمنصب رئاسة المؤتمر فى هذه السن.

و عقد اجتماع مشترك للمؤتمر الوطنى و جمعية علماء الهند فى ٢٧-٢٩ يونيو سنة ١٩٢٤م تحت رئاسة مولانا أبى الكلام آزاد فى مدينة أحمد آباد، أكد فى خطابه الرئاسى على التضامن بين المسلمين و الهندوس.

كان مولانا آزاد ينوى منذ مدة أن يصدر " *الهلال* " لمرة أخرى، و بعد انتظار طويل صدر أول عدد من صحيفـــة " *الهلال*" (فى عهدها الثانى) و لكن لم يستمر صدورها فقد توقفت بعد أن صدر العدد الأخير منها فى ٩/ سبتمبر سنة ١٩٢٧م.

و اعتقل مولانا أبو الكلام آزاد لمرة أخرى بناء على خطبة له فى ٤/ مايو سنة ١٩٣٠م فى ميرت (MEERUTT) و بقى أسيرا فى معتقل ميرت نحو تسعة أشهر حيث أتم مقدمة تفسيره " *ترجمان القرآن* " فى ١٦/ نوفمبر سنة ١٩٣٠م ثم أطلق سراحه فى يناير سنة ١٩٣١م.

كان لمولانا آزاد اهتمام كبير بتفسيره *ترجمان القرآن* و نشر أول جزء منه فى ١٩٣١م، و كان الناس فى انتظار شديد لهذا التفسير القيم، فتلقته أيديهم و أقبلوا عليه اقبالا عظيما.

فى بداية عام ١٩٣٢م بدأت حركة التمرد المدنى فاعتقل للمرة الثالثة فى فبرائر سنة ١٩٣٢م و زج فى معتقل دلهـــى، و أخرج عنه فى ينايـــر سنة ١٩٣٣م.

فى عام ١٩٣٥م ظل مولانا آزاد مشتغلا بطباعة الجزء الثانى من تفسيره "*ترجمان القرآن*" و فى يناير سنـــة ١٩٣٦م حرص على أن يصدر مجلـــة " *الهلال* " مرة أخرى و لكنه لم يتحقق أمنيته رغم اهتمامه و محاولاته.

فى سنة ١٩٣٨م ابتلى بداء عرق النساء، و لكنه رغم ذلك لم ينصرف عن أشغاله السياسية بل كان اهتمامه بها قد اشتد خلال هذه المدة.

فى ١٥/ فبراير سنة ١٩٤٠م اختير مولانا آزاد مرة أخرى رئيسا للمؤتمر الوطنى، و فى ٢٧/ مارس سنة ١٩٤٠م عقد الاجتماع الثالث و الخمسون

للمؤتمر فى رام كره [RAMGARH] (ببهار) ألقـــى فيه خطبتـــه التاريخية، و فى نفس السنة فى ١٣/ ديسمبر ألقى عليه القبض فى مدينة اله آباد من أجل خطبة له مثيرة• و زج فى سجن "نينى تال" [Naini Tal] و حكم عليه بعقوبة السجن لمدة ثمانية عشر شهرا، و لكنه أمن من مكابدة العقوبة الكاملة و أخرج عنه بعد سنة فى ٤/ ديسمبر سنة ١٩٤١م•

و فى ١١/ فبراير تحققت له مقابلة شيانك كائى شك الزعيم الصينى فى دلهى، ثم لقى فى ٢٩/ مارس سنـــة ١٩٤٢م السير استيفرد كربس [Sir Steford Crips] فى دلهى و قابلـه مرة أخرى فى شهـــــر ابريل، و استمرت هذه السلسلة من اللقاءات و تبادل الآراء حتى الحادى عشر من شهر ابريل، ثم انتدب مولانا أبو الكلام آزاد مؤتمرا صحفيـا فى ١١/ ابريل و فسر أسباب فشل بعثة كربس•

فى ٢/ أغسطس سنة ١٩٤٢م سافر مولانا أبو الكلام آزاد إلى بومبائـى و كانت قرينته زليخا بيگم تعانى من المرض آنذاك و صل فى ٤/ أغسطس إلى بومبائى و شارك فى اجتماع المؤتمر الوطنى حتى ٧/ أغسطس•

فى ٩/ أغسطس سنة ١٩٤٢م اعتقل مولانا أبو الكلام آزاد لمرة خامسة مـــع الزعمـــاء الآخريـــن للمؤتمـــر، و أرســل إلـــى معتقـــل أحمد نجر[Ahmed Nagar] حيث أتاه نبأ مرض زوجه بعد ثمانية شهور فى ابريل سنة ١٩٤٣م ثم نعى بوفاتها فى ١٩/ ابريل سنة ١٩٤٣م و حزن عليها حزنا شديدا و لكنه أخفى ماتنطوى عليه من كآبة و هم، ثم نقل فى ابريل سنة ١٩٤٥م من معتقل أحمد نجر إلى بانكوارة [Ban koda] ثم أخرج عنه فى يونيو سنة ١٩٤٥م•

انتدب نائب ملك بريطانيا فى الهند مولانا أبا الكلام آزاد لحضور مؤتمر المائدة المستديرة فى ١٦/ يونيو سنة ١٩٤٥م• ثم انعقدت جلسة للمجلس التنفيذى للمؤتمر الوطنى فى برلا هاوس [Birla House] فى ٢١/ يونيو، جرى فيها تبادل الآراء حول رسالة نائب الملك و تمت الموافقة على أن يمثل مولانا أبو الكلام آزاد المؤتمر الوطنى•

وصل مولانا آزاد حسب البرنامج المحدد إلى شملة فى الساعة العاشرة، و قابل نائب الملك فوعد نائب الملك أنه سيحاول أن يعالج قضايا الهند بعد انتهاء الحرب•

فى ٢٤/ يونيو سنة ١٩٢٥م انعقد اجتماع المجلس التنفيذى للمؤتمر الوطنـــى فى مستقر ســردار برنام سينـــغ، و أطلـــع مولانا أبو الكلام

السيد غاندى على ما دار بينه و بين نائب الملك من حوار، و بعد نقاش طويل اتفقوا على تركيز الاهتمام على الأمور التالية :

١- ماذا ستكون صلة المجلس التنفيذى بنائب الملك•

٢- تحول عرقلة بين الجيش و الزعماء، لابد من إزالة هذه العرقلة و ايجاد التقريب•

٣- إن الحكومة البريطانية قد دفعت الهند إلى الحرب من دون أن تشتشير الشعب الهندى، فالمؤتمر الوطنى لايوافق على ذلك•

ألقى نائب الملك و هو يفتتح المؤتمر خطبته وجيزة و استمر الحوار طول اليوم، و لكن المؤتمر باء بالفشل و الاخفاق لفقدان أى تفاهم بين المؤتمر الوطنى و العصبة الاسلامية•

فى ١٤/سبتمبر ١٩٤٥م انعقد اجتماع للمجلس التنفيذى للمؤتمر الوطنى فى بونا، وافق أعضاء المؤتمر فيه على مقترح مولانا أبى الكلام آزاد بأن بريطانيا يحكمها الآن الحزب فلابد من المساهمة فى الانتخاب بدل شن أى حركة•

بعد إنتهاء الحرب أعلنت الحكومة بالانتخاب، اقترح مولانا أبو الكلام آزاد بهذه المناسبة على اللورد ويول [Lord Vawell] نائب الملك فى الهند بأن يفرج عن المعتقلين حتى يتحسف الجو، فوافقت الحكومة على هذا الاقتراح و أخرجت عن كثير من المعتقلين•

فى سيتمبر سنة ١٩٤٥م لما إنتهى إجتماع المؤتمر الوطنى لعموم الهند فى بومبائى، كتب مولانا أبو الكلام آزاد مرة أخرى للإخراج عن المعتقلين فأطلقت الحكومة سراحهم•

فى سنة ١٩٤٦م نشرت مجموعة رسائل أبى الكلام آزاد الشهيرة (*بغبار خاطر*) التى كتبها و هو محبوس فى معتقل أحمد نجر إلى مولانا حبيب الرحمان الشيروانى و تسلمها بعد الإخراج عن مولانا آزاد فى صورة كتاب، و لقيت هذه المجموعة اقبالا عظيما، و قد نشرت إلى الآن منها طبعات لاتحصى•

فى ١٧/ فبراير سنة ١٩٤٦م أعلن اللورد بيتك لارنس بأن الحكومة البريطانية سترسل بعثة مجلس الوزراء إلى الهند، تقابل ممثلى الأحزاب السياسية فى الهند، و تجرى معهم الحوار، كانت هذه البعثة تضم اللورد بيتك لورنس و السيد استفرد كربس واى - وى الكزنور، و فى ١٥/ مارس سنة ١٩٤٦م قال المستر ايتلى فى مجلس الشعب أن الأوضاع قد تغيرت

الآن فلابد من اعادة النظر فى سائر شئون الهند وصلت البعثة إلى الهند فى ٢٣/ مارس و سافر مولانا آزاد من كلكتا إلى دلهى فى ١٢/ ابريل لمقابلة كريس•

فى ١٦/ ابريل ١٩٤٦م قابل مولانا أبو الكلام أعضاء البعثة، و اطلع المجلس التنفيذى على تفاصيل حواره مع البعثة، و على الاقتراح، فوافق المجلس عليه• و استمر الحوار بين مولانا أبى الكلام آزاد و أعضاء البعثة حتى نهاية شهر ابريل•

فى ٢٧/ ابريل أدلت البعثة لتصريحها بأنه لاينبغى الحوار إلا بعد اتفاقية الأحزاب الكبرى، فدعت رئيس المؤتمر الوطنى و رئيس العصبة الاسلامية إلى أن يختارا ممثلين من احزابهما لإجراء الحوار، فوض المجلس التنفيذى إلى مولانا أبى الكلام آزاد باختيار الممثلين، فاختار سردار بتيل وجواهر لال نهرو، و استمر تبادل الآراء فى شملة حتى ١٢/ مايو•

نشرت خطة البعثة فى ١٦/ مايو سنة ١٩٤٦م التى أقرت مصالح الدفاع و الشئون الخارجية و المواصلات تحت سيادة المركز، و وزعت البلاد إلى ثلاثة أجزاء(A.B.C) حسب اقتراح البعثة•

وافق المؤتمر الوطنى و حزب العصبة الاسلامية كلاهما على خطة البعثة و لكن من أجل بروز بعض المشاكل باءت البعثة و مساعيها بالفشل الذريع، و طالبت العصبة الاسلامية بباكستان، و فى ٢١/ أغسطس انتدب نائب الملك جواهر لال نهرو إلى تأليف حكومة مؤقتة• ثم أعلنت العصبة الاسلامية فى ١٥/ اكتوبر بانضمامها إلى الحكومة فى ١٥/ يناير سنة ١٩٤٧م تولى مولانا آزاد منصب وزارة التعليم•

و خلال هذه المدة أقر اللورد ماونت بيتن الحاكم العام بدل اللورد ويول• وصل اللورد ماونت بيتن إلى الهند فى ٢٢/ مارس سنة ١٩٤٧م، فأخبر مولانا آزاد خلال مقابلته معه أن الحكومة البريطانية ترغب فى تفويض السلطة إلى الهند فى أسرع وقت•

و تضاعف التوتر بين المؤتمر الوطنى و العصبة الاسلامية حتى ساءت الأوضاع و اضطربت فوجد اللورد ماونت بيتن الفرصـــة سانحـــة للتقسيم، لم يكن مولانا أبو الكلام آزاد راضيا بالتقسيم و لكن الأوضاع و الظروف مهدت الجو للتقسيم، فى ٣٠/ يونيو سنة ١٩٤٧م ظهر القرطاس الأبيض الذى أكد تقسيم الهند و فى ١٤/ أغسطس انقسمت البلاد و ظهرت باكستان إلى حيز الوجود، و نالت الهند الإستقلال فى ١٥/ أغسطس•

كان مولانا أبو الكلام آزاد أول وزير للمعارف فى الهند فلما أصبحت الهند جمهورية مستقلة وفق الدستور فى ٢٦/ يناير سنة ١٩٥٠م، فوضت وزارة المعارف إلى مولانا أبى الكلام آزاد•

إن النظام التعليمى الذى يسود اليوم فى البلاد و إن التقدمات التى أحرزتها الهند فى المجالات المختلفة للتعليم هذه كلها تدين لجهود أبى الكلام آزاد•

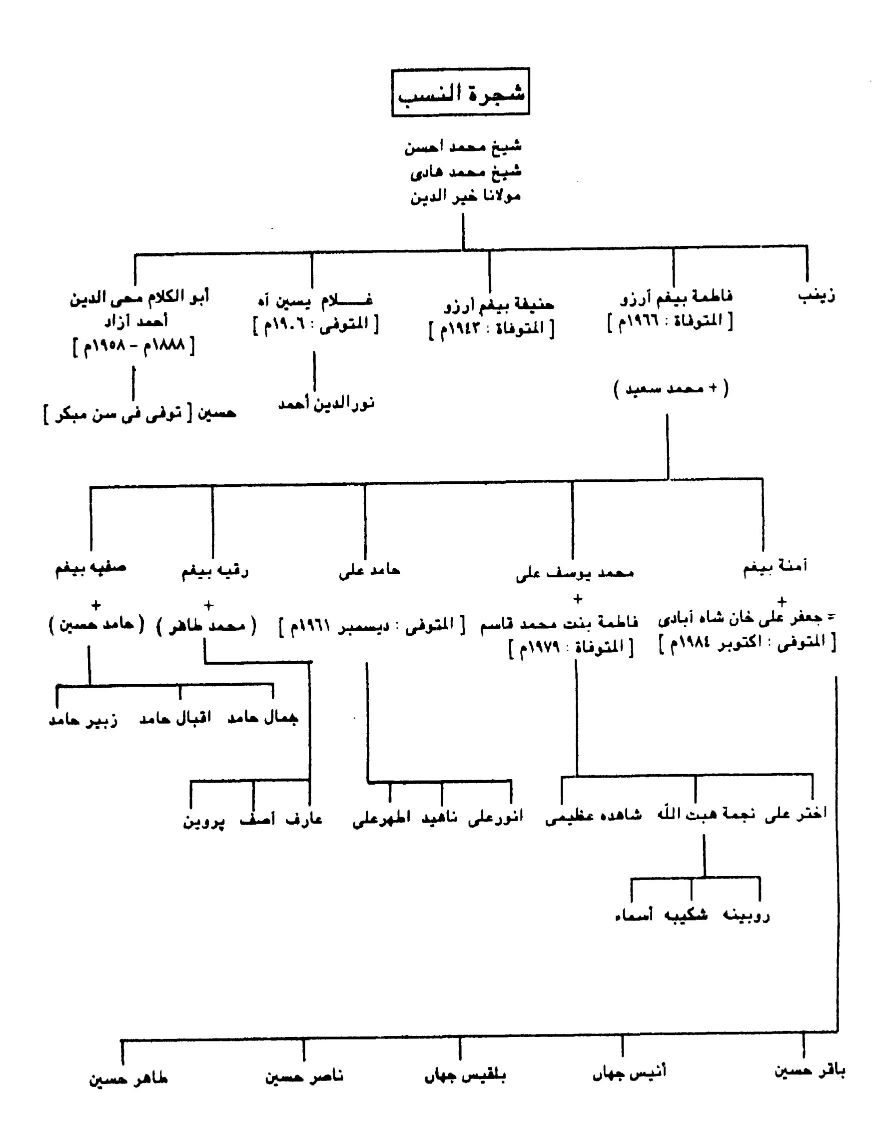
فى ١٥/ فبراير سنة ١٩٥٨م ألقى مولانا أبو الكلام آزاد الخطبة الأخيرة من حياته فى إجتماع هيئة تطوير اللغة الأردية فى ساحة العرض العسكرى فى دلهى قال فيها•

> *" إن اللغه الهندية قد نالت مكانتها و يجب على كل هندى أن يخضع رأسه لها، و لكن لابد كذلك أن تمنح اللغة الأردية مكانتها"*

فى ١٩/ فبراير سنة ١٩٥٨م أصيب مولانا آزاد بالفالج صباحاً، فمات مغشياً عليه طيلة ثلثة أيام، و انتقل إلى رحمة ربه فى الساعة الثانية و الربع فى ٢٢/ فبراير•

طبع الكتاب الأخير لمولانا أبى الكلام آزاد(India wins Freedom) لأول مرة فى يناير سنة ١٩٥٩م•

تعريب : محمد أكرم الندوى



شجرة النسب
شيخ محمد احسن
شيخ محمد هادى
مولانا خير الدين
زينب
فاطمة بيغم أرزو
[المتوفاة : ١٩٦٦م]
(+ محمد سعيد)
حنيفة بيغم أرزو
[المتوفاة : ١٩٤٣م]
غـــلام يسين آه
[المتوفى : ١٩٠٦م]
نورالدين أحمد
أبو الكلام محى الدين
أحمد آزاد
[١٨٨٨م - ١٩٥٨م]
حسين [توفى فى سن مبكر]
آمنة بيغم
+
= جعفر على خان شاه آبادى
[المتوفى : اكتوبر ١٩٨٤م]
محمد يوسف على
+
فاطمة بنت محمد قاسم
[المتوفاة : ١٩٧٩م]
حامد على
[المتوفى : ديسمبر ١٩٦١م]
رقيه بيغم
+
(محمد طاهر)
صفيه بيغم
+
(حامد حسين)
جمال حامد
اقبال حامد
زبير حامد
عارف
آصف
پروين
انورعلى
ناهيد
اطهرعلى
اختر على
نجمة هبت الله
شاهده عظيمى
روبينه
شكيبه
أسماء
باقر حسين
أنيس جهاں
بلقيس جهاں
ناصر حسين
طاهر حسين

حياة مولانا أبى الكلام آزاد
[جدول التواريخ الدقيقة وفقاً لتسلسلها الزمنى]

اعداد : د/ عبد اللطيف الأعظمى

أقدم فيما يلى ملخص ما كتبه مولانا أبو الكلام آزاد عن أسرته فى كتاب " India wins freedom " (ينال الهند الحرية)

قد غادر آباءنا هرات إلى الهند أيام الملك المغولى بابر ، استوطنوا آغرا (AGRA) أولا ثم انتقلوا إلى دهلى و كان لهم شغف بالعلم و المعرفة و من المعلوم أنه ذاع صيت مولانا جمال الدين أيام الملك أكبر بسبب علمه و معرفته ثم مالت هذه الأسرة العلمية إلى مباهج الدنيا و زخارفها و احتل غير واحد منهم عدة مناصب رسمية عظيمة ـ كما عين محمد هادى ناظر الحصن فى آغره أيام الملك شاه جهان •

و كان مولانا منور الدين جد أبى للأم و كان أبى صغيرا لما توفى أبوه فربّاه جده للأم و عزم مولانا منورالدين قبل سنتين من الثورة أن يهاجر إلى مكة المكرمة متضايقا من أوضاع الهند و لكن أمسكته سكندر جهان بيغم فى " بوفال " و اندلعت الثورة و هو فى " بوفال " و بقى محصورا هناك سنتين ثم وصل إلى بومبائى و أدركه الموت هنا و لم يتيسر له الذهاب إلى مكة المكرمة•

قد بلغ أبى حينذاك خمسا و خمسين سنة من عمره إنه ذهب إلى مكة المكرمة و استوطن هناك و بنى له بيتا و تزوج مع بنت أخى محمد طاهر وترى و جاء إلى بومبائى و كلكته مرارا فبايعه كثير من الناس•

ولدت فى مكة المكرمة سنة ١٨٨٨م ـ و عاد والدى إلى كلكته بكامل أسرته بعد سنتين و انزلق قدمه فى " جدة " قبل برهة من الزمن فانكسرت

ساقه و إنه عالجه و لكن لم يستقم العظم و شـــاوره بعض الناس أن الجراحين فى كلكته يحسنون معالجته و يسوونه و كان يريد أن لايمكث هنا إلا عدة أيام و لكن مريديه لم يرضوا بأن يرجع فأمسكوه و توفيت أمى بعد سنة لمجيئنا إلى كلكته و دفنت هناك.

أهم التواريخ ، نشاطاته السياسية فى ضوء السنين الميلادية :

سنة ١٨٣١م :	ولادة والد مولانا أبى الكلام آزاد المعروف بمولانا خير الدين فى دهلى
سنة ١٨٥٦م : (تقريبا)	هجرته إلى مكة المكرمة
سنة ١٨٥٦م : (تقريبا)	زواج مولانا خير الدين فى أسرة نبيلة
سنة ١٨٨٨م : الموافق ذوالحجه ١٣٠٥هـ	ولادة مولانا آزاد فى مكة المكرمة فى شهر أغسطس أو سبتمبر
سنة ١٨٩٣م :	إحتفال "بسم الله" فى بيت الله الحرام
سنة ١٨٩٨م :	رجوع أسرتـــه من مكة المكرمــــة إلـــى الهند و استيطانها فى كلكته
سنة ١٨٩٩م :	وفاة أمه فى كلكته
سنة ١٨٩٧م :	يبدأ دراسته
سنة ١٨٩٨م :	يبدأ القريض
سنة ١٨٩٩م :	صدور صحيفة باسم "نيرنج عالم"
اواخر سنة ١٩٠٠م :	ادارة تحرير مجلة " المصباح "
اوائل سنة ١٩٠٢م :	إتمام دراسته و بدء عهده بالتدريس.
اواخر سنة ١٩٠٢م :	رحلته إلى بومبائى
اوائل سنة ١٩٠٣م :	مساهمتـــــه فى هيئة التحرير لمجلـــة "أحسن الأخبار"
سنة ١٩٠٣م :	ادارة التحريـــر لقسم النشـــر من مجلــــة " خدنج نظر" الصادرة من لكناؤ.
سنة ١٩٠٣م :	زواجه مع زليخا بيغم.
سنة ١٩٠٤م :	١/ ٣ ابريل ساهم فى حفلة سنوية لجمعية "حماية الاسلام" و ألقى خطبة مرتجلا نالت اعجابا و تقديرا بالغا

سنة ١٩٠٤م شارك فى حفلة المؤتمر التعليمى الاسلامى التى انعقدت فى لكناؤ مع أخيه الأكبر أبو النصر غلام ياسين آه رحمه الله ـ

٢٢ ابريل ١٩٠٥م : شارك فى حفلة سنوية لجمعية حماية الاسلام و خطب مرتجلا على عنوان " الاسلام فى المستقبل".

ابريل و مايو ١٩٠٥م : صدر عدد " لسان الصدق " لشهرين معا ثم انقطع للأبد.

مايو أو يوليو ١٩٠٥م : خرج مسافرا إلى الممالك الخارجية مع أخيه غلام ياسين آه و لكنه عاد من عراق بسبب مرضه و لقى فى بومبائى أول مرة العلامة الشبلى رحمه الله ـ

اكتوبر سنة ١٩٠٥م : إنه تولى مسئولية التحرير لمجلة " الندوة " الصادرة من لكناؤ و طبع فى هذا العدد أول مقالة له بعنوان " ذخيرة علوم المسلمين و الغرب " و إنه علق مفصلا على كتاب "المرأة المسلمة " الذى طبع من مصر فى ذلك الزمان ـ نشر هذا التعليق فى عدة حلقات من مجلة " الندوة " و هذا الذى رفع ذكره فى الأوساط العلمية للهند كما يقول السيد سليمان الندوى ـ

مارس سنة ١٩٠٦م : انفصاله عن "الندوة " و قيامه بتحرير مجلة "الوكيل" الثلاثية الصادرة من امرتسر ـ

ابريل سنة ١٩٠٦م : إستقالته من مجلة " وكيل "

وسط سنة ١٩٠٦م : وفاة أخيه الأكبر مولانا غلام ياسين آه

اوائل سنة ١٩٠٧م : إصدار صحيفة" دار السلطنت " الأسبوعية من كلكته ـ

١٧ اغسطس ١٩٠٨م : وفاة أبيه مولانا خير الدين فى كلكته

أواخر سنة ١٩٠٨م : رحلته إلى العراق و الحجاز و غيرهما من الممالك الخارجية ـ

٦ ابريل ١٩١٢م : انعقدت حفلة عظيمة تحت رياسة المفسر

الشهير من علماء مصر السيد رشيد رضا
و قد ترجم أمام الناس باللغة الأردية الخطبة
الطويلة التى ألقاها رئيس الحفلة " و إنه
حرك القلوب بأسلوبه الساحر الخلاب" كما
يقول السيد سليمان الندوى•

١٣ يوليو سنة ١٩١٢م : صدر العدد الأول لمجلة " الهلال " الأسبوعية الشهيرة المصورة ـ

٢٠ يونيو سنة ١٩١٣م : نشرت الحلقة الأولى لأهداف " حزب الله " و اغراضه فى مجلة الهلال تحت عمود مستقل " الداء و الدواء "

١٨ سبتمبر ١٩١٣م : طولب ألفين من الروبية ضمانا من مطبع "الهلال" و رخص لذلك إلى ٢٧ سبتمبر و لكن أدى هذا المبلغ فى ٢٣ سبتمبر قبل الوقت المحدد المحدد•

٢٧ سبتمبر ١٩١٣م : نشرت الحلقة الخامسة و الأخيرة " لحزب الله" و كتب فيها مولانا آزاد " قد اهتديت إلى الطريق الذى كنت أقصده بعد ما كتبت و مزقت كثيرا من المشروعات و المسلمون يحرزون بغيتهم اذا سلكوه "

٢٧ اكتوبر ١٩١٤م : إنعقد مؤتمر الإتحاد الاسلامى فى كلكته تحت رياسة مولانا آزاد و قال فى خطبته :
" قد امتنع هذا المسكين عن المشاركة فى المجالس العامة و لذلك قلت لنفسى أولا أن الوذ باى عذر و أرفض هذه الدعوة و لكن رأيت بعد ذلك أنه قد جاء الأجل الذى ينطق فيه البكم و يبصر العميان و يمشى العرج و يسمع الصم و يطالب الإسلام كل واحد من أتباعه أن يودى واجبه الأخير و أن يودى حق الوحدانية و لايبقى بعد ذلك أى مسئولية تعود عليه فليحاول أن ينطلق

	اللسان الذى لايستطيع النطق و ليحاول أن تمشى الرجل التى لاتسطيع المشى"•
١٦ نوفمبر ١٩١٤م	صودر مبلغ ألفين من الروبية السابق لمجلة الهلال و طولب من جديد مبلغ عشر آلاف من الروبية و صودر عدد ١٢/١٧ اكتوبر الذى صدر معا و المباحث التى انتقدت بها حكومة بنغال هى " حديث الجنود " و سقوط إنتروب" و صورة كتبت تحتها هذه الآية : "وَمَا ظَلَمَهُم اللّهُ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ "
١٨ نوفمبر ١٩١٤م	إحتجبت مجلة " الهلال " بعد هذا العدد و هو العدد العشرين-
يوليو سنة ١٩١٥م	إنه أسس"دار الإرشاد"و ابتدأ درس القرآن من شهر اكتوبر•
١٢ نوفمبر ١٩١٥م	إنه أصدر مجلة " البلاغ" الأسبوعية من كلكته بعد ما احتجبت مجلة " الهلال " و نشر على صفحتها الأولى منظوم إقبال " إذا استقللت ذوق الموسيقى فارفع بصوتك "-
مارس ١٩١٦م	صدر العدد الأخير لمجلة البلاغ-١٢و ٢٤ مارس- معا ثم إحتجب•
٢٣ مارس ١٩١٦م	أصدرت الحكومة أن يغادر مولانا آزاد ولاية بنغال فى مدة أسبوع واحد - (تذكره ص : ٣٣٣)
٣٠ مارس ١٩١٦م	كتب مولانا : " و لاباس أن أسمى كلكتا بالوطن المالوف لأنى مكثت هنا سنين متواصلة" (تذكرة ص : ٣٣٣)
٢١ مايو ١٩١٩م	كتب مقالة حول : " دخول غير المسلمين فى المساجد"أيام اعتقاله و بعثها إلى مجلة " معارف " الشهرية الصادرة من اعظم جره للطبع - طبعت فى عددى مايو و يوليو وبصورة كتابية أيضا و كتب إلى السيد سليمان

النـدوى فى هذا العدد : هناك كثير من المفاسد و الضلالات التى بدأت تعم و تنتشر هذه الأيام فى المجتمع حول عدة قضايا و لو لم تقض على هذه البلية لينغلق باب مفيد بعد إنفتاحه و كنت أردت أن أرسل إلى الصحف بحثا موجزا و لكن لما خضت فى البحث طال الكلام بحيث لاتتحمله الصحف فاضطررت أن أرسل إليكم راجيا أن تنشرونه عاجلا بعنوان مناسب"۔

(تبركات آزاد ص : ١١٧)

ا يناير ١٩٢٠م	أطلق سراحه عن الاعتقال فى رانجى (Ranchi)
١٦ يناير ١٩٢٠م	إنه ألقى خطبة رنّانة فى حفلة ترحيبية لوفد الخلافة فى دهلى۔
١٨ يناير ١٩٢٠م	إنه لقى غاندى لأول مرة۔
١٩ يناير ١٩٢٠م	قدم وفد الخلافة إلى نائب الملك مذكرة وقع عليها كثير من زعماء القوم و منهم مولانا آزاد ۔
فبراير ١٩٢٠م	انعقد مؤتمر الخلافة فى قاعة المدينة لكلكته و ألقى مولانا آزاد خطبة مفصلة حول مسألة الخلافة و طبعت بصورة كتابية۔
٢٣ ابريل ١٩٢٠م	أنشأ جمعية " حزب الله " لإسهام المسلمين فى حركة تحرير الهند و رشح نفسه لمنصب امام الهند و بدأ يبايع الناس لذلك ۔
٩ يونيو ١٩٢٠م	إنعقدت حفلة للجنة الخلافة فى إله آباد و قرروا فيها أن يرسل إلى نائب الملك إنذار بأن يفصل فى قضية الخلافة و إلاّ اضطر المسلمون إلى ترك الموالات، ثم ألّفت لجنة مشتملة على أربعة أشخاص كان مولانا آزاد أيضا من أعضاءها •
١٣ يوليو ١٩٢٠م	كتب مولانا إلى مليح آبادى مخبرا عن ازدهار و توسعة حركة " حزب الله " إن مجال أعمالنا منظمة۔ و اتحدت ولاية بنجاب و سنده و بنغال كليا"۔

٤ إلى ٩٠ سبتمبر ١٩٢٠م	انعقدت حفلة خاصة للمؤتمر الوطنى فى كلكتا و انعقدت فى هذا الزمان حفلة للخلافة أيضا وألقى فيها مولانا آزاد ضوءآ ساطعا على مسألة " الخلافة " فى ضوة الأحكام الشرعية ـ
اكتوبر ١٩٢٠م	أفتى مولانا آزاد أنه لايجوز لأى طالب فى ضوء الأحكام الشرعية أن يتعلم فى كلية رسمية أو فى كلية تستعين من الحكومة أو هى ملحقة من كلية سمية
٢٣ اكتوبر ١٩٢٠م	ذهب عدة قادة الوطن من المسلمين إلى عليجره منهم مولانا أبو الكلام آزاد و أعلنوا أنه ستبدأ سلسلة الدرس فى الجامعة الملية الإسلامية من ٢٩ اكتوبر بعد صلاة الجمعة ـ
٢٩ اكتوبر ١٩٢٠م	افتتح شيخ الهند مولانا محمود حسن الجامعة الملية الاسلامية بعد صلاة الجمعةفى حشد عظيم من زعماء الوطن المسلمين و الهنادك و كان مولانا آزاد أيضا منهم ـ
٢٤ نونمبر ١٩٢٠م	انعقدت حفلة اللجنة التاسيسية للجامعة الملية الاسلامية فى عليجره و شارك فيها مولانا آزاد ـ
١٣ديسمبر ١٩٢٠م	قد ساهم حوالى خمسين و مائتين طالب من المدرسة العالية لكلكتا فى حركة رفض الموالات تلبية لدعوة مولانا آزاد و أسس مولانا آزاد لدراسة هولاء الطلاب مدرسة دينة عربية فى كلكته ـ باسم "المدرسة الاسلامية" و افتتحها بنفسه ـ
٢٩ ابريل ١٩٢١م	وصل لكناؤ للمشاركة فى المؤتمر السياسى للشيعة ـ
٢٩ اغسطس ١٩٢١م	ترأس يومين مجلس الخلافة الذى انعقد فى آغره و قال فى خطبته الإفتتاحية عن أهداف "الهلال" العظيمة الواضحة : " قد دعوت

المسلمين إلى أن من واجبهم الشريعى أن يتعاهدوا مع الهنادك متحابين صادقين وأن يكونوا قوما واحدا معهم.

٢٦ اغسطس ١٩٢١م	اعلن مولانا آزاد فى خطبته للحفلة النهائية : "نعم قد قلت ذلك للمقاتلين و جند بريطانية للهند و لاأزال أعاوده مادمت حيا و اغرى المقاتلين كل صباح و مساء و اعده اول واجب يعود علىّ و أقول لهم أن يتخلوا عن الوظائف الحكومية".
٣١ سبتمبر ١٩٢١م	إنه أصدر مجلة"بيغام" الأسبوعية الصادرة من كلكته و كان مولانا عبد الرزاق المليح آبادى يقوم بتحريرها كان مكتوبا تحت اللوح فى العدد الأول "تحت إشراف مولانا أبى الكلام" و غيرت هذه العبارة فى العدد الثانى و بدأ يكتب " تنشر فى هذه الرسالة مقالات أبى الكلام لامحالة" و بقيت هذه العبارة من العدد السابع إلى الأخير مع تغير يسير.
٩ نوفمبر ١٩٢١م	عاد مولانا آزاد من جولته الطويلة إلى كلكته و بدأ يجمع المبلغ لصندوق أنغوره.
١٦نوفمبر ١٩٢١م	إنه سافر إلى لاهور من كلكته ليترأس حفلة جمعية العلماء للهند السنوية الثالثة وصل هناك ١٨ نوفمبر وقت الظهر ثم ترأس ٢٠/١٩ نوفمبر لجنة الميزانية و الحفلة العامة و سافر نفس اليوم إلى بومبائى بسبب برقية ارسلها إليه غاندى و قد اندلعت هناك نيران الاضطرابات الطائفية و اضطربت الأوضاع و توترت إلى أسوء حد و لما وصل مولانا بومبائى ٢٣ نوفمبر هدأت الأوضاع.
٢٥ نوفمبر ١٩٢١م	إنه ألقى بيانا فى بومبائى قال فيه : " إنى فى سفر منذ ١٦ نوفمبر و فتش عن بيتى و مطبعتى فى كلكته و كنت غائبا و ضبط

التاريخ	الحدث
	البوليس على جميع اوراقى و مولفاتــى و مسودات مذكراتى" و وجه فى هذا البيان إلى أعضاء الخلافه قائلا : " قد تقدمت الحكومة مع جرأة و قوة جديدة" و استرعى انتباهات أعضاء الخلافة خاصة أن يتحلوا بروح الجرأة و الواجـــب أن ينزهوا نظامهم من كل نقص و عيب ـ
١ ديسمبر ١٩٢١م	انه وصل من بومباى إلى كلكته فى الساعة الرابعة مساء و علم أنه قبض صديقه و رئيس التحرير لمجلة " بيغام " الأسبوعية ـ
١٠ ديسمبر يوم الجمعة	قبض عليه فى كلكته على الساعة الرابعـــة و النصف ثم أرسل إلى السجن المركزى و انه صلى فى مكتب السجن صلاة المغرب ثم حبس فى قسم الأوربيين ـ
١٣ ديسمبر ١٩٢١م	أجرى النظر فى محاكمته لأول مـــرة ثم الغيت إلى ٢٣ ديسمبر بعد ما اخبر أنه قبض عليه تحت مادة ١٧ ـ
١٣ ديسمبر	احتجبت مجلة " بيغام الأسبوعية " بعد ما قبض على المحرر و المصدر و ذلك بعد العدد الثالث عشر ـ
٢٣ ديسمبر ١٩٢١م	عرضت قضيته أمام المحكمة مرة ثانيــــــة و لكنها أجلت إلى ٥ يناير بدون أى إجـــراء ـ
٦ يناير ١٩٢٢م	أجرى النظر فى قضيته ٦ يناير بدل ٥ ينايـــر و قال المحامى الرسمى انه عرضت محاكمتين ضد مولانا آزاد فى الحقيقة: الأول تحت مادة القانون الجنائى المعدل ١٧ و الثانى تحت مادة قانون تعزير للهند ١٢٤ و إنى لا أريد أن اتخذ ضده أى إجراءة حسب القانون الجنائى المعدل لأن الجريمة الأخيرة جسيمة للغاية و أسترد ما ادعيته و هو مطلق العنان حسب هذه المادة و أخبره القاضى أيضا أنه

أطلق و أضاف المحامى الرسمى قائلا : أن المحاكمة الجارية ضد المتهم تاتى تحت مادة القانون الجنائى للهند ١٢٤ـ و ذلك لسبب الخطبتين اللتين ألقاهما فى مرزا بور بارك كلكته فى ١ـ ١٥ يناير ١٩٢١م و أجل النظر فى هذه القضية بعد الإجراءات البدائية إلى ١١ يناير ـ

١١ يناير ١٩٢٢م

عرضت محاكمته مرة ابعـة و سأله القاضى هل يريد أن يدلى ببيان؟ فرد مولانا قائلا " أريد أن ألقى بيانا لو لم تورد الحكومـة أى شبهة، قال القاضى هل عندك موجود؟ فأجاب انّه موجود و لكنه فى اللغة الأردية و أريـــد أن أقدم أمام المحكمة ترجمته بالإنجليزيـــة و أجلت القضية بعد ذلك ـ

١٧ يناير ١٩٢٢م

آجرى النظر مرة خامسة فى قضيته فى السجن المركـــزى و كان حشد عظيم أمام محكمة السجن و لكنهم لما علموا أنه لايجرى النظر فى القضية أمام المحكمة بل فى السجن، عاد كثير منهم أدراجهم خائبين يائسين و لكن ذهب بعضهم إلى السجن راكبين على السيارات ولكن لم يسمح لأحد بالدخول حتى الأقرباء و مندوبى الصحـف و جاء مولانا آزاد مع حارس السجن على الساعة الثانية عشر إلا الربع و لم يمكث أن وجه إليه قائلا هذه الإجراءة شعبية أم ذاتية ـ أجاب القاضى هى ذاتية ثم قال تفضل• قال مولانا هل تقول لى؟ لعلك نسيت أنى عرضت أمامك مرتين قبل ذلك قال القاضى إنى لا أتذكر فقال مولانا لا أتحرج اليوم أيضا بالقيام اذ لم أتحرج فى المناسبات السالفة بالقيام ساعتين أو أكثر ـ

القاضى : مع الأسف لم أتذكر عند تلك المناسبات

مولانا : شــكراً
القاضى : هل جئت ببيانك
مولانا : جئت به فى الأردية ولم ينقل إلى الإنجليزية لغياب أمينى ثم قال رداً عند ما قال القاضى هل تستمهل للترجمة إنى لا أريد أن تؤجل قضيتى لأجل الترجمة۔
القاضى : و لكنه لو ترجم تكون سهولة للمحكمة ثم الغيت القضية إلى ١٩ يناير و بعد ذلك أخر إلى ٢٤ يناير۔

٢٤ يناير ١٩٢٢م — عرضت محاكمته فى السجن المدنى أمام رئيس القضاة و جاء مولانا على الساعة الواحدة تقريبا و قيدت المحكمة قوله ثم عين ٣١ يناير لعرض القضية ۔

٣١ يناير ١٩٢٢م — أصيب بمرض عدة أيام و استطلق بطنه لفساد عمل الكبد و أشار عليه طبيب السجن أن لايذهب إلى المحكمة فى هذه الحالة لأنه يضره و لكن لم يرض بذلك و قال لايشق على نفسى أن أذهب خطوات إذا اتخذت الإجراءات داخل احاطة السجن۔ فلايرسل إلى المحكمة أى خبر و لكن جاء مراقب السجن بورقة مختومة باسم رئيس القضاة كتب فيها ٣٠ يناير و أن محاكمته أجلت إلى ٩ فبراير۔

٩ فبراير ١٩٢٢م — (العرض الأخير) دخل غرفة المحكمة على الساعة الثانية عشر و قد كانت هناك قضية فى مرحلة النظر فيها و لكن أخرها القاضى موقتــا و حكم فى قضية مولانا آزاد انه يعانى مشقة السجن مع الاعمال الشاقة سنة كاملة و لما سمع هذا القرار توجه إلى القاضى مبتسمــــا و قال " هذا أخف مما كنت أتصوره " و هكذا انتهت مرحلة هذه المرافعة بعد ستين يوما كاملا۔

التاريخ	الحدث
٦ يناير ١٩٢٦م	أطلق سراحه من سجن على بور المركزى بعد معاناة مشقة السجن مع الأعمال الشاقة سنة كاملة۔
ابريل	إنه أصدر مجلة " الجامعة " فى اللغة العربية من كلكته و كان يتولى تحريرها مولانا عبد الرزاق مليح آبادى و يشرف عليها مولانا آزاد ۔
٢٣ يونيو ١٩٢٣م	إنه تحدث مع غاندى عن قضية طرح العنف ۔
١٥ ديسمبر ١٩٢٣م	إنه ترأس حفلة المؤتمر الوطنى الخاصة و كان أقل سنا ممن شارك هذه الحفلة و قد اشتدت الخلافات بين الهنادك و المسلمين آنذاك و لذلك قال مولانا آزاد فى هذه الخطبة موكدا على رفع هذه الخلافات : " لو نزل ملك من سحب السماء و ينادى من فوق قطب مينار أن حرية الوطن تدرك فى مدة أربع و عشرين ساعة بشرط أن يتنازل الهنادك و المسلمون عن وفاقهم لأتنازل عن نيل الحرية و لكن لا أتنازل عن هذا الوفاق لأنه لو تأخر إدارك الحرية تكون الخسارة للهند فحسب، و لكن لو تشتت شملها تصاب الإنسانية جمعاء بالخسارة الفادحة"
١٩٢٤م	صدر العدد الأخير لمجلة " الجامعة "العربية " ثم احتجبت۔
٢٧ إلى ٢٩ يونيو ١٩٢٤م	إنعقدت حفلة المؤتمر الوطنى و جمعية العلماء معاً فى أحمد آباد تحت رياسته۔
٢٦ سبتمبر ١٩٢٤م	إنه أرسل من حيث رئيس الخلافة إلى رئيس المؤتمر لعصبة الأمم برقية بحرية و أخبر فيها أن المسلمين إجتمعوا يوم الجمعة المنصرم فى آلاف من مساجد الهند و دعوا لإخوانهم الذين يسكنون فى القرى و الأرياف أن ينجيهم الله من براثن الظلم و الإضطهاد و يهلك أولئك الظلمة الطغاة الذين سلبوا حريتهم۔

٢٩ ديسمبر	إنه ترأس مؤتمر الخلافة لعموم الهند الذى انعقد فى كانفور. و إنه قال مستعرضاً الأحوال السياسية للهند : و الآن قد تبدل النشاط بالذبول و الغفلة بالإنتفاضة و الوفاق بالتشتت و تسمع أصوات الطائفية و الحزبيـــــة بدل الملك و الشعب و حدثت فتن جديدة للقضاء على القوى الباقية.
١٩ يناير ١٩٢٧م	كتب إلى غلام رسول مهر : لم تصدر حتى الآن أى صحيفة يومية فى اللغة الأردية فى أقل معانيها و يمكن أن تصدر من دهلى صحيفة قيمة و إنى عزمت مضطرا لإقتضاء الزمن على أن أصدر عدة صحف فى حالة ما ـ و الآن أصدر صحيفة يومية من كلكته.
٢٨ يناير ١٩٢٧م	ذهب هو و الدكتور الأنصارى إلى جالندهـــر و غجرانواله و ألقيا الخطب فى الحفلات عن مقاطعة بعثة سائمن (Simon Commission) و الاضراب عن العمل فى ٣ فبراير ـ ثم رجع الزعيمان إلى لاهور.
٢٩ يناير ١٩٢٧م	خطب اليوم صباحا أمام طلبة الكلية الإسلامية هو و مولانا محمد علي و الدكتور الأنصـــارى و دعوا الناس إلى مقاطعة بعثة سائمـــن و الإضراب المقترح عن العمل ثم تحدث مولانا آزاد و الدكتور الأنصارى أرباب الحل و العقد لعصبة شفيع فى بيت ذو الفقار علـي خــان ـ و انعقدت حفلة عظيمة اليوم عند العصر لسكان لاهور خارج باب موجى (Mochi Gate) و ألقى فيها الخطب هولاء الزعماء الثلاث.
١٠يونيو يوم الجمعة١٩٢٧م	صدر العدد الثانى لمجلة " الهلال " للعهد الثانى كتب فيه مولانا آزاد : ستنشر فيما يستقبل مقالات معظمها سهلة يسيرة لدى الافهام و بعضها من النوع الخاص و هكذا

	يستفيد العامة و الخاصة سواء ـ
١٧ سبتمبر ١٩٢٧م	سافر من كلكته إلى شمله للمشاركة فى لجنـــة و أقام هناك إلى ٢٣ سبتمبر ـ
٩ ديسمبر ١٩٢٧م	صدر العدد الأخير للعهد الثانى لمجلة " الهلال "
٣١ ديسمبر ١٩٢٧م	قال فى حفلة العصبة الاسلامية التى انعقدت فى كلكته كنا قد خسرنا مصالحنا و مطالبنا بسبب ميثاق لكناؤ و لكن قرار دهلى فتح الباب علـــى مصراعيه لإسترداد حقوق مسلمى الهند
١٦ يناير ١٩٢٨م	قال فى المؤتمر لعموم الأحزاب الذى انعقد فى بنارس فى صدد مقاطعة بعثة سائمن قد تحققت جميع الآمال التى علقتها الأحزاب السياسية للهند من المؤتمر لعموم الأحزاب إنى ألتمس من إخوانى المسلمين خاصة أن لايتأخروا فى هذا الصدد عن محبى الوطن الآخرين• قال مولانا حسرت موهانى موكداً فى حفلة عظيمة إنعقدت فى لكناؤ لمقاطعة بعثة سائمن : " إنه لايتفق من أن يتعاون مع اللجنة الملكية و كذلك لايتفق من المقاطعة أيضا" ثم قال مولانا آزاد مشيراً إلى ذلك قد غامرنى الفرح المدهش بعد ما سمعت أفكار مولانا حسرت كما كنت أتوقع منه و إنه أيضا لايتفق من تعاون البعثة و الطريق الآخر هى المقاطعة و ليس هناك طريق أوسط سوى ذلك"ـ
٢١ نوفمبر ١٩٢٨م	قال مولانا ازاد للمنـــدوبيـــن الصحفيين فى فـــى مدراس عنـــد وفاة لاله لاجبت رائـــى " أسد البنجاب " (١٧ نوفمبر) " قد أصيبت البلاد بخسارة فادحة من وفاته يصعب تداركها و إنه كان مجاهدا بارعا لتحرير الهند"
١٩ديسمبر ١٩٢٨م	نشر هذه النبأ اليوم فى الصحيفة اليوميـــــة " أجمل" الصادرة من بومبائى أن مولانا آزاد

	يريد أن يصدر صحيفة باسم " الأقدام" من عاصمة الهند دهلى من الأسبوع الثانى لشهر يناير ١٩٢٩م، كان يريد أيضا أن يصدر مجلة " الهلال " من دهلى و لكنه احتاج إلى تغير الإسم لأنه تم مدّة التصريح الرسمى لتلك المجلة
١٥ فبراير ١٩٢٩م	وافقت لجنة المؤتمر الوطنى التنفيذية على مشروع مقاطعة الملابس الخارجية و عين مولانا عضوا لتلك اللجنة التى ألّفت تحت رياسة غاندى فى هذا الصدد۔
٢٧ يوليو ١٩٢٩م	إنه انشأ حزبا سياسيا جديدا باسم " الحزب الوطنى الاسلامى لعموم الهند" و انتخب رئيساً لهذا الحزب ۔
٢ يناير ١٩٣٠م	دعا مولانا آزاد و الدكتور الأنصارى الناس دعوة حارة إلى اجتماع شمل المواطنين۔
٦/أغسطس ١٩٣٠م	انعقدت اليوم حفلة كبيرة الشأن فى ساحة غاندى بدهلى على الساعة السادسة و النصف مساءً و ألقى آزاد خطبة و قال فيها : " مثلت أمامكم بعد ثلاثة أشهر كاملة و نقض أهل الهند أولا مشروع الملح بل إنى أقول إنهم داسوه بأقدام و كانت الحركة الأخرى لمقاطعة الملابس الخارجية و إنى أقول بكل ثقة و اعتماد أنه لا يوجد نظير لهذه المقاطعة فى تاريخ الهند المنصرم و أصيب العمود الفقرى لانجلترا بضرر فادح ۔
٧ أغسطس ١٩٣٠م	عين مولانا آزاد رئيسا للمؤتمر الوطنى مكان بلب بهائى بتيل۔
٢١ أغسطس ١٩٣٠م	قبض على نائب الرئيس للمؤتمر الوطنى مولانا أبو الكلام آزاد بعد الظهيرة فى كلكته بسبب الانذار الذى أجرى من قبل قاضى المديرية لميرت و أوصله قطار دهرادون ميل "إلى ميرت فى رعاية البوليس۔

٢٧ أغسطس ١٩٣٠م
اجرى النظر فى مرافعته اليوم بعد الظهيرة عند محكمة القاضى المشارك السيد كاغل و كان ذلك فى سجن المديرية لميرت ـ
قال مولانا ردّاً على سؤال المحكمة : " إنى لا أساهم شيئاً فى اجراءات المرافعة"ـ
و عاقبه القاضى حسب رقم ٦ و مادة ٣ من قضاء سنة ١٩٣٠م أن يكون أسيرا ستة أشهر و شفع له أن يجعل فى الدرجة الأولى ـ

٢٨ يناير ١٩٣١م
وصل اليوم صباحا إلى دهلى بعد ما أطلق سراحه من سجن غونده الذى تحول إليه قبل عدة أيام من سجن ميرت و قال فى حوار لمندوب صحيفة " تيج " أصبح من الضرورى أن تقف اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى و المؤتمر الوطنى للهند موقف حياد فى دراسة الأوضاع نظراً إلى تلك التغيرات التى حدثت خلال تسعة أشهر و قد بين غاندى كل ما يمكن أن يقال فى مثل هذه الأوضاع ـ

٢ فبراير ١٩٣١م
طرح (تشودهرى بلديو) عضو المجلس لأترابراديش (ميرت) سؤالا و هو هل هذا صحيح أن نائب الرئيس للمؤتمر الوطنى مولانا آزاد سافر من سجن ميرت عندما اطلق سراحه إلى سجن غونده فى الدرجة الأولى و إنه أدى الكراء من عنده ـ

٦ فبراير ١٩٣١م
إنه قال فى رسالة تابين له عند ما توفى بندت موتى لال نهرو " إن وفاة بندت موتى لال نهرو فى هذه المرحلة من الجهود الوطنية لضرب مبرح و سيتذكر دائما تلك الجرأة و البسالة التى كان يظاهرها فى قيادة الحركة الوطنية رغم التعب و النصب و فساد الصحة ـ

١١ فبراير ١٩٣١م
وصل مولانا آزاد من كلكته إلى آنند بوان فى اله آباد و قد اجتمع هناك قادة الوطن البارزون

	على مشورة غانـــدى۔
٣١ مارس و ١/١ابريل	ترأس مولانا آزاد الحفلة العاشرة لجمعية علمـــاء الهند التى انعقدت فى كراتشى ۔
٢٩ يناير ١٩٣٢م	رشح إسمه من قبل حزب المؤتمر الوطنى فى الحفلة الخاصة لبلدية كلكته لملأ ذلك الفراغ الذى حدث بعد ماقبض على سوباش تشاندرا بوس (Subhash Chandra Bose) و انتخب بكثرة الآراء۔
٣٠ يناير ١٩٣٢م	إنه انتخب رئيس البلدية لكلكته ۔
مارس ١٩٣٢م	تفيد صحيفة " مدينة " الصادرة من بجنور فـــى عــدد ١٣ مارس ان المفتشين تقوم بحراســـة شديدة على مقر نائب الرئيس للمؤتمر الوطنى مولانا أبى الكلام آزاد منذ عدة أيام يفتّشـــون كل من يمر بهذا الطريق۔
١٢ مارس ١٩٣٢م	قبض عليه ۔
١١ مايو ١٩٣٢م	أطلق اليوم سراحه من السجن بعد شهرين تقريبا ثم أجرى الإنذار تواً بأن لايساهم فى نشاطات المؤتمر الوطنى و أن لايذهب خارج دهلى بدون إذن ۔
١٣ أغسطس ١٩٣٢م	يكتب إلى السيد سليمان الندوى " إنى عزمت على أن أقض الأيام الباقية لحياتى لمجرد مشغلة التصنيف و التاليف وغيرها من الشؤون العلمية و لكن انظروا هل أجد فرصة لهذا الشغل أم لا ؟ و فى الحاشية مكتوب لم تتح له الفرصة و بطل هذا الأمل مراراً ۔ (تبركات آزاد ص : ١٣٧)
سبتمبر ١٩٣٤م	إنه ترأس حفلة الدعوة و الإرشاد لجمعيّة أهل الحديث التى انعقدت فى كلكته ۔
١٠ ابريل ١٩٣٥م	يكتب إلى مولوى محى الدين قصورى رحمه الله : "كنت أريد أن أصدر مجلة " الهلال " من شهر يناير كرسالة شهرية لأنه تصاعد الحاح الناس تصاعـــداً لايطاق۔ و لكن من البديهى أن

	الرسالة الشهرية لاتحقق تلك الأهداف التى ترجى من الرسالة الأسبوعية۔
٢٥ ديسمبر ١٩٣٦م	إنه ألقى خطبة فى حفلة لجنة الميزانية للمؤتمر الوطنى لعموم الهند التى انعقدت فى فيض فور و قال فيها : " لماذا لايتولى أعضاء المؤتمر الوطنى المناصب إن يعزز المؤتمر أهداف أولئك الذين يبتغون الوظائف"۔
١/ يناير ١٩٣٧م	أرسل مولانا آزاد إلى أهالى الشمال و الغرب لولاية الثغر رسالة و قال فيها مستغيثا بالمصوتين هناك : لو كانت صحتى تسمحنى بأن أحضر إليكم لحضرت و لذلك أنا أذكركم بهذه الرسالة واجبكم قد اقتربت تواريخ الاقتراحات للمجلس التشريعى و أرجو منكم أن تقاوموا ضد جميع القوى الرجعية بكل قوة و نشاط ۔ و تفوزوا فى مواجهة تيارات المكر و الخديعة۔
٢٨ مارس ١٩٣٧م	إنه وصل إلى اله آباد لينظر أى نوع من الجهود ينبغى أن تبذل لإدخال المسلمين فى مجال العمل للمؤتمر الوطنى۔
١١ يوليو ١٩٣٧م	أرسل رئيس اللجنة النيابية التابعة للمؤتمر الوطنى سردار بتيل برقية إلى جميع القادة لأحزاب المؤتمر الوطنى أخبر فيها أنه لابد أن يشاور مولانا آزاد و يستاذن منه قبل توظيف أعضاء المسلمين لمجلس الوزراء ۔
١٣ يوليو ١٩٣٧م	إنه سافر من لكناؤ إلى اله آباد مع بندت كوبند بلّب بنت للتشاور فى مسألة تشكيل الوزارة لأترابراديش و قال رداً على سؤال مندوب صحفى إنى لا أتصور القيادة على أساس الطائفية و لما سأله المندوب الصحفى هل يرضى المؤتمر الوطنى بأن يدخل أى ممثل

	للعصبة الاسلامية فى مجلس الوزراء إن رضيت العصبة فى المجالس التشريعية بأن تعمل وفق مشروع المؤتمر الوطنى فردّ مولانا آزاد قائلا " لايمكن لأحد أن ينقاد للسيدين"۔
١٧يوليو ١٩٣٧م	قال لمندوب صحيفة " تيج " عما جرى بينه و بين خليق الزمان فى لكناؤ من الحديث أنه لايتصور أن ينضم حزب آخر فى وزارة المؤتمر الوطنى على أن بابنا مفتوح على مصراعيه لكل من يوقع على ميثاق المؤتمر الوطنى۔
٢٧ يوليو ١٩٣٧م	بدأت حفلة حزب المؤتمر الوطنى لمجلس اترابراديش مع رسالات أبى الكلام و جواهر لال نهرو و إنه قال فى رسالة له مذكرا الغاية المنشودة : " إن هناك صحارى قاحلة و واحات و لكن لايجدر بكم أن تطمعوا فى الواحات إذا رائتموها و لا أن تجعلوها مأوى مستقلا منحرفين عن الطريق "۔
٢٩ يوليو ١٩٣٧م	إنه أدلى ببيان مفصل مؤيّد بالدلائل أمام مندوب ايسوسى ايتيدبريس قبل أن يسافر من لكناؤ إلى كلكته و قال فيه : " قد تحدثت تشودهرى خليق الزمان ثم النواب إسماعيل خان عن شروط المؤتمر الوطنى للإدخال فى مجلس الوزراء و لكن لم تتفق الآراء تماما و لذلك توقفت المفاوضات الآن ۔
١٣ أغسطس ١٩٣٨م	إنه وصل إلى واردا من قطار كلكته ميل للاشتراك فى الحفلة التنفيذية للمؤتمر الوطنى۔
٢٩ أغسطس ،، ،،	سافر من بنجاب إلى بشاور و قال ردا على سؤال مندوب ايسوسى ايتيدبريس قبل أن يسافر : " نحن نتوقع أن نصف زينة من اعضاء المجلس الثغرى يصحبوننا فى مجال العمل لأجل المصالح المشتركة للوطن و لو تحقق هذا

الأمل لايحول شيء دون إنشاء الوزارة للمؤتمر الوطني ـ

١/ سبتمبر ١٩٣٨م	قد رحب أهل المدينـة البارحـــة بمولانا آزاد و الدكتور راجندرا برشاد ترحيبا حاراً لما وصل إلى ايبت آباد ـ
٢٦ اكتوبر ١٩٣٨م	إنه اشترك في الحفلة التنفيذية للمؤتمر الوطني التي انعقدت اليوم في كلكته على الساعة الواحدة و النصف
٣٠ اكتوبر ١٩٣٨م	ابتدأت منذ اليوم حفلة لجنة المؤتمر الوطني لعموم الهند في كلكته و قدم فيها مولانا آزاد قراراً خالف فيه إتحاد المنظمات قائلا : لقد قدم أولا مشروع تحرير الولايات و ثانيا مشروع إتحاد المنظمات في قانون الحكومة الهندية لسنة ١٩٣٥م و لكن المؤتمر الوطني يخالف هذين المشروعين نظرا إلى مصالح الوطن و أيد هذا القرار بولابائي ديسائي و في الأخير تمت الموافقة عليه بعد مفاوضات كثيرة•
٩ نوفمبر ١٩٣٧م	وصل اليوم صباحا من كلكته إلى بتنه ليقابل الاقطاعين و الفلاحين هناك و يبادل الخواطر حول المشروع المعدل لقانون المزارعة الذي يسبب لاحتجاج عنيف في طول الولاية و عرضها و تحدث اليوم صباحا مع الدكتور راجندرا برشاد طويلا و أقام عند الدكتور السيد محمود ـ
١/يناير ١٩٣٨م	انعقـــد إجتماع اللجنة الإدارية للمؤتمر الوطني للولاية الثغرية في بشاور واقترح فيه لمولانا آزاد أن يترأس الحفلة القادمة للمؤتمر ـ
٢ يناير ١٩٣٨م	إشترك في الحفلة العاملة للمؤتمر الوطني التي انعقدت في بومبائي إنه شارك في جلسة اعضاء المجلس للمؤتمر الوطني التي انعقدت في بومبائي على دعوة إضافية، إنه قال مثنيا على موقف وزارات المؤتمر الوطني " انها

تساوى مع جميع الأقليات و أضاف قائلا : " إن الاقتراحات المنفردة سلاح للطائفين و إن قمعهم يوجب التضامن الطائفى "ـ

١٢ يناير ١٩٣٨م	إنه تحدث البارحة مع ممثلى الشيعة و اليوم مع ممثلى أهل السنة و الجماعة فى لكناؤ حول قضية مدح الصحابة و التبرى منهم و كان منهم مولانا المفتى كفاية الله و مولانا حسين أحمد المدنى و مولانا حبيب الرحمن و مولانا ظفر الملك، و هذه الأحاديث مخفية حتى الآن ـ
١٤ يناير ،، ،،	لم تنتهى إلى الآن تلك المفاوضة التى جرت بينه و بين قادة مجلس الأحرار و جمعية العلماء إلى نتيجة حاسمة و هو يتمنى أن يتفاهم الفريقان على أمرما و لكن يصدر الحكم فى بداية الأسبوع القاضى إن لم يحدث شىء فى هذا الصدد ـ
٣٠ يناير ١٩٣٨م	كتب إلى رئيس الوزراء لولاية بنغال فضل حق كتابا قال فيه أن يخبره عن تلك الأحداث التى تعرض فيها المسلمون للشدائد و النكبات فى الولايات للمؤتمر الوطنى و أضاف قائلا إن أخبرتمونى عن مثل هذه الأحداث فانا أحاول رفع هذه الشكاوى كعضو للجنة المؤتمر الوطنى ـ
٢٢ فبراير ١٩٣٨م	قد تقدم رئيس المؤتمر الوطنى سباش تشاندر بوس فى حفلة لجنة المؤتمر لعموم الهند التى انعقدت اليوم صباحا فى هرى بوره اسماء أعضاء اللجنة العاملة للمؤتمر و كان مولانا آزاد أيضا منهم •
١٧ مارس ١٩٣٨م	قال مولانا آزاد مهنّيئاً بذلك البيان الذى ألقاه السيدسكندر حيات فى مجلس بنجاب عن قضية شهيد غنج (لاهور) " لاشك أن هذا هو الموقف السديد"

و أضاف قائلا : " أنا أوكد له بأن المؤتمر الوطنى يساعده بكل مايستطيع إلى ذلك من سبيل فى جميع الجهود التى يبذلها لحل قضية "شهيد غنج"ـ

٨ ابريل ١٩٣٨م قابل غانــــدى المعتقليـــــن السياسييـــــن الذين زج بهم إلى السجن الرئيس لكلكته عن اطلاق سراحهم ثم قابل مولانا آزاد و تبادل معه الخواطر حوالى ساعتين

٢٢ ابريل ١٩٣٨م يسافر مولانا ازاد إلى بومبائى ليستفاد من وجوده عندما تجرى المفاوضات بين غاندى و المسترجناح و مست الحاجة إلى ذلك لأن اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى ألقت على كاهله بخاصة هذه المسئولية بأن يشاور مـــع الوزراء المسلمين للإشتراك فى وزارات المؤتمر ـ و لأجل ذلك قام بجولة فى جميع أنحاء الهند و أرجاءه و تعرف على آراء المسلمين ذوى أفكار و اتجاهات متنوعة ـ

٢٥ مايو ١٩٣٨م قد أزالت جهود مولانا آزاد و سردار بتيل المشتركة ذلك الخطر الذى حدث فى وزارة الولاية المتوسطة،والذى عكر الجو و أعلن بتيل أن مولانا آزاد يمكث يوما زائدا لتقرر القضايا الأخرى و تبحث عن المحايدة الغير المشروعــة و غيرها من الأمور ـ

٨ يونيو ١٩٣٨م أصدر مولانا آزاد من كلكته بيانا مفصــــــلا و مبرهنا ليبطل تلك التهمة التى ألصقها لمســ جناح على المؤتمر الوطنى بأنه يرفع من شان اللغة الهندية و يقول فى موضع إن قضاء المؤتمر الوطنى و عمله يشبه تماما الجماعات الاسلامية ذات مسئولية ـ

٢٩ يونيو ١٩٣٨م لم يتم أى مفاهمة بين حكومــــة بيهـــــار و الإقطاعيين عن قانون المزارعة و لذلك أجلت

	حفلة المجلس التشريعى لولاية بيهار إلى أجل غير معين ـ اتصل على الفور رئيس الوزراء لولاية بيهار مع مولانا آزاد بالتليفون و تحدث معه و أخبره عن الأوضاع و وعد مولانا آزاد بأنه يجىء إلى بتنه ٤ يوليو و يحاول المفاهمة بين حكومة بيهار و الاقطاعيين ـ
٥ يوليو ١٩٣٨م	قد تمت المفاهمة بين حكومة بيهار و الاقطاعيين حسب بيان أصدره مولانا آزاد من بتنه و ذلك لأجل تلك الجهود التى بذلها مولانا آزاد فى هذا الصدد ـ
٥ سبتمبر ١٩٣٨م	إنه عين رئيسا للجنة الهندية لولاية بيهار مكان الدكتور راجندرا برشاد لأنه لايستطيع أن يقوم بواجبات الرياسة بسبب المرض ـ
١١ديسمبر ١٩٣٨م	إنه اشترك اليوم على الساعة التاسعة صباحا فى حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى التى انعقدت فى واردا ـ
٢١ ديسمبر ١٩٣٨م	إنعقدت حفلة اللجنة الهندية لولاية بيهار تحت رياسة مولانا آزاد أمس و بحث فيها أن تدون كتب المعاجم و القواعد و الصرف و النحو فى اللغة الهندية ـ ثم ألقى مولانا آزاد ضوأ ساطعا حول قضية اللغة فى خطبته ـ
٢٣ ديسمبر ١٩٣٨م	جاء اليوم صباحا من بتنه إلى إله آباد و مكث عند بندت جواهر لال نهرو فى آنند بوان ـ
١١ يناير ١٩٣٩م	إنه شارك فى حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى التى بدأت اليوم عند العصر تحت رياسة سوباش بابو فى " باردولى ستيه غره آشرم "
٢٠ يناير ١٩٣٩م	بقى عدة أعضاء فى باردولى بعد ما انتهت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر و انهم تشاوروا فيما بينهم عن الرئيس لحفلة ترى بوره و كان غانـدى يـرى أن مولانا آزاد يجدر بذلك

نظرا إلى الأوضاع الراهنة و لكنــــه لم يرض و اقترح اسم الدكتور سيتارا ميّا مكانه -

٢٤ يناير ١٩٣٩م أصدر عدة أعضاء اللجنة العاملة البارزين للمؤتمر الوطنى بيانا مفصلا لرياسة حفلة المؤتمر فى ترى بوره منهم سردار بتيـــل، و الدكتور راجندرابرشـــاد، جى- بي - كربلانى، بولا بائى ديسائى وغيرهم و قالوا متأسفين : مما يبعث الحزن و الأسى أن مولانا آزاد رأى أن يسترد اسمه عن ترشيحه للانتخاب الرياسى و شفع للدكتور سيتا راميّا بعد ما تشاور معنا و نحن نرى إنه أحسن -

٢٦ يناير ١٩٣٩م اصدر بندت جواهر لال نهرو بيانا مفصلا فى ألموره <Almora> مشيراً إلى تلك الخلافات العنيفة التى حدثت فى انتخاب الرئيس القادم للمؤتمر الوطنى قال فيه : " إن مولانا آزاد أجدر بأن يكون رئيسا للمؤتمر هذه السنـــة و إنى أرى أنه أحرى بأن يحل القضايا المهمة التى تتعلق بنا -

و هو يتحلى ببعد النظر و شعـــور حساس و لذلك يحاول أن يفهم أفكار الآخرين إزاء فكرته و هو رجل محنك و مدبر للمؤتمر كل واحد يكرمه و يعول عليه و هوأليق بأن يجمع شملنا و مازالت تزداد سنة بعد سنة تلك العاطفة القوية التى رسخت فى قلبى منذ عشرين سنة أعنى منذ تعرفت عليه عن الاشادة بادراكه للأمور و الفهم و التدبر - فقـــد ضغطت أنا و الآخرون على أن يرشح نفسه للرياسة و لكن من سوء الحظ انه لم يرض بذلك -

١٠ فبراير ١٩٣٩م إنــــه وصل اليوم إلـــى بشـــاور مـــن قطار " فرنتير ميل" ليشترك فى اللجنة الإستثنائية

	لمجلس الثغر للمؤتمر الوطنى التى تنعقد فى ١٣ فبراير، و يشترك أيضا فى جلسة للجنة المؤتمر الوطنــــى للولاية ١٤ فبراير- و إنه قابل المحبين للوطن مارا بمحطة لاهور و تحدث مع المندوبين الصحفيين -
١٦ فبراير ١٩٣٩م	جرت المفاوضة بينه و بين أربعة وزراء لولاية الثغر اليوم منذ الصباح إلى المساء و استغرقت هذه المفاوضة حوالى احدى عشر ساعة- و إنه تبادل الخواطر حول كثير من الأمور الإداريـــة و تحدث أيضا غاندى الثغر خان عبد الغفار خان و رئيس الوزراء الدكتور خان كان يريد أن يصل إلى دهلى فى ١٨ فبراير و إلى واردا فى ١٩ فبراير بعد انتهاء المشاغل هناك -
٧مارس ١٩٣٩م	انعقدت اليـوم حفلة ايـه. آئــى . ســى . سى (A . I . C . C.) فى ترى بوره لم يخضرها رئيس المؤتمر الوطنى سوباش تشاندر بوس بسبـــب المرض و لذلك ترأس مولانا آزاد الحفلة-
١٤ مارس ١٩٣٩م	كان يجىء إلى دهلى اذ انزلقت قدمه على محطة اله آباد لأنها وقعت على قشر من الموز و انكسر عظم رجله و جىء به محمولا على النقالة إلى السيارة ثم انتقل إلى " آنند بوان "-
٢٤ مارس ١٩٣٩م	ذهب غانـــدى و الدكتور راجنـــدر برشاد و غيرهما من قادة الوطن إلى آنند بوان ليعودوا مولانا آزاد و كان تحت المعالجة هناك-
١٦ ابريل ١٩٣٩م	إنه أصدر بيانا من كلكته حين كان رهـن الفراش لأجل انكسار عظم الرجل قال فيه : " قد نشرت بعض الصحف رسالة مختلقة باسم رئيس المؤتمر الوطنى سوباش بابو و قد رأيت صورة تلك الرسالة التـــى جرت بين سوباش بابـــو و غـانــــدى و لذلك أنا أنبه الناس أن لايتأكدوا من تقرير دهلى عن الرسالة المذكورة

و إن الأشياء التى نسبت فيها إلى غاندى كلها كذب محض لا أصل لها ـ

١٩ ابريل ١٩٣٩م

يكتب إلى غلام رسول مهر من كلكته عن انكسار عظم الرجل :

" قد تحول العظم الأكبر من المفصل العالى لحدوث الخلل فى الركبة اليسرى و إنكسر المفصل الذى يسمى بـ TIBIA و الآن ضمدت الرجل تماما و لا أزال مستلقيا الليل و النهار و قد اشار على الأطباء أن أكون ستة أسابيع هكذا مستلقيا و بعد ذلك يفك الضمادة ـ

و كتب أيضا فى هذه الرسالة " إن الذى قررته عن اشتغالى هو قضاء مبرم " يكتب الاستاذ غلام رسول مهر معلقا على الكلمة الأخيرة ـ

" و كان ذلك القرار هو أن يشتغل بالشؤون العلمية و الدينية متباعداً عن النشاطات السياسية تحدثت معه و استزدت التصديق فقال هو قرار محكم و لكنه أجله نظرا إلى إلحاح الأصدقاء إلى أن انتخب رئيسا للمؤتمر الوطنى و حدثت الأخطار للقبض عليه و لم يبق الآن أى وجه بأن يرضى عن الاعتزال ـ (نقش آزاد ص ١٧)

٢ يونيو ١٩٣٩م

إنه أدلى ببيان لإسوسى ايتيد بريس لصادرة من كلكته و قال فيه : " من الأسف الشديد أنه يتضاعف يوما فيوما النزاع بين الشيعة و أهل السنة فى لكناؤ ـ و كل فريق منهم يتباعد عن الآخر ـ و هذا بين فرقتين من المسلمين فيجب علينا أن نتفاهم فيما بيننا من حيث المسلمين و إنى استغيث بجميع القادة الشيعيين للمظاهرة أن يلغوا العصيان المدنى و بعد ذلك أنا أعقد مؤتمرا لقادة الشيعة و أهل السنة، و أبذل أقصى جهدى بأن نحصل على حل بالتفاهم فيما بيننا" ـ و هو الآن أيضا رهين

الفراش لأجل انكسار العظم۔

١٢ يونيو ١٩٣٩م لقى وفد من الشيعة مولانا آزاد متأثـــرا باستغاثته فى قيادة قاضٍ متقاعد من لكناؤ يدعى بالسيد اصفر حسين ۔

١٦ يونيو ١٩٣٩م رجع إلى لكناؤ ذلك الوفد من الشيعة الذى سافر إلى كلكته ليقابل مولانا آزاد و أخبر هذا الوفد أنه قال أولا توقف المظاهرة ثم أعقد المؤتمر للفرقتين فى اله آباد ۔

١٦ يوليو ١٩٣٩م إتصل بالتليفون كبير الوزراء لولاية سند خان بهادر اللّٰه بخش مع مولانا آزاد و تحدث عن وزارة المؤتمر الوطنى وفق نبأ كراتشى ۔

١٨ أغسطس ١٩٣٩م إنه سافر اليوم من كلكته إلى لكناؤ راكبا على قطار " بومبائى ميل " لحل ذلك النزاع الذى نشب بين الشيعة و أهل السنة۔ رغم لم يعد سليما و لكن تهيأ لهذا السفر نظرا إلى أهمية هذه القضية ۔

٢٣ أغسطس ١٩٣٩م قد لاحت بوادر الأمل و الرجاء فى تلك المساعى التى كان يبذلها منذ ثلاثة أيام منصرمة فى صدد مظاهرة مدح الصحابة و التبرى منهم ۔

٢٨ أغسطس ١٩٣٩م قرر الشيعة توقيت مظاهر التبرى بسبب تلك الجهود التى بذلها مولانا آزاد و قال مولانا آزاد فرحـــا بهذا الفـــوز و دعا الفريقيـــن أن يرحبا هذا الجو و لايحدثا شيئا يعكر جوّ المدينة ثانيا۔

٦ ديسمبر ١٩٣٩م إنه أدلى ببيان صحفى فى كلكته قال فيــــه : لقـــد تعقـــد موقـــف الهند منذ الحرب العالمية الثانية ففى جانب هو يتعاطف مع البلدان الديمقراطية و فى آخر يراعى مكانته السياسية، و لابد من تضامن البلاد لإحراز الفوز و النجاح فى هذا الوضع الدقيق سواءً كان سياسيا أو طائفياً۔

١٨ سبتمبر ١٩٣٩م	إنه وصل إلى لكناؤ البارحة ليشترك فى مؤتمر المائدة المستديرة للشيعة و أهل السنة و أخبر مندوب وكالـــة يونائتـــد بريس عن الأوضـــاع السياسية أن ذلك القرار الذى نفذه المؤتمـــر الوطنـــى لواردا (WARDHA) حاليا هو أحســن من كل ناحية و تتخـــذ الإجراءات مباشـــرة إن لم تلب الحكومة البريطانية طلبات المؤتمر الوطنى۔
٢٠ سبتمبر ١٩٣٩م	كتب المرزا محمد اسماعيل من ولاية ميسور رسالة إلى مولانا آزاد معربا عن ثقته الكاملة لحل النزاع بين الشيعة و أهل السنة كما يقول : " لا أجد أحدا أجدر منك فى جميع أنحاء الهند بحل تلك الخلافات التى حدثت بين الفرقتين من المسلمين الشيعة و أهل السنة "۔
٢ اكتوبر ١٩٣٩م	إنه جاء إلى لكناؤ ليشترك فى جلسة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى و أقام عند آصف على ۔
٢٧ اكتوبر ١٩٣٩م	جاء إلى لكناؤ ليشترك فى مؤتمر الشيعة و أهل السنة و أعرب المشتركون عن أفكارهم على جوانب مختلفة للنزاع ثم أجل المؤتمر لغد ۔
١٤ نوفمبر ،، ،،	انعقدت حفلة اللجنة الدائمة للمؤتمر الشيعى السياسى فى لكناؤ تحت رياسة سيرسيد وزير حسن و اشيـــد فيها بالجهود التى بذلها لحل النزاع بين الشيعة و أهل السنة و تأسف على أن جهوده لم توت أكلها اذ استقال وزراء المؤتمر الوطنى بغتة ۔
١٧ نوفمبر ١٩٣٩م	عرفت وكالة يونائتد بريس الصادرة من كلكتا أن مولانا آزاد أعد مشروعا نافعا مؤثرا للتضامن بين المسلمين و الهنادك و يقدمه فى اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى ١٩ نوفمبر ۔
٢٠ نوفمبر ١٩٣٩م	إنه ألقى خطبة فى حفلة عظيمـــة انعقدت فى إله آباد قال فيها : " ينبغى لنا أن نسترشد بتجاربنا السابقة اذا ما تقدمنا بخطوة و لنا ان

نستعرض بكل حيطة كل ما قمنا به من أعمال خلال السنتين المنصرمة، كنا قد قررنا أن نقبل الوزارة بعدما بحثنا سنة كاملة عن جميع الجوانب- و لكن استردنا الوزراء من مناصبهم فى مدة أربع و عشرين ساعة اذا مست الحاجة إلى ذلك -

٢٩ نوفمبر ١٩٣٩م	فحص معالجه بى . سى . رائى اليوم الانكسار الذى حدث فى رجله عندما انزلق على رصيف إله آباد فى شهر مارس المنصرم و قال بعد ذلك لاتزال آثار الاصابة باقية حتى الآن و ازداد ألمه هذه الأيام حتى يشق عليه فى بعض الأحيان أن يمشى دقائق ثم أشار عليه أن يتداوى بالكهرباء و يكثر فى الاستراحة -
٦ ديسمبر ١٩٣٩م	جاء إلى بتنه ليشترك فى حفلة اللجنة الهندية لولاية بيهار و ألقى عصاه عند الدكتور السيد محمود ثم ذهب إلى لاهور ماراً بدهلى-
١٨ديسمبر ١٩٣٩م	إبتدءت منذ صباح اليوم حفلة اللجنة العاملة فى واردا و ترأس مولانا آزاد جلسة الصبح لأن رئيس المؤتمر الوطنى الدكتور راجندر برشاد لم يصل إلى الآن بسبب المرض -
٢ فبراير ١٩٤٠م	جرى الحديث عن الرئيس القادم للمؤتمر الوطنى عند محطة ناكفور(NAGPUR) فقال غاندى : " إنى أرى أن مولانا آزاد أجدر برياسة المؤتمر الوطنى نظرا إلى الأوضاع الراهنة و أرجوا أنه ينتخب بإجماع الآراء -
٤ فبراير ١٩٤٠م	أعلن الأمين العام للمؤتمر الوطنى آتشاريا كربلانى أن اليوم كان التاريخ الأخير لترشيح الأسماء لرئاسة احتفال رام كره (RAMGARH) و وصلتنى فى هذا الصدد اقتراحات لرجلين احدهما مولانا آزاد و ثانيهما ايم . اين . رائى -
١٢ فبراير ١٩٤٠م	أعلن جيه بركاش نارائن تائيده لمولانا آزاد

فى اقتراح رياسة المؤتمر الوطنى و دعا اعضاء حزب الإشتراكية للمؤتمر الوطنى أن يدلوا بأصواتهم لمولانا آزاد ـ

١٥ فبراير ١٩٤٠م
جرى الانتخاب اليوم لرياسة المؤتمر الوطنى فاز فيه مولانا آزاد باحد عشر و ثمانـــــى مائة و ألف (١٨١١) صوت إزاء أحد و ثمانين و مائـــة (١٨١) صوت حصل عليه ايم . اين . رائى ـ كتب مولانا آزاد فى كتاب India Wins Freedom (ينال الهند الحرية) أنه لم يحدث أى معارضة فى انتخاب الرئيس لأن المعارض ايم اين رائى خسر باصوات كثيرة ـ (همارى آزادى ص : ٦٨)

١٨ فبراير ١٩٤٠م
ذهب إلى لاهور أول مرة بعد ما انتخب رئيسا للمؤتمر الوطنى و لقيه الصحفيـــــــون هناك و طرحوا عليه كثيرا من الأسئلة و قال معارضا لفكرة الأمتين لمستر جناح إنى لا اعتبرها صحيحا لأن الهند لاتعيشها أمتين بل أمة واحدة ـ انعقدت حفلة عظيمة عند باب لاهورى خارج دهلى و ألقى فيها الضوء على شخصية مولانا آزاد و خدماته ـ

٢٨ فبراير ١٩٤٠م
إنه وصل إلى صداقت آشرم فى بتنه على الساعة الثانية ليشترك اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى ـ

١٥ مارس ١٩٤٠م
وصل اليوم صباحا رئيس المؤتمر الوطنى مولانا آزاد من كلكته إلى رام كره و رحبه ثلاثة آلاف متطوعون و الدكتور راجندر برشاد الرئيس السابق للمؤتمر الوطنى و السيدة سروجنى نائيدو ترحيبا حارا ثم حياه المتطوعون تحية ـ

١٩ مارس ١٩٤٠م
قال مولانا آزاد معربا عن فكرته حول قضية الأنشودة الوطنية للجنة الميزانية " قد عرضت هذه القضية فى كلكته أمام أيه . آئى . سى

س ـ قبل ثلاثين سنة و شكلت لجنة للخوض فى هذه القضية و لكن من المعروف أنه لاترشد أى لجنة إلى الأنشودة الوطنية و لاتزال تنشد أنشودة " بندى ماترم " منذ ثلاثين سنة و هكذا احتلت مكانة الأنشودة الوطنية ـ

٢٠ مارس ١٩٤٠م انعقدت اليوم الحفلة الثالثة و الخمسين للمؤتمر الوطنى تحت رياسة مولانا آزاد مكان البارحة لأجل مطر غزير، و ألقى فيها مولانا آزاد خطبته التذكارية و أعلن أعضاء لجنة العاملة الجديدة ـ

١/ ابريل ١٩٤٠م يقيم هذه الأيام فى إله آباد و يتشاور مع قادة الوطن البارزين حول القضايا السياسية المهمة ـ

٣ ابريل ١٩٤٠م سأل مندوب عن مولانا آزاد حول فكرة الأمتين لمستر جناح فقال ردا عليه إن فكرته باطلة لا فائدة فيها و لاترغب نفسى فى أن أتحدث عنها شيئاً ـ

٥/ ابريل ١٩٤٠م قال هو يفتتح المخيم التدريبى (إلـــه آباد) : " قد رضينا بزعامة غـــانـــدى و موقفه و فيه خير للوطن و الأمة" ـ

١٠ ابريل ١٩٤٠م وصل اليوم صباحا إلى كلكته ـ

١٢ ابريل ١٩٤٠م سافـــر إلـى واردا اليوم مساءً راكبا على قطار " بومبائى ميل " ـ

١٣ ابريل ١٩٤٠م رحبه اليوم مساء فى واردا سكريتر غـانـــدى مهاديو ديسائى وغيره ترحيبا حارا قال و هو يتحدث الصحفيين مارا بناغفور : " إن المؤتمر الوطنى يمر بمرحلة حاسمة للجهود الجبارة هذه الأيام" ـ

١٥ ابريل ١٩٤٠م انعقدت اليوم الحفلة الأولى للجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى واردا تحت رياسة مولانا آزاد و اشترك فيها القادة البارزون منهم غـــانـــدى.

١٨ ابريل ١٩٤٠م	انتهت الحفلة لأربعة أيام اليوم للجنة العاملة للمؤتمر الوطنى تحت رياسة مولانا آزاد و بحثت فيها الأوضاع السياسية التى حدثت بعد حفلة رام كره بكل جدية و رزانة مفصلة و اتخذت القرارات ـ
٢٠ ابريل ١٩٤٠م	إنه أدلى ببيان صحفى مفصل فى واردا حول النزاع الذى نشب بين الشيعة و أهل السنة فى لكناؤ عن مدح الصحابة و التبرى منهم و دعا أهل السنة إلى أن يقفوا موقفا يسبب الاخوة و الوحدة بين الفرقتين ـ
٢٢ ابريل ١٩٤٠م	إنه أدلى ببيان لمندوب وكالة ايسوس ايتد فى واردا قال فيه رداً على لارد زتيندر وزير الهند : " إن الحرية الكاملة هى وجهة نظر المؤتمر الوطنى و ذلك لايتحقق بدون التضامن الطائفى ـ و لايمنحه إلا مجلس يكون ممثلا حقيقيا للجماهير ـ
٤ مايو ١٩٤٠م	سافر إلى نينى تال اليوم ليلا بـ " بنجاب ميل" ـ
٦ مايو ١٩٤٠م	بلغ أن مهاديو ديسائى يكتب ترجمة مولانا آزاد هذه الأيام ـ
٨ مايو ١٩٤٠م	أرسل سكريتريه الخاص إلى الصحف من " نينى تال " أن مولانا آزاد يقيم هناك إلى شهر يوليو إلا أن يفاجئه شىء ـ
٢٥ مايو ١٩٤٠م	قال رداً على بيان مستر ايمرى وزير الهند : " من الأسف الشديد لم يطرأ أى تغيير فى موقف وزارة بريطانية عن الهند و إن وزير الهند الجديد أعاد ذلك الموقف الذى اعرب عنه المؤتمر الوطنى وجهة نظره غير مرة ـ
٢١ يونيو ١٩٤٠م	بدأت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى واردا تحت رياسة مولانا آزاد أدلى فيها ببيان مفصل عن الأوضاع الراهنة ـ
٢٢ يونيو ١٩٤٠م	قال قبل أن يغادر " نينى تال " إن توجيه

غـــانـــدى للمؤتمر الوطنى لايزال باقيا كالسابق۔

٢٤ يونيو ١٩٤٠م — إنه سافر إلى "نينى تال" من دهلى اليوم مساءً و قال قبل أن يغادر و هو يتحدث الصحفيين : " أن الثلوج و الشلل الراهن لايمتد إلى مدة طويلة و إنه رجا أن الحربَ تتجه إلى جهة حاسمة خلال أسبوعين ثم يجدر بنا أن نعرف أين نحـــن واقفون و إن ينته المؤتمر الوطنـــى إلى نتيجة أنه ينبغـــى له أن يواصل جهوده و مساعيه فلا يتحاشى عن ذلك۔

٧ يوليو ١٩٤٠م — انعقدت اليوم صباحاً حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى " برلا هاؤس " دهلى تحت رياسة مولانا آزاد و لقيه رئيس الوزراء لولاية بنجاب سرسكندر حيات خان فى خلوة ثم أخبر مندوبى الصحف أنه جاء ليتحدث عن المعتقلين الجدد الذين قبض عليهم فى بنجاب۔

٨ يوليو ١٩٤٠م — إنه أوضح قرار اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى حول الحرية الكاملة فى حفلة انعقدت فى دهلى الجديدة۔

١١ يوليو ١٩٤٠م — قال مولانا آزاد موضحاً قرار اللجنة العاملة للمؤتمرالوطنى المعترف به فى حفلة انعقدت فى نينى تال " يجب على الهند أن تساهم فى الحرب إن تلبّت طلباتها ۔

١٣ يوليو ١٩٤٠م — أزيح اليوم القناع عن برقية سرية أرسلها مولانا آزاد إلى المستر ايم . ايه . جناح و كتب فيها : " قد قرأت خطابك لـ ٩ يوليو و المراد بالحكومة الشعبية حسب قرار المؤتمر الوطنى لدهلى أن الوزارة المشتركة لاتنحصر فى حزب و هل تقف العصبة الإسلامية موقفا يرضى به عن ادارة موقتة تبنى على مشروع الأمتين؟

و رفض جناح أى نوع من المفاوضة و الإمكانية

ردا على ذلك ـ

٢٢ يوليو ١٩٤٠م	قال لمندوب الصحف فى دهلى و هو يسافر إلى واردا : " إنى لا أتأسف على ما أرسلت إلى جناح من برقية ، و قد أرسلتها إليه شخصيا لأستوضح بيانا له و ليس معنى ذلك أن أى نوع من المفاوضة جارية بين العصبة الإسلاميـــــة و المؤتمر الوطنى ـ
٢٥ يوليو ١٩٤٠م	انعقدت اليوم عند العصر حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى واردا و بحثت فيها القضايا السياسية المهمة ـ
٢٧ يوليو ١٩٤٠م	انعقدت اليوم بعد الظهيرة حفلة لجنة المؤتمر الوطنى لعموم الهند فى " بونا " [Pune] تحت رياسة مولانا آزاد و إنه علق مفصلا فى خطبته الإفتتاحية على عمليات و قرارات المؤتمر الوطنى السابقة ـ
٢٩ يوليو ١٩٤٠م	فوضت اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى إلى مولانا آزاد الخيار بأن يعقد حفلة المؤتمر القادمة فى أى ولاية شاء و هو يسافر اليوم ليلا إلى بومبائى ثم يذهب إلى كلكته و يمكث يوما فى واردا ـ
٣١ يوليو ١٩٤٠م	قال اليوم فى مؤتمر صحفى لبومبائى : قد بذل المؤتمر الوطنى أقصى جهوده لإبقاء توجيـــه غـــانـــدى و لكن لم يتحقق أمله إلى الآن و إن تخب جهوده القادمة أيضا فى هذا السبيل يتحمل المؤتمر مسؤلية التوجيه على كواهله إذا لزم ذلك ـ
أغسطس ١٩٤٠م	دعا نائب الملك مولانا آزاد أن يتحدث عن اقتراح التضاعف فى عدد أعضاء المجلس التنفيذى و تصرفاته ليشترك المؤتمر الوطنى فى الحكومة و لكن رفض مولانا آزاد هذا الإقتراح بدون أن يتشاور مع رفقاءه و كتب هو :

	بلغنى أن كثيرا من أعضاء المؤتمر الوطنى لم يرضوا بما قضيت ـ (هماری آزادی ص :٧٧-٧٨)
٥ أغسطس ١٩٤٠م	إستوضح مولانا آزاد كرئيس للمؤتمر الوطنى سردار كمبورن سينغ قائد المجلس لولاية سمبورن بنجاب عن كارثة بتياله (Patiala)
٢٦ أغسطس ١٩٤٠م	إنه وجه جميع لجان المؤتمر الوطنى للولايات أن تعارض إعلان نائب الملك و بيان ايمرى (AEMARI) وزير الهند ـ
٢٩ مارس ١٩٤٢م	انعقدت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى تحت رياسة مولانا آزاد استمرت إلى ١١ ابريل ـ يقول مولانا آزاد : " كان غاندى معارضا لجميع الاقتراحات التى قدمت للموافقة عليها من أول اليوم و إنى شعرت بأن ذلك لم يكن لمجرد انه كان يراها جديرا بالنقد بل السبب الرئيسى لذلك هو استنكاره و بغضه للحرب و كان مطبوعا على أن يعادى كل شىء يورط الهند فى غمار الوغى ـ
١ ابريل ١٩٤٢م	لقى مولانا آزاد استيفرد كربس مرة ثانية و يكتب عن هذا اللقاء : "كان هذا اللقاء لقاء حاسما ـ تحدثنا فيما بيننا حوالى ثلاث ساعات و رأيت أساسيا فى موقفه هذه المرة و كانت الأجوبة مختلفة تماما عن الأجوبة السابقة ـ
١١ ابريل ١٩٤٢م	إنه بين فى مؤتمر صحفى انعقد فى دهلى ما جرى بينه و بين سر استيفرد كربس من المفاوضة ـ
٢٧ ابريل ١٩٤٢م	انعقدت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى اله آباد تحت رياسة مولانا آزاد و بحثت الأوضاع السياسية ـ
٣٠ ابريل ١٩٤٢م	قال فى اجتماع س . آئى . بي عند احتفال رفع العلم " نحن لا نبالى بنفوسنا لأقصاء الأعلام الخارجية عن أرض بلادنا "

٨ مايو ١٩٤٢م	إنه علق على بيان ايل . ايس . ايرى الناظر للهند الذى أدلى به فى اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى دار العوام عن القرار المسحوب ـ
٨ يوليو ١٩٤٢م	انعقدت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى تحت رياسته فى سيواغرام بحثت فيها الأوضاع السياسية للبلاد ـ
١٧ يوليو ١٩٤٢م	قال فى حوار مع مندوب وكالة الأنباء " يونائتد" لن يرض المؤتمر الوطنى على أقل من أن يعلن التحرير و تفوض مقاليد الحكومة إلى الهند ـ
٢٠ يوليو ١٩٤٢م	إنه أدلى ببيان للصحف فى دهلى بين فيه ماجرى بينه و بين الحكومة البريطانية من الأحاديث ـ
٢٨ يوليو١٩٤٢م	ذكر مولانا آزاد التعليقات البريطانية و الأمريكية التى بحث فيها قرار اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى مؤتمر صحفى انعقد فى دلهى الجديدة و لاسيما ذكر خطبة استيفرد كربس التى نشرت فى امريكا ـ قال مولانا لأمريكة أن يضغط على البريطانية لتفوض السلطة إلى الهند ـ
٤ أغسطس ١٩٤٢م	وصل إلى بومبائى من كلكته ليترأس حفلات اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى و ايه . آئى سى . سى ـ و بدأت حفلة اللجنة العاملة نفس اليوم ـ
٧ أغسطس ١٩٤٢م	بدأت حفلة لجنة المؤتمر الوطنى لعموم الهند تحت رياسته من وقت الظهيرة و استمرت إلى الساعة الثامنة مساءً و انتهت الحفلة على هذا القرار التاريخى " خلوا الهند" ـ (Quit India)
٩ أغسطس ١٩٤٢م	وصل إليه إنذار حاكم المديرية للقبض عليه وهو نائم فهب من منامه و أخبر عن الإنذار فقال مولانا آزاد أخبروا الحاكم بأن يهملنى

	قليلا حتى اغتسل و أجدد الملابس فلما فرغ من ذلك وجه إلى سكريتريه الخاص توجيهات هامة ثم ذهب إلى الحاكم و قال " أنا مستعد و ذلك فى الساعة الخامسة و هكذا قبض على سائر أعضاء اللجنة العاملة و هكذا اعتقل تسعة أعضاء منهـــم و مولانا آزاد أيضا فى حصن أحمد نجر ـ
٩ ابريل ١٩٤٣م	توفيت عقيلته زليخا بيغم فى كلكته ـ
يوليو ١٩٤٤م	لما قرأ مولانا آزاد ذلك النباء بأن غاندى يراسل جناح و يسافر إلى بومبائى ليلاقيه فقال لأصحابه المعتقلين " إنه على خطأ فاحش و إن هذا الموقف يعقد سياسة البلاد و لايفتح بابا للحل ـ و كتب مولانا آزاد " أن الأوضاع القادمة أثبتت هذه الشبهة ـ
غرة ابريل ١٩٤٥م	نقل إلى سجن بانكوره من حصن " أحمد نجر" ـ
١٥ يونيو ١٩٤٥م	أطلق سراحه من سجن بانكوره و سافر من " كلكتا ميل " فـــى الساعـــة الخامســـة مساءً و وصل إلى كلكته اليوم القادم صباحاً ـ
١٨ يونيو ١٩٤٥م	وصلته رقعة الدعوة من نائب الملك بواسطة الحاكم ليشتـــرك فى مؤتمـــر القادة فى ٢٥ يونيو ـ
٢٠ يونيو ١٩٤٥م	قال فى حوار له فى مدينة كلكته : لم ترد أى إشارة فى اقتراحات نائب الملك إلى انتخاب اعضاء اللجنة التنفيذية و لا أعارض إن يقم شركاء مؤتمر شملا (Simla) بهذا الإنتخاب ـ
٢١ يونيو ١٩٤٥م	إنه وصل إلى بومبائى و انعقدت حفلة اللجنة العاملة ليومين للمؤتمر الوطنى تحت رياسته بعد ثلاث سنوات تقريبا ـ وافقت اللجنة بعد امعان النظر فى رقعة الدعوة لنائب الملك بأن يكون ممثلا للمؤتمر الوطنـــى فى مؤتمـــر شملا (Simla)

٢٤ يونيو ١٩٤٥م	إنه وصل إلى شملا ليشارك فى مؤتمر شملا ـ
٢٥ يونيو ١٩٤٥م	بدأ المؤتمر على الساعة الحادية عشر و النصف صباحا و شارك فيها مولانا آزاد كمندوب للمؤتمر الوطنى ـ
	يوليو و أغسطس ١٩٤٥م إنه قضى هذين الشهرين فى " جول مرج " (GULMARG) بكاشمير حسبما اشار عليه الأطباء و بينما كان فى كاشمير اذ أفادته الصحف بأن حزب العمال لبريطانيا أحرز نجاحاً باهراً فى الانتخابات العامة ـ و إنه أرسل على الفور برقية يهنىء بها مستر ايتلى و سير إستيفرد كربس و إنه عبر عن خياله قائلا : بأن حزبه يطبق ما قاله كحزب معارض بعد ما يتولى مقاليد السلطة و كتب مولانا آزاد أن غاندى و بانديت نهرو لم يرضيا بهذه الخطوة ـ
١٣-١٧ نوفمبر ١٩٤٥م	إنه سافر إلى بنداجل فى مديرية مرزا فور لإبتغاء الصحة و الطمانينة و كتب إلى حبيب الرحمن اللوديانوى فى ١٣ نوفمبر : ماذا أفعل فان القلب لايطمئن بأن ينقاد لمرض و يخضع امامه ـ فى الجملة إنى عزمت على أن أسافر إلى منطقة غير مسكونة فى بنداجل ابتغاءً للراحة و الطمانينة ـ
٢ ديسمبر ١٩٤٥م	لعله رجع من بنداجل إلى كلكته فى ٢ ديسمبر و إنه أرسل إلى عبد الرحمن الكاشميرى رسالة فى ٢٢ نوفمبر كتب فيها : " إنى اسافر إلى كلكته فى ٢ ديسمبر " ـ
٨ يناير ١٩٤٦م	تسلم رسالة من السكريتر للدولة للهند بواسط حاكم بنغال، جاء فيها أن أعضاء بعثة ارسالية من البرلمان البريطانى يريدون مقابلته ـ
١٩ يناير ١٩٤٦م	قابله اعضاء وفد البرلمان البريطانى فى بومبائى ـ

٢٦يناير ١٩٤٦م	أكد المولانا فى احدى خطبه يوم الاحتفال على ضرورة الوحدة و التناسق لإنجاز الاستقلال ـ
٣ فبراير ١٩٤٦م	أجرى المولانا آزاد و السردار بتيل محادثات طويلة مع جى . ايم سيد و الحاج مولابخش حول قضايا الحزب المؤتلف لبرلمان السند ـ
٥ فبراير ١٩٤٦م	قال المولانا فى مقابلة صحفية فى مدينة "كراتشى" إن المؤتمر الوطنى تستقبل بحرارة قيام حكومة لكافة الأحزاب فى السند ـ
٧ فبراير ١٩٤٦م	قال المولانا فى تصريح صحفى فى مدينة كلكته " إن ما قامت به الحكومة البريطانية من اعلان حول استقلال الهند لاتتحمل قليل أهمية عندى"ـ
١٩ فبراير ١٩٤٦م	قال المولانا فى بيان : " إن الحكومة البريطانية عاجزة كل العجز عن ايفاء عهدها لسبتمبر ١٩٤٥م، و لن تظنوا أن نظرة المؤتمر تعنى فرارها من مواصلة الجهود ـ
١٨مارس ١٩٤٦م	وصل المولانا بالطائرة من بومبائى إلى دلهى ثم غادر فى اليوم الثانى إلى كلكته ـ
٢٣ مارس ١٩٤٦م	وصلت البعثة الوزارية إلى الهند و توجه زعيم بارز بنغالى من المؤتمر يدعى جى . سى غوبتا إلى دلهى لمقابلة سراستيفرد كربس، أرسل المولانا منه رسالة إلى كربس استقبله فيها ـ
٢٨مارس ١٩٤٦م	قال المولانا فى لكناؤ معارضة لقرار رابطة المسلمين : " إن المؤتمر لاتؤيد قيام مجلسين تشريعين ـ
١ ابريل ١٩٤٦م	طار المولانا من كلكته إلى دلهى و أراد القيام فيها إلى الخامس من الشهر الجارى ـ
٢ ابريل ١٩٤٦م	و قال المولانا لدى وصوله إلى دلهى : " إن مشكلة الوقت ذات الأهمية التى ينبغى أن نفكر فيها ليست هى الخلافات الهندية

و البريطانية من منظور سياسى بل المشكلة الطائفية للبلاد -

٣ ابريل ١٩٤٦م قام المولانا بمقابلة البعثة الوزارية و كانت المحادثات بينهم فى جو حر للغاية-

٧ ابريل ١٩٤٦م اعلن المولانا فى دلهى الجـديدة أن المؤتمر تسعى إلى الاستقلال الذى لايودى إلى انقسام البلاد -

١٣ ابريل ١٩٤٦م انعقدت جلسة اللجنة العاملة للمؤتمر الوطنى فى دلهى الجديدة تحت رئاسته، قدم فيها المولانا تقريرا عن مفاوضاته مع البعثة الوزارية و قدم آراءه لحل القضية الطائفية-

١٥/ ابريل ١٩٤٦م اجرى المولانا بيانا عن المسلمين و الاقليات الأخرى، قال فيه : " إن المشروع الذى قدمته رابطة المسلمين، قلبت فيه النظر من جوانبـه، وقد وصلت بصفتى هنـديا و مسلما إلى نتيجة أن هذا المشروع يجلب الضرر للهند بصورة عامة و خاصة للمسلمين منهم -

٢٦ ابريل ١٩٤٦م قدم المولانا اسم جواهر لال نهرو لقيادة المؤتمر فى تصريح و وجه الدعوة إلى المؤتمرين لأن ينتخبوه باجماعهم، و لكن البعض قدموا اسمى السردار بتيل و اتشاريه كربلانى و لكن نهرو انتخب أخيرا بإجماع الأصوات-

٢ مايو ١٩٤٦م بدأت المباحثات مع البعثة الوزارية فى شملا و امتدت إلى الثانى عشر من الشهر الجارى كتب فيها المولانا : " اضافة إلى المؤتمر الرسمى، قمنا بتبادل الآراء غير الرسمية، و قد زارنى اعضاء البعثة فى مقـرى لمقابلتـى، و زرتهم أيضا بوحدى أو مع جماعة فى مقرهم حسب ما اقتضت المناسبة، وربما رافقنى آصف على أو همايون كبير خلال هذه اللقاءات، بعد

أسبوعين تقريبا رجعنا إلى دلهى ـ

٢١ يونيو ١٩٤٦م	انعقدت اللجنة العاملة للمؤتمر فى دلهى الجديدة، تم فيها إعطاء قرارات المساهمة فى الحكومة الموقتة شكلا نهائيا ـ
٢٣ يونيو ١٩٤٦م	قام المولانا و جواهر لال نهرو و راجندر برشاد بمقابلة نائب الملك ـ
٢٥ يونيو ١٩٤٦م	اعلن المولانا فى مؤتمر صحفى ان المؤتمر الوطنى ألغت اقتراحات البعثة الوزارية حول الحكومة الموقتة، لكنها صادقت على الاقتراح الطويل الأمد لتأليف المجلس التشريعي لتشكيل الدستور ـ
٣٠ يونيو ١٩٤٦م	كانت دلهى تتلظى بالحر و لم يبق فيها أى عمل، فغادرها المولانا إلى كلكته ـ
٤ يوليو ١٩٤٦م	توجه المولانا إلى بومبائى للحضور فى اللجنة العاملة للمؤتمر، يقول فى كتابه " الهند تنال الاستقلال " لقد قابله اناس فى كل محطة وقف بها قطاره تقريبا و الحوا عليه أن لايترك قيادته للمؤتمر الوطنى ـ
٦ يوليو ١٩٤٦م	انعقدت جلسة اللجنة العاملة كما كان المقرر فى بومبائى، تم فيها تشكيل عدة قرارات للجنة المؤتمر الهندى و كان القرار الأول يتصل بمشروع مجلس الوزراء، و تم الاتفاق أن المولانا هو الذى يقدمها فى لجنة المؤتمر لعموم الهند إذ كان يخاف أن يعارضها أناس ينظرون فى منظور اشتراكى ـ
٧ يوليو ١٩٤٦م	و لما استهلت جلسة لجنة المؤتمر لعموم الهند، طلب المولانا من جواهر لال نهرو أن يتولى رياسة الجلسة، و قدم السردار بتيل اقتراح تقديم الشكر إلى المولانا آزاد نوه فيه بخدماته كرئيس للمؤتمر، و بعده قام المولانا بتقديم القرار حول مشروع البعثة الوزارية،

	الذى لاقى معارضة قوية من قبل المتعاطفين مع الاشتراكية كما كان يظن، و لكن تمت الموافقة على المشروع من قبل الأغلبية الساحقة۔
١٣ اغسطس ١٩٤٦م	اجتمع المولانا آزاد و جواهر لال نهرو و السردار بتيل فى دلهى الجديدة و تبادلوا الآراء حول تقديم الاقتراحات إلى نائب الملك لتأليف حكومة موقتة ۔
١٦ أغسطس ١٩٤٦م	غادر المولانا آزاد من كلكته إلى دلهى بالطائرة للمشاركة فى اللجنة البرلمانية للمؤتمر و كانت الفوضى تسود البلد بسبب العملية المباشرة لرابطة المسلمين و قد هوجم على سيارته فى طريقه إلى المطار، و لكنه بصورة ما وصل إلى مطار دمدم ۔
١٧أغسطس ١٩٤٦م	لقد كان المؤتمر فوض تأليف الحكومة الموقتة إلى اللجنة البرلمانية، و كانت تضم المولانا آزاد و جواهر لال نهرو و السردار بتيل الدكتور راجندر برشاد، و لما استهلت اليوم جلسة لجنة ، طلب اعضاءها المولانا آزاد بالحاح للمشاركة فى الحكومة الموقتة و لكنه نفى ذلك و قدم بدلا منه اسم آصف على، الذى تم الاتفاق عليه ۔
٢٨ ديسمبر ١٩٤٦م	جاء فى بلاغ رسمى صحفى صدر من بيت نائب الملك أن تم تعيين آصف على سفير الهند لواشنطن، و المولانا آزاد جعل وزير الكيبنيت بدلا منه۔
١٥يناير ١٩٤٧م	عين مولانا آزاد وزير المعارف مكان راج كوبال أتشاريا۔
٢٨ يناير ١٩٤٧م	إنه دعا العصبة الاسلامية للمشاركة فى المجلس التشريعى موضحا موقف المؤتمر الوطنى حول التحزب ۔

٣١ يناير ١٩٤٧م	إنه أدلى بيان للصحف قال فيه : لقد اخترت وزارة المعارف اقتضاء لرغبتى و ذوقى و إنى أرى أن تنسيق المعارف من جديد، يكون موجبا لتأسيس حياتنا الوطنية ـ
١٨ فبراير ١٩٤٧م	إنه أدلى ببيان مفصل فى مؤتمر صحفى و ألقى فيه ضوءاً ساطعا على الوضع الدراسى فى الهند و حاجات المستقبل و المشروعات الحالية و قال : ينبغى للمعارف أن يكون لها نصيب أرجح فى ميزانيتنا الوطنية و أضاف قائلا إنى أرجو أن ننزه تقصيراتنا لو نبذل جهودنا بكل عزم و نجدر بأن نجعل الهند فى صفوف البلدان الراقية و المثقفة ـ
٢٣ فبراير ١٩٤٧م	إنه ترأس المجلس العربى و الفارسى لحفلة الولايات المتحدة التــــى انعقدت فى لكناؤ و ألقى خطبة بدل المقاومة، استغرقت حوالى ساعة و أربعين دقيقة• قال فيها : أسست هذه اللجنة فى ١٩٤١م و لكن لم تبدأ اعمالها حتى الآن لاستقالة وزراء المؤتمر الوطنى فجــــاةً و أضاف قائلا : إنى أردت أن تنال اللغتين ـ الفارسية و العربية ـ تلك المكانة الراقية المرموقة التى حازتها فى العصر الاسلامى ـ
٢٤ فبراير ١٩٤٧م	إنه أدلى ببيان لوكالة الانباء " ايسوسى ايتد بريس" أشاد فيه بإخلاص لورد ويول نائب الملك السابق معلقا على تقرير مستر ايتلى الجديـــد، و قال بعد ما ألقى ضوءً ساطعا على جميع الأحداث التى حدثت منذ يونيو ســـة ١٩٤٥م إلى الآن : قد استقر رأى فى مؤتمر شملا بأن لارد ويويل ليس كغيره من السياسيين بل مخلص و إنه يعرب عن أفكاره بكل بساطة ـ
٢٥ فبراير ١٩٤٧م	نشرت الصحف تقرير تلك الخطبة الرياسية التى ألقاها مولانا آزاد فى مناسبة المجلسين

للغة العربية و الفارسية و لكن ذلك التقرير كان يوحى إلى أن مولانا آزاد ينال من مستوى اللغة الانجليزية و يحط من شأنها و أراد مولانا آزاد أن يزيل هذه الشبهة فقال : إن اللغة الانجليزية لغة دولية و الهند تضر بنفسها لو لم تركز همها على هذا الجانب المهم فانى أرى لايزال مستوى اللغة الانجليزية الراقى باقيا•

مارس ١٩٤٧م قال فى بيان صحفى خلال مؤتمر آسيا الذى إنعقد فى دلهى الجديدة موكدا على توطيد العلاقات الثقافية بين تلك الدول : " نحن ندين للذين شرفوا دعوة الهند بالقبول و إنى أرجو أنهم يرجعون إلى بلادهم حاملين بين ضلوعهم صداقة الهند و مودتها -

٢١ مايو ١٩٤٧م فى خطبة افتتاحية لحفلة اللجنة التشريعية الدائمة (Legislature Standing Committee) فى شملا إن الحكومة تلتفت إلى الشؤون التعلمية لو لم يكن الوضع السياسى للبلاد معقدا فان أكثر الناس لايلتفتون إلى هذا الجانب المهم لأجل تغيرات سياسية متواصلة -

٢٩ يونيو ١٩٤٧م أدلى مولانا آزاد اليوم ببيان فى دلهى الجديدة اقترح فيه أن تعقد الحفلة المشتركة للمجالس التشريعية للهند و باكستان لإعداد ميثاق مشترك للحفاظ على حقوق الاقليات التى تقطن الهند و باكستان -

١٥ اغسطس ١٩٤٧م إنه تقدم برسالات آتية اليوم لمناسبة الاستقلال ، قد تمت المرحلة الأولى للإستقلال الوطنى بخير و صلاح أحرزنا الإستقلال و ما كان لنا أن نحرزه بدون الوحدة و المعاوضة الوطنية و نحن نحتاج إلى ذلك أكثر فى المراحل الأخرى المهمة لبناء الوطن من جديد• و ينبغى لنا أن

نحاول لنستخدم هذا الاستقلال بصورة تثبت أن آمالنا قد تحققت- يجب على كل هندى سواء كان رجلا أو إمرأة أن يلبس على ما تقتضيه البلاد- و يقوم بواجباته بكل أمانة حيث كان-

٢٣ سبتمبر ١٩٤٧م — إنه أدلى ببيان نظرا إلى الجو الطائفى الذى حدث فى دهلى : إن الأوضاع فى دهلى هادئة إلى حدما و هى ترجع إلى نصابها شيئاً فشيئاً- و الحاجة ماسة إلى أن نستخدم وسائل تطفئ شعلة الغضب و البغضاء التى تعكر الجو-

٢٤ سبتمبر ١٩٤٧م — تحدث رئيس اللجنة العاملة لرابطة المسلمين نواب اسماعيل خان مع غـــانـــدى نظرا إلى الجو الطائفى للبلاد و لاسيما لدهلى كان مولانا آزاد و سهروردى أيضا هناك -

٢٩ سبتمبر ١٩٤٧م — إنه أدلى اليوم ببيان تقدم فيه تغيرات هامة لمقاومة الوضع الحالى - و صيانة الأوضاع من أن تضطرت أكثر و لرفع الإضطرابات - مثلا : اعتراف حكومة ولاية بنجاب الشرقية و الغربية بأنها فشلت فى الحفاظ على الاقليات، إجراءات أمنية لأجل الطرفين بنجاب الشرقية و الغربية، إحلال الأمن فى هاتين المنطقتين و تأليف الوزارة المشتركة بين حكومة بنجاب الشرقيـــة و الغربية• التنديد بسفك دماء الابراء من قبل الحكومة و عامة الناس-

٢٣ اكتوبر ١٩٤٧م — إنه ألقى خطبة حماسية مفصلة أمام حشد عظيم للمسلمين فى مسجد شاه جهان الأثرى تعرض فيها لأشياء منها-

و الآن قد تغير الموقف السياسى للهند و ليس هناك موضع " لرابطة المسلمين" و إن هذا الجو للذعر و الخوف موقت - إنى أوكد أن يخضع أنفسنا إلا نحن و أنا دائما أقول و أعيده هذه المرة أيضا : " تنحوا عـــن طريق الارتياب

و تخلوا عن سوء العمل ـ و إن هذا الخنجر الغريب ذو ثلاثة حد أخطر من سيف ذو حدين سمعت اخبار جروحه من ألسنة شبابكم ـ

١٤ نوفمبر ١٩٤٧م — استهل مؤتمر جماعات المسلمين ليومين فى دهلى تحت رياسة مولانا آزاد، إنهم قرروا فى حفلة اليوم الأول قراراً بأن ينضم المسلمون فى المؤتمر الوطنى للهند سوى لرابطة المسلمين و غيرها من الأحزاب السياسية الطائفية ـ و ان المؤتمر تهدف إلى الوحدة و الديمقراطيــــة و الرقى و الازدهار ـ

١٩ ديسمبر ١٩٤٧م — أكد مولانا آزاد على تدريب الاساتذة فى حفلة افتتاحية لمؤسسة مركزية تعليمية ـ

٢١ ديسمبر ١٩٤٧م — قال مولانا آزاد فى حفلة توزيع الشهادات لجامعة بتنا : لايمكن لنا أن نجحد بمنافع التعليم الغربى و لكن المنهج الذى اخترعوه يلائم البتة مع مقتضيات حياتنا ـ

٢٧ ديسمبر ١٩٤٧م — انعقد فى لكناؤ مؤتمر المسلمين ليومين لعموم الهند تحت رياسة مولانا آزاد و أشار فيه مولانا على المسلمين الهنود بأشياء سياسية مفيدة ـ مثلا إنه قال خلال خطبته الرياسية : لابد لنا أن ندفن الطائفية فى مهدها التى اثيرت على اسم الدين ذلك يشمل كل نوع من الطائفية و من سوء الحظ كل طائفة تقلى الحطب فى تلك الاساءات التى بدأت سلسلتها منذ ١٥ أغسطس و ليست هناك أى جماعة برئية من جريمة سفك الدماء ـ فان المسلمين و الهنادك و السيخ كلهم يرمون بذلك ـ

١٣ يناير ١٩٤٨م — استهلت حفلة اللجنة الاستشارية المركزية للتعليم اليوم فى دهلى الجديدة تحت رياسة مولانا آزاد ـ

قال فى خطبته الافتتاحية : " هذه الحفلة

الرابعة عشر للجنة و قد سبقت ثلاث عشرة حفلة فى العهد البريطانى و ينبغى لنا أن نحسب هذه الحفلة حفلة افتتاحية نظرا إلى الأوضاع المتغيرة ـ

١٦يناير ١٩٤٨م إنه ترأس حفلة المجلس التعليمى لعموم الهند التى انعقدت فى دهلى اليوم و أعرب خلالها عن رأيه أنه لابد أن تتخذ إجراءة لرقى التعليم فى الهند ـ

١٧ يناير ١٩٤٨م انعقدت اليوم مساء حفلة عظيمة فى منتزه أردو قريبا من جامع مسجد و شارك فيها حوالى ثلاثة آلاف من سكان دهلى حسب تقدير الصحف• قال مولانا آزاد فى خطبة له : كنت مع غاندى قبل عشـــرة دقائق من مجيىء إلى الحفلـــةـ إنه مستعد لفسخ صومه ـ إلا أن يقبل الهنادك و المسلمين و السيخ و المسيحيون سبعة شروط ـ و هذه الشروط تتعلق بإحلال الأمن فى دهلى و الحفاظ على المسلمين ـ

١٨يناير ١٩٤٨م فسخ غـــانـــدى صومه عند الظهيرة أمام القادة الوطنين المعروفين لأنه قبل سكان دهلى شروط غـــانـــدى و وقعوا على هذا الميثاق حوالى مائتين ألف من الناس ـ جاءت عقيلة حفيد غـــانـــدى بعصير برتقال و قدمه مولانا آزاد إلى غـــانـــدى-

فبراير ١٩٤٨م انعقدت حفلة فى منتدى الدستور لدهلى الجديدة تحت رياسة مولانا آزاد بعد عدة أيام لاغتيال غـــانـــدى، بحث فيها عن تأسيس تذكار غـــانـــدى قال آزاد لاتوجد ذكرى غـــانـــدى فى الهند فحسب بل فى جميع أنحاء العالم بصور شتى قد شكلـــت اللجنة العاملة للمؤتمـــر الوطنـــى حاليا تتألف علـــى ستة أشخاص و هذه اللجنة تبدى أهداف حياتهم

الطيبـــــة و روحها أمام الدنيا۔

٢٠ مارس ١٩٤٨م
انعقدت فى دهلى حفلة لجمعية العلماء لعموم الهند شارك فيها العلماء المعروفون للهند ۔ قال مولانا آزاد مويدا رأى الأمين العام مولانا حفظ الرحمن : " إن الجمعية لاتحتاج إلى السياسة الآن هناك مجالات أخرى عدا السياسة منها المجال التعليمى و المجال الاجتماعـــى و المجال الاقتصادى وغير ذلك من المجالات ۔ و يحتاج المسلمون إلى أن تشكل لهم جمعية لهذه المجالات من الواضح أنه ليس هناك جمعية أكثر فائدة و رسوخا من جمعية العلماء۔

١٣ ابريل ١٩٤٨م
إنه أدلى ببيان أمام مندوب وكالة الانباء ايسوسى ايتد قال فيه : من الأسف الشديد ان العلاقات بين الهند و ولاية حيدر آباد تزداد سوءاً من عدة شهور و لاشك ان حل القضايا المعارضة لايخلو من فائدة للهند عامة و لولاية حيدرآباد خاصة•

٢٦ ابريل ١٩٤٨م
انعقدت حفلة جمعية العلماء الخامسة السنوية اليوم مساء تحت رياسة مولانا حسين أحمد مدنى فى بومبائى• و قال مولانا آزاد و هو يفتتح هذه الحفلة : " إن التغيرات التى طرأت على صعيد الهند ليست هى تغيرات فى الأوراق فحسب و إنها لم تغير الأوضاع فحسب بل أحدثت تغيرات هائلة فى القلوب و النفوس أيضا۔

١١مايو ١٩٤٨م
قال فى خطبة ألقاها اليوم مساء فى حفلة عامة انعقدت فى سريناجار : لم أجىء لأبلغ أى رسالة إلى سكان كاشمير بل جئت لأهنئهم على أنهم تعلموا عدة دروس أساسية، الأول أنهم عرفوا أن يقحموا ميادين العمل تحت توجيه قائد و الثانى أنهم يملكون جماعة

لاتبتنى على اساس الطائفية بل عندها مشروع محدد يشمل نفع الولاية و جماهير الناس۔
و الثالث أن مسلمى كاشمير يحاولون أن يحرزوا ثقة الاقليات و قال فى الختام : " قد شنت على كاشمير غارة شعواء و لكن الإخوان الكاشميريون قدموا أمام الناس نموذجا مثاليا للتضحية يعبر عن حبهم للاستقلال و انهم يضحون القطرة الأخيرة من الدم لبقاء هذا الاستقلال ۔

١ يونيو ١٩٤٨م. قال مولانا آزاد فى مؤتمر صحفى انعقد فى دهلى الجديدة و ألقى ضوءاً على جزئيات الثقافة الاجتماعية و الاساسية قائلا : مما يرجى أنه يطبق هذا المشروع خلال السنتين القادمة فى جميع ولاية دهلى و فى البداية يفتح خمسين معهدا للثقافة الإجتماعية منذ ١/ يوليو و علاوة على ذلك يقوم المعاهد الموجودة التى يبلغ عددها إلى ألف و مائة و خمسين معهدا ۔ بالثقافة الإجتماعية بجنب الثقافة البحتة•
و أضاف قائلا : إن هذا المشروع فى دهلى يكون كخبرة و يبحث عن تطبيق هذا المشروع فى الولايات الأخرى من شهر ابريل للسنة القادمة نظرا إلى تلك التجارب التى تحققت فى مشروع دهلى۔

٦ يوليو ١٩٤٨م صلى مولانا آزاد بالناس صلوٰة جنازة الفقيد محمد عثمان الذى استشهد بجبهة كاشمير و أنزل محمد عبد اللّٰه جثته فى القبر و دفن فى مقبرة الجامعة المخصوصة على جنب الدكتور مختار أحمد الانصارى و كان من أقربائه•

١٥ أغسطس ١٩٤٨م قال مولانا آزاد أثناء خطبته بمناسبة يوم الاستقلال انتم تعرفون أن حادثا جديداً حدث السنة الماضية نفس اليوم و ظهرت صورة

جديدة على خريطة العالم و الآن نحن نحتفل بذكرى يوم الاستقلال و أمامنا تتمثل تلك الصورة و من سوء الحظ أننا نشاهد انه لاتنفرج أسارير وجهه كما يتصور و تلوح آثار المصائب و الآلام على ملامحه احرزنا الاستقلال و لكنه جاء بسيل جارف اتلف مائة الف من النفوس •

و إن هذه الفاجعة المؤلمة تركت فى نفوسنا جروحاً غائرة لاتندمل سريعا و نحن نشعر بألمها إلى الآن •

١٩ سبتمبر ١٩٤٨م — إنه أدلى ببيان مفصل لمندوب الصحف هنّأ بها موقف جماهير الهند الذى أبدوه لمناسبة وقعة حيدر آباد و قال : إنى نبهت قادة مجلس اتحاد المسلمين فى حفلة الميزانية الماضية أن من الخطاء الفاحش أن تتصوروا أن طائفة من المسلمين الهنود تويد موقفكم الطائفى •

٢٦ سبتمبر ١٩٤٨م — انعقدت اليوم حفلة فى الجامع المسجد بعد صلاة العصر شارك فيها آلاف من المسلمين لمدينة دهلى و فرحوا بفتح حيدر آباد " ألقى مولانا آزاد خطبة قال فيها قد ارسلت ثلاث رسائل إلى " نظام " حيدر آباد و تحدث مولانا آزاد حوالى ساعتين مع مير لائق على رئيس الوزراء لحيدر آباد لما جاء فى شهر يونيو أول مـــــرة ولكن لم يجد شيئاً و أضاف قائلا : إنى أصدع بالحق فى بيت الله بأن حكومتنا لم تقم بعمل ينخجل لأجله أمام الله أو الناس •

ديسبر ١٩٤٨م — انعقدت الحفلة الاولى لبعثة الجامعة فى دهلى الجديدة و قال مولانا آزاد و هو يفتتح هذه الحفلة قد انفتح باب جديد فى تعليم البـــلاد و الحاجة ماسة إلى أن نستعرض المعارف العالية ثم نشكلها من جديد •

١٨ ديسمبر ١٩٤٨م — انعقدت اليوم على الساعة الثانية و النصف

حفلة تحت رياسة الرئيس الجديد الدكتور يتابى سيتاراميا فى غاندى نغر قدم فيها بندت نهرو قرارا باسم رسالـــــة غـــانـــدى قال مولانا آزاد مويدا هذا القرار " قد سمى هذا القرار باسم الرسالة لمناسبة و ليست هذه الرسالة رسالة محسب بل هى تلك الرسالة التى نادى بها غـــانـــدى طوال حياته و الآن توجه إلى جماهير الهند لأنها الطريق التى يتوخاها غـــانـــدى ليسلكها الناس •

٢٣ ديسمبر ١٩٤٨م انعقدت اليوم صباحا فى جامعة دهلى حفلة المهرجان الفضى للجنة المحضر التاريخى تحت رياسة مولانا آزاد قال مولانا و هو يستعرض ما قامت به اللجنة خلال خمس و عشرين سنة من اعمال : إن اللجنة قامت بما يرحب به و لكن هناك عدة نواحى لتاريخ الهند لم تدرس كاملة مثلا نحتاج إلى دراسة العلاقة التى توجد بين ثقافة موهنجودارو بين جنوب الهند و البلدان الشرقية الوسطى و كذلك نحتاج إلى دراسة تلك الأوضاع التى حدثت بعد انقراض المرحلة الأولى •

٢ فبرائر ١٩٤٩م إنه ازال أولا تلك الشبهة التى تعلقت بافهام الناس فى حفلة توزيع الشهادات للجامعة الاسلامية بعليجره أنه لم يكن معارضا و لا معاندا قط لسر سيد أحمد خان و لا لمؤسسته العلمية و لايمكن ذلك لأنى كنت معترفا بمآثرة الذهبية التى قام بها و بعظمته و أضاف قائلا : إنى أذكر أن مؤلفات سر سيد أحمد خان أثرت على ذهنى تاثيرا بالغا فى مرحلة من مراحل حياتى و اليوم حضرت هناك لأوجه إليه تحية معترفا بخدماته التعليمية و الاصلاحية الجليلة وقال عن الجامعة الاسلامية " إن مؤسسة علمية

	قامت بمآثر جليلة رافعة في الغابر جديرة بأن يكون لها مستقبل رائع لماع طبعياً •
٢ ديسمبر ١٩٤٩م	إنه غادر إلى ميسور و يرجع من هنا بعد ثلاثة أو أربعة أيام•
٣٠ ديسمبر ١٩٤٩م	وجه مولانا آزاد إلى بعثة من جمعية العلماء فى فندق " تاج محل " ببومبائى اليوم قائلا : إن أوضاع البلاد بين أيدينا إن كل ساعة تبعث الطمانينة للمستقبل فى نفوس المسلمين الهنود رغم أنه لم تمض أيام كثيرة على المرارات الماضية• و من كان يحسب ان أوضاع السنتين الماضية هكذا تتغير و إنى اتنبؤ بأن مستقبل المسلمين فى الهند رائع لماع نظرا إلى أوضاع البلاد•
أوائل ١٩٥٠م	إنه أسس معهدا باسم " المجلس الهندى للعلاقات الثقافية" (I. C. C. R.) فى دهلى الجديدة لتحسين و توطيد العلاقات الثقافيـة و العلمية بين الهند و البلدان الخارجيـــة و لاسيما البلدان العربية•
٨ يناير ١٩٥٠م	قال مولانا آزاد و هو يخطب فى حفلة مجلس التعليمى المركزى الاستشارى التى انعقدت فى كتك (CUTTUCK) نحن لانستطيع أن نطبق مشروع توسعة التعليم لقلة الميزانية رغم بذل الجهود•
٢٨ يناير ١٩٥٠م	استهلت اليوم حفلة البرلمان الأول لجمهورية الهند على الساعة الحادية عشر إلا الربع قام مولانا آزاد باداء اليمين الرسميـــة فى اللغة الإنجليزية•
١٦ فبراير ١٩٥٠م	وصل مولانا آزاد من دهلى إلى كلكته على الساعة الرابعة و النصف مساءً لما بلغه نبأ الإضطرابات فى كلكته• نزل من الطائرة و زار أولا على الفور تلك المناطق التى اندلعت فيها نيران الاضطـرابات مثلا منطقـــة معسكر دم دم

مانك تلـــه ، راجيـــا بازار و غيرهـــا من المناطق إنه شاهد أيضا مخيمة " بارك سركس" التى أوت إليها الأسر المسلمة من المناطق التى أصيبت بالاضطرابات و أدلى الليلة ببيان قال فيه : إن الأوضاع الطائفية لكلكته فى متناول اليد الآن تماما •

مارس ١٩٥٠م	أصدرت مجلة فصلية باسم " ثقافة الهند" من قبل المجلس الهندى للعـــلاقات الثقافيـــة على اقتراح مولانا آزاد و صدر العدد الأول لهذه المجلة تحت تحرير مولانا عبد الرزاق مليح آبادى •
٣ يونيو ١٩٥٠م	قال مولانا آزاد و هو يبدى الحيرة و الدهشة على استقالة الذكتور جان متائى وزير المالية المركزى : مما يبعثنـــى علـــى الاستغراب و الدهشة أنه عد من أسباب استقالته اتفاقية نهرو و لياقت خان بيد أنه دائما يويد موقف الصداقة مع باكستان •
٥ يونيو ١٩٥٠م	أدلى محرر صحيفة " السوادى " الشهيرة الصادرة من مصر أحمد التنابلى ببيان فى بومبائى و هو يسافر إلى مصر بعد ما أقام فى الهند ثلاثة شهور " إن جولة مولانا آزاد المقترحة للشرق الأوسط ستكون نافعة للهند •
١٩ يونيو ١٩٥٠م	أعلن فى كراتشى أن مولانا آزاد يمكث ليوم فى ١٤ يوليو فى طريق جولته لإيـــران و تركـــى و كتب أيضا أن رئيس الوزراء لباكستان لياقت على خان لما ذهب إلى دهلى دعا مولانا أن يجىء إلى باكستان •
١٨ نوفمبر ١٩٥٠م	إنه أعرب عن رأيه بالحروب الداخلية لنيبال و هو يخطب فى احتفال الوفاة للاله جيت رائى : ينبغى لحاكم نيبال أن يعرف مقتضيـــات اليوم و يقوم بتعديلات اقتصادية و سياسية للصد عن

مزيد من سفك الدماء•

١٥ ديسمبر ١٩٥٠م قال مولانا آزاد و هو يخطب فى حفلة التابين لسردار بتيل :
" إن قصة سردار بتيل قصه القادة الكبار و انها لن تنتهى فى الحقيقة إن انتهت فـــى الظاهر و إنى أتاكد أن قصته لاتزال باقية فى الأذهان و قال و هو يذكر لقاءه مع سردار بتيل ـ إنى لقيته أول مرة فى سنة ١٩٢٠م و بدأ كل منا يقترب منذ ذلك الوقت و كنا من ركاب سفينة واحدة نقاسم الهمـــوم و الافـــراح و الفتـــــح و الانهزام سواء بسواء•

٢٥ ديسمبر ١٩٥٠م انعقدت حفلة السابعة و العشرين للجنة التـــاريـــخ الهنـــــدى، ناغفور تحت رياسة مولانا آزاد و ركز مولانا على هذه النقطة بأنه لايمكن أن يغض البصر عن أهمية المحضر لعرض الحقائق التاريخية، قال أيضا إن الوثائق التاريخية هى اساس التاريخ- و نحن نعرف صحة الاخبار الماضية واثقين بهذه الوثائق•

٨ يناير ١٩٥١م ذهب إلى دار العلوم ديوبند و ألقى ضوءاً على أهمية هذه المؤسسة العلمية و خدمات رجالها المؤسسين القيمة•

٢٠ يناير ١٩٥١م قال مولانا آزاد و هو يفتتح مجمع بسرو بدهلى : الحاجة ماسة إلى صيانة الملامح الثقافية للهند فى هيكل ثقافى التى هى مجموعة نزعات ثقافية مختلفة لغدة عصور• وجه الدكتور راجندر برشاد إلى متخرجى جامعة دهلى قائلا : إن هناك ثقافتين فى الهند إحـــدهمـــا ثقافة الهنادك القديمة و ثانيهما ثقافة العرب• و قال مولانا آزاد رداً على هذه الفكرة : لم توجد ثقافة العرب قط فى الهند اللهم إنها أثرت فى

منطقة سندهـ لمدة قصيرة و إن الثقافة الإيرانية هى اكثر تاثيراً فى ثقافة الهند من الثقافات الأخرى الوافدة و لكن لم يبق أثرها إلى الآن و اندمجت فى تيار الثقافة الهندية فان الثقافة الهندية هى مجموعة نزعات العصور الماضية و القرون المتوسطة و العصر الراهن•

٢١ يناير ١٩٥١م	قال مولانا آزاد و هو يخطب فى حفلة تأسيس كلية فى أحمد آباد : مما يبعثنى على الفرح و السرور أن جامعة مستقلة أسست فى غجرات و لكنها لاتكفى لأن مستوى البلاد التعليمى بلغ إلى منتهى الانحطاط و لنا أن نبذل أقصى جهودنا لتحسين النظام التعليمى•
٣٠ يناير ١٩٥٠م	ألقى مولانا آزاد خطبة فى لجنة المؤتمر لعموم الهند التى انعقدت فى أحمد آباد معلقا على اقتراح بندت نهرو : إن أتباع المؤتمر بدؤا يتصورون بعد نيل الاستقلال عامة بأنه آن لهم أن يقطفوا ثمار الاستقلال و أقول انها فكرة خطيرة تهدى المؤتمر إلى هوة الهلاك و الدمار•
١٤ فبراير ١٩٥٠م	عين الحزب البرلمانى للمؤتمر مولانا آزاد قائد الحزب باجماع الآراء حسب اقتراح راج كوبال اتشاريا وزير الداخلية•
١٨ فبراير ١٩٥٠م	أشاد مولانا آزاد بشمول اللغة الأردية و وسعة نطاق علمها و أدبها و ازدهارها و هو يوجه تحية إلى مرزا غالب فى حفلة تذكارية•
٢٥ فبراير ١٩٥١م	انعقدت حفلة اللجنة العاملة للمؤتمر ليومين عند مقر مولانا آزاد•
٣ مارس ١٩٥١م	قال مولانا آزاد رداً على سوال وجه إلى البرلمان : " إن وزارة المعارف وجهت إلى جميع نائب روساء الجامعات رسالة دورية أوصتهم بأن يقوموا بخطوات خاصة لإحداث

الجو الصالح بين الهند و باكستان - لتحقق الاتفاقية التى جرت بين الهند و باكستان ١٩٥٠م•

١٥ مارس ١٩٥١م . انعقد أول مؤتمر لأدباء اللغة الهندية تحت رعاية المجلس لولاية جمبرس بدهلى الجديدة ركز مولانا آزاد و هو يفتتح هذا المؤتمر على ازدهار اللغة الهندية من حيث هى لغة وطنية على أن تزود بالآداب الدولية•

٢٢مارس ١٩٥١م قال مولانا آزاد و هو يفتتح الحفلة الثانية ليونسكو التى انعقدت اليوم فى دهلى الجديدة : لو أنتم تريدون أن يكون الناس فيما بينهم اخوانا متحابين يلزم عليكم أن تغيروا مناهج الدراسية للتاريخ و الجغرافية رأسا على عقب فان هذه العلوم توزع الناس فى أحـــزاب و فرق مختلفة•

٢٦ ابريل ١٩٥١م قدم مولانا مشروعا أمام البرلمان للتعديل فى قانون الجامعة الهندوكية لسنة ١٩١٥م و بذلك تنفتح أبواب الجامعة على مصراعيها لطلبة سائر الأديان و الأجناس و الطبقات و كان من أهداف هذا المشروع أن الحكومة غيرت موقفها لتغير إسم الجامعـــــة الهندوكية فى بنارس و الجامعة الاسلامية فى عليجره - و لكن ينتخب المسلمون و الهنادك كعضو للمحكمة فى كلتا الجامعتين•

١٨مايو ١٩٥١م إنه قام بزيارة الشرق الأوسط لمدة شهريـــن و كانت هذه الزيارة تهدف إلى توطيد العلاقات الثقافية بين الهند و الشرق الأوسط و يشارك فى الحفلة السادسة السنوية ليونسكو التى تنعقد فى باريس و يصل إلى لندن فى ١٩ مايو حسب خطته و يقيم هنا حوالى تسعـــــة أيام و صحبه فى هذه الرحلة نائـــب المستشار

	للمعارف همايون كبير و سكرتريه الخاص مرزا مسعود بك •
١ يونيو ١٩٥١م	قال مولانا آزاد فى مؤتمر صحفى انعقدت فى لندن : ينبغى أن ترد إلى الهند تلك الصور و المسودات التى توجد فى مكتب الهند و قال أمس قبل أن يسافر إلى روما أن خزينة الفنون الهندية غالية جدا و يتعسر أن نقدرها تقديراً صحيحا •
٢٢ يونيو ١٩٥١م	قال مولانا آزاد فى حفلة يونسكو العامة أمس : هذا هو الطريق الوحيد الذى يبشر بالمستقبل اللماع الرائع للبشرية و لكن تعكر هذا الشعاع من الأمل •
٢٤ يونيو ١٩٥١م	زار أمس المكتبة الوطنية لفرنسا كانت فيها النسخ الخطية القديمة النادرة و زار ايضا متحف البلدان الشرقية • و اليوم يغادر باريس إلى استانبول •
٢٩ يونيو ١٩٥١م	جرت اليوم اتفاقية ثقافية بين الهند و تركستان فى أنقرة وقع عليها مولانا آزاد من قبل الهند كانت هذه الاتفاقية تهدف إلى تحسين العلاقات بين البلدان و تبادل المعلمين فى الجامعات و الذين يعملون فى موسسات علمية و ثقافية •
٦ يوليو ١٩٥١م	إنه اعرب عن رائه الحاسم فى مؤتمر صحفى انعقد فى أنقره حول قضية الهند و كاشيمر •
٨ يوليو ١٩٥١م	إنه وصل من استانبول إلى تهران أمس و رحب به ترحيبا حارا ـ قابله رئيس الوزراء لإيران الدكتور مصدق •
١٩ يوليو ١٩٥١م	إنه رجع إلى دهلى الجديدة من رحلته التى قام بها لزيارة البلاد الغربية و الشرق الأوسط قد حبذ بقدومه نائب المندوب السامى خوب تشند و ناظم التشريفات لباكستان ايه ايم مصطفى

لما وصل إلى مطار كراتشى من إيران•

٢٨ يوليو ١٩٥١م قدم مولانا آزاد انفعالاته عن جولته الحالية فى مؤتمر صحفى انعقد فى دهلى الجديدة : ليس بصحيح أن أهل بريطانيا ينحازون إلى باكستان فى صدد الخلافات بين الهنـــــد و باكستان و لكنهم لايحاولون أن يفهموا موقف الهند حق الفهم حول كاشمير و ربما يمكن أنهم يجهلون تاريخ كاشمير لعشرين سنة و أضاف قائـــــلا : " إنى تحدثت مع رئيس الوزراء لبريطانية مستر ايتلى و حاولت أن أفهمه موقف الهند فى قضية كاشمير•

١/ أغسطس ١٩٥١م إنه أدلى بيان أمام مندوب صحيفة " مدينة " الصادرة من بجنور و ذلك عن رحلته للبلدان الغربية و الشرق الأوسط• يدل هذا البيان أنه ألقى خطبتين أثناء هذه الرحلة فى تركستان إحـــدهمـــا فى جامعـــــة أنقـــــرة حول موضوع " وعى الشرق " و ثانيتهما فى استانبول حول " ثقافة الهند"•

٢٣ أغسطس ١٩٥١م اهتم اليوم أعضاء البرلمان باحتفال فى إكرام مولانا آزاد و ألقى فيه مولانا خطبة قال فيها : " إن بلدان الشرق الأوسط تكرم الهنـــــد إكراماً و تقول إنها قائدا للبلدان الآسيوية•

٢٣ سبتمبر ١٩٥١م إنه ألقى ضوءاً على خدمات الدكتور طاغور القيمـــــة و هو يفتتح الجامعـــــة المركزيـــــة و شوا بارتى و قال : " إن هذه المؤسسة تفتحتم مرحلة جديدة و لكن يلزم على المعلمــــــين و الطلاب جميعا لهذه المؤسسة أن يتذكروا أن طاغور لم يرغب المعلمين فى السمعة و الطمع بل وجه إليهم أن يخدموا ساذجين فقراء موفورين بعاطفة الخدمة •

١٣ ديسمبر ١٩٥١م قال مولانا آزاد هو يرحب رجال الفكر الذين

جـاؤا إلى دهلى الجديدة من اثنتى عشرة بلادا من الشرق و الغرب إن هذا المؤتمر لرجال الفكر من البلدان الشرقية و الغربيـــة• الذى ينعقد تحت إشراف يونسكو يقدم معرفة اللّٰه الحقيقية أمام الناس على وجه الأرض•

٣٠ ديسمبر ١٩٥١م — قال مولانا آزاد فى حفلة نهائية لمؤتمر المفكرين : إن ذهن الانسان يمر بمرحلة ثورية و تنكسر تلك القوالب التى تألفت بعـــد قرون و إن القوالب الحديثة لاتستطيع أن تقض مقتضيات الروح و الفلسفة و تفتح أبوابا من الشكوك و الشبهات بسرعة و لكنها لاتسارع إلى أبواب اليقين و المعرفة•

٢٦ ديسمبر ١٩٥١م — انعقدت اليوم حفلة الثامنة و العشرين للجنة التاريخ الهندى فى جيـــه فور(JAI PUR) و كان من المقترح أن يفتتح مولانا آزاد هذه الحفلـة و لكنه لم يجىء لسبب ما و لذلك تقدم بخطبته الافتتاحية بى . اين . كربال• دعا فيها مولانا آزاد المؤرخين إلى أن يدرسوا تاريخ بريطانية محامـدين و كذلك ركز على صيانة الآثار القديمة قائلا : إنها ثروة نفيسة يستنتج منها المؤرخون بعد دراستها نتائج نافعة•

٩ فبراير ١٩٥٢م — إنه فاز فى الإنتخاب العام الأول لمنطقة رام فور (RAM PUR) ٣٥٧،٥٣ صوتا فى مقابلة المرشح لهندو مهاسبا• و إنه حصل على ثمانين و مائة و ثمانية آلاف و مائة ألف صوت و حصل معارضه على سبع و عشرين و أربعة مائة و اثنين و سبعين ألف صوت•

٥ مارس ١٩٥٢م — قال مولانا و هو يفتتح معرض فنون الاتحاد السوفيتى : إن الفنون اللطيفة هى أكبر وسيلة للأمن و السلامة بين الأمم و أكد مولانا على أن الناس فى البلدان المختلفة أشد حاجة إلى

	تفاهم أفكار بعضهم من بعض•
٢٧ ابريل ١٩٥٢م	وجه مولانا آزاد إلى معلمى معاهد دهلى " قصر الرياسة " إن أبواب قصر الرياسة كانت تفتح للأمراء و الموظفين الكبار و لكنها فتحت اليوم لطبقات الفقراء و زاد إلى أن أبواب القلوب أيضا فتحت لجماهير الناس و هذه أول ثمرة من ثمار الاستقلال و أضاف قائلا : إن معلمى المعاهد لهم دور اساس فى بناء المستقبل للمجتمع و إن لم تتيسر لهم تلك التسهيلات التى يتمتع بها معلموا الجامعات•
١٨ مايو ١٩٥٢م	قال مولانا آزاد معلقا على بعض الفتاوى لأكبر المفتين فى مصر• قد استرعى انتباهى إلى بعض الفتاوى لأكبر المفتين من مصر حسن محمد مخلوف، إنه خالف بها مساهمة النساء فى الانتخاب البرلمانية قائلا : إن ذلك ينافى الأحكام الاسلامية• و إن هذا الفتوى يبعثنى على الدهشة و الاستغراب فحينما نتوجه إلى فلسفة القوانين الاسلامية و المجتمع الاسلامى• نجد الأمر معكوساً فلم يفرق الاسلام بين الرجل و المرأة فى المجالات السياسية و الاجتماعية•
٦ يونيو ١٩٥٢م	أعلن مولانا آزاد فى البرلمان سترسل التوجيهات إلى الحكومات الإقليمية من قبل المركز لتعليم الأطفال اللغة الهندية على السواء و أضاف قائلا : قد أسس مجلس رئيسى لإختراع مصطلحات العلوم الطبيعية وأسست لجنة لتعليم اللغة الهندية و هاتان اللجنتان تقومان برقى اللغة الهندية•
١٤ سبتمبر ١٩٥٢م	قدم مولانا آزاد قرارا كعضو للجنة الوزارية للشؤون الخارجية عن السياسات الخارجية للهند فى لجنة المؤتمر الوطنى لعموم الهند

التى انعقدت فى إندور (INDORE) و قال مولانا موضحا هذا القرار : يرى بعض الناس أن يتمتع بالمنافع الشخصية منضما فى أحد الفريقين و لكن هذا الموقف الشخص الضيق لايزيد فى حرمة الهند و لايجدى شيئا فى الأمن الدولى بل يمكن أن يكون ذلك أكثر خطورة للأمن الدولى •

١٢ اكتوبر ١٩٥٢م — شارك مولانا اليوم فى حفلة اللجنة العاملة لجمعية العلماء التى انعقدت فى دهلى

١ نوفمبر ١٩٥٢م — انعقدت اليوم حفلة عظيمة فى دهلى بمناسبة يوم الولادة لغرو نانك ألقى مولانا آزاد فيها خطبة قال فيها : ما كانت شخصية غرو نانك مختصة بفرقة أو جماعة بل إن الرسالة التى جاء بها إلى هذه الدنيا كانت عامة شاملة للبشرية جمعاء •

٢٨ ديسمبر ١٩٥٣م — خطب اليوم فى أول جلسة للجنة المساعدات للجامعات (.U.G.C) المنعقدة فى نيو دلهى : إن الحكومة قامت بتشكيل هذه اللجنة عام ١٩٤٥م ، و كانت تهدف إلى اسداء المشورات لثلاث جامعات مركزية فحسب، و كانت سلطتها محدودة للغاية • فلم تستطع بانجاز عمل ما حتى عام ١٩٤٧م، و اعيد تشكيله فى نفس العام، و تم التوسيع فيها عام ١٩٥٢م • إن الحكومة تشعر أن المشاكل المتزايدة للجامعات تطلب خطوة سريعة و نتيجة لذلك اذن لها ببدء الاعمال على الفور وفق قرار نوفمبر المنصرم •

٤ يناير ١٩٥٤م — انزلق صباح اليوم فى مقره و انكسر عظم وركه، و قام بمعالجته الطبيب ايس. كيه .سين و وصف أنه يتمكن بانجاز أعماله الحكومة بعد ستة أسابيع و خلال هذه الفترة يستطيع أن يقوم

بتوقيعه الأوراق المهمة فقط على فراشه.

٩ يناير ١٩٥٤م — قرأت اليوم خطبة فى مؤتمر لجنة المنعقد فى دلهى الجديدة، قال فيها : إن الشعور يسود طول الشرق و عرضه أن الأقوام المتحدة و لجانة الهندية فيه لاتولى اهتماما للشرق كما يجدر به.

٧ فبراير ١٩٥٤م — انعقد اليوم الجلسة الحادية و عشرون لهيئة الشورى المركزية للتعليم فى دلهى الجديدة، و لم يحضر المولانا آزاد بسبب مرضه، قرأ خطبته نيابة عنه البروفسور همايون كبير قال فيها : متحدثا عن قلق الطلبة يجب أن تبذل الجهود لازالة القلق بين الطلاب حتى تصبح الجامعات مركزا للعلم فى كل معناها.

١٣ مارس ١٩٥٤م — قال المولانا آزاد فى أول جلسة للأكاديمية القومية للآداب بنيو دلهى متحدثا عن واجبات الأكاديمية و نشاطاتها : إذا نجحت الأكاديمية فى تكوين مستوى رفيع لها تتم به أهدافها.

٢٧ مارس ١٩٥٤م — قد ظهرت اليوم مرارة عنيفة عندما ندد برشوتم داس تندن الموقف اللسانى للحكومة المركزية فى حفلة الميزانية فى مجلس الشيوخ و إنه اتهم مولانا آزاد بأنه يقف موقفا معاديا مع المؤسسات الهندية و لاسيما إنه يطوى صفحة عن " هندى ساهتيه سميلن" .

٢٩ مارس ١٩٥٤م — خطب اليوم فى تائيد وزارته و متطلباتها المالية و أجاب عن اعتراضات برشوتم داس تندن و الآخرين فى صورة تفصيلية. إن خطبة المولانا هذه تعد تذكارا فى تاريخ مجلس الشعب.

٣ سبتمبر ١٩٥٤م — انعقدت اليوم جلسة اللجنة العاملة لجمعية علماء الهند فى دلهى، و حضر فيها المولانا آزاد.

٨ نوفمبر ١٩٥٤م	قال و هو يستهل المؤتمر الأول للجنة حركة الاستقلال، إنه درس جيـــــدا أن الحكام البريطانيين فى الهند احرقوا جميع الوثائق المهمة التى كانت فيها تقرير عن نشاطات الزعماء الوطنين من حركة الاستقلال حينما غادر هذه البلاد• و ليست لدى الحكومة المركزية فى اية وثيقة توفر سوادا فى تأريخ حركة الاستقلال•
١٤ نوفمبر ١٩٥٤م	انعقدت اليوم جلسة للجنة البرلمانية لحزب المؤتمر فى البرلمان بمناسبة مولد جواهر لال نهرو السادس و ستون لتقديم التهنئة له، دعا فيها المولانا آزاد لطول عمره توقع أنه يعمر طويلا لزعامة أهالى الهند•
١٧ نوفمبر ١٩٥٤م	أجاب اليوم عن سوال فى مجلس الشعب بقوله " إن المذكرة التى قدمت إلى الرئيس من قبل لجنة ترقى اردو حول اللغة الاردية، لايزال الرئيس يفكر فيها•
١٩ يناير ١٩٥٥م	ألقى المولانا خطبة طويلة فى لجنة المواضيع لجلسة المؤتمر الستين فى دعم قرار منهج الحياة الاشتراكية، و قال فيها : إن هذا المصطلح يشمل كافة المزايا لمناهج الحياة كلها، و لذا جعل المؤتمر منهج الحياة الاشتراكية نصب عينيه•
٢٣ مايو ١٩٥٥م	غادر صباح اليوم إلى بومبائــــى بالطائـــــرة، و يتوجه من هناك إلى لندن عن طريق كراتشى•
٢٦ مايو ١٩٥٥م	وصل اليوم إلى مرسى كراتشى سوف يقضى الليل فى صباح الغد إلى لندن• و سوف يقابله رئيس الوزراء الباكستانية محمد على، و يغادر قبل أن تبحر إلى لندن•
٢٩ يوليو ١٩٥٥م	قال المولانا فى مؤتمر صحفى فى دلهى

الجديدة بصراحة متحدثا فى جولته لأوربا : إن الهند لاترضى أن تقبل دليل السكريتر للكومنولث (Cômmon Wealth)، و لو لدقيقة واحدة بأن الحكومة البريطانية تملك مكتبة المكتب الهندى •

٩ اغسطس ١٩٥٥م — أرسل المولانا رده عن كتاب اللورد هيوم بصدد نقل مكتبة المكتب الهندى • و المظنون أن المولانا كتب إليه أن الهند لاتقبل دعوى اللورد هيوم البتة، بأن الحكومة البريطانية تملك مكتبة الكتب الهندى • و قد أرسل نقل من رسالة المولانا إلى باكستان أيضا •

١٨ اغسطس ١٩٥٥م — اقترح المولانا لدرس موضوع مكتبة المكتب الهندى أن يعقد مؤتمر لمندوبى الدول الثلاثة من الهند و باكستان و البرطانية • و لكن رفضه السكريتر لكومنولث اللورد هيوم قائلا : إن مكتبة الهند انما تملكها الحكومة البريطانية •

٨ نوفمبر ١٩٥٥م — إن اللجنة العاملة للمؤتمر شكلت اليوم لجنة تذم كلا من رئيس الوزراء جواهرلال نهرو أو المولانا آزاد و البندت بنت و رئيس المؤتمر الوطنى دهيبر، سوف تكون اللجنة فكرة قاطعة حول قضية البنجاب بعد المفاوضة مع زعماء أكالى •

١٧ ديسمبر ١٩٥٥م — حذر اليوم اعضاء حزب المؤتمر للبنجاب الذين كانوا يسعون لإيجاد الاختلافات بين كبير الوزراء بهيم سين حبش و برتاب سينغ كيرون •

٢٩ فبراير ١٩٥٦م — كتب سكريتـــر المولانا أجمل خان إلـــى المولانا مهر : قد كان تصاعد ضغط دمه إلى حد كبير، و قد أصبح حلس الفراش منذ أسبوعين، و قد تعطل جميع الأعمال، و قد أشار عليه الأطباء لاستراحة كاملة، و قد كان الضغط ضئيلا بالأمس المنصرم •

٢٧ مارس ١٩٥٦م — و كتب إليه ثانيا بعد شهرين تقريبا : قد أخذت

تعود إليه صحته بحمد اللّٰه سبحانه• و اشير عليه باستراحة كاملة، فلا يذهب إلى مكتبه و لا إلى البرلمان•

١٦ يناير ١٩٥٦م انعقدت اليوم جلسة الهيئة التعليمية المركزية الرابع و عشرون فى نيو دلهى تحت رئاسته، قال فى خطبته : إن الاصلاحات التى قمنا بها فى نظام المعارف لن تؤتى أكلها ما لم تطبق بدون معارضة و تدخل و قال نهائيا : إنى أرجو أن المجلس يقوم بخطوات مؤثرة فى صدد تضاعف مستوى التعليم•

٢٦ يناير ١٩٥٧م إنه قدم أوراق التعيين لعضو مجلس الشيوخ من قبل المنطقة الانتخابية البرلمانية لغور غاؤن (GURGAON)

١٠مارس ١٩٥٧م عين مولانا آزاد عضوا لمجلس الشيوخ من قبل المنطقة البرلمانية لغور غاؤن و فاز بأغلبية ساحقة و هزم معارضه من حزب جن سنغ بسبع و ستين و ستمائة و خمس و تسعين ألف صوت•

٥ ديسمبر ١٩٥٧م قال مولانا آزاد عند ما توفى حسين أحمد مدنى رحمه اللّٰه فى رسالته التابينية : "تذكر خدمات مولانا حسين أحمد مدنى دائما التى قام بها لإستقلال الهند و كان من القادة البارزين للمؤتمر الوطنى لاترابراديش و كلما قام المؤتمر بحركة شارك فيها"

٧ فبراير ١٩٥٧م قابل معا مولانا آزاد رئيس الوزراء لكاشمير و بخشى غلام محمد و جى ايم صادق يرى أنه بحث خلال هذا اللقاء العلاقات بين الحزب الجديد الذى أسسها جى ايم صادق بين الإدارة الاقليمية• و قد لاقى هذين القائدين قبل ذلك على انفراد•

١٤ فبراير ١٩٥٧م انعقدت حفلة المجلس الهندى للعلاقات الثقافية فى دلهى الجديدة تحت رياسة مولانا آزاد و كانت

هذه آخرة حفلة للمجلس التى انعقدت تحت رياسته•

١٥ فبراير ١٩٥٧م — استهلت اليوم عند العصر الجلسة الأولى لمؤتمر جمعية ازدهار اللغة الأردية لعموم الهند لثلاثة أيام فى ساحة المناورة بين القلعة الحمراء والجامع المسجدتحت رياسة مولانا آزاد وافتتحها رئيس الوزراء بندت نهرو و بعد ذلك تحدث مولانا آزاد عن القضية اللسانية للبلاد قائلا : قد احتلت اللغة الهندية المكانة التى تجدر بها و الصقنا بها طابع القانون فيجب على كل هندى أن يخضع لها و لكن اللغة الأردية ما نالت إلى الآن حقها و الأهمية الكبرى لهذه الخطبة انها آخر خطبة لحياته•

٢٢ فبراير ١٩٥٨م — توفى مولانا آزاد اليوم على الساعة الثانية والربع ليلا و شيعت جنازته على الساعة الثانية عشر عند الظهيرة و أديت صلاة جنازته أمام الجامع المسجد• و إنه ألقى خطبته فى هذا الموضع قبل أسبوع و من كان يظن أن يجتمع آلاف من الناس ليواروه التراب فى نفس اليوم و الساعة و نفس الأسبوع و المكان•

تعريب : محمد أمين الندوى

أبو الكـــــــــلام آزاد

بقلم: البروفيسور جكن ناث آزاد
جامعـــــة جمـــون

كانت أواخـــر شهـــر ديسمبر سنـــة ١٩٥٣م، إذ بعث إلىّ سيادة شبير حسن خان المعروف بـ " جوش " (١) المليح آبادى كتابا يقـــول :
" *إجتمع بمولانا آزاد ـــ فى ١/ يناير ـ فى الساعة الثامنة و النصف صباحاً، و عندما دخلت على " جوش " فى حجرته مساء لأمر دعانى إليه، قلت له : قد وصلنى كتابك، و سآتيك غدا فى الثامنة صباحا، لكى نزور مولانا آزاد* مجتمعين•
فردّ قائلا : أنا لا أصاحبك للقائه، فإنه لم يضرب الموعد إلاّ لك وحـــدك" و هناك أخذتنى الحيرة كل مأخذ، و عجبت لذلك تمام العجب، و ذلك لأنى لم أكن أذكر أنى طلبت منه موعدا للقاء فيما قبل، على هذا الأســـــاس و بهذه الفكرة قلت لـ " جوش " : لا أكاد أفهم لماذا أعطانى مولانا آزاد موعدا يجتمع فيه معى• فقال : إن السيد أجمل (٢) أخبرنى تليفونيا بأنك ربما طلبت أنت الموعد• و عند ذلك تذكرت بغتة أنى قد كنت ذكرت للسيد أجمل قبل شهور بأنى أتمنى زيارة مولانا آزاد، فنظّم لى مقابلته يوما إن أمكنك• و كانت قد مضت على ذلك عدة أشهر، و كان هذا الحديث قد غاب عن ذهنى كل الغياب، و لكن السيد أجمل كان وعاه فى ذاكرتـــه، و هو الذى نظّم لى هذه المقابلة و سعى لذلك سعياً مشكوراً•(٣)

غداً سأجتمع بمولانا آزاد، كان هذا الخيال يبعث فى نفســى فرحـــة و بهجة، كما كان يثير فيها رهبة خفيفة كذلك، فقد كنت أفكر أنى سوف ألتقى بهذا العلامة الشرقى الكبير فعلى أى موضوع سيتحادث معه قليل العلم مثلى .... إنه بحر زخار للعلوم الشرقية، فى حين أنى لا أُعَدّ حتى من

بين المغترفين من الفضالات • و بقطع النظر عن ذلك فإنه إن سألنى عن غرض اللقاء فبماذا أجيبه؟ أ فأقول له : إنه قد ساقنى إليك حب زيارتك، أم أقول إنى أتيتك لأعبر عن عواطف التقدير و الاحترام التى أكنّ فى قلبى تجاهك؟ على أنه لم يكن مما يستحسن ـ كذلك ـ أن أضيع أوقات مثل هذه الشخصية الكثيرة الأشغال و الأعمال لمحض أنى أتوق إلى مقابلته ... و لكنى كنت قد حظيت الآن بفرصة اللقاء فلم أحبّ أن أفقدها، و قررت أنى سأحمل إليه نسخة من الطبعة الجديدة لكتابى " بى كران "(٤) (أى اللامتناهى) و أقول له : زرتك لأقدم لك هذا الكتاب •

بهذه المشاعر المزيجة المختلفة التى كانت تنفعل فى قلبى، وصلت فى الصباح التالى إلى منزله بشارع الملك ايدورد بدهلى الجديدة، فأبلغ السيد أجمل حضورى إلى مولانا آزاد، و دعانى هو إلى حجرته •

كان مولانا آزاد جالسا على كرسى، فى حجرة بسيطة كان أحد أبوابها مفتوحا فى إتجاه حديقة المنزل، و كانت شخصيته الوقورة سائدة و سيطرة على سائر ماحوله، و قد شعرت بقلة بضاعتى و قصور علمى فور دخولى، و كانت آنذاك نفس الحالة التى وصفها الشاعر الإسلامى " إقبال " فى شعره الذى معناه : *حضورى فى بلاط ذلك الملك ذى المكانة العالية، ليس إلا كحضور رجل فاقد الكيان فى حضرة عمر*" •

و بعد أن أديت التحية، أشار إلى كرسى بجنبه، فجلست عليه و أنا أكبت فى نفسى أمنية كان يعيشها قلبى، و هى أنى سأجلس أمامه على الأرضية تحت قدميه •

و رأيت فى جانبه الأيسر علبا عديدة من السيجارة متراكمة، و كان يدخن آنذاك سيجارة فعلا، ثم قدمت له نسخة من كتاب " بى كران " و قلت له : " هذه مجموعة شعرى" فأخذها و تصفحها عابرا، ثم خاطبنى بعد برهة يسيرة قائلا : لا أزال أذكر أنك كنت قد أرسلت إلىّ نسخة من الطبعة الأولى لهذا الكتاب بالبريد" فدهشت لقوة ذاكرته، و ذلك لأن الأمر الذى ذكره كانت قد مضت عليه أربع سنوات متواليات، يضاف إلى ذلك أن وصول مجموعة شعرى إليه لم يكن أمرا غير عادىّ ، و مع ذلك فهو لايزال يذكر أنى كنت أرسلت إليه نسخة من الطبعة الأولى للكتاب بالبريد • لقد كان ذلك أمرا لم يكن ليمرّدون أن يترك فى نفسى أثره •

قلت له : *هذه النسخة من الطبعة الثانية و هى تختلف عن الأولى بكثير، و فيها عديد من القصائد و الأشعار الغزلية التى لم تكن فى الطبعة*

الأولى ، و لذلك حضرت لأقدم لك هذا الكتاب مرة ثانية•

كان ذلك لقاء قصيرا عاجلا، و قد التمست إليه فى أثنائه أننا نحن الكاتبين الناشئين لاتتكافأ لنا فرص التشرف بالحضور لديك، فلو خصصت لنا جزءا من أوقاتك المشغولة بالنشاطات السياسية، لحضرنا لديك فى عدد العشرين أو الخمس و العشرين مرة فى كل شهرين أو ثلاثة أشهر و انتهلنا من بحار علومك الزاخرة الجياشة•

فأخذ يقول : *أجل ! و قد سبق أن عرض علىّ هذا الاقتراح السيد فيض كذلك، و سوف أصرف العناية إلى هذا الأمر بعد أن أجد فرصة و فراغا* — بيد *أنه لم يجد هذه الفرصة طوال حياته•*

و جرى الحديث خلال لقائنا حول الدراسات العلمية فى خصوص اللغة الأردية فذكر اسم " *مولانا غلام رسول مهر*" بصورة خاصة و قال إنه يقوم هذه الأيام بأعمال جليلة فى هذا الصدد•

و عندما تهيأت للعودة سألنى قائلا : *كم راتبا تتقاضى؟ فشكرت له و قلت : أنا مؤظف بفضلك فى قسم النشر (Publications Division) ثم أخبرته بمبلغ راتبى فأبدى عن ارتياحه، ثم استأذنت للرجوع، فسلمت عليه و خرجت من عنده•*

تلك هى زيارتى الأولى لمولانا آزاد، ثم تشرفت بزيارته للمرة الثانية بعد نحو ستة شهور، و كان مبعثها فى هذه المرة أنه كانت قد صدرت الطبعة الجديدة من كتاب " *رباعيات محروم* " لوالدى الكريم، فحضرنا أنا و والدى منزل مولانا آزاد، و قد دار الحديث - مدة طويلة - خلال هذا اللقاء بينه و بين الوالد•

كان والدى أستاذا بكلية كامف (Camp College) التابعة لجامعة البنجاب بدهلى الجديدة، التى كان يتعلم فيها آلاف من الطلاب، و قد ظلت هذه الكلية تتعرض منذ أول يومها لصراع الموت و الحياة، و إن كانت جارية تعمل عملها لحد تلك الأيام فلم يكن ذلك إلا بفضل مولانا آزاد و رعايته، و إلا فإن الظروف لم تكن تساعدها فى أى يوم من الأيام، و قد كان رجال إدارة الكلية أشاروا على والدى بأن يذكر الكلية لدى مولانا آزاد و يقص عليه قصتها باللزوم، فانتهز الوالد فرصة و أجرى ذكر الكلية، فأصغى إليه مولانا آزاد بعناية بالغة ثم قال : *إنه لمن المقرر أن هذه الكلية لاتوقف• إننا لن ندعها تتعطل لما يرتبط بها آلاف من الطلاب المهاجرين و مئات من الأساتذة، و قد سبق أن أطلعنى المستر*

"آنند كمار"(٥) على أهمية و ضرورة هذه الكلية بتفصيل• ثمَ أردف بقوله : إن هذه الكلية مثال ناطق عن همّة أهالى البنجاب العالية و عزيمتهم الماضية، و يجب أن يسعى المهاجرون - على هذا النحو - لحل مشاكلهم بأنفسهم، و ستساعدهم الحكومة فى هذا الشأن كل المساعدة•

كما جرى خلال هذا اللقاء ذكر الشعراء و الأدباء الذين كانوا فى أيام جريدة "مخزن" الأردية، ثم أخذ يقول مولانا آزاد لوالدى مشيراً إلىّ : قلما وجد أن الذوق الأدبى امتد على جيلين متواليين فى أسرة واحدة" فردّ عليه الوالد قائلا : " و لكن نجد هناك أمثلة لذاك " ثم مثل بـ " مير أنيس " و " جوش الملسيانى" فعاد يقول : نعم ! هناك أمثلة لذلك و لكنها قلائل تعد على الأصابع، فى حين نجد أمثلة ذلك فى حقل السياسة بكثرة وافـرة، و لكنها فى مجال الأدب قليلة جدا" و لما تأهبنا للإنصراف أضاف مولانا آزاد يقول : كن فى راحة بال، فإن كلية كامف لن تتوقف أبدا بإذن اللّـه"• و بناء على ذلك فلم تتوقف الكلية فى واقع الأمر، و لكن ثارت - بعد مدة - قضية فصل والدى من الكلية لبلوغه سنّ التقاعد، فذهب إليه الوالد مرة أخرى، و قصّ عليه القصة، فقال : أما بالنسبة إلى نفسك فلا مبرر هناك لإحالتك إلى التقاعد على أساس السنّ، فإنك محطّ فخر و اعتزاز للكليـــة و هى تسعد و تعتز بوجودك، و سوف أكتب إلى رئيس الجامعة خطابا فى هذا الخصوص"، و قد أرسل الخطاب فعلا إلى " الديوان آنند كمار " رئيس أو نائب رئيس الجامعة يومذاك، و لا أدرى ماذا كتب فيه، غير أنه لم يحدث هناك أى سؤال لعزل الوالد عن الكلية لمدى عدة سنوات مضت على هذا الحادث•

و قد قال لى والدى مرة قبل أيام عديدة من وفاة مولانا آزاد : لقد تعبت الآن و سئمت، و لا أكاد أستطيع النهوض بمهام الكلية و أعبائها، فلنذهب يوما إلى مولانا آزاد حتى نشكره على ما أولانا به من عطف سام و لفتات كريمة، و أستاذنه أنا فى تقديم الاستقالة من وظيفتى، إلا أن مولانا آزاد قد ودع هذه الحياة الدنيا و لحق برفيقه الأعلى قبل أن تأتينا نوبة هذا اللقاء•

و سنحت لى فرصة الإجتماع بمولانا آزاد مرة ثالثة عندما زرته لأهدى إليه نسخة من الطبعة الجديدة لديوان شعرى الذى سميته بـ " من النجوم إلى الذرات"، و قد دخلت عليه هذه المرة برفقة جوش المليح آبادى، و كان السيد رئيس أحمد خان شقيق " جوش " يصاحبنا كذلك، كما كان معنا

رجل آخر نسيت اسمه الآن. و كان مولانا آزاد يعانى من المرض بعض الشيء، و كان مضطجعاً على الفراش، يدرس إحدى ملفات المكتب ، فقدّمت له الكتاب، فأخذه و وضعه، و كانت تبدو على وجهه الباسم الناضر الهادىء بوادر الكآبة و السآمة بصورة واضحة، و سأله " جوش " عن حاله، ثم جرى بينهما حديث قصير مقتضب، و ظل السيد أجمل موجودا فى الحجرة فى أثناء ذلك، و ظللنا أنا و السيد رئيس أحمد صامتين، ثم انصرفنا نحن بعد خمس أو سبع دقائق.

كان لقاؤنا هذا مع مولانا آزاد لقاء صامتا ساكتا، و لكن صموت مثل هذه الشخصية لم يكن يقلّ عن خطبة بليغة ربما لا أستطيع الآن أن أعبر عنها بكلمات :

" تسطو عليه وطأة المرض، و لكنه مكبّ على أعمال المكتب بكل ما فى وسعه، و وجهه مشرق يتلألأ ببريق الأمل و الثقة و القناعة بالرغم من الضعف و الهزال"

و الجدير بالذكر أن الإجتماع بمولانا آزاد كان يتاح لى عندما كان يصدر كتاب جديد لى أو لوالدى، و بناء على ذلك فقد سعدت بزيارة هذه الشخصية العظيمة لآخر مرة حينما صدرت طبعة جديدة من كتاب " *كنج معانى* "(*أى كنز المعانى*) و كان موعد اللقاء يحدد للصباح على وجه العموم، و قد قال لنا السيد أجمل أن مولانا آزاد و إن أعطى لكم الوقت للقاء، و لكنه اليوم مشغول للغاية. فقلت له : " سوف نعود بعد *خمس أو سبع دقائق فحسب، فإنه لا حاجة بنا سوى إهداء الكتاب* ". غير أن هذا اللقاء قد امتد و طال على غير القصد و الإرادة.

و بالجملة فقد قدم الوالد كتاب " *كنج معانى* "، و كان مولانا آزاد قد لاحظ ـ من قبل ـ الطبعة الأولى لهذا الكتاب، التى كانت أصدرتها شركة " *السادة عطر تشند كبور و أولاده*" فأخذ يقول : *كان السير عبد القادر قد ذكر عندى هذا الكتاب و لم يكن قد طُبِعَ بعدُ* ". فقلت له : *نعم ! و إن السير عبد القادر المحترم هو الذى كان قد كتب مقدمة الكتاب و هى مرفقة بالطبعة الحالية أيضا.*

و ظل مولانا آزاد يتصفح الكتاب و يقلب أوراقه، ثم انبرى يقول : سبع روبيات و نصف لا تعتبر ثمنا زائدا لكتاب يبلغ حجمه حجم هذا الكتاب". و كنت أتعجب من أنه لم يتحدث بمثل هذا الكلام قط قبل اليوم، فلماذا يتعرض اليوم لذكر حجم الكتاب و ثمنه ؟ ... ثم سألنى : من أصدره ؟

و راح يقول بعد أن رأى بنفسه اسم المطبعة المكتوب عليه و هو "دار الكتاب بدهلى": أى مؤسسة هذه للطباعة؟ فقلت له: سيدى! ليست هناك أى مؤسسة بهذا الاسم، و إنما هو اسم مفترض، و قد أصدرت الكتاب أنا بدورى، و أثبتت عليه اسم " دار الكتاب بدهلى "، هذا و أنا أكتب على كل كتاب أصدره أنا شخصيا، اسم هذه المؤسسة المصطنعة، وذلك لأن معظم أصحاب المطابع لايحسنون التعامل مع الكاتبين و يعملون الخيانة و الغش فيما يتعلق بالشؤون المالية، و لذلك فإن الكاتب يضطر إلى أن يطبع كتبه بنفسه، بالرغم من أن ذلك ليس من وظيفته•

و قد استمع مولانا آزاد لحديثى كله بإصغاء و اهتمام بالغين، ثم سألنى: ماذا اتخذت من التدابير لبيع الكتاب؟ فاجترأت على أن أتحدث إليه ببسط و استطراد، و أخبرته بأننا نبيع كتبنا بواسطة " مكتبة الجامعة المحدودة"، فإنها هى المؤسسة الوحيدة التى ألفيناها ــ بعد أن تكبدنا خسائر فادحة ــ تحسن التعامل و تقوم به بحسن و نزاهة، إلا أن هذه المؤسسة تتقاضانا ٤٠% من الترخيصات فى الثمن من أجل بيع الكتب ــ فلو أضفنا إلى تكاليف طبع الكتاب رسوم المؤلفين بنسبة ١٥% على الأقل (مع أنه لا سبيل إلى ذلك فى الأوضاع الراهنة) فإن طبع الكتاب يلحق بنا خسارة واضحة كما لايخفى، لأن أدوات الكتابة و الطباعة لاتزال تتصاعد غلاء بصورة مستمرة، بالإضافة إلى أن عددا ملحوظا من نسخ الكتاب يهدى إلى الأصدقاء تذكارا و إلى مديرى الجرائد ليقوموا بالتعقيب عليها•

فأخذ يقول بعد أن أصغى إلى حديثى ــ من أوله إلى آخره ــ: لقد صدقت و أصبت • و أما بالنسبة لهذا الكتاب فقدّم أنت إلىّ طلبا، و سوف أفكر فى هذا الأمر، و على ذلك فقد رفعت إليه الطلب بشأن هذا الكتاب خلال عدة أيام، و تمخض ذلك عن أن مؤسستين من مؤسسات الحكومة الهندية اشترتا عددا وفيرا من نسخ هذا الكتاب، و بذلك زالت و ارتفعت ــ بفضل مولانا آزاد و عنايته ــ المخاوف التى كانت تهددنا من أن طبع الكتاب عسى أن يحمّلنا خسائر مادية•

كما ذكرت خلال هذا اللقاء الأضرار و الخسائر التى يتحملها كتّاب الهند و باكستان ــ على السواء ــ بسبب أصحاب مطابع البلد الآخر• و كان مولانا آزاد على علم بأن مؤلفاته لاتزال تطبع فى باكستان بدون أى تصريح منه، فأخذ يقول: نحن نعمل الآن على إدخال تعديل على قانون حق النشر و التأليف، سوف يجعل أصحاب مطابع بلد واحد لايستطيعون أن يطبعوا

مؤلفات كتّاب البلد الآخر بغير إذنهم• فقلت له : إنه لو رُفع الحظر القائم على تبادل الكتب بين البلدين، فربما يمكن أن نتفادى هذه المشكلة و مضارها لحد كبير، وذلك لأن القانون الراهن لايسمح بأن ننقل من بلد إلى آخر طردا من كتب تربو قيمتها على خمسين روبية، مع أنه ينبغى أن يسمح القانون بإرسال و نقل الطرود الضخمة بالقطار و الطرود المحولة على المشترى بالبريد بصورة مباشرة• فسألنى قائلا : من فرض هذا الحظر الذى تشير إليه : حكومة باكستان أم نحن؟ قلت له : ليس لى علم بذلك على وجه الدقة و التحديد، و لعل هذا الحظر مفروض من قبل كلا البلدين• فقال بلهجة مقنعة شافية : إننى سوف أستطلع أن هذه القضية هل عرضت قط على باكستان فى المؤتمرات التى عقدناها معها فى الأيام الماضية، و إن عرضت فعما أسفرت المفاوضات المشتركة•

و أضاف يقول : إن هذه المشكلة لابد من حلها و معالجتها، و ذلك لأنه لو رُفع هذا الحظر فمن الممكن أن تصدر عدة طبعات أخرى من الكتاب الذى لاتصدر منه الآن إلا ثلاث طبعات بشق الأنفس، و بذلك يمكن أن تزول مشاكل الكتّاب و متاعبهم إلى حد كبير•

كان قد أعطى لنا خمس أو سبع دقائق فحسب لهذه الزيارة، و لكن الحديث قد استغرق حتى الآن ثلاثين دقيقة، و كنا نشعر بذلك تماما، فطلبنا منه الإذن للإنصراف معللّين بأنك اليوم مشغول لحد زائد، و لما خرجنا من الباب وجدنا المستر " *دهيبر بهائى* " رئيس حزب المؤتمر ينتظر نوبته للزيارة، فاعتذرنا إليه لما تحمل من المشقة والعناء لأجلنا، فانبرى يقول : لا بأس، فإن هذا البلاط يقدم الشعراء و الأدباء و يؤثرهم على رجال السياسة دائما•

كان ذلك هو لقائى الأخير مع مولانا آزاد، و هو لايزال ماثلا أمام عينى، كأنه حديث الأمس•

و بعد ذلك شاهدت ـ عن بعد ـ جسده الميت محملا بالأزهار، فى صباح التاسع و العشرين من فبراير سنة ١٩٥٨م، و ذلك عندما كان ينقله حشود هائلة من ملايين الهنود و الأجانب فى سيارة، إلى المثوى الذى سيثوى به كل إنسان فى يوم من الأيام لا محالة•

كانت أمام عينى جموع غفيرة من ملايين النفوس تبكى و تصيح، و تعول و تنشج، و كان معلق الإذاعة ينشر أنباء رحلة مولانا آزاد النهائية، بصوت

حزين و لهجة كئيبة مخنوقة ... و الهاتف السماوى يقول : كُلّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ.. وَ كُلّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ •

تعريب : عبد الستار سلام القاسمى

الهوامش :

١- شاعر أردى شهير

٢- سكرتير مولانا آزاد

٣- كان " جوش " المليح آبادى مدير تحرير مجلة " آج كل " الأردية الشهيرة، و كنت أنا نائبه، و قد كان من عادته لدى تأهبه لمقابلة أحد أنه كان يقول لى -إذا كان فرحا نشيطا- : تعال معى حتى تزوره أنت أيضا • و قد سنحت لى أول فرصة لزيارة جواهر لال نهرو برفقته•

و صادف مرة أن السيدة " ساروجنى نائيدو " كانت نزيلة بقصر الرئاسة بدهلى الجديدة، فذهب " جوش " للقائها و استصحبنى أنا كذلك، و هنا أتيح لى أن أشاهد ناحية مشرقة من حياة هذه السيدة الرفيعة القدر، حيث أنها ذكرت بنفسها، " ساغر نظامى " (الشاعر الأردى الشهير) فى اثناء الحوار، و سألت " جوش" عن وضعه الاقتصادى، و بعد أن ردّ عليها " جوش" بأن " ساغر " يعانى هذه الأيام من المصاعب المالية بعض الشىء، و يقاسى نوعا من الضيق و العسر، أمرت سكرتيرها بأن يسجل هذا الأمر و يذكّرها به بعد وصولها إلى مدينة " لكناؤ" ، و قالت سوف أصنع ما أستطيعه فيما يتصل بـ " ساغر " • و قد سردت هذه القصة فى كتاب " نشان منزل " بالوضوح و التفصيل•

كان ميزات سيرة " جوش " البارزة أنه كان يسعى أن يهيىء لزملائه المقابلة مع الشخصيات التى تتأهل لتقدير و تشجيع الفن و الأدب بصورة من الصور، و لذلك خيّل إلىّ فى البداية أنه هو الذى يريد أن يستصحبنى إلى مولانا آزاد حتى ألتقى به•

٤- أول ديوان شعر للكاتب•

٥- ديوان آنند كمار : نائب رئيس جامعة البنجاب آنذاك•

نظرة على العلاقات
بين المولانا آزاد و جواهرلال نهرو

بقلم : محمد ضياء الدين الأنصارى
مكتبة مولانا آزاد - بجامعة عليجر الاسلامية

إن ظهور المولانا آزاد و الباندیت جواهر لال نهرو على أفق السياسة فى الهند حدث من أعظم الأحداث السياسية و ألمعها • فقد كان إجتماع هذين القائدين العظيمين سببا لإستقلال الهند و خروجها من قعر المذلة و العبودية و تخلصها من نير الاستعمار • كان الزعيمان من صانعى الهند الحديثة و من أولئك الذين غيروا مجرى التاريخ فى الهند • إنهما لم يؤثرا على الجماهير فى عصرهما فقط • بل على الأجيال التالية أيضا • و لذلك هما يعتبران من أبرز الشخصيات فى العالم •

كان المولانا آزاد فارسا لميدان الدين و الأدب إلى جانب حنكة فى السياسة • إنه كان صاحب قلب كبير و نظرة ثاقبة و أفكار نيرة و نظريات عالية و كان راسخ العزم مثل الهملايا و طاهر القلب مثل ماء زمزم و رفيع الفكر مثل السماء و متوقد الذهن مثل الشمس و متدفق الأفكار مثل الأنهار و عميق العلم مثل البحار و متنور العقل مثل الشموع و صاحب الفضل مثل الأشجار الظليلة و حلو الكلام مثل العسل و جميل الطبع مثل الأزهار المتفتحة •

دخل السياسة أيام شبابه المبكر فى عام ١٩٠٥م، و إنضم إلى حزب الثوريين فى البنغال بقيادة القائد الثورى المشهور شيام سندر شكرورتى • إن الظروف فى أول الأمر لم تكن مواتية للمولانا و لكنه حسنها بذكائه الخارق و فكره النير و نظرته الثاقبة • و أقام لنفسه مجدا رفيعا و تبوأ مكانا مرموقا بين الزعماء • زار المولانا فى ذلك الوقت الشرق الأوسط حيث إجتمع مع الثوريين العرب و الأتراك فهم تأثروا به و هو تأثر

بهم• و لما رجع إلى الهند أراد أن ينشر تلك الأفكار فأصدر من مدينة كلكتا جريدة أسبوعية بإسم " *الهلال* " و هكذا خرج صوت المولانا من كلكتا ليصل إلى كل أنحاء البلاد• و لكن لم ترض الحكومة الانجليزية بما كانت تهدف إليه تلك الجريدة فوضعت فى سبيلها عراقيل كثيرة حتى أوقفتها من الصدور• و فى عام ١٩١٥م إستولت على مطابعها• و لكن همة المولانا لم تبرد بمثل هذه الحملة الفاشلة• فقد أصدرها بإسم " *البـــلاغ* " • و الحكومة أيضا بدورها لم تلبث أن شنت هجوما عنيفا عليه و نفته من كلكتا و منعته من الدخول فى ولايات اترا برديش و البنجاب و دلهـــى و بومباى• فقرر الاستقرار فى مدينة رانشى فى بيهار• كان المولانا قد دخل السياسة فى ذلك الوقت من أوسع أبوابها• فى رانشى أيضا أعتبرت نشاطاته عصيانا و تمردا فأعتقل فى نفس المكان• إنه ظل فى المعتقل لمدة ثلاث سنين و ستة شهور حتى أفرج عنه فى الأول من يناير ١٩٢٠م• كانت حركة التحرير فى ذلك الوقت قد عمت طول البلاد و خاصة ضد قانون " *رولت* " فإشترك المولانا فى هذه الحركة و صار من أكبر زعمائها و هنا قابل لأول مرة المهاتما غاندى فى ١٨/ يناير ١٩٢٠م•

دخل البانديت نهرو السياسة فى عام ١٩١٨م• صارت للمولانا روابط وطيـــدة مع الزعماء الكبار مثل شيخ الهنـــد مولانا محمـــود حســـــن و المهاتما غاندى و الحكيم أجمل خان و البانديت موتـــــى لال نهـــرو و الدكتـــور مختار أحمد الأنصارى• كل هؤلاء الزعماء كانوا معترفين بشخصيته و آرائه السديدة و أفكاره النيرة و ذهنه الناضج• كان المولانا يكبر من نهرو سنا و مكانة• لأنه عمل فى ميدان السياسة مع والده البانديت موتى لال نهرو، لذلك كان نهرو يحترمه و يبجله، كما يقول المولانا :

> " *منذ بداية عملى فى حزب المؤتمر كنت مرتبطا بصداقة متينة مع نهرو• كانت آراؤنا متطابقة كان بعضنا يساند بعضا بدون أى أثر للمنافسة أو الحسد فيما بيننا• فى الحقيقة كنت مرتبطا بعلاقات أخويـــة و ودية مع أسرته منذ زمن أبيه موتى لال نهرو• إعتبرته إبنا لأخى و هو عاملنى كصديق لأبيه* "

كان كل الزعماء فى حزب المؤتمر معترفين ببصيرته السياسية و كفائته فى القيادة فاختاروه رئيسا للدورة الخاصة المنعقدة فى دلهى فى عام

١٩٢٣م• و ما كان سنه انذاك يزيد على ٣٥ سنة• حتى ذلك الوقت لم يكن أحد من كبار الزعماء مثل غاندى و مولانا محمد على جوهر، و السيدة سروجنى نائدو و السردار بتيل و الدكتور مختار أحمد الأنصارى قد تولى هذا المنصب الرفيع• نعم كلهم أختيروا لهذا المنصب و لكن بعد المولانا• هذا إنما يدل على أهميته و مكانته فى مثل هذا السن الصغير•

كان نهرو ـ كما قلنا ـ أصغر منه سناً و منزلة و لكن لما وقف كل منهما فى صف واحد للقيام بعمل واحد، زال هذا الحاجز و سادهما الإخلاص و المودة على أسس متساوية•

كان نهرو قد تثقف ثقافة غربية لأنه مكث و تعلم فى إنجلترا مدة طويلة، و لكنه ظل نموذجا حياً و مثالا رائعا للثقافة الشرقية و بهذا السبب كانت شخصيته محل إحترام كبير لدى الجميع و إن هذا الاحترام لم يمنع نهرو من معارضة بعض آرائه• فعارضه فى جلسات حزب المؤتمر مرات عديدة و لكن فى حدود الإحترام• يقول المولانا فى هذا الصدد :

> *" يتميز جواهر لال نهرو بطبيعته بالسماحة• إنه لايعرف التنافس و لا الحسد إلا أن بعض أقربائه و أصدقائه ما كانوا يحبون هذه العلاقات الوطيدة المبنية على الإخلاص و المودة بيننا• فحاولوا زرع بذور الشك و الخلاف للتفريق بيننا و فعلا لمست فى إجتماع للجنة التنفيذية لحزب المؤتمر فى بومباى أنه يعارض كل آرائى و موافقى• حاول نهرو أن يثبت أن الموقف الذى إتخذته تجاه البنجاب ليس صحيحا، و ذهب إلى حد القول أنه (المولانا) حط من شأن الحزب "*

لكن ما لبث أن استدرك خطأه و حاول تصفية الجو و إزالة كل الظنون الخاطئة• ثم بعد ذلك لم يحدث مثل هذا أبدا• ثم يقول المولانا :

> *" كنت مقيما عند الأخ " بهولا " فزارنى جواهر لال نهرو صباح يوم و أكد لى بكل إخلاص أنه لم يكن يعنى من معارضة آرائه أن زعامته لم تعد جديرة بالثقة• و اعترف بكل صراحة انه لم يستطع أن يفهم المسألة جيدا، ثم قال " لننس ماحدث "*

و بعد ذلك لم تحدث مثل هذه الخلافات بينهما بل تعززت أكثر من ذى

قبل خلال أيام الاعتقال فى قلعة أحمد نكر• و فى هذه القلعة كتب المولانا كتابه الشهير" غبار خاطر" و ألف نهرو كتابه (Discovery of India)• فى هذين المؤلفين نجد أن كل واحد منهما يذكر الآخر بكل إخلاص و مودة• فمثلا يقول المولانا فى رسالته بتاريخ ١٥/ أغسطس ١٩٤٢م المطبوعة فى الكتاب :

> *" لايزعجنى شىء فى هذا الوقت الهادىء إلا شخيـــرة (نهرو) و هو نائم بالغرفة المجاورة لى• و أحيانا يتمتم بالإنجليزية• و المعروف أن مثل هذه التمتمة لاتصدر إلاّ ممن تغلب عليه الحماسة"*

كان المولانا يعتمد على نهرو كثيرا و يطلب منه المساعدة فى بعض أعماله• فمثلا لما قرر الذهاب إلى مصيف للإستجمام، إنتخب مسورى لهذا الفرض• و لكن ما كان هناك سكن متوفرا فى ذلك الوقت فكتب إلى نهرو يقول :

> *" لأصدقائى بيوت عديدة فى مسورى و لكنها ليست خالية الآن• فهل لك أن تهيىء لى سكنا هناك؟ أنا مستعد لدفع الإيجار له• فهيّأ نهرو له غرفة فورا• إلا أن المولانا لم يستطع أن يسافر إلى مسورى بل إضطر إلى أن يسافر إلى نينى تال لبعض الأسباب• فكتب المولانا من نينى تال إلى نهرو يطلب منه الحضـــور و السكن معه لبضعة أيام و ذلك لإعداد تقرير للجنة التخطيط"*

فيتضح من هذا أن المولانا آزاد كان يحب نهرو حبا جما و لم يكن يحتمل الافتراق منه• و مما زاد على تعزيز المودة بينهما هو تطابق آرائهما فى الشئون السياسية•

كان المولانا يريد من هذه الصداقة تدريب نهرو من وجهة نظره• نعم برزت فيما بعد بعض القضايا السياسية التى عارض فيها نهرو رأى المولانا• و لكنه ما لبث أن إستدرك خطأه و صححه•

كان المولانا آزاد معترفا بغزارة نهرو العلمية و موهبته النادرة• و قد عبر عن رأيه بهذا الصدد أمام الجميع كما تتضح ذلك من رسالته التى كتبها من كلكتا بتاريخ ٢٧/مارس ١٩٤٠م إلى البانديت نهرو• إنعقد اجتماع المؤتمر الوطنى السابع و الستون فى رام كره– برئاسة المولانا•

و إن الكلمة إلتى ألقاها المولانا بوصفه رئيس الجلسة كانت بالغة الأهمية و الخطورة من جميع النواحى• فبلغت فيها بصيرته السياسية و دقة أفكاره و شمولية آرائه و وسعتها إلى الأوج• و ذلك فضلا عن أهميتها الأدبية• فهى جديرة أن تعتبر نموذجا رائعا للنثر و الانشاء الأردى• فيها سيل جارٍ للخيال تجرى داخل ألفاظ و كلمات رائعة مؤثرة• فكان من الصعب ترجمتها إلى أية لغة أخرى و خاصة إلى لغة غربية بطريقة تبقى فيها الروح الأصلية مع كل الميزات الأدبية و اللسانية• و لكن الباندیت نهرو جعل هذا العمل المستحيل ممكنا• فقد ترجم تلك الخطبة إلى الإنجليزية بحيث بقيت فيها كل سمات الأصل• فأعجب المولانا بالترجمة اعجابـــــا شديدا• و أثنى عليه ثناءا عاطرا• و كتب له فى رسالة له بتاريخ ٢٧/مارس ١٩٤٠م مايلى :

" تأثرت بالغ السرور ببراعة مقدرتك فى الترجمة فقد وجدتك مدهشا جدا و وجدت الترجمة أحسن بكثير مما كنت أتوقعها• إنك أنجزت عملا فى وقت قليل جدا ما لايقدر عليه بعض العباقرة فى هذه الأيام "

ثم كتب المولانا رسائل عديدة نوه فيها مزايا نهرو، أهمها شجاعتـــــه و ذكاءه و صلاحيته العلمية و كفاءته النادرة فى إدارة الأمور و مثاليـــــته و نزاهته و إيمانه بالعلمانية و الديمقراطية و المساواة و تكافو الفرص لكل مواطن هندى• على أى حال هذا لايعنى أن المولانا أحبه حبا أعمى بل كان ينتقد عليه و يصححه كلما وجد إعوجاجا أو إنحرافا فى خطواتـــــه أو خطأ فى رأيه• و إن نهرو أيضا كان يحسب له حسابا كبيرا و يعطيه مكانة يستحقها كزميل كبير له• فقد كان منذ البداية معترفا بتبحره العلمى و ثقافته الواسعة و توقد ذهنه و تفهمه للقضايا و المسائل و كان متأثرا جدا بالمولانا، فقد عبر عن هذا التأثر فى العديد من كتاباتـــــــه و خطبـــــــه و خاصة فى كتابه المشهور (Discovery of India) الذى ألفه خلال إعتقاله فى قلعة أحمد نكر•

إن نهرو لما يشير إلى الحركات الإصلاحية و الإجتماعية عند المسلميـن و ما أداه المولانا محمد على جوهر و السير سيد أحمد خان و المولانا آزاد من خدمات جليلة، نراه متأثرا جدا بالمولانا آزاد أكثر من تأثره بالآخرين• أنظر يقول :

" إن عام ١٩١٢م لعله على جانب كبير من الأهمية فى

تاريخ النهضة الفكرية و الذهنية بالنسبة لمسلمى الهند حيث أنه صدرت فى هذا العام جريدتان عندهم• إحداهما " الهلال " باللغة الأردية و ثانيتهما (Comrade) - الرفيق - بالإنجليزية• الأولى كان يحررها أبو الكلام آزاد (الرئيس الحالى لحزب المؤتمر) و عمره أربع و عشرون سنة آنذاك• تلقى المولانا علومــه فى الجامع الأزهر فى القاهـــــرة• ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى صار معروفا فى الأوساط العلمية لغزارة علمه و تخصصه فى اللغتين الفارسية و العربية• إنه كان على علم تام بما كانت تجرى من حركات إصلاحيـــــة فى العالم الإسلامـــــى وكذلك كان مطلعا على الأحوال و التيارات السائدة فى البلاد الإسلامية• بفضل نظرته العقلية و تبحره فى العلوم الإسلامية كتب تفسيرا للقرآن الكريم إصطبغ بصبغة عقلية• إنه فى جانب كان غرقا فى الثقافـــــة و التقاليد الإسلامية و فى جانب آخر كان على صلة شخصية بكبار زعماء مصر و تركيـــا و سوريـــــا و الفلسطين و العـــراق و إيـــران و بالتغيــــــرات و الإتجاهات السياسية و الثقافية هناك• إنه كان مشهورا جدا فى البلاد الإسلامية بفضل كتبــــــه و تأليفاته• كان مناصرا كبيرا لتركيا و مؤيدا لها فى كل حرب خاضتها• و كان واسع الأفق، و دقيق النظر و سديد الرأى• لم يتأثر أبدا بأفكار الزعماء الاقطاعيين و نظرياتهم الطائفية الانفصالية الضيقة• مما صار مناصرا للقومية الهندية• رأى نشاة القومية و نموها فى تركيا و البلاد الإسلامية الأخرى فنظر إلى الحركة القومية فى الهند بنفس النظرة"

ثم يقول عن جريدته " الهلال " :

" إتخذ أبو الكلام آزاد أسلوبا جديدا له فى جريدته الأسبوعية " الهلال " ليس التجدد فى آرائــه و أفكاره فقط بل يوجد فى أسلوبه أيضا الذى تميز بالقـــــوة

والحيوية؛ نعم نرى فيه بعض الأحيــــان الدقـــة والغموض ولكن ذلك بسبب غلبة الفارسية عليه• هو يختلق تراكيب جديدة لأفكار جديدة، إنه ترك أثرا ملحوظا فى تطوير اللغة الأردية• العلماء المتزمتون لم يكونوا راضين عنه فكانوا ينتقدون آراءه وأفكاره• إلا أن أحدا منهم لم يستطع أن يجاريه فى العلوم الدينية• لأن علمه بالقرآن والأحاديث كان أعمـــق وأوسع منهم• كان ذهنه معجونا مركبا من آراء الكلاميين من العصور الوسطى وعقلية القرن الثامن عشر والتيارات العلمية فى العصر الحاضر"

وبعد ذلك يتحدث نهرو عن مقدرة المولانا كقائد وزعيم سياســى فيقول :

" أثبت المولانا أنه لاتعارض بين الإسلام والقومية العربية، وصاغ هذه الفكرة صياغة جديدة• وبذلك حدث التقارب بين الرابطة الإسلامية (مسلم ليـــك) والمؤتمر الهندى• إنضم المولانا آزاد إلى الرابطة الاسلامية فى ١٩٠٦م عندما كان شابا يافعا "

طبعا لم ينظر ممثلو الحكومة الإنجليزية إلى جريدة " *الهلال* " بنظرة الرضا والاستحسان فضيقوا عليها الخناق حتى إستولوا على مطابعها• هكذا ماتت الجريدة بعد حياة دامت سنتين فقط• فأصدر المولانا جريدة أخرى بإسم " *البلاغ* " ولكن هى الأخرى أغلقت بعد إعتقال المولانا فى عام ١٩١٦م•

ولما خرج المولانا من السجن بعد أربع سنين نال مكانا مرموقا بين زعماء حزب المؤتمر• وأصبح عضوا فى اللجنة التنفيذية للحزب مع حداثة سنه• وكانت لآرائه قيمة كبرى وخاصة فى الأمور السياسية والقوميـــة والطائفية وشئون الأقليات• تولى مرتين رئاسة حزب المؤتمر وقاســى آلام السجون مدة طويلة• كان المولانا والبانديت نهرو معا فى سجن أحمد نكر من ديسمبر ١٩٤٢م إلى يونيو ١٩٤٥م• فى هذه المدة تأثر كل واحد منهما من الآخر• ويتبين هذا من مطالعة كتبهما " *غبار خاطر* " للمولانا و (Discovery of India) لنهرو•

يقول نهرو عن المولانا فى يوميته فى ٢٥ ديسمبر ١٩٤٢م :

" كم هناك تباين بيننا • إن المولانا إنسان محيّر للعقل من نواح عديدة • فخزينة علمه وسيعة جدا، و دماغه حاد كالموسى، و عقله جبار • أنا أختلف معه فى أمور عديدة و لكن مع ذلك يوجد بيننا تآلف و صداقة • عندى قيمة كبيرة لآرائه • هو قليل الاختلاط و التحدث مع الناس و قد غطس شخصيته بحجاب كثيف • هو مجمع للقديم و الحديث، و عبقرى مهذب، هو على علم تام بالعصر الحاضر • لكن جوهر ثقافته تبقى فى القرن الثامن عشر • إنه ينسجم مع متطلبات الحاضر، و لكن روحه تظل فى القرن الثامن عشر • هو إنسان عبقرى و رجل فذ و لكن مع كل ذلك يمنعه شئ من التمتع بهذه الخزائن • لعل السبب فى ذلك يرجع إلى أنه فلسفى كبير أو فيه حساسية مفرطة، كل هذه الأشياء موجودة فيه، إنما ينقصه شئ آخر إذن ما هو؟ أنا لا أعلم • لعله كَبِرَ قبل الأوان • و بلغ الرشد قبل بلوغه الوقت المناسب له • هو ليس عجوزا أبدا و لكن مع ذلك فيه عمق التفكير و بعد النظر • هو لا يندفع وراء العواطف • إنه يعد عالما موثوقا به منذ أن كان إبن ١٤ سنة • و كما أعرف ، أنه كان يتحدث عن الأخلاق و الفلسفة فى ذلك السن • سيطرت عقليته على صلاحياته الأخرى و لكن ليس معنى هذا أنه ظل فى معزل عن التيارات السائدة • انه إنسان لطيف و حكيم مهذب لحد لا يمكن لأحد أن يتفوق عليه"

ثم يقول نهرو فى يوميته فى الثانى من إبريل ١٩٤٢م :

" يبدو المولانا كئيبا محزونا منذ يومين • فقد بلغه أن حالة زوجته خطيرة • لا أعرف إلى أى حد حالتها خطيرة • إنه لا يفاتحنا فى مثل هذه الأمور • قد يكون سبب حزنه المباحثات التى جرت فى مجلس العموم البريطانى أو فى مجلس دلهى • كما ليس من

المستبعد أن تكون الأحداث التى جرت فى الآونة الأخيرة فى الهند، سببا لحزنه• و لكن لم يحدث شئ جديد فى تلك المباحثات• فالحكومة (الانجليزية) تحاول أن تبرر كل الأعمال غير المشروعة• و ليس بمقدورنا نحن أن نعمل شيئا تجاه هذه الأعمال• فهذه الأمور قد تكون سببا لقلق المولانا أو موقف أولئك الهنود الذين يتولون مناصب عليا فى الهند من الحكومة البريطانية و دعمهم لها"

هم كانوا فى السجن• و فى السجن يحاول كل واحد أن يختلط برفقائه لكى يأتنس معهم و يخفف عنه ألم الوحدة• و لكن المولانا فى هذه الحالة أيضا يتجنب مخالطة الناس حفاظا على هيبته• لذلك لايستطيع أحد من الزعماء مثل جواهر لال نهرو و الدكتور سيد محمود و آشاريا نريندر ديو و كوبند ولاب بانت أن يتخطى حدود الأدب للتكلم معه• يتكلم معه نهرو ساعات عديدة و يتبادل الآراء معه حول الأمور الهامة• لم يكن يستطيع أن يتجاوز حدود الأدب و اللياقة• كما يكتب نهرو فى يوميته فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٣م :

" أما أنا فأكون دائما خاسرا إلى حدما، فإننى لا أستطيع أن أكون حرآ فى التحدث معه كما أعمل دائما مع الناس الآخرين• فعلىّ ان أراعى النظام والاحترام"

كتب نهرو عن إنطباعاته هذه عن المولانا فى ١٩٤٣م• كانت هذه الفترة مملوءة بالأحداث فى تاريخ الهند• فقد نالت الهند حريتها فى عام١٩٤٧م بعد جهود و تضحيات جسيمة قدمها المؤتمر الهندى طوال مدة ستين عاما فى سبيل تحريرها• فى الفترة الأخيرة من الكفاح كانت زمام الأمور فى يد المولانا• و فيها برزت حوادث كبيرة• مثل حركة الرابطة الإسلامية التى بسببها انقسمت الهند، و أصبح الأقرباء أجانب، و الأصدقاء أعداء• إلا أن الصداقة بين نهرو و المولانا آزاد لم تضعف أبدا • بل ظل نهرو يعتبر قيادة المولانا بركة و ضرورية فى كل مرحلة لمصلحة البلاد• لذلك إتخذه نهرو وزيرا للتعليم فى وزارته بعد إستقلال الهند• و كان يستشيره فى كل أمر هام و يقيم لآرائه وزنا كبيرا كعادته كما يتضح ذلك من عمل نهرو عند إنعقاد مؤتمر اللغة الأردية فى فبراير ١٩٥٨م• فقد كان نهرو ضيفا للشرف

و المولانا رئيسا للمؤتمر• وصل نهرو إلى مقر المؤتمر قبل وصول المولانا• فلما وصل المولانا وقف نهرو إحتراما له و ترك له مكانه، و لعل أهم شئ، يدل على الإحترام الذى كان يكنه نهرو للمولانا هو خطابه الذى ألقاه فى البرلمان تأبينا له إذ يقول :

" سيدى الرئيس : لقد كان دائما من مسئوليتى فى هذا المجلس أن أقدم إجلالا و ثناء و أنوه بذكر رفقائى الأعزاء و الزعماء الأجلاء إثر وفاتهم• فما علىّ إلا أن أؤدى هذا الواجب اليوم أيضا• إننا إجتمعنا اليوم لنذكر تلك الشخصية الفذة التى إرتحلت عنا فجأة• إنها لم تترك قلوب أعضاء البرلمان فقط محزونـــة و مغمومة و إنما أصابت أفرادا لا حصر لهم بالغـــم و الحزن• لقد جرت العادة أن نقف عند وفاة كل عظيم لنقول أن الفجوة التى حدثت بموته لا يمكن أن تمتلئ بأى حال من الأحوال• هذا القول قد يكون صحيحا إلى حدما بالنسبة للآخرين و لكنى أريد أن أقول و أنا على يقين من أن هذا الكلام لصحيح تماما بالنسبة للمولانا• أنا لا أقول إنه لن يولد فى الهند رجل عظيم بعد ذلك• فقد كان فينا رجال عظام و سوف يولدون فى المستقبل أيضا و لكن اسمحوا لى أن أقول أن ميلاد شخصية عظيمة متصفة بمثلما كان المولانا يتصف لا يبدو ممكنا سواء أ كان فى الهند أو فى أى مكان آخر"

"إننى لست فى حاجة إلى أن أعد مكارمه و محاسنـــه أو أن أذكر ما كان قد أوتى من علم غزير و فضل عظيم• فالكل يعرف أنه كان حقاً رجلا فاضلا و كان كاتبا كبيرا و خطيبا بارعا و عالما متبحرا• إجتمعت فيه عظمة الماضى و الحاضر معا• كان ممثلا لأولئك العباقرة و العظماء الذين خلدوا أسماءهم فى التاريخ• فهو يذكرنى عن عظماء عصر النهضة الأوروبيـــــة و صانعى التاريخ الذين مروا قبل الثورة الفرنسيـــة و هو يذكرنى عن رجالات العقل و العمل من العهد

السالف• نحن اليوم قد أحرزنا تقدما هائلا فى كل الميادين حتى إننا نسعى للوصول إلى القمر• و لكن لا يوجد فينا ذلك الإخلاص النزيه و الخلق العظيـــم و التسامح العميم التى كان المولانا يتصف بها و التى تجعل الحياة سعيدة قيمة•
إنه كان نموذجاً حياً للحضارة الهندية العريقة التى تتكون من ثقافات عديدة و التى تطورت على مر الزمن• أنا لا أقول ان يصبح كل واحد مثل المولانا ليمثل تلك الحضارة• ففى الهند ممثلون عديدون لها فى مختلف أنحاءها• إنما أريد أن أقول ان المولانا كان خير ممثل لها• إنه كان مثل نهر جرى لكى يندمج فى بحر الحياة الطبيعية الهندية•
على أى حال نحن نؤبن وفاة إنسان ترك فجوة كبيرة لا يمكن ملؤها بل إنها سوف تتسع و تتعمق بمرور الزمن• و لكن علينا أن نواجه هذه الصدمة بكل شجاعة و ثبات و بطريقة إيجابية و ذلك بأن نكرس أنفسنا للأعمال التى تركها لنا لكى نكملها"•

تعريب : شميم الحسن أمانة الله

مولانا أبو الكلام آزاد
و صلته بالعلامة شبلي النعمانى

بقلم : محمد أكرم الندوى
دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ

هذان العلمان البارزان من الكواكب النيرة اللامعة فى سماء الهند الحديثة، تجمعهما وحدة الذوق و انسجام الفكر و توافق المذهب و الرأى، تفرقهما مظاهر هذا الفكر و المذهب و لعل ذلك راجع إلى ما بينهما من اختلاف فى العهد، فقد كان العلامة شبلى النعمانى يكبر مولانا آزاد بنحو إحدى و ثلاثين سنة •

كانت ثورة سنة ١٨٥٧م نقطة تحول فى تاريخ المسلمين فى الهند، فقد انهزم فيها المسلمون و تمت سيطرة الانجليز على البلاد، و كانت الفترة التى تلتها فترة يأس قاتل و تشتت فكرى مشين، و رأى القادة المسلمون أن العدو يفوقهم فى العدة و العتاد، و خافوا أن تغزو الحضارة الغربية الوافدة الحضارة الإسلامية، فركزوا عنايتهم على تأسيس مراكز و مؤسسات علمية و دينية تقوم بنشر العلوم الإسلامية و الثقافة الدينية و إعداد رجال يحاربون المستعمر فى مجال الغزو الفكرى و يشنون هجمات شنعاء على أوكار الهدامين و يناضلون فى سبيل طرد الحكم الأجنبى من البلاد، و هذه المؤسسات تتمثل فى المدرسة الإسلامية دار العلوم بديوبند، و مظاهر العلوم بسهارنفور، و دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ و غيرها من المدارس و الجمعيات •

و كانت طبقة أخرى من القادة المسلمين ترى أنه لابد للمسلمين أن يأخذوا من الانجليز ثقافتهم و علومهم و آدابهم، حتى يشيدوا صرحهم الداخلى، و أما الاستقلال فيأتى بعد ذلك تبعاً، فلا إستقلال لجاهل أو مخروق، و إنما عماد الاستقلال العلم، العلم بالدنيا و الدين، و كان يمثل

هذه الطبقة و يرأسها السيد أحمد خان الذى ترجع إليه يقظـــة المسلمين و نهضتهم فى الغالب•

و كل من درس حياة العلامة شبلى النعمانى قبل احتكاكه بالسيد أحمد خان و بعده، وجد بين المرحلتين اختلافا كبيرا• فهو فى المرحلة الأولى عالم دينى شبـــه متزمت لايهتم إلا بنظامه الضيق من العمـــــــل و الكتابة عن الخلافات المذهبية و بعض الشئون الدينية التى لاتمت إلى الحياة العامة بصلة ما، و لكنه حينما احتك بالسيد أحمد خان تفتقت قريحته و تفتح عقله و اتسع أفقه، و أصبح فكره عالميا بعد أن كان محليا، إلا أنه استطاع بعلمه أن يحذر نفسه من التاويلات الدينية المتعسفة التى كان السيد أحمد خان يدعو إليها، و موجز القول أنه استقى من المصدر القديم ثم من المصدر الحديث فعاد جامعا بين القديم و الحديث معتدلا متوسطا، و هذا الذى دعاه إلى تأسيس هيئة ندوة العلماء فى جماعة من العلماء، فندوة العلماء تمثل فكره القويم المعتدل أصدق تمثيل•

و نريد أن ندعم ما ذهبنا إليه من أن العلامة شبلى النعمانى كان يدين فى تربيته الفكرية للسيد أحمد خان، بشهادة من مولانا أبى الكلام آزاد، ركز العلامة السيد سليمان الندوى فى كتابه " *حياة شبلى* " على أن العلامة شبلى النعمانى كان مستقلا فى فكره و عقله• فعلق على ذلك مولانا أبو الكلام آزاد بقوله " لاتصح هذه الدعوى، فان العلامة شبلى النعمانى كان مدينا فى تكوينه الفكرى للسيد أحمد خان" يقول العلامة شبلى النعمانى بنفسه " لما كان النزاع بينى وبين السيد أحمد خان شديداً فى آرائه الديِّنية فندت آراءه و مع هذا لا أُنكر فضل أسلوبه العالى الذى استخدمه فى شرح أفكاره، فكان أسلوبا رائعا منقطع النظير، مملوءا بالفكاهة و التنادر الظريف•

إن ما قدمناه يكفى للدلالة على أن العلامة شبلى النعمانى كان يمثل مدرسة أدبية و علمية و فكرية جامعة وسطا، و هذه الميزة تتجلى بارزة فى جميع من تلمذوا عليه أو صحبوه أو استفادوا منه كمولانا أبـــى الكلام آزاد و العلامة السيد سليمان الندوى و مولانا عبد البارى الندوى•

تؤكد الوثائق التاريخية أن مولانا آزاد لقى العلامة شبلى النعمانى لأول مرة سنة ١٩٠٤م فى بومبائى فى قفوله من رحلته إلى العالم الاسلامى(١) و كان هذا اللقاء نقطة لتوطد العلاقة و توثق الصلة بينهما•

و لكن تاريخ التعارف بينهما يرجع إلى ماقبل ذلك بسنوات، و قد جرت

بينهما المراسلات، و كان العلامة شبلى النعمانى يرى آزاد قبل أن يلقاه رجلا طاعنا فى السن من أجل كتاباته الأدبية العلمية القيمة التى نشرت فى الصحف و المجلات المختلفة و التى لاتصدر إلا عمن برع فى الكتابـــة و برز فى الدراسة و حنكته الخبرات و التجارب و من هنالك نرى أن العلامة شبلى النعمانى حسب آزاد فى أول لقاء معه فى بومبائى أنه ابن لمولانا أبى الكلام آزاد، يحكى مولانا أبو الكلام آزاد قصة هذا اللقاء التاريخى بلسانه فيقول :

" لقيت أول مرة العلامة شبلى النعمانى فى بومبائى سنة ١٩٠٤م و تناولت معه أطراف الحديث طيلة نصف ساعة تقريبا فلما ودعته قال لى : فأبو الكلام أبوك؟ قلت لا بل أنا أبو الكلام "(٢)

و كذلك كان كل من لم يره يحسبه رجلا كبير السن، تقول : الزعيمة الأديبة الهندية المعروفة بالسيدة " سروجنى نائيدو" إن آزاد ولد و هو إبن خمسين سنة •

كان هذا اللقاء تاريخيا، جرب فيه العلامـــة شبلى النعمانـــى مولانا أبو الكلام آزاد، و اختبره حتى اقتنع بعلمه و فضله و نبوغه و سمو فكره، وسعة دراسته و نفاسة ذوقه، جماله الظاهرى و جماله الباطنى، يقول مولانا أبو الكلام آزاد :

" إن أشد ما تأثر به العلامة شبلى النعمانى هى سعة دراستى و رغبتى الملحة فيها• فقد كنت درست آنذاك سائر المؤلفات العربية الحديثة، و كان العلامة راغبا فى دراسة كثير من هذه الكتب، و يظـــن أنها لم تطبع بعد"•

هنالك عرف شبلى المتفرس الفاحص مولانا أبا الكلام آزاد، و قدّر مستقبله اللامع و اقتنع به و قال : "إن عقل آزاد و ذهنه أعجوبة من أعاجيب الدهر، يجب علينا أن نعرض هذه الأعجوبة فى معرض علمى"•

و رأى العلامة شبلى أن هذا الشباب اليافع سيكون خير مساعد له فى نشاطاته العلمية و الأدبية، فطلب العلامة منه أن يرتبط بادارة مجلة "الندوة" الصادرة عن دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ و كان يرأس تحريرها و هو مقيم فى حيدر آباد كعميد للعلوم و الفنون، فلم يجب مولانا أبو الكلام آزاد طلبه، و لكن لما استقال العلامة شبلى عن وظيفته فى حيـــدر آباد

و وصل إلى لكناؤ كعميــد للشئون التعليميــة لندوة العلماء فى إبريل سنة ١٩٠٥م، و ركز جلّ عنايته و اهتمامه على اصلاح نـــدوة العلمــاء و تطويرها، و إصدار مجلة " الندوة " لسان حال ندوة العلماء، هنالك انتقل ذهنه مرة أخرى إلى مولانا أبى الكلام آزاد، فكتب إليه أن يوافق على مشاركته فى إدارة " الندوة " و لم يستطع مولانا أن يرفض طلبه هذه المرة، و كتب موافقته، و قد كتب مولانا أبو الكلام آزاد تفصيل ذلك بنفسه حيث يقول :

> " *و استقال العلامة المرحوم، و كتب إلىّ أنه يريد أن يقف حياته على ندوة العلماء، فعزمت العقد هذه المرة على أن أجيب دعوته، و وصلت إلى لكناؤ، و جعلنى مشاركا فى إدارة " مجلة "الندوة" و أقمت بلكناؤ نحو ستة أو سبعة أشهر*"(٣)

فانضم إلى لجنة إدارة " الندوة " فى شهر أكتوبر سنة ١٩٠٥م، و أقام بندوة العلماء، و توطدت أسباب الاتصال بينهما، و توفرت فرص المقابلــة و المحادثة، و استفاد كل واحد منهما من صاحبه، و وجد العلامة شبلى النعمانى شابا ناهضا واسع الدراسة و الثقافة، و مبتدعا لأسلــوب خاص و كاتبا قديرا و ذكيا فى شخصية أبى الكلام آزاد، كما أن مولانا أبا الكلام، كان فى أمس حاجة إلى رجل بلغ الذروة فى العلم و الفضـــل و النبــوغ، و ضرب به المثل فى سعة الدراسة و ملك زمام النثر و الشعر فى آن واحد، حتى يستفيد من تجاربه و خبراته وسعته العلميــة، و يوجه استعداداتـــه و كفاءاته الموهوبة توجيها رشيدا، و لاشك فى أن مولانا أبا الكلام آزاد يدين فى كتاباته الفصيحة البديعة للعلامة شبلى النعمانى الذى يعتبر أحد أساطين الأدب الأردى فى الهند، يكتب مولانا أبو الكلام آزاد و هو يتحدث عن صحبته للعلامة شبلى النعمانى :

> " *كنت أرافق دائما العلامـــة، و كان يستيقظ مبكراً، و كنت قد تعودت على ذلك منذ صباى، قضيت فى رحاب الندوة فصل الشتاء، فكنت أدخل فى غرفته فى الساعة الرابعة صباحاً، و نتناول الشأى، ثم نتجاذب أطراف الحديث حول المواضيع العلمية و الأدبيـــة، و كان العلامة ينشد الأبيات الفارسية بلهجته الخاصة، ثم نناقش حولها، و كنا نخرج مساء للتنزه و التجــول*

و نقضى الوقت فى الأحاديث العلمية و الأدبية، و إنها مجالس و مصاحبات لن أنسى لذاتها و متعها طول حياتى، و لقد استفدت منها كثيرا، دفنت مع العلامة المرحوم بجانب فضائله و مآثره الكثيرة° هذه المصاحبة الممتعة التى لم أظفر بها بعد موته فى أى ناحية من نواحى البلاد و لا فى أى دائرة من الدوائر العلمية و الأدبية و دفن معه ذوقه العلمى، الذى يتسم بالاتساع و الأخذ من كل شىء بطرف"(٤)

أقام مولانا أبو الكلام فى دار العلوم لندوة العلماء من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٥م حتى مارس سنة ١٩٠٦م و طبعت له خلال هذه المدة المقالات التالية :

١- الغرب و الثروة العلمية للمسلمين...... (عدد اكتوبر سنة ١٩٠٥م)
٢- المرأة المسلمة .... (أعداد نوفمبر و ديسمبرسنة ١٩٠٥م و فبراير سنة ١٩٠٦م)
٣- الأخبار العلمية .... (أعداد ديسمبر سنة ١٩٠٥م و يناير و فبراير سنة ١٩٠٦م)
٤- حاجة دار العلوم لندوة العلماء إلى مكتبة علمية (عدد فبراير سنة ١٩٠٦م)
٥- القضاء فى الإسلام .... (عدد فبرايرسنة ١٩٠٦م)
٦- تعليم البكم فى أوربا .... (عدد مارس بسنة ١٩٠٦م)

يكتب العلامة السيد سليمان الندوى و هو يعلق على هذه الفترة التى قضاها مولانا آزاد فى الندوة :

" من مفاخر الندوة أنها أعدت رجالات برزوا و نبغوا فى العلم و الفن و لاتزال مفاخرهم و أعمالهم علماً يهتدى به فى الظلمات، فشارك مولانا أبو الكلام آزاد فى إدارة مجلة "الندوة " فى الفترة مابين اكتوبر سنة ١٩٠٥م و مارس سنة ١٩٠٦م، و لم يكن قد ذاع صيته فى الدوائر العلمية حتى ذلك الحين لقى العلامة شبلى النعمانى و كان هذا اللقاء تاريخيا جعل ابا الكلام مولانا أبا الكلام، ثم استصحبه إلى الندوة، فأقام مولانا آزاد معه و استفاد من مجالسه

العلميــة و الأدبية و ظل يتقدم نحو الأمام بخطوات حثيثة بناءا على ما طبع عليه من استعـــــداد غريب و كفاءة نادرة"(٥)

لاشك أن مولانا أبا الكلام آزاد كان قد برع فى الصحافة قبل أن يقابل العلامة شبلى، بدأ حياته فى اللغة الأردية شاعراً لم يلتفت إليه، و أصدر مجلة دورية باسم " نيرنك عالم " و لكن توقف صدورها بعد نهاية شهور، ثم اتجه إلى النثر و ملك ناصيته و فتح فيه فتحاً مبينا و بدأ ذلك فى الصحف المختلفة التى أنشاها أو كتب فيها، و لكن ازدادت معارفه اتساعاً و عمقا حين اتصل بالعلامة شبلى النعمانى و سرى إليه ذوقه الأدبى العلمى الخاص الذى تمتاز به كتبه و مؤلفاته و مقالاته، فعالج بهذه اللغة فى مجلة " الندوة " و المجلات و الصحف الأخرى التى أنشأها أو اتصل بها موضوعات لم تكن تعالج فيها قبل السيد أحمد خان و العلامة شبلى النعمانى، وبذلك أخذ الأدب الأردى يشق طريقه إلى التقدم•

ثم ان أبا الكلام آزاد اقتدى بالعلامة شبلى النعمانى فى ترقية العلـــم و الأدب باللغة الأردية و لكنه لم يكن مقلداً لأسلوبه تماماً، بل اتخذ أسلوبا يجمع بين السلاسة و الجزالة و الفخامة لاتعقيد فيــــه و لا تكلف، و اختار الألفاظ الجياشة العاطفية و الاستعارات و الكنايات البدعية التى توفر لذة و متعة للسامع و القارى•

و تعددت موضوعات كتاباته، فطرق كل موضوع و عالجه معالجة من يلقى عليه ضوءاً كاملاً لايتركه حتى يكون واضحاً جليا فى جميع جوانبه•

ثم وجه الناس إلى العناية بهذه اللغة و آدابها، و نقل كثيرا من خير الأداب العربية إليها، و كان له رأى فى الترجمة إلى اللغة الأرديـة بديع، و هو عدم التقيد بالحرفية فى الترجمة، و يرى أن هذا أسلوب واه ضعيف•

و كان العلامة السيد سليمان الندوى من أنجب تلامذة العلامة شبلى النعمانى، و لكنه كان يقدم عليه مولانا أبا الكلام آزاد، و تؤكد ذلك عدة قصص، و قد روى بعضها العلامة السيد نفسه كذلك، فدرج فيما يلى قصة منها كتبها الشاه معين الدين الندوى فى "حياة سليمان" يقول :

" كان العلامة السيد سليمان الندوى يعرف لمولانا أبى الكلام آزاد عقله و فكره و ذكاءه و بديهته و علمه وسعة نظره، و قد سمع كاتب هذه السطور غير مرة عنه يعترف بذلك ذكر لنا مرة أن العلامة شبلى

النعمانى طلب منى أن أعد مقالا عن الامام البخارى رحمه اللّٰه فبذلت جهدا كبيرا فى إعداده، ثم قدمته إليه، و لكنه لم يعجبه، بينما نحن كذلك، إذ دخل مولانا أبو الكلام آزاد فطلب منه أن يكتب حول هذا الموضوع، فلم يقم بأى إعداد و إنما ألقى نظرة على مقالى، و أعد المقال و قدمه فى اليوم التالى إلى العلامة شبلى، فقال : "المقال هذا"(٦)

إن المقالات التى دبجها الكاتب البارع مولانا أبوالكلام آزاد فى مجلـــة "الندوة" زادت صيته ذيوعاً و انتشاراً، و أعجبت بها الدوائر العلمية، و بدأ الناس يتساءلون من كل جانب عن شخصيته، كتب مرة العلامة شبلى النعمانى إلى الأديب الأردى القدير المعروف المهدى الأفادى :

" لعلك قد اطلعت على آزاد فى صحيفة " المخزن" وغيرها، فالقلم نفسه، و لكن إقامته هنا زادته اتساعا فى المعرفة و العلم"(٧)

و إن القصة التالية تلقى الضوء على مدى تأثر العلامة شبلى النعمانى، فقد زار العالم المصرى المعروف العلامة رشيد رضا الهند سنة ١٩١٢م على دعوة من ندوة العلماء، و عقد اجتماع تاريخي فيها فى ١/٦ابريل سنة ١٩١٢م، دعا العلامة شبلى للمشاركة فيها مولانا أبا الكلام آزاد بصفة خاصة، حتى يقوم بترجمة خطبة العلامة رشيد رضا إلى اللغة الأردية، فقام بهذا العمل أحسن قيام، و أثر فى قلوب الحضور و المستمعين، و لعل العلامة شبلى يكون كذلك قد اعتز باختياره، يقول العلامة السيد سليمان الندوى و هو يتحدث عن تفاصيل هذا الاجتماع، لقد ظهرت فى هذا الإجتماع مناظر غريبة لبداهة مولانا أبى الكلام و إرتجاله، و قدرته على الكلام، كان يقوم بترجمة خطب العلامة رشيد رضا فيثير بكلامه الساحر الأخاذ هزات فى القلوب •(٨)

ثم ان مولانا أبا الكلام آزاد انعزل عن " الندوة " لبعض الأسباب، و لكن ظلت العلاقة بينهما مخلصة و متوطدة، و كان كل واحد منهما يستشير من صاحبه و يرجع إليه فى مشاكله و قضاياه التى تواجهه، و تدل على ذلك المراسلات بينهما •

يكتب العلامة شبلى فى إحدى رسائله إلى مولانا أبى الكلام آزاد :

" أخى! بقدر ما ازداد، اقتناعا بحبك و كرمك، ازداد

فقداً للثقة بانتقادك و تدقيقك، فإنك ترى مجالس
ممتعة و تفضلها على مجالس الأخرين"

و كتب إليه فى رسالة أخرى :

" لقد تغالبنى دائما فكرة زيارة كلكته! و لكن كيف
السبيل إلى ذلك، فلا أنفك عن حمل عدة رفوف من
الكتب من أجل تاليف " السيرة "

كان العلامة شبلى النعمانى من المحبين الميتمين للنبى صلى الله عليه وسلم، و كان له شغف خاص لسيرته الميمونة المباركة، فخطط لتأليف كتاب ضخم شامل حول السيرة معتمدا على المصادر الموثوقة بها، و أكمل جزئين من هذا الكتاب فى حياته، و فرغ من تأليف جزئه الأول سنة ١٩١٣م، و تشرفت صحيفة " الهلال " التى كان يصدرها مولانا أبو الكلام آزاد، بأن تنشر بعض صفحات منه، و علق عليه و كان لمولانا أبى الكلام آزاد تعليقا طويلا، نقتبس فيما يلى بعض أجزائه المهمة :

" لعل المتابعين للصحيفة يعرفون أن شمس العلماء
العلامة شبلى النعمانى مشتغل بخدمة علمية دينية
عظيمة أى تاليف كتاب جامع شامل فى السيرة
النبوية، لم يؤلف مثله فى اللغات الأردية و العربية
و التركية، و لكن لايقدر العراقيل و الصعوبات فى
هذا السبيل إلا قليلون، فالحق أن هذا العمل لم يكن
لينهض به شخص واحد مهما بلغ من الفضل و النبوغ
ذروتهما، فإنه يتطلب بجانب الكفاءة و العقل،
الجهد و الوقت كذلك، كان من الضرورى الواجب أن
يؤسس مجمع علمى مكون من خيرة العلماء الأفاضل
يعمل على منهج المجامع العلمية الغربية، و لكن
باللأسف الشديد فقد نعانى من قلة القلوب و الأفكار
على السواء، و إن الرجال لايصاغون فى آلة
ميكانيكية "(٩)

و فى آخر أيام حياته لما يئس العلامة شبلى من حياته كان يغالبه هم و قلق شديدان فى شأن إتمام كتابه " سيرة النبى " حسب الخطة التى رسمها، فبعث برقيات إلى مولانا أبى الكلام آزاد، و مولانا حميد الدين الفراهى، و مولانا السيد سليمان الندوى كتب فيها :

" لو زرتنى خلال هذه المدة لتحقق أمر " سيرة النبى"
فإنى أخشى أن تذهب جهودى هدرًا، و لو كان السيد
سليمان الندوى هنا لفسرت له الخطة بكاملها"(١٠)

و هذه البرقية بعث قبل وفاته بأربعة أيام، و من سوء الحظ أن مولانا آبا الكلام آزاد لم تصل إليه البرقية على حينها! إلا أن السيد سليمان الندوى وصل إلى العلامة فأوصاه باتمام " السيرة " فأنفذها خير إنفاذ، كتب السيد سليمان الندوى و هو يستعرض هذا اللقاء الأخير•

" و لم نعرف شيئا عن مولانا أبى الكلام آزاد، تسلم
البرقية أم لا، أما أنا فكنت آنذاك فى بانكى فوره،
و غلبنى — من دون اشعار سابق — الشوق إلى زيارة
العلامة، و شددت الرحل صباحاً و من دون أن أخبر
أحداً ، و لكن يا ويلاه، وصلت مساء ١٥/ نوفمبر،
وكانت قوته قد نفدت، وقفت قريبا من رأسه و عيناى
تسيلان الدموع، ففتح عينيه و نظر إلىّ متحسراً،
و أشار إلىّ بيديه أن ماذا بقى الآن؟ ثم نطق بلسانه
ان ماذا الآن، ثم سقوه بعض الأدوية، حتى جرى فى
جسمه تيار من القوة، فأخذ يدى بيده يستوثق منى
و قال: " السيرة " بضاعة حياتى، أترك الأعمال كلها
و اعكف على تأليف " السيرة " فقلت فى صوت نحيب
"لابد ولابد"(١١)

فوفى السيد بعهده، و أتم تأليف السيرة على المستوى الذى نهج عليه العلامة شبلى النعمانى•

و كما أن العلامة شبلى النعمانى، كان قد أخذ بسحر ذكاء مولانا آزاد و بديهته و وسعة دراسته و غزارة علمه، كذلك كان مولانا آزاد يشيد بعلمه و فضله، يكتب مولانا آزاد فى إحدى رسائله إليه فى ١٦/ أكتوبر سنة ١٩١٩م :

" يا مولاى الجليل ! تسلمت " التعليقة الميمونة"
كتبت إلىّ أنى لا أرد على الأمور المهمة تساورنى
الدهشة و الاستعجاب، هل فى رسائلك شىء غير مهم،
يا ليتنى لقيتك، فتحدثت إليك بأحاديث كثيرة، إن

قلبی تطرأ علیه أحوال غریبة، لكن یاللأسف لا أری أنی
یمكننی أن أتشرف بلقائك فی وقت قریب" •

كیف الوصول إلی سعاد و دونها
قلل الجبال و دونهـــــن خیوف

إن الرسالة التالية التی كتبها مولانا أبو الكلام آزاد إلی مولانا الأمیر حبیب الرحمن الشیروانی تكفی للدلالة علی ما كان قلبه یضمـــــر من حب و إجلال و تقدیر تجاه العلامة شبلی النعمانی :

"إن إشادة العلامة شبلی النعمانی بغزلك أكبر شهادة تظفر بها فی هذا العهد ـ فقد كانت شخصیة مجموعة غریبة من المظاهر المختلفة من النبوغ و الفضل، فقلما یمضی علیّ شهر لاتؤرقنی فیه ذكراه مرتین أو ثلاث مرات، تغیب عنا، فدفنت معه مجالس العلم و الفـــــن، كان یقوم صباحاً كل یـــوم و كان والدی المرحوم قد عودنی علی ذلك منذ صبای، و كانت هذه العادة المشتركة قد نظمتنا فی سلك واحد من الألفة و الأنس، كلما اجتمعنا كان السحر وقت المتعة و اللذة لنا، تناولنا الشایٔ، تجاذبنا أطراف الحدیث حول موضوعات العلم و **الفن** و الشعر و الأدب، كان یحتل مكانة عالیة خاصة لذوقه و فكره فی كل واد من العلم و یا له من جامع للمحاسن، طلب العلم علی المنهج القدیم، و لكن لم یصبه مس من التزمت و الجمود، و إن جفاف الطبیعة التی هی من موبقات هذا الطریق كان بعیداً عنه بعداً تاماً، و من الصعب العسیر أن نظفر بمثال له فی معرفة الشعـــــــر و التذوق بهء و لم یختم الشعر الفارسی فی الهند علی الغالب، بل علی العلامة شبلی، و لقد خطر ببالی غیر مرة أنه لو أعار اهتمامه بالشعر لما كان أدنی منزلة من الأستاذ غالب، ثم ان غالبا لایقول الشعر إلا فی المجال الضیق من الغزل و المدح و لكن العلامة بجانب احتفاظه بالذوق السامی للشعر الفارسی شق آفاقا جدیدة فی الفكر و الخیال، لیشهد علی ذلك شعره الوطنی فیمكننا أن نقول إنه أوّل شاعر سبق إلی تعریف الشعر الفارسی إلی جانب الاحتفاظ بأسلوب الشعری بالآفاق الجدیدة، و یتجلی ذلك واضحا بدراسة الشعراء الوطنیین الایرانیین فی العصر الحدیث، فلایعدو أن یكون كلاماً فارغاً " •

و كتب مرة مولانا أبو الكلام آزاد عنه فی مجلة " الندوة " عدد ابریل

سنة ١٩١٠م :

" إن شبلى النعمانى يقوم الآن بخدمة جليلة غالية
فاقدة المثال تجاه لغتنا و أدبنا، و علومنا و ثقافتنا،
لا يستطيع العالم الإسلامى بأسره أن يجزيه بأياديه"

هذا استعراض موجز للعلاقة بين عالمين بارزين من أعلام الهند الحديثة يلقى ضوءاً كافيا على انسجامهما الفكرى و وحدتهما الذوقية، و تفوقهما فى مجال العلم و الأدب.

المصادر:

١- انظروا " حياة شبلى" ص : ٤٤٤، و " مولانا أبو الكلام فكر و فن " ص : ٤٤-٤٥ و " آزاد كى كهانى خود آزاد كى زبانى " ص : ٢١٢

٢- " آزاد كى كهانى خود آزاد كى زبانى " ص : ٢١٢

٣- المصدر السابق : ص : ٣١٤- ٣١٥

٤- المصدر السابق : ص : ٣١٥

٥- " حياة شبلى " ص : ٤٤٣-٤٤٤

٦- " حياة سليمان " ص : ٦٤٧-٦٤٨

٧- " رسائل شبلى " ص : ٢/٢٣٤

٨- " حياة شبلى " ص : ٥٠١

٩- صحيفة " الهلال "ص : عدد ٢٢/ يناير سنة ١٩١٣م

١٠- كان العلامة شبلى النعمانى رسم خطة لتأليف كتاب شامل عن السيرة النبوية تتوفر فيه شروط البحث و التحقيق، فألف منه جزئين حتى وافاه الأجل، و ألف الأجزاء الخمسة الباقية تلميذه النجيب العلامة السيد سليمان الندوى.

١١- " حياة شبلى " ص : ٧٢٢

صلـــــــة مولانا أبى الكلام آزاد
بالعلامة السيد سليمان الندوى

بقلم : آفتاب عالم الندوى
دارالعلوم ندوة العلماء بلكناؤ

إن صلة مولانا أبى الكلام آزاد بالعلامة السيد سليمان الندوى صلة وثيقة وطيدة، تحمل اعتبارات متنوعة و قديمة جدا، ذلك أن العلامة السيد سليمان الندوى من تلاميـــــذ العلامة شبلى النعمانى أحد مؤسســـ ندوة العلماء و مجمع" دار المصنفين " و الذى يعتبر من رواد التعليـــم و أحد أساطين اللغة الأردية و أبرز المصلحين الإجتماعيين، كما أن مولانا أبا الكلام آزاد ارتوى أيضا من منابع علومه، و نهل من نمير فكره، و تربى فى أحضان عنايته، فهما إذن زميلان، و قد عاشا مدة من الزمن كزميلين فى رحاب دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ و ساعده العلامة السيد سليمان الندوى فى إدارة صحيفة " الهلال " بكلكتا، و زاول معه نشاطا ملموسا فى مجال الانتفاضة السياسية و الأعمال الوطنية و الشئون الدينية المختلفة، كما أنهما متقاربان فى المكانة العلمية الفكرية و القيادة الدينية، و بناء على هذه الروابط الوثيقة• فقد جرت بينهما مراسلات ودية أخوية و علمية أدبية، مما شكل بينهما علاقة وثيقة لم تزل تتوطد بالحب الزائد و الثقة المتبادلة•

صلة الحب و الإخاء :

إن علاقة مولانا أبى الكلام آزاد بالعلامة السيد سليمان النـــدوى أولا و قبل كل شىء علاقة ودية أخوية، بل علاقة شقيقين، يتجلى ذلك من جميع أعماله و نشاطاته العلمية و السياسية التى أنجزها مع السيد الندوى بدءا

من مرافقته فى محيط دار العلوم ندوة العلماء و مرورا بزمالته فى مساعدة رئاسة التحرير لصحيفة " الندوة " لسان حال ندوة العلماء و العمــــل فى " الهلال"، و انتهاءا إلى مشاركته فى دعم الانتفاضة السياسية و ممارسة الأعمال الوطنية، و الخدمات الدينية، و قد كسدت هذه العلاقات لمدة قصيرة فى الوسط لأجل بعض الشبهات التى أثيرت حوله لدى العلامة الندوى، و لكن ما إن انقشعت هذه الشبهات حتى عادت العلاقات بينهما كأقــوى و أوثق ما كانت عليه من قبل، كما أشار إلى ذلك فضيلة الشيخ عبد الماجد رئيس تحرير " صدق " و صاحب تفسير القرآن الكريم فى مقدمة تأليفه " مكتوبات سليمانى"(١)

و يدل على أن علاقته مع العلامة الندوى علاقة ودية أخوية ما كان يبثه فى رسائله إلى العلامة الندوى من أحاديث مفعمة بالحب و الهيام و بعيدة عن كل تكلف و اصطناع، حيث يكتب إليه فى إحدى رسائله يقول :

" كيف قلت إننى أنساك و لعل العلاقات القلبية الودية لاتتوقف على تواصل المراسلات و استمرارهـــا، و ثِقْ بأن وحدة المشرب و توافق الوجهة و توارد الفكر فى خضم هذا الجهل السائد و الفساد المنتشر لرابطة قوية وثيقة بحيث إن حاول أحد منا أن ينسى الآخر ما استطاع :

أريد لأنســـىٰ ذكرها فكأنما
تمثل لى ليلى بكل سبيــــل (٢)

و يكتب إليه فى رسالة له بتاريخ ٢٧/ يناير ١٩١٥م من كلكته يستهلها متمثلا ببيت الشاعر :

عجبت لمن يقول ذكرت الفـى
و هل أنسىٰ فأذكر من هويــت

صديقى العزيز الأجل !

عدت صباح أمس من السفر و قرأت رسالتك، لعلك سبقتنى فى توجيه العتاب و الشكوى إلىّ، لكى لايبقى لى المجال لذلك.

بينى و بينك فى المحبة نسبة | مستورة من أهل هذا العالم
نحـن الذان تفارقت أُرواحنـــا | من قبل خلق اللّٰه طينة آدم

على كل حال تصور أنى زميلك و رفيقك، و أستعد لخدمتك كل حيـــــن و آن، من الأسف الشديد أن لاتسنح لنا فرص اللقاء، ليت الله أتاح لنا فرص الإجتماع •(٣)

تحت رعاية العلامة شبلى النعمانى :

إن العلامة شبلى النعمانى أحد مؤسســى ندوة العلماء و مخطط مجمع " دار المصنفين " و أحد أساطين اللغة الأردية و الذى يعتبر من رواد التعليم و التربية و النهضة العقلية و الفكرية فى بداية القرن التاسع عشر فى الهند، و أبرز المصلحين الاجتماعيين قدم فى رحاب ندوة العلماء كوكيل التعليم فى ١٥/صفر ١٣٢٢هـ المصادف ابريل ١٩٠٥م فابتهج الطلاب بقدومه الميمون و إقامته فى رحاب ندوة العلماء و تهللت وجوههم بشرا، حتى عقدوا حفلات و ألقوا كلمات ترحيبية، و قرض السيد سليمان الندوى قصيدة فارسية معروفة عبر فيها عن الارتياح و السرور البالغ الذى غمر وجوه الطلاب عن أخرهم•

و بما كان يتمتع به العلامة شبلى النعمانى من الذكاوة البالغة و نفاذ البصر و سلامة الفكر و سداد الرأى و حسن التوفيق فى تربيـــــة الطلاب و تنمية الكفاءات و تثقيف المواهب بأروع حد ممكن، فلم يلبث أن جمع حوله عدة طلاب أذكياء نجباء، و بدأ يربيهم على حب العلم و الدراسة المضنية و المطالعة الرصينة و الخطابة الرنانة و الكتابة الموضوعية الواعية، و من سعادة الحظ أن العلامة السيد سليمان الندوى و أبو الكلام آزاد كليهما ممن تربوا فى أحضان رعايته الخاصة و نهلوا من منابع علومه و معارفه و أرووا غلتهم من العلم و الدراسة و الخطابة و الكتابة بل وقيادة الشعب فى مختلف مجالات الحياة•

كمساعدين لرئيس تحرير مجلة " الندوة " :

و كان العلامة شبلى النعمانى من حسن **تربيته للطلاب** و تنميته لكفاءاتهم العلمية و الفكرية أنه عندما أصدر **مجلة " التدوة "** الأردية لسان حال " ندوة العلماء" من لكناؤ لم يحجزها **لنفسه بل فوض** مساعدة إدارتها إلى الطلاب النجباء الذين لمس فيهم جراثيم الوعى و النجابة و بذلك هيأ

لهم فرصا مواتية ليثقفوا كفاءاتهم العلمية و الفكرية و ينموا مواهبهم الكتابية و يتدربوا على سليقة الكتابة الجادة و العرض الموضوعى، فلعبت مجلة " الندوة " دورا بارزا فى رفع مستوى الطلاب العلمـــى و الفكرى و تزويدهم بالسليقة الأدبية الرائعة و تدريبهم على التعبير عما يدور فى خلدهم فى أسلوب يستهوى القلوب و يلفت الأنظار، و ذلك بما تضمنته من مواضيع مستجدة نابضة بالحياة، مثل إحياء العلوم الاسلامية و التطبيق بين المعقول و المنقول، و المقارنة بين العلوم القديمة منها و العصريـــة، و تعديل المقررات الدراسية فى المدارس العربية وغيرها من المواضيع الحديثة، كما أنها نفخت روحا جديدة فى صفوف العلماء الساكنة و أحدثت ثورة فى آراء العلماء و أفكارهم كما يتحدث عن ذلك العلامة السيد سليمان الندوى :

> " إنها أحدثت ثورة فى آراء العلماء، و مهما كرهت نفوسهم و تقطب جبينهم، لكنهم قرؤوها و اضطروا إلى أن يقرؤوها، و من أهم حصائدها أنها فتحت أمامهم باب المواضيع الحديثة، و عرفتهم بطرق جديدة لخدمة العلوم الاسلامية، و زودتهم بأساليب جديدة من البيان و اللسان"(٤)

و من مفاخر مجلة " الندوة " و آثارها الخالدة أنه كم من الكتاب الخاملين حازوا بها صيت الدنيا العلمية و برزوا على مسرح العلم و الفن، و لاتزال تدوى الأرجاء بمكارمهم العلمية و إنتاجاتهم الرائعة و ترتج بها منارات المعاهد و المجالس و الجمعيات، و الجدير بالذكر منهم العلامة السيد سليمان الندوى و مولانا أبو الكلام آزاد، حيث اشتغلا فى مجلـــة " الندوة " كمساعدىْ رئيس التحرير زمنا، أما أبو الكلام آزاد فقد عمل فيها منذ اكتوبر ١٩٠٥م إلى مارس ١٩٠٦م، و لم يكن آنذاك أحرز صيته فى الأوساط العلمية، و إنما لقى العلامة شبلى النعمانى فى بومبائى سنة ١٩٠٥م فدعاه إلى ندوة العلماء، و وضعه تحت رعايته و عنايته الخاصـــة، و كان مولانا آزاد يتساهم فى المجالس العلمية الفردية منها و الإجتماعية، و لم يزل يتقدم و يقطع أشواطا بعيدة فى الرقى و الازدهار و النضـــج و الرصانة بفضل مواهبه الطبيعية الفريدة حتى أصبح منشأ صاحب أسلوب فاتن رائع و كاتبا مترسلا بديعا فى اللغة الأردية، و ذلك ما تجلى بأروع مظاهره فى مجلة " الهلال "٠(٥)

و دبّج مولانا أبو الكلام آزاد أول مقالة له فى مجلة " النـــدوة " بعنوان " ذخيرة علوم المسلمين و أوربا" و نشرت فى أكتوبر ١٩٠٥م ثم كتب تعليقا مفصلا ردا على ما كتبه قاسم أمين بك المصرى و فريد وجدى المصرى من سفور المرأة و عدم تحجبهن بعنوان " المرأة المسلمة"•

ذاعت شهرته فى أرجاء الهند بمقالاته العلمية و بحوثه القيمة فى صفحات " الندوة " حتى بدأت توجه إليه الدعوات من الصحف و المجلات فانضم إلى الجريدة اليومية " وكيل " الصادرة من أمرتسر(بنجاب)•

و بعد مغادرته إلى أمرتسر ألقى العلامة شبلى النعمانى هذه المسؤلية على عواتق العلامة السيد سليمان الندوى الذى أداها فأحسن، و بما أن "الندوة" كانت تستهدف أيضاً التربية العلمية للطلاب، لذلك مازالت هذه المسؤلية تنتقل من طالب إلى آخر• فتولى هذه المسؤلية السيد سليمان الندوى و عبد السلام الندوى منذ ١٩٠٧م إلى ١٩١٢م فى أزمان مختلفــة، و فيما يلى بعض المواضيع التى كتبها العلامة الندوى أثناء عمله فيها :

سنة ١٩٠٧م : علم الهيئة و المسلمون، إنجيل برنابا، سعة اللغة العربية
سنة ١٩٠٨م : قضية الارتقاء و القرآن الكريم ، إبن خلكان، الإيمان بالغيب
سنة ١٩٠٩م : مكررات القرآن الكريم، المراصد الاسلامية، تحريم الخمر
سنة ١٩١٠م : مكتبة الأسكندرية،
سنة ١٩١١م : الاشتراكية و الاسلام، دين الاسلام و العقل، أسماء القرآن الكريم
سنة ١٩١٢م : العذاب،

مشاركة العلامة السيد سليمان الندوى فى ادارة "الهلال" :

و قد سبق أن ذكرت آنفا أن العلامة السيد سليمان الندوى من تلاميذ العلامة شبلى النعمانى، و مولانا آزاد إرتوى أيضا من منابع علومــــــــه و استفاد من تجاربه، و كلاهما اشتغل فى " الندوة " كمساعد رئيس التحرير فكانا زميلين، لأجل ذلك كله لما أصدر مولانا أبو الكلام آزاد صحيفته الشهيرة " الهلال " سنة ١٩١١م و لم يمكنه فيما بعد أن يعيرها اهتمامه اللائق لكثرة أشغاله السياسية و الأعمال الوطنية طلب من العلامة السيد سليمان الندوى أن يتولى إدارته، فلم يود العلامة السيد سليمان الندوى مغادرة ندوة العلماء و لكن استقالة العلامة شبلى

النعمانى من دار العلوم ندوة العلماء هزته هزا عنيفا و جعلته شريد الخاطر، قليل الرغبة فى ندوة العلماء، كما أن الهلال كانت تنسجم مع طبيعته و وجهة نظره و ظل مولانا أبو الكلام يلح و يصر عليه فاستقال من ندوة العلماء سنة ١٩١٤م و انضم إلى صحيفة " الهلال " يذكر ذلك فى رسالة له بتاريخ ٢٣ مايو سنة ١٩١٤م يخبر فيها السيد عبد الحى الحسنى عن ذلك قائلا :

" أنا الآن فى كلكته، و ما بال مرضك؟ أين أنت الآن؟ و قد انضممت إلى " الهلال " لإلحاح مولانا أبى الكلام آزاد المتواصل، و سأتقاضى الراتب ثمانين روبية شهريا، و الرجاء الزيادة فيما بعد"(٦)

و كان هذا هو الزمن الذى نفذت فيه دول بلقان بمساعدة الدول الكبرى لأوربا هجماتها الشرسة على دولة الخلافة، و توالت عليها النكبات و وقف الغـــرب ضد تركيا لصالح أعدائهـــا مما أهاج شعـــور المسلمين و لاسيما الهند، و كانت هذه الضجة قائمة على قدم و ساق حتى وقع حادث هدم مسجد كانبور فى أغسطس سنة ١٩١٣م الذى أريق فيه دماء المسلمين و أطلق الرصاص على الأطفال الأبرياء، إن هذه الكارثة الدموية أثارت ضجة شديدة فى جميع أرجاء الهند، و ملأت المسلمين مقتا و غضبا، فكتب السيد سليمان فى " الهلال " ١٢/ أغسطس سنة ١٩١٣م بدماء قلبه مقالة بعنوان " مشهد أكبر " (المجزرة الكبرى) يموج فى كل جملة من جملها و كل سطر من سطورها بحر من الحمية الدينية و الغيرة الوطنية الإسلامية، و قد عمل هذا المقال عمل الزيت على اللهيب، فصادرت الحكومة على العدد الذى نشر فيه هذا المقال، و كتب علاوة على ذلك مقالات أخرى فى " الهلال " و لكن بما أنها كانت تماثل كتابتـــه كتابـــة أبى الكلام أسلوبا و سلاسة و عرضا، و كانت أسماء أصحاب المقال لاتنشر، لذا نسبت بعض المقالات عن خطأ إلى أبى الكلام آزاد، كما صرح بذلك السيد سليمان الندوى نفسه فى مجلة "مستقبل" الصادرة من كراتشى فى عددها اكتوبر ١٩٤٩م حيث يقول :

" بما أن أصحـــاب المقالات لاتكتب أسماؤهـــم فى " الهلال " لذا نسب الناشرون لمجموعات مقالات الهلال كل مقالة إلى أبى الكلام آزاد بدون أى تأكـــد و تحقيق، " فالحرية فى الاسلام" و " تذكار نزول

القرآن الكريم "و " صفحة من تاريخ حبشة" و " قصص بنى اسرائيل" و " المجزرة الكبرى " وغيرها من المقالات لى وليست لأبى الكلام آزاد"(٧)

و وجه اللبس يرجع إلـــى أن السيد الندوى حاول محاكاة أسلوب أبى الكلام و قد نجح فى ذلك فعلا، فاصطبغ أسلوبه الجاد بشىء كثير من أسلوبه الخطابى الثائر المتحمس و بدأ يكتب فى أسلوبه الجزل المتدفق كالشلال حتى صعب التمييز فى بعض كتابات تلك الأيام بين ما هو للسيد الندوى و بين ما هو لأبى الكلام آزاد، و تتجلى صبغة أسلوب أبى الكلام آزاد خاصة فيما يلى من كتابات العلامة الندوى :

١ - افتتاحيات عدة أيام بدائية لمجلة " معارف "•
٢ - عدة مقالات متفرقة•
٣ - أرض القرآن•
٤ - لون ضئيل فى " حياة شبلى "•

علاقته بمجمع " دار المصنفين " :

إن مجمع دار المصنفين تذكار للعلامة شبلى النعمانى و هو الذى رسم خطته و كان يحاول أن يكون هذا المجمع فى رحاب ندوة العلماء تحقيقا للأهداف التى تنبتها ندوة العلماء و تربية للطلاب عقليا و فكريا، و لذلك لما انعقد اجتماع ندوة العلماء فى دلهى و قدم فيه تقريره عنها كوكيل التعليم ضغط على تأسيس مكتبة قومية عامة، فان المجمع يتوقف نجاحه المنشود على مثل هذه المكتبة و لكن مسئولى ندوة العلماء عارضوا هذا الإقتراح فشددوا، حتى يئس منهم و قرر إنشاءه فى مديرية" اعظم كره" بولاية اترابراديش، و قد رسم خطته و اختار بعض طلاب أذكياء من ندوة العلماء و لكن لم يتحقق حلمه الذهبى عمليا حتى استأثرت به رحمة الله فتحمل السيد الندوى هذه المسئولية الضخمة و لم يحقق هذا الهدف النبيـــل فحسب بل وسع نطاق هذا المجمـــع و بلغ به إلى أوجه و كان أبو الكلام آزاد لعلاقته مع العلامة شبلى النعمانى، و العلامة السيد سليمان الندوى كذلك شديد العناية بشئونه منذ البداية بل كان هو أيضا ممن أشاروا على إنشائه و هو الذى نشر هذا الإقتـــراح فى صحيفـــة " الهلال " و بثه فى طول البلاد، و كان يتحف مجمع دار المصنفين بآرائه القيمـــة

و مشورته النافعة بين فينة و أخرى، و يعقد به آمالا واسعة و يرى فيه تعبيرا للأحلام التى طالما تطلع إليها أستاذه و مربيه العلامة شبلى النعمانى، كما كان يشجع زميله السيد سليمان الندوى و يحثه على تحقيق الهدف الذى توخاه العلامة شبلى النعمانى من وراء هذا المجمع، حيث يكتب إليه فى رسالة بتاريخ ٢٧/ يناير ١٩١٥م :

" يمكن أن يكون مجمع دار المصنفين بكل يســـــر و سهولة مجمعا قيما واسع النتائج و بديلا حقيقيا لدار العلوم ندوة العلماء بل و أحسن، إنما العمل الأصيل عملك و مادونه فهو فروع و أعمال جانبية فلابد أن يكون الهدف المنشود من حياتك صناعة الرجال"(٨)

و يكتب فى رسالة أخرى :

" لابد أن يكون مركزه فى لكناؤ أو أعظم جره بشريطة أن يكون له فرع واسع فى لكناؤ "(٩)

و يكتب فى رسالة ثالثة أخرى :

" تسلمت " أصول" مجمع" دار المصنفين" التى أرسلتها من أعظم كره و كلها عدا بعض مواده أقــــوم و أنسب، و الآن عليك أن تقوم بتسجيله بسرعة و تبدأ عمله تطبيقيا" (١٠)

و يكتب إليه فى رسالة له يشيد فيها بالأهمية و المكانة التى تتمتع بها مجلة " معارف " و علو كعبها فى مضمار الصحافة :

ما هو الذى تقول عن " معارف" إنما هى وحدها مجلة بما فى الكلمة من معنى، و هى مجلة تتضاءل أمامها جميع المجلات، فالحمد لله على أن أمانى استاذنا العلامة شبلى النعمانى لم تذهب سدى ـ و أصبح المجمع بفضل جهودك المتواصلة مكانا يختص بخدمة العلم و التصنيف و التأليف فقط" (١١)

و كان مولانا أبو الكلام آزاد أحيانا يرسل مقالاته و بحوثه للنشر فى مجلة معارِف، كما يشير إلى ذلك ما كتبه فى إحدى رسائله إلى العلامة السيد الندوى حسبما يلى :

" تنتشر اليوم جهالة جهلاء و ضلالة عمياء بالنسبة لبعض القضايا و قد أردت أن أنشر عنها بحثا وجيزا فى

الجرائد، غير أننى عندما بدأته طال الكلام فاضطررت
إلى أن أرسله إليك، و الرجاء أنك ستنشره فى
" معارف" بعنوان يليق به "(١٣)

ثقة مولانا آزاد بمكانة السيد الندوى العلمية و الفكرية :

كان مولانا آزاد يضع الثقة فى مكانة العلامة السيد سليمان الندوى العلمية و مستواه الفكرى و إلمامه الواسع ما جريات التاريخ و الأوضاع الراهنة و قد كان جرب صدقه و أمانته و حلو عشرته و دماثة خلقه و انفتاح طبعه و انبساط خاطره و بشاشة محياه أثناء إقامته بندوة العلماء و زمالته فى مساعدة رئاسة تحرير مجلة " الندوة " فكان يتمنى دائما أن يساعده العلامة السيد سليمان الندوى، و يقاسمه بعض ما يهمه و يثقل كواهله من أمور الصحافة و إدارة "الهلال"و " البلاغ" حتى يتفرغ للشئون السياسية و الأعمال الوطنية الخطيرة التى تشغل باله و تستحوذ على فكره و عاطفته بين فينة و أخرى، فأحيانا يدعوه إلى إدارة البلاغ و مجمع " دار الارشاد" و أخرى يدعوه إلى إدارة صحيفة " الهلال " و " اقدام" حيث يكتب إليه فى رسالة له قائلا :

" إن مجلة " البلاغ " التى قد تم إصدارها، أجعلها
تحت رئاسة تحريرك، و واصل إصدارها محتفظا
بخصائصها و مميزاتها فى صورة مجلة توجيهية
و دينية خالصة، و قضية أخرى أهم و أخطر من هذا
هى قضية دار الارشاد، إن استطعت أن تواصل
تدريس العلوم الإسلامية و القرآن الكريم فى ضوء
الأسس و المبادئ التى لاتخفى على خبير مثلك فدار
الإرشاد أيضا تحت وصايتك بجميع ما هو عليه،
و سيكون ذلك عملا أعظم و أنبه من السابق"(١٤)

و يكتب إليه فى رسالة أخرى يدعوه فيها إلى إدارة جريدة " اقدام" :

" و بجانب " البلاغ " فقد صدرت جريدة يومية
" اقدام" معتدلة المذهب و مستقلة عن البلاغ تماما،
ستكون هى كذلك تحت رئاسة تحريرك مع هيئة كبيرة
من الموظفين لها"(١٤)

و فى رسالة أخرى يدعوه إلى رئاسة تحرير صحيفة " الهلال " بشىء كثير من الالحاح و التواضع :

" تعال و خذ صحيفة " الهلال " تماما و أشرف على إدارتها كيفما شئت، و لايهمنى إلا أسسها و سياستها التى تتبناها، أفوضها إليك تماما و أتفرغ نفسى لأعمالى ، و لن يعنينى إلا أننى سأرسل إليك مقالاتى و بحوثى "(١٥)

المكاتبات العلمية :

و كانت تجرى بينهما مكاتبات علمية تدور حول القضايا العلمية و المباحث الفكرية و خاصة علوم القرآن و معارفه مما يدل على تماثل مستواهما العلمى و ينم عن روح الثقة و الاعتداد التى كانت تسرى فى رصيدهما العلمى و الثقافى، و قد كانا ارتويا من منابع علوم مولانا حميد الدين الفراهى الذى أوتى شغفا زائدا بالقرآن الكريم و رزق تفهما لأسراره الباهرة و إدراكا لمميزاته الخارقة لم يسبق إليه، فاصطبغت حياتهما العلمية و الفكرية بهذه الصبغة القرآنية الفريدة و انعكس ذلك بطبيعة الحال فى مكاتباتهما التى قلما كانت تخلو من مثل هذه المعانى العلمية حيث يكتب إلى السيد سليمان الندوى فى إحدى رسائله :

" مما يبعث على الارتياح و السرور أنه تم جزء كبير من التفسير " ترجمان القرآن " فى هذه الأيام الفارغة، كما أنه تم إخراج أوراق سيرة الإمام الشاه ولى الله رحمه الله و ترتيبها، و الترجمة تحت الطبع، و الآن أشتغل بكتابة مقدمة وجيزة لهذه الترجمة و ستكون بمثابة مقدمة للتفسير، و تتضمن مبدئيا شيئا كثيرا من مباحث و أمور جديدة "(١٦)

و يكتب إليه فى رسالة أخرى قائلا :

" كل ما كتبته عن أمثال القرآن الكريم صحيح تماما، و لاشك أن الظروف و الملابسات لزمن النزول و طرق التمثيل و بيان العرب الجاهلية كليهما يحتل مكانة حجر الزاوية ليس لفهم أمثال القرآن الكريم فحسب بل

لفهم القرآن الكريم بأسره"• ( )

و يكتب إليه بهذا الصدد فى رسالة أخرى :

" لم أكن فهمت معنى " شهاب ثاقب " كليا، فان هذا النص الغامض يحتمل عدة تأويلات، فاضطررت إلى اختيار مذهب الظواهر و المحدثين : كيفيته مجهول و السؤال عنه بدعة و الإيمان به واجب، لايعلم تأويله إلاّ اللّه، غير أن الذى يبعث على الأمل و الإقدام أنه ورد " إلا من ارتضى من رسول " و قد وفقت لدرجة الأشاعرة المتكلمين بعد استقصاء طويل، و لكن الذين يتطلعون إلى مكانة أصحاب الكشف لعالم الحقائق الأصلية تنكشف لهم الأمور جلية بصورة حقيقية"(١٧)

مشاركتهما فى الأعمال السياسية و الوطنية :

و ها أنا الآن أستعرض مساهمتهما الملموسة فى الأعمال السياسية و الوطنية فان موقفهما تجاه تحرير البلاد من براثن الاستعمار و إعادة الخلافة المحتضرة، و استعادة مجد المسلمين التليد و متابعة ظروفهم السياسية فى الهند خاصة و فى العالم كله بصورة عامة، و إيجاد حلول ناجعة لقضاياهم السياسية، موقفهما من ذلك كله موقف مماثل، و يتوافق إتجاههما فى الأمور السياسية و الأمور السياسية و الأعمال الوطنية، مما يحدونى إلى استعراض نشاطاتهما المشكورة فى مجال السياسة، حتى يتسنى لنا أن نقدر مدى تأصل جذور علاقاتهما و توثق أواصر حبهما •

جمعية الخلافة و عمل أبى الكلام آزاد فيها بالانضمام إلى حزب المؤتمر :

لم تكن قضية انهيار الدولة التركية تهمّ تركيا فحسب بل شكل ذلك خطرا يهدد جميع الأمكنة المقدسة للمسلمين و تشتت شمل المسلمين فى العالم الاسلامى كله، حتى أن أرض الحرم وقعت فريسة سيطرة الانجليز بصورة غير مباشرة، مما أرّق العالم الاسلامى كله و أقض مضجعه لاسيما الهند، فانشئت جمعية باسم " جمعية الخلافة " إعادةً لدولة تركيا •

و بجوار هذه الجمعية كان هناك نشاط علماء الهند الذى انتظم فى

" جمعية علماء الهند" التى تلاقت مع جمعية الخلافة فى أهدافها، كما كان مع هذه المنظمات الإسلامية الخالصة " حزب المؤتمر الوطنى " الذى ضم فى رحابه الهندوس و كثيرا من المسلمين الذين كانوا يرون خلاص الهند فى اتحاد أبنائها ضد المستعمرين، حتى اضطر الانجليز لمصانعتهم و لكن دولة الخلافة مازالت فى انهيار تتوالى عليها النكبات و أخذ الانجليز يديرون ظهورهم للوعود التى بذلوها من قبل للمسلمين، فطفقت نار الكراهية تتأجج فى صدور المسلمين بصورة أشد، و زاد الطين بلة أن أصدر الانجليز قانونا فى الهند سنة ١٩١٩م بعد انتهاء الحرب يبيح لهم الاعتقال و القمع دون تحقيق سمى " بقانون التمرد" فأثار هذا أيضا الهند بكل طوائفها، و عادت تموج على اختلاف أديانها و هيئاتها بالغليان النفسى ضد الإنجليز، فلم يكن من الممكن لآزاد أن يتغافل عما يجرى حوله و لايخاطر بنفسه لإثارة العواطف و تكييف النفوس للصمود فى وجه العدو فاندفع للعمل السياسى بكل ما أوتى من مواهب و كفاءات و اختار العمل مع حزب المؤتمر و أبلى فى ذلك بلاء حسنا و قد أصدر مجلة " الهلال " ثم "البلاغ" و صادف ذلك أن العالم الاسلامى كان يؤرقه آنذاك هجوم إيطاليا على طرابلس الغرب، ثم جاءت بعد ذلك حروب بلقان مع دولة الخلافة و وقوف الغرب ضد تركيا، مما أحدثت ضجة كبيرة فى العالم الاسلامى و أثار ثائرته فكان له فى ذلك صولات و جولات على صفحات " الهلال " المشرقة و استخدم كل ما أوتى من مواهب القلم و اللسان و كفاءات التوجيه و الإرشاد فى إشعار المسلمين بواجبهم نحو الخليفة العثمانى خليفة المسلمين جميعا، حيث كتب فى الهلال بتاريخ ١٦/ سبتمبر سنه ١٩١٢م يقول :

> " إن كل مسلم أينما كان فى أى رقعة من الأرض، إذا كان من أهم واجباته أن يعمل على بقاء الاسلام، فان من فرائضه الدينية أن يحافظ على مكانة الخلافة العثمانية فى قلبه، و أن يعد الدولة التى تعتدى عليها من أعداء الإسلام"(١٨)

حركة تحرير البلاد و عدم الولاء للحكومة :

و فى ذلك الوقت نشطت الدعوة لمقاطعة المستعمر من قبل المسلمين

و الهندوس معا، و تلاقى الاتجاه العام للمسلمين و الهندوس فى إتخاذ موقف موحد عدائى ضد الإنجليز يتمثل فى مقاطعتهم و اعلان عـــدم الولاء أو التعاون معهم، و كان مولانا أبو الكلام آزاد له دور قيادى فعال فى حركة المقاطعة و تحرير البلاد من نير الاستعمار، بل لا أكون مغاليا إذا قلت إنه كان الربان الماهر و العقل المفكر لقيادة هذه الحركة و كان هو الذى يتولى المفاوضات باسم الهند مع الإنجليز، و قد قام من عنفوان شبابه بحركته الاصلاحية التحريرية بين المسلمين و عمل على تحطيم كثير من الحواجز و المخاوف التى كانت تفصل بينهم و بين إخوانهم الهندوس نتيجة لرواسب كثيرة تفاعلت على مر السنين، و لم يزل يعمل مشمرا عن ساق جده و مضحيا بأغلى ما ملكه حتى نالت البلاد استقلالها المنشـــود، و يمكننا أن ندرك مدى تصلب موقفه من مقاطعة الإنجليز بما قاله فى مرافعته أمام المحكمة سنة ١٩٢٢م التى كانت تحاكمه على دعوة للمقاومة :

> " إننى أعلن على مسمع من الحكومة و المحكمة بأننى ارتكبت هذه الجناية ارتكابا، و إن كانت الحكومة لاتعلم ــــ و هى و لاشك تعلم ــــ فلتعلم أننى من أولائك الجناة الذين بذروا بذور هذه الجناية فى قلب أمتهم، و وقفوا حياتهم على سقيها و تنميتهـــــا و تثميرها بل إننى ــــ و لافخر ــــ أول مسلم فى الهند دعا أمته من اثنتى عشرة سنة إلى هذه الجناية دعوة عامة "،(١٩)

و يستطرد قائلا :

> " إننى قد طفت البلاد الهندية كلها عدة مرات خلال السنتين الماضيتين وحدى و مع " مهاتما غانـــدى "، و لاتوجد بلدة إلا و خطبت فيها على مسئلة الخلافـــة و بنجاب و الحرية و اللاتعاون، و لقد انعقدت جمعية الخلافة الكبرى فى ديسمبر ١٩٢٠ مع الحزب الوطنى فى " ناكبور" و جمعية العلماء فى ابريل ١٩٢١م فى بريلى، و جمعية العلماء العامة فى نوفمبر فى مدينة لاهور ... و قد رأست هذه الجمعيات كلها و خطبت فيها خطبا طويلة وقلت فيها ما قلت"(٢٠)

العلامة السيد سليمان الندوى و مساهمته فى السياسة و الأعمال الوطنية :

و نعود الآن إلى العلامة الندوى فنستعرض خدماته السياسيـــــة و إنجازاته الوطنية لنتوصل إلى الخطوط و الحلقات التى تربط بينهما •

و لايخفى على الجميع أن السياسة لم تكن موضوع قلمه و إنما كانت جولاته السياسية و جل شغفه بها يرجع إلى علم كلامه، فنطاق سياستـــه لم يكن إلا امتدادا لذلك• يعنى ذلك أن ما كان يحمله بين جوانحه من حب و هيام بالإسلام و المدنية الإسلامية و التاريخ الإسلامى كان يقتضى بطبيعة الحال أن يحب سيطرة الإسلام و يحنّ إلى انتصاره فى كل بقعة من بقاع العالم، و أن يوُد أن يرى الصورة التى طالما شاهدها فى الكتب يراها متمثلة بأروع أشكالها بين عيْنيه• كما كان يقتضى ذلك فى جانب آخر أن يغمض عينيه عن كل من ينتهك حرمة الاسلام و يدوس زهرة كرامته، هذه هى كانت سياسته، فأكْرِمْ بها من سياسة و أنْعِمْ•

يشهد مولانا شاه معين الدين الندوى مؤلف سيرته بممارسة نشاطاته فى مضمار السياسة و الأعمال الوطنية، حيث يقول :

> " كانت فى تلك الأيام ثلاث حركات سياسية : حزب المؤتمر الوطنى، جمعية الخلافة، و جمعية علماء الهند، و كان السيـــد سليمـــان الندوى يساهم فى أعمال و برامج هذه الثلاث كلها، أما جمعية الخلافـة، و جمعية العلماء فقد كان من أعضائهما العاملين المتحمسيـــن و يهتم بجميع أمورها الهامـــة رأيا و خدمة• و كان يساهم كذلك فى الاجتماعات الهامة لحزب المؤتمر الوطنى و أصبح فيما بعد عضواً للجنته التنفيذية"(٣١)

جمعية الخلافة و خدماته فيها :

تبتدأ نشاطاته السياسية بعضويته فى وفد الخلافة الذى بعث سنة ١٩٢٠م من قبل جمعية الخلافة إلى الاتحاديين فى لندن و فرانس تعبيرا عن عواطف المسلمين و مشاعرهم نحو الخلافة العثمانية•

كان العلامة الندوى قد بدأ صيته ينتشر فى أرجاء الهند بقيام مجمع دار المصنفين و صدور مجلة " معارف " و تأليف " أرض القرآن " و " سيرة النبى " و كان هو وحده من بين علماء عصره يجمع بين القديم و الجديد فاختير لعضوية وفد الخلافة تمثيلا للمسلمين دينيا.

حركة " عدم الولاء " :

قد عرفتم فيما سبق أن نقض الإنجليز لوعودهم و نفاذ " قانون التمرد" قد أحدث فى الهند ضجة كبيرة، و لما لم تول الحكومة هذه القضية أى اهتمام عقد حزب المؤتمر الوطنى اجتماعه الخاص بكلكتا فى سبتمبر سنة ١٩٢٠م تم فيه الاتفاق على قرار " عدم الولاء " للحكومة، و انعقد بعد ذلك بثلاثة شهور الإجتماع السنوى التاريخى لحزب المؤتمر بناكبور فى ديسمبر سنة ١٩٢٠م توثيقا لهذا القرار.

و كانت حركة " اللاتعاون " تتضمن مقاطعة المعاهد الحكومية و رفض المساعدات الرسمية، و كانت دار العلوم ندوة العلماء تتقاضى خمسمائة روبية شهريا، فنشأت مسئلة رد مساعدتها كذلك و كان كثير من أعضاء اللجنة العاملة و لاسيما عضوها الهام مولانا حبيب الرحمن خان معارضا لحركة " عدم الولاء " نفسه، فشهدت قضية رد المساعدة خلافا حادا، و لكن العلامة السيد سليمان الندوى مازال يبذل جهده حتى اتفقت اللجنة على ذلك بعد نقاش طويل.(٣٢)

حركة الخلافة و دور " دار المصنفين " الرائع فيها :

بعد إجتماع حزب المؤتمر بناكبور ارتجت أجواء الهند بحركة عدم الولاء و أصبحت مديرية "اعظم كره " مركزا هاما لها، و صار مجمع دار المصنفين موئلا لكبار زعماء الهند العاملين، و كان مولانا مسعود علي تولى الاشراف على إدارتها فى مديرية " اعظم كره " و إن جميع الزعماء البارزين ينزلون بمجمع دار المصنفين كلما زاروا اعظم كره، فسعد مجمع دار المصنفين بضيافة كبار الزعماء العاملين أمثال مولانا محمد علي جوهر، شوكت علي، الدكتور الأنصارى، غاندى جى، و موتى لال نهرو، و جواهر لال نهرو، و سروجنى نائيدو.

مساهمته الكتابية فى دعم حركة الخلافة :

دعم حركة الخلافـــة و ساندها بكتاباته القيمـــة و دبج يراعـــه مقالات و أبحاثا متواصلة عن الأهمية السياسية و الدينية للخلافة الإسلامية و منها ما نشر فى صورة تآليف مستقلة، و إليكم فيما يلى بعض عناوين ما كتب فى معارف حول الخلافة الاسلامية :

١- الخلافة و الهند ـــ معارف ديسمبر ١٩٢٠م٠
٢- نفوذ الخلفاء المسلمين و أثرهم ـ معارف مارتش ١٩٢١م٠
٣- الحكام الغزنيون و عهود البيعة ـ سبتمبر ١٩٢١م٠
٤- الخلافة العثمانية و العالم الاسلامى ـ أعداد نوفمبـــر و ديسمبر ١٩/ مارتش ١٩٢٢م٠
٥- الخلافة العثمانية و خضوع العالم المسيحى ـ يونيو ١٩٢٢م٠

و بما أن تأثيرات انقراض الخلافة العثمانية لم تكن مقتصرة على الدولة التركية فحسب بل كان خطر تدخل الاتحاديين يهدد الحرمين الشريفيـــن و الجزيرة العربية جمعاء٠ لذلك عالج تدخل غير المسلمين فى جزيرة العرب من الوجهة الدينية فى خطبته الرئاسية ألقاها فى مؤتمر الخلافة ببيهار، و برهن فى ضوء الوثائق التاريخية و الدينية على أن الأرض المقدسة ليس عليها أى حق سوى المسلمين، و كتب فى نوفمبر ١٩٢٣م مقالة طويلة بعنوان " أرض الحرم أحكامها و مصالحها فى نظر القرآن الكريم "٠

جمعية العلماء و تحرير البلاد :

ظل المسلمون وحدهم يتصدرون الموكب إلى مدة طويلة فى جهود تحرير البلاد، و هم المؤسسون فى الواقع لهذه الحركة، و هم أول من رفعوا رأية الجهاد و صمدوا فى وجوه الإنجليز صامدين، و إن هذه الجمعية التى هى حلقة متصلة من تلك السلسلة أنشأها فيمن أنشأها مولانا أبو الكلام آزاد و العلامة السيد سليمان الندوى، و لايخفى على المتابعين أن هذه الجمعية لعبت دورا بارزا فى تحـــرير البـــلاد و قدمت جهودا ملحوظة مشكورة فى ذلك٠

رئاسته لإجتماع علماء بنغالة :

قام برئاسة الإجتماع السنوى لعلماء بنغالة المنعقد فى كلكته سنة ١٩١٧م ، استهم فيه جميع زعماء الهند، و كان اجتماع الرابطة الاسلامية و حزب المؤتمر قد انعقد فى نفس اليوم، لذلك احتل هذا الإجتماع أهمية كبيرة، و ان الخطبة التى ألقاها العلامة الندوى فى هذا الاجتماع ترك آثارا قيمة فى بنغالة، و كانت أول خطبة ذكر فيها السيد الندوى أسماء أبى الكلام – و كان محبوسا آنذاك – وغيرهم بكل همة و جراءة، رغم الظروف المهيبة للحرب، مما أزال مهابة الإنجليز و رعبهم من قلوب الناس.

يتحدث الاستاذ رشيد أحمد الصديقى عن نشاطه السياسى بما يلى :

" ساهم فى السياسة منذ البداية و خاض فى أغوار و أنجاد جميع الحركات السياسية و الوطنية بدأ من حرب بلقان إلى انفصال الهند، و أمن من مفاتنها وغوائلها "(٣٣)

و يقول سعيد أحمد أكبر آبادى :

" مازال يمارس نشاطاته فى حركة الخلافة و تحرير البلاد مع الزملاء العالمين حذو النعل بالنعل، فها هو ذا يسافر إلى خارج الهند، و يحضر المجالس الاستشارية، و يراقب العاملين الوطنيين عمليا "(٣٤)

اشادة السيد سليمان الندوى بمكانة أبى الكلام آزاد :

يشيد السيد الندوى ببعض ما كان يتحلى به أبو الكلام آزاد من محامد و مكرمات فى رسالة تاريخية له كتبها إلى السيد عبد الحكيم الدسنوى أحد أقاربه يشير فيها إلى خطاب وفد جمعية الخلافة و إجتماعه " بوائيسرائى "أى نائب الملك، يقول :

" إن خطاب الوفد يحمل لونا من الثرثرة و التنميق أكثر منه لون الصورة الواقعية، لأن علماءنا المعاصرين بعيدون جدا عن الترفع عن الخلافات، و الاتحاد على رصيف واحد، غير أن أبا الكلام آزاد من

العلماء و حاذق الملك من الزعماء يمتازان فحسب بسداد الرأى، و رزانة الخيال، و سلامة الفكر"(٣٥)

و ينوه بعظمة شخصيته في موضع آخر قائلا :

" لاشك أن تذوق المسلمين الشباب للقرآن الكريم و استساغتهم له مدين لمجلتى" الهلال " و "البلاغ" ، و إن رشاقة الأسلوب و روعة البيان و قوة الكتابة التى استخدمها فى شرح و تفسير كل آية من آيات القرآن الكريم أمام الشباب المتخرجين من المعاهد العصرية كانت كفيلة بأن تفتح لهم آفاقا جديدة من الإيمان و اليقين"(٣٦)

و يذكر الشاه معين الدين الندوى حكاية عن السيد نفسه يعترف فيها السيد سليمان الندوى بعبقرية أبى الكلام آزاد حيث يقول :

" كان السيد سليمان الندوى يعترف تماما بعلم أبى الكلام آزاد الغزير وسعة نظره و ذكاوته البالغة و سرعة خاطره، و قد سمعت منه هذا الاعتراف مرارا و تكرارا، أذكر منها قصة إلى الآن : كان يقول : " ذات مرة فوض العلامة شبلى إلىّ كتابة مقالة على الامام البخارى رحمه الله أيام مساعدة إدارة " الندوة "، فأحضرت إليه المقالة بعد جهد جهيد، و لكنها لم تعجبه، و وصل أثناء ذلك أبو الكلام آزاد فأمره بذلك، إنه لم يستعد لذلك شيئا، و إنما ألقى نظرة على مقالتى و أحضر مقالته إلى العلامة شبلى النعمانى فى اليوم التالى فأعجب بها و حسنها تحسينا" (٣٧)

الهوامش :

١- " مكتوبات سليمانى " للمرتب عبد الماجد الدريابادى، ص : ٩

٢- " مجلة الرياض " الأردية (كراتشى) العدد الخاص بالسيد سليمان الندوى مارس ١٩٥٤م.

٣- مجلة " معارف " الأردية لسان حال دار المصنفين باعظم جره، صفر ١٣٧٣هـ، العدد : ٤ و المجلد : ٧٢ و الصفحة : ٣٠٩)
٤- " حياة شبلى " ص : ٤٤١
٥- " حياة شبلى " بتغيير يسير ص : ٤٤٣-٤٤٤
٦- " حياة سليمان " للشاه معين الدين الندوى، ص : ٥٧
٧- " معارف " مايو ١٩٥٥م العدد : ٥ المجلد : ٧٥ من مقالة السيد عبد الرحمن . ص : ٩
٨- " معارف " العدد : ٤ المجلد : ٧٢ ص : ٣٠٩
٩- " معارف " العدد : ٤ المجلد : ٧٢ ص : ٣١٠
١٠- " معارف " العدد : ٤ المجلد : ٧٢ ص : ٣١٠
١١- " تبركات آزاد " لغلام رسول مهر، ص : ١١٤
١٢- " معارف " العدد : ٦ المجلد : ٧٢ ص : ٤٦٤
١٣- " معارف " العدد : ٥ المجلد : ٧٢ ص : ٣٨٣
١٤- السابق : ص : ٣٨٤
١٥- " معارف " العدد : ٦ المجلد : ٧٢ ص : ٤٥٤
١٦- " معارف " العدد : ٤ المجلد : ٧٢ ص : ٣١٠-٣١١
١٧- " معارف " العدد : ٦ المجلد : ٧٢ ص : ٣٥٦
١٨- " أبو الكلام آزاد " للدكتور عبد المنعم النمر، ص : ١١٢
١٩- " أبو الكلام آزاد " للدكتور عبد المنعم النمر، ص ١٤
٢٠- المرجع السابق : ص : ١٧
٢١- " حياة سليمان " للشاه معين الدين الندوى، ص : ٢١٩
٢٢- " حياة سليمان " ص : ٢١٩
٢٣- " معارف " مايو ١٩٥٥م العدد الخاص بالسيد سليمان الندوى، ص ١٢٤
٢٤- المرجع السابق : ص : ١٦٨
٢٥- " معارف " العدد : ٤ المجلد : ٧٥ ص : ٣١
٢٦- مجلة " آجكل " نوفمبر ١٩٨٨م العدد خاص بأبى الكلام آزاد من مقالة نشاط عرفان بعنوان " مولانا أبو الكلام آزاد كما يراه معاصره" ص : ٩٧
٢٧- " حياة سليمان " ص : ٦٤٧-٦٤٨

أبوالكلام آزاد و معاصره
شاعر الشرق محمد اقبال
نظرة على علاقاتهما

بقلم : البروفيسور عبد القوى دسنوى
كليه سيفية - بوفال

فى أواخر القرن التاسع عشر ولد ثلاثة عباقرة كبار على مستوى الهند، و هم خدموا الوطن و الملة جل حياتهم و أثروا اللغة و الأدب، وأرشدوا الناس إلى الصراط المستقيم و الجادة الصحيحة•

ولد اقبال بسيالكوت (بنجاب) سنة ١٨٧٣م، و السيد سليمان الندوى بديسنه (بيهار) سنة ١٨٨٤م، و أبو الكلام آزاد بمكة المكرمة سنة ١٨٨٨م•

و آباء هؤلاء الثلاثة العظماء كانت فيهم سهولة الطباع و لين الجانب و الانقطاع إلى عبادة الأحد الصمد، و كانوا يسلكون فى جميع شئون حياتهم مسلك الدين فربوا أولادهم على الدين و الإيمان•

اختلف هؤلاء الثلاثة فى منحى دراستهم و تعلمهم و ثقافتهم : العلامة اقبال توجه إلى الدراسة العصرية، و العلامة السيد سليمان الندوى درس أولا فى الكتاتيب الدينية، ثم تخرج فى دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ، أما ثالث الثلاثة أبو الكلام فكان أبوه يخاف على إبنه من التأثيرات الخارجية فآثر أن يعلمه فى البيت و لم يدخله مدرسة و لا كُتّاباً•

العلامة السيد سليمان الندوى كان شيخا محترما فى نظر العلامة اقبال، و كان صديقاً لأبى الكلام، اقبال و أبو الكلام و إن يعترفان بفضل الآخر• و كان الإحترام متبادلا بينهما و لكنهما لم يقتربا مثل اقترابهما من السيد سليمان الندوى•

و موضوعى فى هذه المقالة أن أبحث عن علاقة هذين البطلين اللذين كانا متقاربين أو متخاصمين•

و لو نظرنا إلى نشاطاتهما، و نلقى نظرة إجمالية على خدماتهما العلمية و الأدبية و السياسية و الإجتماعية، و الصحافيـة و الوطنيـة و الدينية، و تركنا الجهود التعليمية، نقدر أن نقول انهما كانا شاعرين، سياسيين، مفكرين، عالمين، مسلمين حقيقيين، وطنيين، مصلحين، حاملين لواء الانسانية، و كانا يريدان الفلاح و السعادة للإنسانية جمعاء•

العلامة اقبال إنحاز إلى ميدان الشعر سنة ١٨٩٧م و لم يبلغ عشرين سنة من عمره و أمضى حياته كلها فى هذا الوادى الجميل، و أبو الكلام إتجه إلى نفس الميدان و لم يتجاوز الثانية عشر من عمره، و تجول فى هذا الوادى ثلاث سنوات ثم هجره مطلقا، و لم نسمع عنه بعد ذلك قرض الشعر، و تدرج إلى السياسة عن طريق الصحافة• و لم يدخل فى " حزب شيام سندر شكرورتى الثورى" فى سنة ١٩٠٨م و عمره عشرون سنة فحسب بل كانت له أهمية فى هذا الحزب•

فى نفس السنة ساح فى البلدان الاسلامية العديدة، و قد تأثر من روح ثورية جديدة من الحركات الشبابية الثورية هناك، و بعد رجوعه إلى الهند اشتغل بالكلية فى السياسة العملية• و كان يفكر فى إصدار جريدة أسبوعية سياسية رفيعة المستوى منذ مدة ليست قليلة، و أخيرا نجح فى هذه الفكرة و أصدر جريدة " الهلال " فى ١٣ يوليو ١٩١٢م، و نظر الانجليز إليها بنظرة ترقب و حذر لأفكارها الثورية، أغلقت الجريدة فى ٨ نوفمبر سنة ١٩١٤م، و لكن أبا الكلام كان ذا همة عالية و عزيمة قاهرة و نفـس وثابة، فنجح فى إصدار الجريدة باسم " البلاغ " فى ١٢ نوفمبر ١٩١٥م، من جهة أخرى كان الانجليز يقظين منه، فقد أخرج من بنغال فى نفس اليوم الذى وصل فيه إليها فى ٢٣ مارس ١٩١٦م، غادر مولانا أبو الكلام آزاد من مدينة كلكته إلى رانشى حيث اعتقل فى ٨ يوليو ١٩١٦م، و أطلق سراحه من أول اعتقاله فى ٢٧ ديسمبر ١٩١٩م بعد ثلاث سنوات و نصف من اعتقاله• فقد ازداد شعوره السياسى بعد إصدار " الهـلال " و " البـلاغ " و اعتقاله الأول، و من ثَمَّ اشترك فى السياسة العملية بهمة و نشاط زائدتين، و حصل على عضوية حزب المؤتمر الهندى سنة ١٩٢٠م، و ترأس جلسة دلهى لهذا الحزب المهم جدا سنة ١٩٢٣م فى عمر يناهز ٣٥ سنـة• و قال فى خطابه الرئاسى لكلمات البليغة التالية :

" ليست امام الهند فى هذا الوقت إلا ثلاثة طرق : اما أن تقتنع بهذه الحالة الراهنة، و أما الثورة الدمويـة،

و اما أن تختار طريق عدم التعاون لانستطيع أن نقتنع
بالطريـق الأول، و لانقدر على الانقلاب المسلـــم
و لانريده فلم يبق أمامنا إلى طريق ثالث ألا و هو عدم
التعاون" (١)

فى نفس سنة ١٩٢٣م منحت الحكومة الانكليزية لقب " السير" للعلامة اقبال، فهو بدوره قبله بدون اعتراض، حتى لقد اغاض ذلك أحد محبيـه عبد المجيد سالك فقال اقبال سجد على عتبة الحكومة• و هذا ايضا صحيح ان عبد المجيد سالك ندم على قولته هذه•

فقد كتب العلامة اقبال فى جواب غلام بهيك نيرنگ :

أحلف بالله العظيم الذى بيده حياتى و عرضـــى،
و أحلف بذلك العظيم الذى كان سببا لإيمانـــى بالله
و اسلامى له لاتستطيع أية قوة فى العالم أن تمنعنى
عن قول الحق"(٢)

مولانا أبو الكلام آزاد قد اعتقل ست مرات أو مدة اعتقاله الاجمالية عشر سنوات و نصف• لانجد شخصا تأذى مثله فى السياسة•

قد انتخب رئيسا لحزب المؤتمر الهندى العظيم سنة ١٩٤٠م، و بقى فى هذا المنصب المهم إلى ٢٦/ ابريل ١٩٤٦م، و كان شرفا كبيرا له أن قاد هذا الحزب إلى مدة طويلة حتى نالت البلاد استقلالها من الأجانب، و ثبت من هذا ان السياسة العملية كانت شغلة الشاغل، و أثبت لنفسه فى جهود الاستقلال و حصوله أنه سياسى محنك بارع لايضارعه إلا قلة من الزعماء•

و كان العلامة اقبال بالعكس من ذلك بعيدا عن السياسة العمليـــة، و كانت الشاعرية حاصل حياته و ميزته الخاصة، و كانت علاقته بالسياسة بسيطة و محدودة و كان مفكرا فلسفيا ماهرا للدين مجملا و محبا للوطن• و شاعر الشرق الأوحد بدون استثناء، و قد فتح بشاعريته آفاقا رحبة فى الفكر الانسانى، و رفع الستار عن أسرار العظمة الانسانية، و عرّف الناس بالمرء المؤمن، و أبعد الناس عن التعصب الأعمى، و تغنى بحب الوطـــن و لكنه حذر الناس عن الوطنية الأوروبية التى جرحت الدنيا و أدمت الانسانية جمعاء•

اذا نمعن النظر فى خطاب أبى الكلام آزادالرئاسى بدلهى سنة ١٩٢٣م و برام كره (RAM GARH) سنة ١٩٤٠م نعرف الفرق بين أفكار أبـى الكلام و اقبال وذهنيهما، يقول أبو الكلام عن وحدة المنادك و المسلمين بالهند•

" ..... اذا أتى ملك من فوق سبع سمٰوٰت و يعلن من منارة قطب أننا نحصل على الاستقلال بين عشيـــة و ضحاها بشرط انفصام الوحـــــدة بين الهنادك و المسلمين فى وطنى، فلا أرضى بالاستقلال بل افضل الوحدة و الاتحاد عليه، لأننا اذا تأخرنا فى الحصول على الاستقلال السياسى سيكون ضررا للهند، و لكننا اذا ابتعدنا عن الوحدة و بذرت بذور الشقاق و النفاق بيننا فيكون خسارة للانسانية جمعاء"(٣)

هو يفتخر على إسلامه ثم على وطنيته الهندية فيقول :

" أنا مسلم و أفتخر على ذلك، أنا وارث لتقاليد القرون الثلاث عشر، و لا أرضى باضاعة جزء منها و لو ضئيلا• التعليم الاسلامى و تاريخه و علومه و فنونه و مدنيته هذه كلها رأس مالى يجب على احتفاظها، أنا مسلم فلى شخصية خاصة تتعلق بمذهبى و ثقافتى، و لا أتحمل أى تدخل من أى جهة كانت، و لكنى أشعر مع هذه الأحاسيس إحساسا آخر الذى تولده حقائق الحياة، و لم يمنعنى عن ذلك الاسلام، بل يأخذ بيـــدى و يرشد إلى الطريق السوى، فأنا أفتخر بكونى هنديا (٤)

كما يقول هندوكى بالاعتزاز أنه هندى و هندوكى فى نفس الوقت، فنستطيع أن نقول مثلهم نحن هنــــود و مسلمون معا"•

عندما نطالع كتابات اقبال و آزاد نشعر فى الأمكنة الكثيرة انهما مع بُعدٍ هما قريبان جدا• و لكننا نجد اختلافا واضحا فى آرائهما السياسيـــة• و السبب لذلك كما وضحت فى البداية أن اقبال مع اشتغاله بالسياسة المحدودة و البسيطة لا يماثل، أبا الكلام آزاد الذى كان له شعور سياسى بالغ، فهو بالعكس من أبى الكلام آزاد كان بعيدا عن السياسة العملية دائما، ترأس الاجتماعات و إصدار البيانات المؤقتة شىء، فى مقابل آزاد سياسته محيطة على نصف قرن، و كانت مملوءة بالنشاط و الحيوية، خالية عن النقائص و المعائب و لائقة بالإفتخار•

لتقاربهما الذهنى و الفكرى و معاصرتهما نريد معرفة علاقتهما،و لأن نعرف ذلك يجب أن نطالع رسائلهما و أقوالهما عن الآخر، و لقائهما•

أما لقائهما فكان الأول منه فى إجتماع جمعية حماية الاسلام بلاهور فى إبريل سنة ١٩٠٤م و الذى اشترك فيه مولانا ألطاف حسين حالى، الدكتور نذير أحمد، الميرزا أرشد جور جانوى، ميان السير محمد شفيع، السير عبد القادر، ميان السير فضل حسين، سليم بانى بتى، مولانا أبو الكلام آزاد، الدكتور محمد اقبال، خواجه حسن نظامى، و كانت ميزة الإجتماع انه اذا أحب شخص شعر أحد الشعراء، و أراد أن يمدحه فعليه أن يهدى هدية إلى الجمعية، فقد اعجب مولانا ألطاف حسين حالى شعر أحدهم فأعطى عشر روبيات إلى الجمعية، يكتب الاستاذ محمد طاهر الفاروقى :

" إرتفعت أصوات الإبتهاج و السرور، و ما كان شىء أجمل للشاعر من أن يمدحه و يقدره و يهديه هدية شاعر عظيم مثل حالى" (٥)

فى هذه المناسبة السعيدة لم يتمكن حالى من قراءة الشعر لضعفه و سوء أحواله الصحية و لكنه أسمع الحاضرين على اصرارهم، ثم قام العلامة اقبال و تلى أشعاره بصوت و غناء خاصين، و قبل تلاوة أشعاره قدم رباعية فى مدح الشاعر العظيم حالى :

دوّى اسم حالى فى أرجاء العالم   و كأسه مملوءة بالحق
و أننى نبى فى سلطنة الشعر   كأن على شفتى أشعار حالى

و قد ذكر مولانا أبو الكلام آزاد تفاصيل هذا الاجتماع فى مجلة " لسان الصدق" الصادرة من كلكته فى مايو سنة ١٩٠٤م، و نحن فى حيرة من أمره انه لم يذكر شيئاً عن واقعة اقبال السابقة، فقد كتب عن هذه الجلسة مايلى :

" اشتركت فى الجلسة السنوية للجمعية، رأى الناس فى الجلسة أنها هذه السنة كانت أفضل فى كل شىء من السنوات الفائتة، من حيث عدد المشاركين نستطيع القول ان قاعة المؤتمر و قاعة ندوة العلماء لاتتسعان لمثل هذه الأعداد الهائلة من الناس مع الفارق بأن جلسة الجمعية جلسة عامة، أما جلسات المؤتمر فلا يشترك فيها إلا أعضاءها، محاضرة الدكتور نذير أحمد، و مقالة صديقنا العزيز المولوى

وحيد الدين سليم بانى بتى، و أشعار ذورنة حزينة
حاصل المؤتمر و عناصر نجاحه الباهر• جمعية حماية
الاسلام بتطورها الدائب المستمر قد جمعت عناصر
النجاح و من ثمّ رأينا ما رأينا، و رجعنا راضيين
مطمئنين متأثرين من هذه الجلسة الناجحة"(٦)

كان هذا أول لقاء بينه و بين اقبال، و نعلم عن لقاءات آخر تمت بينهما، و لكن نتأسف لأنها كانت عادية لا نعلم عنها علاقة هذين البطلين الجليلين•

جريدة " الهلال " الأسبوعية لأبى الكلام صدرت من كلكته بدوّى هائل من الاعلان و الاعلام، و عرفها الناس فى الهند المتحدة من أقصاها إلى أقصاها، و كانوا يشتاقون لصدورها طوال الأسبوع• و يطالعونها بينهم لانظير له، و لم يحصل قبول عام مثلها لأى جريدة أسبوعية، و لكن أظن فى ضوء مطالعتى انه لم يطبع شىء لإقبال و لا بقلم أبى الكلام عنه، بل افدح من ذلك أنى لا أجد أى ذكر لجريدة " الهلال " فى رسائل العلامة اقبال و كتاباته، نجد ذكر اقبال فى "الهلال" ٩ أكتوبر ١٩١٧م فى اعداد الذين اشتركوافى توسيع نشره فهو أرضى أشخاص للاشتراك فى الجريدة، و نعرف عن ذلك اهتمام اقبال بالجريدة(٧)

بعد إيقاف " الهلال " أصدر مولانا أبو الكلام آزاد جريدة فى نفس المستوى باسم " البلاغ "، نرى فى عدده الصادر فى ١٢/ نوفمبر ١٩١٥م نظما للعلامة اقبال بعنوان " عرفى " فى صفحة " الأدبيات " و بعد ذلك لانرى ذكرا و لا اثرا و لا شعراً و لا عبارة تتعلق باقبال فى هذه الجريدة، و فى " الهلال " الجديدة التى صدرت ثانية سنة ١٩٢٧م•

أما الرسائل : فتوجد خمس رسائل لإقبال إلى العلامة السيد سليمان الندوى، و رسالة إلى عشرت رحمانى ، و رسالة إلى السيد محمد سعيد الدين الجعفرى، بها نجد ذكر أبى الكلام آزاد• و هناك رسالة آزاد موجهة إلى السيد سليمان الندوى تتعلق باقبال•

و هذه الرسائل حررت بين ١٩١٨م و ١٩٣٦م، و بها نعلم علاقاتهما ولو بشكل بسيط، فى السطور الآتية أذكر مقتطفات منها :

من لاهور - ٢٨ ابريل ١٩١٨م إلى السيد سليمان الندوى

"تسلمت الرسالة حالا، قدمت إليكم منظومة " رموز بيخودى " و أشكركم شكرا جزيلا على النقد الذى كتبت•

تسلمت الرسالة من أبى الكلام اليوم، فقد اثنى على هذا الجهد المتواضع(٨)

من لاهور - ٣ إبريل ١٩١٩م إلى السيد سليمان الندوى

" استلمت رسالتك، أشكركم شكراً جزيلا، نحمد الله على أن أبا الكلام أطلق سراحه ...."(٩)

صدر كتاب " تذكرة " لأبى الكلام فى أواخر سنة ١٩١٩م، كتب المولوى فضل الدين أحمد فى مقدمة كتابه هذا عن العلامة اقبال ما يلى :

" .... يكفى ان نذكر من المتعلمين أخوا على : السيد محمد على جوهر و السيد شوكـــت علــــــى و شاعرنا القومى الدكتور اقبال الذين تأثروا بأبى الكلام فى التوجه إلى الاسلام الحقيقى • نحن نعلم حين صــــدر " الهلال " و كان فيها مدحا لجامعة عليجر، فكتب محمد على جوهر مقالات ضد جامعة عليجر رداً على " الهلال "، أما شوكت على فحاله عجيب فهو يثنى على أبى الكلام دائما و يقول به اهتدينـــا إلى طريق الإيمـــــــــان، و الدكتور اقبال و ما سمعنا عن عقائده الدينية فى الماضى، نراه متغيرا فى أشعاره الفارسية فى منظومتى " أســـرار خـــودى " و رموز بيخودى " و نرى فيها صدى " الهلال " حقيقة (١٠)•

لما قرأ اقبال هذه المقدمة كتب يشكو إلى السيد سليمان الندوى فى ١٠ ديسمبر ١٩١٩م :

> " كتاب " تذكرة " لمولانا أبى الكلام كتاب رائع حقـــا، و لكن يكتب المولوى فضل الدين أحمد فى المقدمة إن مثنويات اقبال صدى لحركة " الهلال "، لعله لايعلم انى ماقدمت فى هذه المثنويات، أقدم الشىء نفسه منذ ١٩٠٧م متواصلا، و شواهد ذلك موجودة فى شعرى و نثرى فى الانجليزية و الأردية، و يبدو انه ما رأها • على كل حال أنا غير مهتم بهذه الأشياء، لأن القصد نشر الحقائق الاسلامية و ليست السمعـــــــــة و الشهرة ، و لكنى تأذيت حقيقة بقوله ان اقبال لم يكن مسلما قبل حركة " الهلال " فأسلم على يديها، هذا يظهر من العبارة ربما لم يقصده"•

ثم يضيف قائـــــلا :

> " أنا أحترم مولانا أبو الكلام آزاد احتراما كثيرا، و أحب

حركته و لكن ليس ضروريا أن نؤذى أحدا لرفع قدر
أى حركة أو شخص، هو يكتب أن هناك بُعْدٌ شاسع بين
آراء اقبال المذهبية المعروفة و هذه المثنويات، أنا
لاأعلم هل كتب هذه الجملة التى لها معان كثيرة•
متأثرا بأقوال العامة و الجهلة، و هذا لايناسب بحال
للذين يقودون حركة الاصلاح، و لا علم لى أين المولوى
فضل الدين ان وجدته اشتكيت إليه شخصيا"(١١)

اطلع العلامة السيد سليمان الندوى أبا الكلام آزاد بهذه الرسالة و لانعرف ماذا كتب السيد لأن هذه الرسالة مفقودة، و لكن جواب ابى الكلام آزاد موجود أذكر قطعة منها :

" شكوى اقبال صحيح لا أهمية أن فلانا كتب شيئا بفلان، أو غير رأيه بتأثيره، و لكن الناس يهتمون بهذه الأشياء الحقيرة، لانستطيع أن نفعل شيئا بهذا الخصوص• فى الأصل هذه " التذكرة " أتعبتنى من أوجه كثيرة، أرسل السيد فضل الدين هذه المقومة إلىّ، لألقى عليها نظرة انتقادية، أنا ما رددتها إليه، و كان يريد أن يطبع، ما ألفت إلى ذلك الوقت• كالجزء الأول، و كنت مصراً أن أطبع الكتاب كله فى وقت واحد• و كانت مقدمته كلها لاغية باطلة فى كتابتها و مضمونها و استدلالها، و النقطة العجيبة، إننى عندما قابلته و سألته عن هذا التغير فى آراء اقبال• هو نسب هذا التغير بدون فهم إلى ما قلته منذ مدة، و كان الذى قلته ان اقبال كان مهتما أولا بتصوف العامة، و لكنه فى الآونة الأخيرة ابتعد عنه و ما يظهر من كلامه فى المثنويتين الأخيرتين هى نفس الفكرة التى أقولها دوماً " (١٢)•

هذه الرسائل ليست جديدة و لانادرة، عرفها محبوهما و متبعوهما• أذكر فيما يلى ما استنتجت من هذه الرسائل :

١- لماذا قال آزاد بالمولوى فضل الدين ان اقبال قدم فى هاتين المثنويتين ما أكتبه دوما•

٢- لو كان رأيه عن المقدمة و ما يتعلق عن اقبال باطل، فلماذا أبقاها و نشرها للتأذى•

٣- يظهر من هذا كله أن أبا الكلام بدأ يخاف من شهرة اقبال، فلذلك صدرت منه هذه الهفوات• ثم لما نرى واقعة أمير الشعراء التى ذكرها

الاستاذ مليح آبادى أحسست ان ظنونى على أبى الكلام صحيحة و هى كما يلى :

" عندما لقبت الدول العربية شاعر مصر أحمد شوقى بلقب أمير الشعراء، فكر أبو الكلام آزاد أن يرشح الدكتور اقبال أمير لشعراء الهند، فجاء يوما فى غرفتى، و معه أوراق و أخبرنى رأيه فى هذا الموضوع، أنا عارضته معارضة شديدة • فتعجب آزاد و قال هل يعنى ذلك أن إقبال ليس أهلا لهذا اللقب؟ قلت أنت تعرف حقيقة شاعرية اقبال و لك نظرة نقدية فى الموضوع، و لا ذوق لى فى الشعر، و لكن الدكتور اقبال ليس شاعرا فقط بل هو قائد سياسى معارض لنا فلو لقبناه أمير الشعراء الهندى يستفيد من هذا سياسيا • بدأ الشيخ أبو الكلام يعنى ما أقول، و أنا أضفت القول " أنت صاحب امتياز الجريدة و لكنى مادمت رئيسا لتحريرها لا أؤيد هذا الترشيح ضد ضميرى، لو اسقطت اسمى عن رئاسة التحرير و أبقى محررا عاديا فى الجريدة تستطيع ان تنشر فى جريدتك • وافق مولانا أبو الكلام رأيى، و مزّق الأوراق، و قال أنت محق فى قولك و لا أقدم هذا الترشيح"(١٣)

و لسائل أن يتساءل هنا ان شخصا كأبى الكلام صاحب الارادة القوية و العزيمة القاهرة يقتنع بأدلة مليح آبادى الضعيفة الواهية، و يرضى بما يقول و يؤيده • و لربما نجح مليح آبادى فى عداوة و بغضاء ضد العلامة اقبال، و شكوكنا و ظنوننا تصل هنا إلى حد اليقين فى ذلك •

كتب العلامة اقبال رسالة إلى عشرت رحمانى فى ٣٠ / أغسطس ١٩٣١م، نستطيع أن نعرف الحقيقة عنها :

" قد بلغ حسن ظنك بى إلى درجة عالية، فما قرضت من الأشعار ليست له أهمية تذكر فى ميدان الشعر • و ما اهتم بهذا الأمر أبدا • على كل حال أشكرك على حسن ظنك • أما ما قلت بعلاقتها عن اليقظة فى الأمة الاسلامية الهندية المرحومة، و أن لى فيها يدا، أو يجب ان تكون لى فيها يدا، فلا أقدر أن أقول شيئا لأن

القصد اليقظة، و ان قامت الأمة الاسلامية من سباتها العميق و لا ذكر لى بها فأنا راضٍ عنها تماما، و لكن تعجبت على اشاراتك• و كنت أعتقد أنه لايشعر بذلك أحد• و كاتب مقدمة " تذكرة " لأبى الكلام آزاد أشار إلىّ و إلى محمد على و شوكت على بألفاظ زادت من ظنونى هذه، و لكن اذا لايشعر أحد بذلك فلا أحزن لأنه بحمد الله لا غرض لى فى نفسى" (١٤)

هذا المقتطف من رسالة اقبال يظهر ما نشأ فى قلبه من الأحاسيس من إنجازاته للأمة الاسلامية، و كان يشعر أن له يد فى ايقاظها، و لربما كان هذا سببا للاخراج من مقدمة المولوى فضل الدين فى بداية " تذكرة"•

نذكر فى السطور التالية بعض المقتبسات من رسائل العلامة اقبال حتى نعرف عن علاقاتهما :

تحريراً فى ١٤ نوفمبر ١٩٢٣م إلى السيد محمد سعيد الجعفرى•

" لم أتعجب من سماع عقائد منظرعلى المذهبية،لأن القومية أثرت على المذاهب فى جميع الدول، و لكن أحمد الله أن آراءه تغيرت و توجه إلى التحقيق، ذكرت له بعض المصنفين، و فى رأيى ان السيد سليمان الندوى و أبا الكلام آزاد يدليان برأى صحيح فى هذا الموضوع"(١٥)•

تحريراً فى ١٨/ أغسطس ١٩٢٤م إلى السيد سليمان الندوى•

" طبع فى الآونة الأخيرة كتاب فى جامعة كولمبيا، الجامعة الامريكية الشهيرة و عنوانه نظريات المسلمين الاقتصادية، ذكر فيه ان اجماع الأمة يستطيع أن ينسخ العمل على النص القرآنى، فمثلا مدة الرضاعة سنتان من النص الشرعى و يمكن لنا تغييرها، أو أن الحصص الشرعية فى الميراث يجوز فيها النقص و الزيادة، كتب المصنف ان بعض الحنفية و المعتزلة يعتقدون ذلك فى الإجماع، و لم يذكر الكاتب أى مرجع، فأوجه السؤال إلى حضرتكم• هل يوجد شىء من ذلك فى العلوم الفقهية• و ما هو رأيك الشخصى فى الموضوع، كتبت الرسالة إلى المولوى أبى الكلام أيضا لأعرف رأيه فى القضية "(١٦)•

تحريراً فى ٧ / أغسطس ١٩٣٦م/ إلى السيد سليمان الندوى

" الحمد لله قد تتوقف الفتنة القاديانية شيئا فشيئا، فقد كتب أبو الكلام منشورات ضدها، و لكن فريضة الكتابة فى هذا الموضوع ملقاة على عواتق العلماء المحدثين المنورين، لو تسمح صحتك فأكتب كتابا جامعا و مفيدا

فى ذلك"(١٧)٠

من مطالعة هذه الرسائل يتضح جليا ان المراسلة المتعلقة عن اقبـــال و أبى الكلام استمر إلى آخر حياة اقبال، و كانا يكنان التقدير و الاحترام لبعضهما، و كان يعترف الواحد منهما بعلم الآخر وصلاحيته، و كانا يتأثران بشهرة الآخر أيضا، و لم تصل إلينا رسائل متبادلة بينهما، و بدونها لانقدر معرفة علاقتهما بالدقة و التفصيل٠

و ميزة أبى الكلام آزاد أنـــه كان يحفظ آلافا من الأشعار العربيـــــة و الفارسية و الأردية، و يستعملها ارتجالا فى خطبه و كتاباته، و لكن نتعجب من أنه لايوجد شعر اردى و لا فارسى فيهما إلا شعرا فارسيا واحدا فى كتابه " غبار خاطر " عندما يقص علينا قصة العصفور، يقول :

حاول الكلام بالصعوبة، فتفوه بصوت خفى، و هذا الصوت لايدل على انه كلام أو لفظ بل هو صوت كالرجل الذى أطرق برأسه ثم رفعه و زفر بـ "ها"٠

أما ان تستيقظ و تزفر زفرة الهم و الكمد

لأن العشق لا يحصل بدون همّ و غـــم(١٨)

أريد أن أوضح هنا هذه الحقيقة٠ لم نتيقن بعد ان أبا الكلام لم يستشهد باشعار اقبال عن عمد٠

توفى العلامة اقبال فى ٢١/ ابريل ١٩٣٨م بلاهور، فنقل أبو الكلام أحاسيس قلبه الحزين على الأوراق :

" نشعر بالصدمة على وفاة العلامة اقبال٠ لم تخلق الهند شاعرا أكبر منه، و وفاته ليست خسارة الهند فحسب بل هى خسارة الشرق بأكمـــــله، و حزنى شديد، لأننا كنا مربوطين برباط الصداقة"(١٩)٠

مولانا أبو الكلام آزاد كتب رسالة إلى المولوى محى الدين أحمد قصورى بعد وفاة اقبال بأربعة أيام فنرى فيها الغم و الحزن جليا :

" تأسفت على موت اقبال تأسفا شديـــدا، ذهب الذى ذهب بعيــــــدا، و الباقون منتظرون لقضائهم"(٢٠)٠

و لكن لا نرى بعد ذلك أى ذكر أو أثر لإقبال جرى على قلم أبى الكلام آزاد٠ من الممكن ان نقول ان سنة ١٩٣٨م اقترب فيها موعد الاستقلال الهندى، و كانت السياسة فى الهند تشتد لهيبا، فلم يسنح الفرصة لمولانا أن يتوجه إلى أى شىء آخر غير السياسة و الاستقلال، و صحيح أيضـــا ان أبا الكلام قد اعتقل فى هذا الوقت بالذات مرتين، و آخرها فى ٩/ أغسطس ١٩٤٢م، فلم يتوجه إلى اقبال، و لكن المحير حقا أنه لما مرض العلامة اقبال

مرضا طويلا فى عمره الأخير، و توفى فيه و انغلق حلقومه، لانجد أى تأثر أو حزن فى أى رسالة له ، و يمكن أن يجاب عن ذلك بأن أبا الكلام آزاد كانت له طبيعة خاصة، و كان محتاطا جدا فى حياته كلها، و كانت هناك مواقع سياسية تمنعه من أن يذكر اقبال، أو يكتب عنه شىء• و هناك افتراض آخر أيضا، أن رسائل مولانا إلى اقبال، أو الرسائل التى فيها ذكر اقبال ضاعت أو لم تصل إلينا، و لربما نجدها فى المستقبل عند ذلك نطلع على علاقتهما الصحيحة الصادقة و العكس صحيح بأن نجد رسائل اقبال إلى مولانا أبى الكلام آزاد•

تعريب : محمد حسّان خان

الهوامش :

١-	خطبات آزاد :		ص : ٣٠٠
٢-	اقبال نامه : (١)	شيخ عطاء الله	ص : ٣٠٦
٣-	خطبات آزاد :		ص : ٣٠٥
٤-	نفس المصدر :		ص : ٢٩٧
٥-	سيرت اقبال :	المولوى محمد طاهر الفاروقى - ص : ١٠٥	
٦-	مجلة "لسان الصدق" كلكته مايو سنة ١٩٤٠م		
٧-	طبع فى الجريدة نظم لصاحبزاده مصطفى خان بعنوان " جواب شكوه كا اقبال" تأييدا لنظم اقبال الشهير " جواب شكوه" و لكن لانعرف به طبيعة العلاقة بينهما •		
٨-	اقبال نامه : (١)	شيخ عطاء الله	ص : ٨٠
٩-	التاريخ المذكور غير صحيح• أبو الكلام آزاد حرره فى ٢٧/ديسمبر ١٩١٩م•		
١٠-	اقبال نامه : (١)	شيخ عطاء الله	ص : ١٠٠
	و"تذكره"		ص : ١٥و١٦
١١-	اقبال نامه : (١)	شيخ عطاء الله	ص : ١١٠و١١١
١٢-	مكاتيب أبى الكلام	(أدبستان لاهور)	ص : ٥٥و٥٦
١٣-	ذكر آزاد	مليح آبادى	ص : ٣١٢
١٤-	اقبال نامه : (١)	شيخ عطاء الله	ص : ٤٢٧و٤٢٨
١٥-	رسائل اقبال :	رفيع الدين هاشمى	ص : ١٦٨
١٦-	اقبال نامه : (١)	شيخ عطاء الله	ص : ١٣١
١٧-	اقبال نامه : (١)	شيخ عطاء الله	ص : ١٩٩
١٨-	غبار خاطر : (هذا الشعر يوجد فى مجموعة الأشعار الفارسية " زبور عجم ")•		ص : ٣٢٧
١٩-	مكاتيب أبى الكلام آزاد :	أبو سليمان شاجهان فورى	ص : ٣٠٢

٣- تبركات آزاد : غلام رسول مهر ص : ٦٠

المراجع :

١- خطبات آزاد : تحقيق مالك رام(المجمع الأدبى، دلهى الجديدة الطبع الأول ١٩٧٤م)
٢- اقبال نامه :(١) شيخ عطاء الله (شيخ محمد أشرف تاجر كتب كشميرى بازار، لاهور)٠
٣- سيرت اقبال : المولوى محمد طاهر الفاروقى مكتبة هملايا، شاندنى شوك دلهى فبرائر ١٩٧٤م٠
٤- " لسان الصدق " كلكته (مجلة شهرية) يحرّرها أبو الكلام آزاد مايو ١٩٤٠م
٥- " تذكرة" مالك رام (المجمع الأدبى دلهى الجديدة الطبع الثانى ١٩٨١م
٦- مكاتيب أبى الكلام : (أدبستان لاهور، الطبع الأول)
٧- رسائل اقبال : رفيع الدين هاشمى (مكتبة خيابان أدب لاهور، الطبع الأول ١٩٧٦م)
٨- "غبار خاطر" لأبى الكلام آزاد (المجمع الأدبى ، دلهى الجديدة الطبع الثانى ١٩٨٣م)
٩- رسائل أبى الكلام : أبو سليمان شاجهان فورى (المجمع الأدبى السند فبرائر ١٩٦٨م)٠
١٠- تبركات آزاد : غلام رسول مهر("أدبى دنيا" دلهى الطبع الأول سبتمبر ١٩٦٣م)٠
١١- ذكرآزاد : مليح آبادى (مكتبة جريدة "آزاد هند" زقاق ساجردت كلكته، فبرائر ١٩٦٠م)
١٢- اقبال و جمعية حماية الاسلام : محمد حنيف شاهد (مكتبة جمعية حماية الاسلام لاهور الطبع الأول يوليو ١٩٧٦م)٠
١٣- نقوش أبى الكلام آزاد : محمد يونس خالدى، (مجمع مولانا أبو الكلام آزاد التذكارية لكناؤ، فبرائر ١٩٧٨م)
١٤- نظرة نقدية على الاقباليات : القاضى أحمد ميان جوناجرى، (مجمع اقبال كراتشى ١٩٦٥م)
١٥- السنتين الأخيرتين لإقبال : الدكتور عاشق حسين بتالوى، (مجمع اقبال باكستان كراتشى الطبع الأول ابريل ١٩٦١م)
١٦- مرآة أبى الكلام آزاد : عتيق الصديقى (جمعية نهضة اللغة الأردية، فرع دلهى الطبع الأول ١٩٧٦م)
١٧- عدد خاص لمجلة " نقوش " على اقبال الجزء الثانى : المدير محمد طفيل، (مكتبة " فروغ اردو" لاهور، ديسمبر ١٩٧٧م)

١٨- أبو الكلام آزاد : شورش كشميرى، (مطبوعات شتان لاهور فبرائر ١٩٨٨م)
١٩- مير كاروان مولانا أبو الكلام آزاد : الدكتور رياض الرحمن الشيروانى، (المكتب القومى للبحث فى الأفكار و الحركات، كراتشى ١٩٨٨م)
٢٠- أبو الكلام آزاد : إين هندرسن دوغلاس، (مكتبة جامعة آكسفورد)

مولانا أبو الكلام آزاد
ومساهمته فى مجلة " الندوة "
لعام ١٩٠٥م الى ١٩٠٦م

بقلم : عبد المبين عبد الخالق الندوى
مجمع دار المصنفين اعظم كره

كان مولانا أحمد محى الدين المكنى بأبى الكلام و المتخلص بآزاد الدهلوى و المعروف " بامام الهند" من الزعماء المسلمين الذين كان لهم دور قيادى فعال فى إيقاظ المسلمين و فى حركة تحرير البلاد من أيدى الاستعمار الغاشم، و كان هو الذى يتولى المقاومات و المبارزات باسم الهند مع الانجليز حتى نالت البلاد استقلالها بعد أن قام من شرخ شبابه بحركته الاصلاحية الدينية و التحريرية بين المسلمين، فإنه كان إنسانا واحدا و شخصيات متعددة و متنوعة الجهات لجهوده و خدماته فى مجالات مختلفة، فقد كتب الباحثون و الكتاب كثيرا فى الأردية - و قليلا بالعربية و الأجنبية - حول شخصيته المُتنوعة، و أضاؤا جوانبه العديدة فى مؤلفاتهم •

فإنه كان قد تضلع من العلوم المختلفة بعد ما ولد فى أسرة دينية فى شهر أغسطس عام ١٨٨٨م فى مكة المكرمة، إنه كان رجلا دينيا و مفسرا كبيرا ، و خطيبا مصقعا و مصلحا ناجحا فى جانب، و فى جانب آخر كان رجلا أديبا و صحفيا ماهرا و زعيما كبيرا و سياسيا محنكا و صاحب أسلوب خاص فى الانشاء و الخطابة، و قد نشرت مؤلفاته العديدة فى طبعات متعددة، و كلها نالت القبول و الاعجاب من الأوساط العلمية، لكن مع هذا بعض جوانبه المهمة لم تزل مختفية عن الأنظار حتى الآن ألا و هى مساهمته فى مجلة " *الندوة* " الغرّاء• فالأسف ما اعتنى الباحثون بها، و خاصة بالعربية، فالمكتبة العربية لاتزال فارغة من هذا الموضوع مع أن مولانا آزاد نال الشهرة و الصيت بها فى مستهل حياته العلمية و الصحفية، فكانت علاقته

معها قوية، و هى التى أصبحت فى مستقبل حياته واسطة قوية فى التعريف بشخصيته الفذة فى الأوساط العلمية، و أنا أجزى بهذه المناسبة جزيل شكرى إلى البروفسور نثار أحمد الفاروقى مدير هذه المجلة، فإنه قد حرضنى على دراسة هذا الموضوع و طلب منى مشكورا أن أعد البحث على الموضوع للعدد الممتاز عن " مولانا آزاد " *لثقافة الهند* " الفصلية الغرّاء، فقبل أن أتناول الموضوع ـــ أقدم نبذة عن مجلة " الندوة" و قيمتها :

نبذة عن الندوة :

إن مجلة " *الندوة* " كانت مجلة علمية أدبية اسلامية شهرية، قد طلعت فى يوليو عام ١٩٠٤م من مجلس ندوة العلماء لكناؤ تحت رئاسة تحرير العلامة شبلى النعمانى (ت نوفمبر ١٩١٤م) و الشيخ الفاضل الأمير حبيب الرحمن خان الشيروانى (ت أغسطس ١٩٥٠م) على أفق الهند العلمى كنجمة جديدة لامعة، و كصحافة هادفة بناءة، فقد كان استمر صدورها إلى مدة سنة ١٩١٢م فى مرحلتها الأولى، و كان هدف إنشاءها إحياء العلوم الاسلامية و تثقيف أذهان الطلبة و ترويج دعوة ندوة العلماء و نشر المقالات العلمية و المقارنة بين العلوم القديمة و الحديثة•

و قد أصبحت هذه المجلة لسان حال الندوة و أكبر وسيلة للتعريف بندوة العلماء و انتشار صيتها، فهذه المجلة ربّت جماعة مثقفة من المنشئين و الكتاب و أصحاب الأقلام القوية، و بذلك بدأ عهد جديد للصحافة الأردية فى الهند بعناية العلامة شبلى و الشيخ الفاضل حبيب الرحمن خان الشيروانى و مولانا أبى الكلام آزاد الدهلوى و الشيخ عبد الله العمادى و العلامة السيد سليمان الندوى فى مختلف مراحلها•

فقد استمر صدور " *الندوة* " لثمانى سنوات، فكان يعد هذا العهد عهدها الذهبى، ثم توقفت المجلة لمدة، لكن هذه هى البذرة الأولى التى أنبتت فيما بعد مجلة " *الضياء* " (١٣٥١هـ) ثم " *البعث الاسلامى* " (١٣٧٥هـ) و جريدة " *الرائد* " بالعربية و " *تعمير حيات* " بالأردية، فقبل أن أقوم بتفاصيل البحث و علاقة مولانا آزاد مع المجلة لابد لى أن أعود إلى تاريخها، فكما كتب العلامة السيد سليمان الندوى•

أول منشئ المجلة العلامة شبلي :

لعل أول مرة تخيل العلامة شبلي إنشاءها - *الندوة* - في عام ١٩٠٢م لأنه كان ذا خبرة واسعة و معرفة جيدة في هذا المجال، بالنسبة لأعضاء الآخرين لندوة العلماء، فإنه كان أول من خطرت له خاطرة إنشاء هذه المجلة.(١).... و لما تولى العلامة النعماني و الفاضل الشيرواني رئاسة تحرير المجلة، فأعد العلامة خطتها في عام ١٩٠٣م و أرسلها إلى المكتب العام لندوة العلماء بلكناؤ.(٢) و بعد تأجيل يسير صدر عددها الأول من المطبع " مفيد عام " بآجرة [AGRA] في جمادى الأولى سنة ١٣٢٢هـ/ الموافق أغسطس عام ١٩٠٤م، فطلعت المجلة على أفق الصحافة العلمية و الاسلامية مشتملة على ٣٢ صفحة، و كان هدفها مكتوبا على ناصيتها دائما بالعبارة التالية :

" *إحياء العلوم الاسلامية و تطبيق المعقول و المنقول،*
و المقارنة بين العلوم القديمة و الجديدة ".(٣)

تأثير المجلة:

و قد نشر في أعدادها الأولى المقالات و البحوث العلمية في موضوع تجديد العلوم الاسلامية و تطبيق المعقول و المنقول و إصلاح المناهج الدراسية للعربية و ما إلى ذلك من الموضوعات الحديثة، و كانت جميع هذه المقالات قد كتبها العلامة شبلي و ملأها بمقالاته المتنوعة في البداية. فنالت المجلة قبولا و إعجابا لدى الأوساط العلمية، و هزت المشاعر هزا شديدا و قضت على الجمود الذي كان بين صفوف العلماء المسلمين، و أيقظت شعور المسلمين الجامدين. فالكتاب و الباحثون كانوا مشتغلين في عدة مسائل كلامية و فقهية، و كانوا يضيعون أوقاتهم الثمينة و أوقات غيرهم من المسلمين في التعليق و التأليف و التحشي و الشروح للكتب التي لا فائدة فيها، و ما كانت البيئة و العصر في حاجة إليها، فبعد ما طلعت المجلة - *الندوة* - فتحت آفاقا جديدا للباحثين و الكتاب، و أكبر تأثيرها بأنها أحدثت إنقلابا هائلا في أفكار العلماء و الأوضاع، و ألجأتهم إلى الدراسة بطرز جديد و بفكرة واعية.

فالمجلة كما كانت علمية في جانب، فكذلك كانت مذهبية في جانب آخر،

لأجل ذلك كان بحوثها تشتمل على التاريخ و الفلسفة و الحضارة و الثقافة و الأدب .... و كانت مستواها العلمى رفيعا بحيث أنها كانت تسد متطلبات العصر و مقتضياته، و كانت تنشر فيها مقالات الطلبة الناشئين، و الذين كانوا منهم ذوى أهلية و مواهب علمية فهم كانوا يعينون كنائبى مدير المجلة فى مختلف مراحلها، و بهذا الصدد فوضت نيابة تحريرها إلى الشيخ عبد الله العمادى (ت ١٣٦٦هـ) فى يونيو عام ١٩٠٥م، الذى كان مديرا لمجلة " *البيان*" العربية، فإنه كان يملك مؤهلات علمية و إنشائية، و كان يلتقى مرارا مع العلامة شبلى و يستفيد منه أثناء مكوثه فى لكناؤ، فوقع إختياره عليه أن يكون أول نائب لمدير المجلة٠(٤) ثم تولى نيابتها صاحبنا و مولانا أبو الكلام آزاد ثم شيخنا العلامة السيد سليمان الندوى، و استمر صدورها إلى عام ١٩١٢م، ثم توقفت لمدة، ثم أصدرت المجلة للمرة الثانية فى يوليو عام ١٩١٤م فى ادارة تحرير الشيخ إكرام الله الندوى، و توقفت فى ديسمبر عام ١٩١٦م، ثم لما قويت عناية العلامة السيد سليمان الندوى و إهتمامه بندوة العلماء و أراد أن يجدد العهد الراحل عزم على إصدار " *الندوة* " عام ١٩٤٠م للمرة الثالثة فقد وقع و أحسن ما وقع الاختيار لتحريرها على سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى و زميله الشيخ عبد السلام القدوائى الندوى المرحوم، فإنها اعتبرت مجلة علمية و دعوية مؤقرة، تحمل المعلومات الجيدة و الفكر الصالح المستقيم و تثير العقل و القلب، و لاسيما عندما بدأت تنشر فيها مقالات العلامة السيد سليمان الندوى و الشيخ حبيب الرحمن الشيروانى و الشيخ الدريا بادى، و الأسف الشديد إنها توقفت مرة ثالثة للخسارة المالية فى شهر فبرائر عام ١٩٤٢م، و هذا ما كتب سماحة الشيخ الندوى فى كتابه " *فى مسيرة الحياة* " (ص: ١٣٥) و هى لاتزال بحاجة إلى إصدارها من جديد، فيا حبذا لو تلقى القبول هذا الرجا ٠ فان ما ظهرت على مكانها الآن أى مجلة شهرية بالأردية من جامعة ندوة العلماء٠

مولانا آزاد كنائب مدير المجلة :

يصعب علينا أن نعين و نحدد دور صحافة مولانا آزاد متى بدأ؟ و لكن نستطيع أن نسير إلى أنه استهل حياته الصحفية من جريدة " *المخزن*" الصادرة بلاهور، فكانت تنشر فيها مقالاته و فى صحيفة " *الوكيل*" اليومية

بأمرتسر، كما أنشأ نفسه جريدة *"لسان الصدق"* ثم أوقفها لأجل نطاقها الضيق•

و بعد مدة يسيرة تولى رئاسة المجلة مولانا آزاد الذى عرفه العالم فيما بعد كصحفى قدير و إمام الهند و رئيس المؤتمر الوطنى و وزير المعارف الأسبق، و كانت علاقته مع المجلة بين فترة أكتوبر عام ١٩٠٥م إلى مارس عام ١٩٠٦م، ففى هذه الآونة القصيرة - نحو ستة أشهر - أنه ما كان معروفا فى الأوساط العلمية قبلها، و ما كانت شخصيته الفذة مشهورة لدى أصحاب العلم و المعرفة، فإنه التقى مع العلامة شبلى فى بلدة بومبائى سنة ١٩٠٥م حسبما كتب العلامة السيد سليمان الندوى فى *" حياة شبلى"*، و بعض كتب : التمس منه العلامة شبلى بأن يأتى إلى لكناؤ و يلتحق بالمجلة، و على كل أصبح هذا اللقاء بينهما لقاءا تاريخيا بحيث جعل أبا الكلام أبا كلام فى المستقبل، تأثر منه العلامة ببداهته و فصاحته فى الكلام و بسرعته فى الجواب و نبوغه فى الفكرة و الخيال، فجاء به العلامة إلى لكناؤ - ندوة العلماء - و أقامه عنده إلى مدة ترقى و ازداد يوما فيوما فى معرفته لأجل مؤهلاته الفطرية•(٥) و قريحته الوقادة و ذهنه الحادّ ، و عاش هنا مولانا آزاد عدة أيام مع المفسر المعروف الشيخ حميد الدين الفراهى (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) و استفاد من صحبته أيضا• و كان للشيخ الفراهى شغفا زائداً فى القرآن الكريم و لأجل صحبته دبّ هذا الروح فيه أيضا• و ظهر هذا اللون من قلمه السيال فى صحيفة *" الهلال "* التى أصبحت سحر احلالا فى تعبير أصح، بعد ممارسته و حنكته الصحافية من مجلة *" الندوة "* الشهرية• و حقا ما قال سماحة الشيخ أبو الحسن على الندوى عن المجلة و عن مولانا آزاد :

> *" كان ظهور مقالة فيها - الندوة - و لو كانت بقلم كبار أهل العلم و أصحاب الأقلام مفخرة و وسيلة تعريف و تنويه، فقد كان مولانا أبو الكلام آزاد - قبل أن يصبح البدر المنير على أفق الهند السياسى والأدبى - هلالا (٦) فى هذا النظام الشمسى كنائب مدير التحرير الذى لفت بعد برهة قصيرة من الدهر - كهلال العيد - أنظار المسلمين من أهل الهند كلهم" (٧)*

أما اللقاء فإنه كيف وقع بين مولانا شبلى و آزاد ذكره بشىء من

التفصيل الدكتور ملك زاده منظور فى كتابه " *مولانا أبو الكلام آزاد فكره وفنه*" بالأردية :

" *أول لقاء وقع بين العلامة شبلى و مولانا آزاد هو فى عام ١٩٠٤م فى بومبائى، حينما عاد ـ آزاد ـ من رحلته من العالم الاسلامى بعدما مرض فى بغداد، و كان حضر العلامة ـ شبلى ـ فى بومبائى لأجل توديعة البروفسور آرنالد (Prof. Arnold) حينما كان هو يغادر الهند إلى بريطانيا و قد جرى الكلام فى هذا اللقاء بينهما ـ العلامة شبلى و آزاد ـ حول كتاب " محصل الأفكار" للامام الرازى فما كان العلامة حينئذ مطلعا على نشر هذا الكتاب، ففى خلال ذلك أخبره مولانا آزاد عن ذلك، فقد تأثر العلامة من محادثته و فرح كثيرا*"(٨)

كما يقول مولانا آزاد نفسه :

" *حينما قدمت النسخة المطبوعة من الكتاب إليه يوم الغد، فإنه أقام حسن الظن بى* " (٩)

ثم يضيف الدكتور ملك زاده منظور :

" قبل هذا اللقاء جرت بينهما المراسلة و المكاتبة نحو قبل خمس سنوات، و لما أنشأ العلامة شبلى مجلة " *الندوة* " فألح عليه نظرا إلى شغفه العلمى أن يلتحق بالمجلة، و فى ذلك الأثناء لما استقال العلامة من وظيفته من حيدر آباد و انتقل إلى لكناؤ، فكتب إلى مولانا آزاد أن يأتى إلى لكناؤ و يمكث هناك، و فى نفس تلك الأيام عقد هناك مؤتمر التعليم (Educational Conference) فوصل مولانا آزاد إلى لكناؤ، لكن قبل وصوله سافر العلامة شبلى إلى وطنه أعظم كره، حيث كانت زوجته مريضة• فزاره ـ آزاد ـ و لاقاه فى أعظم كره، ثم انصرف معه إلى لكناؤ، فعينه العلامة كنائب مدير المجلة" (١٠)

و كان هذا بسبب نزعة مولانا تجره إلى الصحافة من أول عمره، كذلك كتب الشيخ سلمان الشمس فى إحدى مقالاته عنه :

" حتى صارت تطبع و تنشر مقالاته فى عدة الجرائد العلمية الشهيرة، و لم يكن فى ذلك الحين إلا فى الحادى عشر من عمره، و فى السنة الرابعة عشر أصدر جريدة " *لسان الصدق* " و كما نرى يبتدى دوره الصحفى من تصدير هذه الجريدة "

ثم أنه أضاف قائلا :

" و فى هذا الزمان فوض إليه العلامة شبلى النعمانى أن يدير مجلة " *الندوة* " التى كانت تصدر من ندوة العلماء تحت ادارة العلامة، فقرر مديرا للمجلة و حولها إلى أعلى الدرجة الصحفية حتى بلغت أوجها فى عهده " (١١)

و فى بعض المناسبات بعض أعداد المجلة ملئها - آزاد - بمقالاته مستوعبة، كما قال نفسه :

" كانت صدرت بعض أعداد المجلة و إنى أكملتها مستوعبة" (١٢)

فقد أقام مولانا آزاد فى لكناؤ نحو ستة أو سبعة أشهر مشتغلا بترتيب المجلة فى الحى القديم " *گوله گنج* " [Gola Ganj] فى مكان تعرف الآن " *بخاتون منزل*" و كانت مقر الشيخ مولانا عبد الماجد الدريا بادى المرحوم و الآن يسكن فيها شقيقان الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى و الأستاذ الشيخ محمد واضح رشيد الندوى•

ذكاوة مولانا آزاد و نبوغ ذهنه حسبما ذكره الشيخ الندوى :

فقبل أن أذكر الموضوعات التى تناولها مولانا آزاد فى " *الندوة* " يحلولى أن أقدم عدة أقوال العلماء الجهابذة و معاصريه عن ذكاوته و نبوغ ذهنه و عن بيئته، فقد كتب الشيخ أبو الحسن على الندوى عنه فى كتابه " *المصابيح القديمة* " :

"فى البيئة التى كنت عشتها و ترعرعت فيها فهى كانت تلائم مع فكرة مولانا آزاد و أخيلته تماما ففى تلك الآونة كان رجال كثيرون رأوه شاهد عيان حينما كان فى ريعان شبابه، و هذا هو العهد الذى كان فيه

مولانا آزاد كنائب مدير التحرير لمجلة " الندوة " فى المبنى القديم كان مكتبتها فى " گوله گنج " .... فكان مولانا آزاد يستفيد من فصاحة العلامة شبلى و من مجالسه العلمية، و كان العلامة أيضا يعجبه كثيرا لما يرى عليه مخايل الذكاء و الفهم السديد و لأجل ذهنه الوقاد و سرعته فى الجواب و فصاحته فى الكلام و براعته فى الانشاء عدا أبية نفسه و نظافة طبعه و عذوبة كلامه " (١٣)

فكان العلامة يقول عنه :

" إن عقل آزاد و ذهنه أعجوبة من أعاجيب الزمن، و لابد أن نعرض هذه الأعجوبة فى معرض علمى"(١٤)

ثم نقل الشيخ الندوى قول العلامة السيد سليمان الندوى عن عبقريته و مؤهلاته العلمية، و قال بأن العلامة حكى مرارا القصة التالية التى تتعلق بعهد *"الندوة"* :

" كثيرا ما حدث بأن العلامة شبلى (ت ١٩١٤م) كان يطلب من أرشد تلاميذه أن يكتبوا مقالا على موضوع، فهم كانوا يجمعون موادا وافرة من المعلومات، و بعض تلاميذه كانوا يقدمون بحوثا قيمة إليه، لكنه لم يكن يرضى من مقالاتهم، و فى أكثر الأحيان حاول العلامة أن يتجرب هذه التجربة و يختبر عن خبرة طلابه، و كل مرة ذهبت محاولته سدى• أما مولانا آزاد فإنه كان يكون مختفيا فى زاوية المكان، و كان يصغى إلى كلامه، فقد دنى منه و سأل عنه عماذا تسأل يا مولانا؟ فقد تكلم العلامة شبلى عن الموضوع و ألقى ضوءاً عليه بالايجاز، فلم يلبث لحظات حتى قدم المقال مولانا آزاد الذى كان يريده العلامة، فإنه وافق عن المقال قائلا هذا الذى أريده " (١٥)

" و ربما كانت هذه الموضوعات دقيقة و صعبة مشتملة على الحكمة و الفلسفة و كان قد تيقن الحاضرون بأن هذا الكاتب البارع الشاب الناهض

-آزاد -الذى استولى على الناس بطلاقـــة لسانـــه و براعة علمه و بتعمق نظره و دراسته سيستفضح أمره فى هذه المرة، و يذهب عنـــه حسن اعتقاد النـــاس، و يكشف على الناس قصور علمه، لكن انقلب الأمـــر، و دوما كان النجاح حليفا له" (١٦)

قول الكاتب نياز الفتحبورى و التطرف فى رايه عن "الندوة":

كتب الكاتب الصحفى نياز الفتحبورى عن التحاقه بـ "الندوة" بأنه التحق بالمجلة على طلب مولانا شبلى النعمانى، و أخذ زمام ادارتها بيده فقد تغير الجو، و تبدلت البيئة فما كان هناك أمره مع عامة الناس، بل كانت علاقته بالخواص، و هم كانوا العلماء، فما كان بوسعهم إلا أن يعترفوا بشخصيته الفذة و يقدروا بمؤهلاته الفردية•(١٧) فلا ينكر أحد عن هذا القول، و لكنه تطرف فى رأيه قائلا : و لم يمكث إلا أنه أصبح غرضا و هدفا لأجل التحاسد فيما بينهم و بدأت المؤامرات ضده التى ضاق بها ذرعـــاً، و مع هذا أنه ما كان راضيا بخدماته فى "الندوة" و أهدافها، لأن المجلة (الندوة) كانت مجلة المتطوعين، كما كانت مجلة مؤسسة تعليمية، هذا مايزعم الفتحبورى، ثم إنه يقول فى نفس المقال : بأن مولانا آزاد تضايق عيشه بالمجلة فامتنع يده عنها و كف عن العمل و القيام بمسئولياتهـــــا، و بعده أنه متعارض فى قوله : و مع هذا أنه بذل جل جهوده فى رقية المجلة و ازدهارها فى بيئة غير ملائمة له وقد يعد هذا العهد عهدها الذاخر•(١٨)

أما أنـــى فلا أتفق و لايتفق أحد الذى له فكر سليم مع رأى الصحفى نياز الفتحبورى فى البيان المذكور أعلاه، بأن انفصال مولانا آزاد عن مجلة "الندوة" كان بسبب بعض المؤامرات ضده، و أيضا أنه ما كان مطمئنـــا و راضيا بأهدافها لأنها كانت مجلة المتطوعين، و لأجل ذلك كف يده عن أداء مسئولياته الادارية نحوها، و انقطع صلته معها، فهذا ليس بصحيح، فإنى سأوضح الحقيقة فى ضوء الواقعية، كذلك قوله عن المجلة بأنها للمتطوعين، فهذا واضح على كل من له أدنى المام بـ "الندوة" بأنها كانت مجلة علمية نصفها أولا، و كانت مذهبية نصفها ثانيا، بل لو يقال

بأنها كانت ثلثها علمية و أدبية و ربعها مذهبية فلا يكون كذبا، بل هذا هو الحق و الصواب، لأن محتوياتها و بحوثها التى كانت تكون دينية فإنها أيضا كانت مصبغة بصبغة التاريخ و الأدب و الحكمة و.... كما وافق مع هذا الرأى الدكتور محمد نعيم الصديقى(نزيل أبوظبى) فى رسالته التى قدمها لنيل شهادة الدكتوراة بالأردية حول " شخصية العلامة السيد سليمان الندوى و جهوده الأدبية•(١٩) كذلك قول نياز الفتحبورى بأنها مجلة مذهبية بحتة، فليس فيه أيضا صداقة، لأن الواقعية لم تكن حسب قوله، فقد تنشر فيها المقالات و البحوث العلمية و الأدبية مرجحة على المقالات الأخرى كما تشهد لها المجلة نفسها•

أما مولانا آزاد فإنه عرف و كسب الصيت و الشهرة فى البلاد مقالاته المذهبية المنشورة فى مجلة الندوة- التى كان طعن عليها الصحفى المذكور- كما يعاضدنى الكاتب المعروف الشيخ محمد اكرام بقوله :

> *" المقالات التى عرف بها مولانا آزاد فى أقطار البلاد*
> *لم تكن أدبية، بل إنها كانت مذهبية و علمية و هى*
> *مقالاته فى " الندوة"* (٢٠)

أما قول الصحفى نياز الفتحبورى : كان انفصاله - آزاد - عنها بسبب بعض المؤامرات ضده، فليست له علاقة بالصحة، فالحقيقة ما كانت هناك أى مؤامرة، بل لما طبقت العالم شهرة مولانا آزاد بـ " *الندوة* " فأقبل الناس عليه، وبدأوا يستفسرون عنه من العلامة شبلى النعمانى من أقطار البـــلاد، و ازداد طلبه، و بهذا الصدد ألح عليه الشيخ غـــلام محمد صاحب صحيفة " الوكيل" بأمرتسر أن يلتحق بتلك الصحيفة و يتولى مسئولياتها الادارية، بدأت بينهما المكاتبة حول القضية، و حينما ذهب مولانا آزاد إلى لاهور لغرض المساهمة فى حفلة " *هيئة حماية الاسلام* " بلاهور المنعقدة فى ٢١-٢٣ من شهر أبريل عام ١٩٠٥م، فالتقى معه الشيخ غلام محمد و التمس منه أن يتولى رئاسة تحرير صحيفته -*الوكيل* - كما صرح بذلك مولانا آزاد نفسه فى كتابه، فبذلك السبب تجرد مولانا عن " *الندوة* " و التحق بصحيفـــــة " *الوكيل*" بأمرتسر عام ١٩٠٦م(٢١) و قضى هناك نحو سنتين•

فقد طلع مولانا آزاد على أفق الهند السياسى و الأدبى بفضل مجلة *(الندوة)* و هذا يعرف جميع رجال العلم• كما اعترفت بهذا أحد باحثة باكستانية الدكتورة مه جبين زيدى فى رسالتها•(٢٢) و لاينكر أحد عن

ذلك سوى نياز الفتحبورى و بعض المتطرفين مثله• فما قصدت لسرد هذا الكلام إلا أنه إذا تطرق أثناء البحث فكان لابد لى أن أستعرضها و أوضحها فى ضوء التاريخ و الواقعية، كذا استعرضتها فى السطور الماضية•

بحوثه المنشورة فى مجلة "الندوة" :

و الآن أتناول أهم جزء من هذا المقال، و هو بحوثه و مقالاته التى نشرت فى مجلة "*الندوة*" و ماكانت قيمتها و دويّها فى الأوساط العلمية و قراءها حينما كان مولانا كنائب مدير تحريرها، فأولا أقدم فهارس الموضوعات التى تناولها مع تعين العدد و السنة، ثم أقدم تلخيص بعض منها بالايجاز، فالموضوعات و التعليقات على الأنباء التى حررها مولانا آزاد كما تلى :

١- مسلمانون كا ذخيرهٔ علوم و فنون اور يوروپ كى سرپرستى (ذخيرة علوم المسلمين و فنونهم و إشراف أوربا عليها) المجلد ٢/ العدد ٨ شعبان سنة ١٣٢٣هـ / الموافق أكتوبر عام ١٩٠٥م مشتملا على ١٢ صفحة•
٢- المرأة المسلمة فى ثلاث حلقات : الحلقة الأولى فى المجلد ٢/ العدد٩ رمضان ١٣٢٣هـ/ نوفمبر ١٩٠٥م على ١٥ صفحة•
٣- المرأة المسلمة فى الحلقة الثانية المجلد ٢/ العدد١٠ شوال ١٣٢٣هـ/ ديسمبر ١٩٠٥م مشتملا على ١٤ صفحة•
٤- الأخبار العلمية : المجلد ٢/ العدد ١٠ ـ نفس المجلة مشتملة على ٥ صفحات•
٥- المرأة المسلمة : الحلقة الثالثة المجلد ٢/ العدد١٢ـ ذى الحجة ١٣٢٣هـ / فبرائر عام ١٩٠٦م•
٦- الأخبار العلمية : المجلد ٢/ العدد١١ـ ذى القعدة ١٣٢٣هـ / يناير ١٩٠٦م مشتملة على ٦ صفحات•
٧- القضاء فى الاسلام : المجلد ٢/ العدد ١٢ ـ ذى الحجة ١٣٢٣هـ / فبراير ١٩٠٦م و رتبها بأسرها كاملة•
٨- يورپ مين گونگون كى تعليم : (تعليم البكم فى أوربا) المجلد ٣/ العدد ١ـ محرم ١٣٢٤هـ / مارس ١٩٠٦م،

ص ٣٣-
٩- الأخبار العلمية : نفس المجلة مشتملة على ١ صفحة•

ذخيرة علوم المسلمين و إشراف أوربا عليها : (اكتوبر ١٩٠٥م - ج ٢/٨ ص : ٢٣- ٢٤)

فأول مقالة التى كتبها مولانا آزاد فى مجلة "*الندوة*" كان موضوعها "ذخيرة علوم المسلمين و إشراف أوربا عليها" فكانت هذه المقالة مقالة علمية عرض فيها الكاتب دراسة واسعة عن تخصصات المسلمين فى مختلف العلوم العلمية و الفنية، و عيّرهم فيما كان تحقق لهم السبق و السيطرة العلمية فى مجالاتها• و لكن بعدم اعتناءهم إلى هذه الجهة المهمة تخلف المسلمون فيها، و تقدم أهل أوربا فى العلم و الدراسة العربية، فإنه نقد المسلمين قائلا :

> *" إن هذا لعار للمسلمين بأنهم تركوا المجال للآخرين، فاللغة العربية ليست هى لغة المسلمين الدينية فحسب، بل هى تراثهم المجيد، و هى تحتوى جميع علومهم، و كم الأسف بأن هذا الكنز أصبح اليوم بيد أوربا• و المسلمون بدون شىء ينظرون إليها حيارى، إن هذه لغفلة منهم، و إن أوربا لو لم تقم بحفظ هذا التراث، لضاعت هذه الكتب الثمينة من صفحات التاريخ و الأدب، التى هى الأساس فى اللغة العربية و علومها، و إنما حفظت بفضل أوربا، و طبعت بعنايتها فى طبعات مضعفة منقحة بدل نسخة معثوثة متأكلة• و هم قد جمعوا المواد العلمية عن اللغة العربية و علومها فى لغاتهم ما لم يخطر علماء المسلمين ببال• فهم ألفوا حول علم الألسنة و اللغة و الصرف و النحو و القوافى، كتبا كثيرة بالدقة و التحقيق• حتى لو نقلت إلى لغاتنا نصفها لأصبحت ذا ثراء طائلة فى المعلومات و لغنيت مكتباتنا بها "*

فيقول الدكتور لائتنر(Dr. Leitner) مشعرا بغفلتنا المؤسفة هذه : إن المسلمين لكثيرون، و لكنهم ماذا يعلمون؟ فان احتاجوا اليوم إلى كتاب ذا أهمية فى التاريخ أو إلى ديوان شاعر منهم فلم يسع لهم إلا أن يرجعوا

إلى أوربا • فالمسلمون لايعرفون عن ابن خلدون و ابن رشد و ابن بطوطة، و الحاجى خليفة، و ابن الأثير، و المقريزى الذين هم أساطين العلم فى الاسلام• و كم منهم قرأوا دواوين تأبط شراء، و إمرىء القيس، و البحترى و أبى تمام، و لكن فى أوربا مئات من الناس يقرأونها، أما ترجمة القرآن الكريم فيقرأها مئات آلاف•(٢٣)

فقد علق مولانا آزاد فى البحث بعد نقل هذا القول بأن الدكتور لائتنر (Dr. Leitner) يتأسف على أن المسلمين إذا احتاجوا إلى كتاب عربى مهم فيطلبون من أوربا، لكننى أتأسف على أن المسلمين لايعرفون ماهى الكتب النادرة التى نشرتها أوربا، فضلا أن يطلبوها منها•

فقد كتب مولانا آزاد هذا المقال لكى يعرّف به المسلمين على علومهم و ما قامت أوربا بخدمات جليلة من نشر العلوم و الثقافة التى يستفيدونها المسلمون بفضلها، فجعل لهذا البحث جزئين، و استعرض فى أولها بأن أوربا بذلت عنايتها إلى اللغة العربية و دراسة علومها، و ماهى الكتب المهمة التى انتقلت بعنايتها من العربية إلى اللغات الأوربية من صرف و نحو و أدب و لغة و ....."

و فى ثانيها قدم فهارس لتلك الكتب التى نشرت بفضل أوربا•(٢٤) فكان هذا البحث بحثا علميا قيما مفيدا كذلك• و قد نال القبول و الاعجاب فى الأوساط العلمية، و كان يستحق أن ينقل إلى اللغة العربية بالأخص، لكى يطلع به علماءنا العرب على جهود علماء المسلمين فى الهند، و فى مقدمة هؤلاء العلماء صاحب هذا المقال مولانا آزاد الذى وقف حياته فى خدمة العلم و الدين و الدولة و نشر الثقافة و إصلاح المجتمع ....."

المرأة المسلمة : **(ص : ١٥-٢٩ نوفمبر ١٩٠٥م / ج ٢- العدد ٩ و ١٠ و فبراير ١٩٠٦م / ج ٢ - العدد ١٢)**

و الموضوع الثانى الذى تناوله مولانا آزاد فى المجلة - فى أعدادها المذكورة - تلقاه الناس بالقبول و الاعجاب هو " *المرأة المسلمة* " للكاتب المعروف فريد وجدى المصرى، و كان صدور هذا الكتاب بمصر قبل تسع قرون تقريبا، و كان كتابا قيما فى الموضوع، فقد علق عليه مولانا آزاد تعليقا حسنا، و قدم تلخيصه أمام القراء الأردية أول مرة عن طريق مجلة " *الندوة* " فما تبلى جدته حتى الآن بعد مرور قرون، فأقدم هنا تلخيص قول

آزاد معربا إلى القراء العربية، فقد أثبت الكاتب المصرى فى البحث مستدلا بدلائل الطبعية و الشرعية بأن " *المرأة* " لاتساوى مع الرجال كما تكلم فيه على النقاط العلمية و التاريخية و الاجتماعيـــة و العمرانيـــة و الحكمة بأن حرية المرأة و سفورها مخالفة عن أداء مسئولياتها الطبيعية•

و يستحسن أن يلاحظ تفصيل هذا المقال بلسان مولانا آزاد، فانه كتب فى " *الندوة* " مقارنة بين البيئة الهندية و المصرية فقال :

" اختلاف التعليم و حرية الرأى كما حدث بهما بون بعيد فى البيئة الهندية و وزعا الناس فى طبقتين• أحدهما : المؤيد لتعليم القديـــم، و ثانيهما : المولع بتعليم الحديث، فالبيئة المصرية أيضا كذلك• فالبعد الذى وقع بين الحزب القديم و الجديد فى الهند يرى ذلك البعد فى مصر أيضا، لكن مع هذا الشبه الكامل هناك فرق كبير أيضا بينهما، و هو أن التعليم العصرى ليس لكسب العيش فى مصر، بل ظهرت به النتائج المفيدة، و نشأ بذلك فى الناس الذوق الأدبى و الثقافى و المؤلفات الأدبية التى يفتخر عليها اليوم و هى حصيلة هذه الطبقة المثقفة الجديدة•

أما فى الهند و لو تطلع الطبقة المثقفة على مقتضيات العصر، و تساير مع أوربا، لكن سلبت منها مادة أهلية الامتياز بيـــن الصحيـــح و الـــردى، و لأجل نقصها التعليمية فلا تستطيع أن تميز بين الحسن و القبح على العكس كما تنظر مصر إلى أوربا بنظر الحب و الوله كذلك أهلها ينتقدون أيضا عليها، و كل ما يكتبون ضدها فهو يكون نقدا هادفا و قويا مدللا"

ثم كتب مولانا آزاد :

" و من إحدى مباحثها الجديدة هى " *حرية المرأة و حجابها* " فقد جرت هذه المسألة أيضا فى الأيام الماضية فى مصر كالهند، و أحد أفراد من المجتمع الحضارى هو المستر" قاسم أمين بك " الذى كان من مؤيدى حجاب المرأة فى زمان، و كان يستنكر الحرية الحاضرة لأوربا بشدة• و قد ألف رسالة فى اللغة الفرنسياوية فى تأييد الحجاب الشرعى الاسلامى، التى أحدثت ضجة و ثورة فى فرنسا لعدة أيام، لكن تغيرت فكرته و وجهة أنظاره فى الأيام الماضية فجأة، فبدأ ينظر إلى الحجاب بنظـــر البغض و الغضب و المقت و السخط، و استنكف منه عوضا عن حرية أوربا، و ألف رسالتين تلوا بعد تلو و نشرهما فى حرية المرأة و أيدها بقلمــــه من نار ملتهب، و اختـــار فيهما موقفـــا عنيفـــا تجاه الفكـــر الاسلامـــى، فسمى أولهما بـ " *تحرير المرأة* " و ثانيهما " *المرأة الجديدة*" و قد ألجأت هاتان

الرسالتان إلى التفكير من جديد لأهالى المصر على هذه القضية، فقد قام أصحاب أقلام مصر بالرد على أفكار " قاسم أمين بك " حتى ألفوا خمس رسائل مختلفة واحدة بعد الأخرى و كان ألف احداها أحد الفضلاء من بيروت، و الأربعة الأخرى ألفها الكتاب المصريون، " *المرأة المسلمة* " للكاتب المعروف السيد فريد وجدى، التى قام بتعريفها مولانا آزاد فى "الندوة" كانت إحدى تلك الرسائل فإنه كتب :

" أريد أن أعرف بها القراء - بالأردية - على مباحثها القيمة، التى تلقى ضوءا مفيدا على " *تحرير المرأة* " (للقاسم أمين بك) فى جانب، و بجانب آخر يعرف بها الذوق الأدبى و الثقافى الجديد، و يعرف بذلك مدى اختلافه من الذوق الذى يوجد فى الهند " (٣٥)

ففى هذا التأليف الأنيق تناول الكاتب - فريد وجدى - موضوع " *المرأة المسلمة* " و مسئولياتها الفطرية و مؤهلاتها الخلقية(البدنية) و مشاركتها مع الرجال فى مجالات العمل، كما ناقش الباحث عن الحجاب و ما يتعلق منه القضايا الأخرى، كذلك عرض فى الفصل الأخير من الكتاب ما هو أحسن طريق و أسلوب لدراسة المرأة• فلماذا اختار مولانا آزاد هذا الكتاب للترجمة و التعليق عليه، و كيف وقع بصره عليه، فأحسن أن تلاحظوا هذا الجواب منه فانه قال :

كان الكتاب قد يؤلفون فى هذا الموضوع منذ عشرين سنة فى الهند، و قد قدموا قدرا طيبا من الأدب المختص بالموضوع .... و خلاصة هذا الدفتر الكبير : أن الطبقة المتحضرة التى أظهرت النقائص فى التقيد بالحجاب، فليس هذا من رأيها، بل رأتها بمنظار الغرب و أتبعتها فيها، فهى لاتستطيع أن تسطر بسطر ما و تعرب عن نفسها ضد الغرب لأجل دهشتها، فالرأى الذى يظهر من الرؤس المتغطية من الطربوش بدلا من قبعة، هو رأى الغرب، فالذين قاموا بتأييد الحجاب برسالاتهم كان معظم عددهم من المثقفين القدماء، فما كان لديهم معرفة عن البيئة الجديدة و كل ما كانوا يكتبون فيكتبون فى ضوء الدين معتمدا عليه، أما المذهب فليس له أثر على الطبقة المثقفة المتحضرة• أما الباحث فريد وجدى فإنه كلما كان يكتب يكتب فى ضوء أقوال أوربا مستفادا منها، و راعى فى كتاباته بيئة أوربا، فظهر بناء على هذا بأن " *المرأة المسلمة* " كما يؤثر على الطبقة المتحضرة فلا يؤثر مثله كتاب آخر من كتبنا المذهبية عليها •(٢٦) فلأجل هذا الغرض اختاره مولانا آزاد للتعريف به و نشر مقاله

فى ثلاث حلقات فى " *الندوة* " فى شهر نوفمبر و ديسمبر عام ١٩٠٥م و فى فبراير عام ١٩٠٦م، ثم ضمت هذه الحلقات فى كتاب صدر من " *روز بازار* " بأمرتسر تحت منشورات صحيفة "*الوكيل*" و تلقى قبولا من قراءه•

القضاء فى الإسلام :

كتب مولانا مقالا آخر حول هذا الموضوع و نشره فى شهر فبراير عام ١٩٠٦م، و الأسف إنى ما عثرت على هذا المقال، لذلك لا أستطيع أن ألخصه أو أقوم عليه بالتعليق•

تعليم البكم فى أوربا : (مارس عام ١٩٠٦م ج ٣/١ ص : ٢٧-٣٩)

ثم كتب مولانا آزاد مقالا علميا مفيدا فى المجلد الثالث و العدد الواحد المذكور حول موضوع " *تعليم البكم فى أوربا* " ذكر فيه نظام دراسة البكم، و ما هى أسباب البكم الخلقية و بدايتها و تاريخها؟ و البكم كيف كانوا كلاعلى وارثيهم، ثم متى بذلت أوربا عنايتها على دراسة هذه الطبقة البائسة؟ فقد استعرض الكاتب (مولانا) على هذه الجوانب كلها فى البحث بكل دقة و تحقيق، فقد كتب :

كان قد ظن الناس بأن تعليم البكم أمر محال، كما كان ظنهم بأن البكم لايستطيعون أن يتعلموا بدون النطق و التكلم، كما كان حسبهم بعض الأمم منحوسين و مشئومين، كما كان الناس يتفاءلون بولادتهم بهلاك الأسرة، كذلك زعمهم الناس فى فرنسا أيضا إلى زمان• حتى قام أحد من أهل أوربا المسمى بـ " *كروم كردان* " فى القرن السادس عشر الميلادى، و بذل سعيه فى نشر تعاليم البكم و اخترع طريقا لدراستهم واسترعى انتباه أوربا إلى تعاليمهم، و كان قوله :

> " الكتابة مربوطة بالكلام و الكلام بالفكرة، لكن هذا يمكن بأن يبدى الرأى بدون النطق بواسطة الأخيلة، و الأخيلة بالحروف و الكتابة" (٢٧)

ثم كتب مولانا :

فقد أثر هذا القول أثرا بالغا فى عامة الشعب، و قد تغير بهذا رأى كثير

من الناس، و قد فهم الناس بأن البكم الطبعى و الخلقى ليس بأمر محـــال و لا غير ممكن، و فى عهد "كردان" قام أحد راهب المسمى بـ "بونسى" بهذا العمل المجيد و البطولة، و أراد أن يقدم نموذجا لدراسة البكم، لكن جهوده كانت محدودة إلى ذاته فحسب، فإنه ما استطاع أن يعلم طريقـــه و ما ألف أى رسالة فى الموضوع، إذ صدر كتاب من "ميدريد" فى عام ١٩٢٠م للعالم الأسبانى المعروف بـ "بونت" فإنه قام بتأليفه بعد التجربـــة و التحقيق، فكان ذلك حصيلة حياته قدم فيه قصارة دراسته، كتب فيه المؤلف جميع طريق التعليم و التربية للبكم، و أول مرة أسست المدارس و المعاهد فى إيطالية ثم فى الغرب للبكم• ثم عمت هذه الطريقة فى البلاد المتمدنة الكثيرة• و بعده تكلم مولانا على دراسة البكـــم فى أوربا و أمريكا قائلا :

يدرس البكم اليوم فى أوربا و الأميركا على منهجين •
أحدهما : بإيماء الأيدى
ثانيهما : بواسطة الألفاظ

فقد كان هذا البحث أيضا نافعا جدا و موضوعا جديدا، فقد نال به الشهرة فى الأوساط العلمية و قدم فى آخر البحث فهارس البلاد التى أقيمت المدارس فيها للبكم مع تعداد الطلبة آنذاك فيها مثلا :

فى فرنسا ٦٢ مدارس، و عدد الطلبة ٣٨٩٦ يدرسون فيها البكم، و ما إلى ذلك من الأمثلة للبلاد الأخرى•(٢٨) و علاوة هذه المباحث التى ذكرتها آنفا ذكر مولانا آزاد محبة العلم و الصداقة للعمى و الأضرار فى المقالة المذكورة فى عهد المسلمين•

هذه هى المقالات و البحوث التى نشرت فى مجلة "*الندوة*" لمولانا آزاد حينما كان نائب مدير تحريرها، فنال بها الصيت و الشهرة فى الأوساط العلمية حتى بدأ الناس يستفسرون من العلامة شبلى عن هذا الشاب الناهض اليلمعى، فأجاب العلامة شبلى فى إحدى رسالاته التى أرسلها إلى الكاتب مهدى الأفادى :

"إنك تعرف آزاد عن طريق "مخزن "(٣٩) و رأيت مقالاته بقلمه فيها قبل• أما آزاد فانه ترقى هنا فى المعلومات لأجل مكوثه عندنا" (٣٠)

فلأجل علاقته مع مجلة "*الندوة*" و مساهمته فيها كنائب مدير تحريرها سنحت له الفرصة الغالية بأن يبدأ رحلته العلميـــة و حياته الصحفيـــــة و الكتابية تحت إشراف عالـــم جليـــل و أستاذ كامل فى الفنون مثل

العلامة شبلى، و لو لم يسنح له هذه الفرصة الغالية للاستفادة منه، ربما لضاعت هذه الشخصية العملاقة النابغة من أيدينا التى أنجبته الهند و يفتخر عليها العالم كله• فقد طلع على أفق الصحافة بفضل " *الندوة* " و مؤهلاته الفردية و الشخصية قبل ظهوره على منصة الخطابة و السياسة و الأدب• و لأجل شهرته العلمية و خبرته الصحافية ازداد طلبه من الصحف و المجلات و المؤسسات الهندية و تجاوب على دعوة " *الوكيل* " بأمرتسر•(٣١) كما ذكرت فى البحث•

و قد عرفه العالم فيما بعد كامام الهند، و رئيس المؤتمرالوطنى و وزير المعارف الأول فى الحكومة الهندية، و مدير " *الهلال* " و" *البلاغ*" و مفسر القرآن الكريم المسمى بـ " *ترجمان القرآن* " و مؤلف قدير بطائفة من الكتب العلمية، و خطيب مصقع و ما إلى ذلك من الميزات الأخرى، فالفضل يرجع إلى " *مجلة الندوة* " و تربية العلامة شبلى، فإنه سعى لصياغة ذهنه و فكرته و إبراز شخصيته المنفردة الممتازة• كما كانت له علاقة قوية مع حركة ندوة العلماء حيث قضى فرصته الذهبية أكثر من نصف سنة فى مستهل حياته العلمية كما ذكرت فى البحث، فإذا احتاجت - ندوة العلماء - إلى مشورته أو نزلت بها نازلة فى زمن الذى كان فيه مولانا وزيرا للمعارف ، فإنه قام بحلها بكل فرح و إخلاص مشعرا بسعادته، و إنه كان كأحد أفراد من أسرة ندوة العلماء، فكم كان يحب أن يرى مستقبلها مشرقا و زاهرا، فلا زالت هذه الحركة التى يقودها الآن العلامة الشيخ أبو الحسن علي الندوى متقدمة، و تلعب دورا قياديا فى صياغة الجيل الجديد كما كان يأمل منها مولانا آزاد، كذلك أنه كان مديونا لحسنات العلامة شبلى طيل حياته• فلما أسس مجمع دار المصنفين بأعظم كره فإنه حظى بعضويته بصفة دائمة كما اختاره المسئولون كزميل فخرى فإنه تلقاه بالقبول ردا باحدى رسالته :

" لو يكون فيه موضع حمّال لأقبله بشرط أن يكون المجمع صحيحا و خالصا " فإنه كان يفتخر عليه• و لما تولى منصب وزارة المعارف فى الحكومة الهندية الجمهورية فكان أحسن إلى هذا المجمع عدا المؤسسات الأخرى•

المصادر و المراجع :

١- " حياة شبلى " للعلامة السيد سليمان الندوى، ص : ٤٣٧-٤٣٨ (طبع فى معارف بريس باعظم كره ١٩٨٣م)

٢- المصدر نفسه، ص : ٤٣٩

٣- المصدر نفسه، ص : ٤٤٠

٤- المصدر نفسه، ص : ٤٤٣

٥- المصدر نفسه، ص : ٤٤٤

٦- إشارة إلى صحيفة " الهلال " الأسبوعية التى أنشأها مولانا آزاد عام ١٩١٢م و كانت تنشر فيها مقالات تكتب من نار و تنتقد السياسة الأوربية الطيبية فى قوة و بلاغة لايعرف لها نظير، و هام بها المسلمون فى أرجاء الهند، و يتهافت على قراءتها آلاف مؤلفة من المسلمين الوطنيين، و هذه أول صحيفة تنشر مصورة على آلة الكتابة، فقد اخترع فيها مولانا طريقا جديدا، فإنه ما كان مقلد الشيء بل دائما يخرق طريقه فى كل شيء•

٧- كانت المجلة مستمرة فى الصدور إلى ديسمبر ١٩١٢م (راجع " فى مسيرة الحياة " لسماحة الشيخ الندوى، ص : ١٣٤ ط : دار القلم دمشق ١٤٠٧م)

٨- " مولانا أبو الكلام آزاد فكر و فن " للدكتور ملك زاده منظور، ص : ٩٥-٩٦ ط : سرفراز بريس لكناؤ ١٩٦٩م•

٩- " آزاد كى كهانى خود آزاد كى زبانى " (قصة آزاد بلسان آزاد) رواية شيخ عبد الرزاق المليح آبادى ص : ٣٢٨

١٠- مولانا آزاد فكر و فن للدكتور ملك زاده منظور، ص : ٩٦

١١- " ثقافة الهند" مجلة فصلية بدلهى مقالـــة الأخ سلمان الشمسي المجلد : ٣٠/ العدد : ١، يناير ١٩٦٩م ص : ٧-٨

١٢- " آزاد كى كهانى آزاد كى زبانى " ص : ٣١٥ للمليح آبادى•

١٣- پرانى چراغ (المصابيح القديمة) للشيخ أبـــى الحسن على النـــدوى ج : ٤٥/٢ طبع فى جه . كه بريس بدلهى عام ١٩٨٠م•

١٤- " مولانا أبو الكلام آزاد " (بالعربية) للدكتور عبد المنعم النمر- وزير الأوقاف بمصر سابقا، و إنه نال شهادة الدكتوراة من جامعة إزهر على هذا البحث و لعله أول بحث كتب بالعربية عليه، مع أن الكاتب لايعرف الأردية إلا ما أخبره الناس• و جميع المصادر عليه كانت بلغـــتنا الأم ، و لأجل ذلك بعض جوانب المهمة ما تناولها فى البحث• مع هذا أنه يستحق منا الشكر و التقدير فالفضل للمتقدم• ج : ١/ طبع فى مصر عام ١٩٧٣م•

١٥- پرانی چراغ (المصابيح القديمة) ج : ٤٥/٢ للشيخ الندوى، طبع بدلهى عام ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م
١٦- المصدر نفسه :
١٧- مجلة " آجكل " بالأردية الشهرية الصادرة من دلهى عدد ممتاز عن مولانا آزاد، مقالة : العظمة الصحفية لمولانا آزاد للصحفى نياز الفتحبورى ص : ١٨ـ أغسطس عام ١٩٥٨م•
١٨- المصدر نفسه : ص : ١٩
١٩- *"علامة السيد سليمان الندوى شخصيت و أدبى خدمات "* (شخصية العلامة السيد سليمان الندوى و جهوده العلمية) للدكتور محمد نعيم الصديقى ، ص : ٣٢٤ طبع عام ١٩٨٥م فى لكناؤ• تلقى المؤلف على هذا المقال شهادة الدكتوراة من جامعة كوركفور(GORAKH PUR) عام ١٩٧٩م•
٢٠- " شبلى نامه " (المكاتيب للشبلى) للشيخ محمد اكرام ص : ١٢١ طبع فى باكستان•
٢١- راجع التفصيل " آزاد كى كهانى خود آزاد كى زبانى" ص : ٣١٥ و " حياة شبلى" للسيد سليمان الندوى، ص : ٣٤٥ و " مولانا أبو الكلام آزاد فكر و فن " للدكتور ملك زاده منظور، ص : ٩٩- ١٠٠
٢٢- سيد سليمان الندوى حياة و تصانيف للدكتورة مه جبين زيدى، ص: ١٣ نالت الكاتبة شهادة الدكتوراة على هذا البحث من القسم الأردى بجامعة كراتشى عام ١٩٨٤م• و لعل البحث لم يطبع بعد، و عندنا نسخة خطية موجودة فى مكتبة دار المصنفين بأعظم كره•
٢٣- مجلة " الندوة " الشهيرة المجلد ٢/ العدد : ٨ شعبان ١٣٢٣هـ/ الموافق أكتوبر عام ١٩٠٥م، ص : ٢٣-٢٤ مقالة مولانا آزاد : ذخيرة علوم المسلمين....
٢٤- المصدر نفسه، ص : ٢٤
٢٥- " الندوة " المجلد ٢/ العدد : ٩ رمضان ١٣٢٣هـ/ نوفمبر عام ١٩٠٥م- و "مولانا أبو الكلام آزاد فكر و فن" ص : ٩٧-٩٨.
٢٦- المصدر السابق نفسه :
٢٧- مجلة " الندوة " مارس ١٩٠٦م المجلد ١/٣ ص : ٣٢-٣٣
٢٨- المصدر نفسه، ص : ٣٤-٣٩
٢٩- إشارة إلى صحيفة " مخزن " التى أنشأها الشيخ عبد القادر المرحوم عام ١٩٠١م و كانت تصدر عن لاهور تنشر فيها مقالات مولانا آزاد فى مستهل حياته الصحيفة، و بهذا الجانب أشار العلامة شبلى فى رسالته• راجع "حياة شبلى" ص : ٤٤٤
٣٠- مهدى : ١٩- " حياة شبلى " ص : ٤٤٤
٣١- المصدر نفسه، ص : ٤٤٥

كلمة الرئاسة
فى الاجتماع الخاص
لحزب المؤتمر الوطنى
دلهى ، ١٥/ ديسمبر ١٩٢٣م

بقلم : مولانا أبى الكلام آزاد

أيها المندوبون ، سادتى و سيداتى !

فى مثل هذا اليوم العصيب الحاسم من نضالنا الوطنى، قد أجبرتكم الحال على الإجتماع فى هذه القاعة، قبل انقضاء عام• و اضطررتم على ذلك لتبحثوا و استرشدوا لحل المشاكل الحالية• فاذا قلت إنه وقت اجتمع فيه العمل مع مشاكل الأهداف، الوقت الذى لا نظير له فى تاريخ هذه القاعة فيكون ذلك، فى نظرى، أن يشعر به كل واحد منكم• و قد اجتمعتم منذ ثلاث سنوات فى مثل هذا الإجتماع الخاص بكلكتا• فكان ذلك اليوم أيضا يوما عظيما فى التاريخ• و كانت عظمة ذلك اليوم كمثل تلك الأيام التى تعلن فيها الأمم معركة التحرير• و فى أهمية هذا اليوم نرى لمحات من الأيام التى فيها الأمم من الصعوبات الحاسمة للحروب• فى ذلك اليوم كنتم تفكرون فى بدء المعركة و اليوم مضطربون لنتائجها• فى ذلك الوقت تبحثون عن السفر و اليوم عليكم خطر الضلالة، فى ذلك اليوم تتطلبون السفينة و لكن اليوم كما قال الشاعر الفارسى " حافظ " الخالد الذكر قد تحركت السفينة من ضفة، و الضفة الأخرى مازالت بعيدة، و بدأت الأمواج تحيط بالسفينة"•

سادتى ! حينما اخترتمونى للرئاسة فى مثل هذا الوقت الحاسم فأشعر برسالة من الاحترام و الثقة من جانبكم التى لا أرانى مستحقا لها و لايسعنى إلا أن أراها نتيجة حسن ظنكم بى• فاذا استطعت أن أفوز من جانبكم بثقة على خدماتى الوطنية فينبغى أن أتيقن أنها شهادة اعتماد عظيمة من جانب وطنى و أمى• و إننى لأشكركم على ما أظهرتم لى من العزة و الاحترام• لكننى أرجو منكم المعونة و المسايرة فى تحمل

المسئولية التى أعتقدها وديعة مقدسة لثقتكم بى• لاشك أننا نواجه مشكلة صعبة فى وقت صعب و لكن إيماننا لم يتزلزل، و لو أننا كنا فى ريبة بطرق عملنا، و لكننا لانشك أبدا فى صدق هدفنا• إن مساعينا المتواضعة هى للحق و العدل، و إننى على يقين أن أحب على عند الله فى أرضه و هذه هى مشيئته• و من اللازم أن نعترف بضعفنا و عدم قدرتنا، كما يجب أن نكون على حيطة من ابتلاءات الدهر و مخاوف الطريق، و نكون على حذر من شدائد المشاكل و العقبات، و لكن ينبغى ألاّ نكون خائفين من النتيجة• و يجب أن نكون على يقين أن رحمة الله التى ساعدتنا فى تلك الحالة الأولى مع قلة أدواتنا هى التى تأخذ بأيدينا فى هذه الحالة من الامتحان و الابتلاء، و يكون النصر لنا فى الأخير•

لمحة نظر :

سادتى !

إننى لست على جهل فى حدود البحث و النظر، مهما تكن كثرة الأفكار و المقاصد سببا لإمتحان التمالك و التماسك فإننى سأحفظ نفسى من التقدم إلى تلك الحدود التى يجب أن تضبط رئيس اجتماعكم السنوى و بالأخص فى حال أنكم قد استحسنتم الانتخاب للرئاسة• إننى لأعلم أننا فى فترة التغيرات• و من هذه التغيرات، تغير فى ذلك التصور الذى كان من تقاليد و قواعد هذه القاعة•

فالآن لاتنتظرون ممن يترأس الاجتماع أن يضيف عملا ضخما فى الأدب السياسى أو يمتحن قوة تحملكم فى السماع بفصاحته المملة• على عكس ذلك تريدون أن يقول لكم، ابدؤا العمل فورا• إن تغير عواطفكم هذا فى الحقيقة نتيجة لذلك الانقلاب الذى حدث فى كفاحنا حيث أن قومية الهند بعد أن كمّلت مرحلة البحث و النظر تحولت إلى الحياة العملية• و يبقى لكم الشىء المرغوب فيه هى الفصاحة، بل السذاجة فى العمل•

فلو غمضت عيونى عن جميع الأمور الثانوية و الجانبية متمسكا بالمقصد الأساس و أعتنى فى ذلك بالسذاجة و الاختصار فيكون فى ذلك اجابة إلى رغباتكم أكثر منها إلى رغباتى•

المسائل المحلية :

و لو نظرت فى الأمور التى تتعلق بالوقت الحاضر لكنت أرجح السكوت

على التكلم • فما هو الذى يمكن أن يكون لنا جديدا؟ و الذى يمكن أن نذكره، على أن شكلا جديدا حدث لمعلوماتنا و محسوساتنا؟ قد مضى على احساس القومية الهندية وقت كان ينقد فيه عدم انصاف الحكم الادارى، ثم تبدل النقد إلى الشكـــوى، ثـــم أخذت هـــــذه الشكاوى شكل التظلـــم و المطالبات • إننا بقينا مدة لاتخرج من أفواهنا صيحة على الظلم، و لكن الآن فقد تجاوز الأمر من هذه الحدود و لم تبق سعة لشىء غير العمـــــــل و العزم • و قد واجهنا الظلم حتى تعودناه كأنه حدث عادى فى حياتنا اليومية، فأصبح ذكر هذه المظالم أمرا غير ضرورى بل صار هذا الذكر بمنزلة الشك فى عملنا و إيماننا • و انكشفت الحقيقة إلى آخر حد اليقيـــن، و لا يمكن فيها الزيادة، و لا انتظار لرفع ستار جديد عنها • نحن على يقين أنه كل ما نعامل به سيستمر كذلك إلى أن نبدله بنفسنا • لسنا نواجه وقتا أو أشخاصا بل نحن أمام نظام كامل و نعتقد أنه ظالم فى طبيعته، فلو بقى إلى الآن فليس لأنه قوى من ذاته بل لأن اهمالنا قد زوّده بالأعمدة • فلما كان الظلم ليس عمله بل خاصته و صفته لا يصح أن نشتكى بل ينبغى أن نسعى لإزالته •

ـ حقيقة قديمة و اعتراف جديد :

إننى أحيّي بكل رحابة قلب تلك الاعترافات الجديدة للحقيقة القديمة، الاعترافات التى جرت على ألسنة اخواننا الذين كانوا يشتكون اليناعن طرق أعمالنا • ليس هناك شىء جديد لنا فى تجارب ثلاث سنوات للمجالس الاصلاحية المزعومة فى ضرائب الملح و تهنيد الوظائف الحكومية الكبيرة، كما أننا لا نرى ظلما جديدا فى قرارات كينيا، بل انه إعادة من جديد للظلم القديم المتوقع • فيها عاطفة العنصرية والتعصب القومى، و هل لم يكن ذلك موجودا قبل الآن؟ فيها عدم ايفاء المواعيد البريطانية • و لم يعد جديدا قطع البريطانيا لمواعيدها، بعد الحوادث التى وقعت خلال خمس سنوات الماضية • فيها انكار عن الشرف الهندى، و حسب ما أعلم ليس هناك نظير فى الماضى لاعتراف عزتها و احترامها • و مع ذلك نفى هذه الأمور لانكشافات لهؤلاء الناس، التى كانت ضرورية لتكميل التجربـــــــة و للاعتقاد بالحقيقة • و قد اعترف كثير من هؤلاء " أن الصلات المزعومة كانت مجرد ستائر للخدعة" و أن المحافظة على عزة نفس الهند، فى

الأحوال الحالية لأمرمحال، و أنه لايمكن الاعتماد على المواعيد البريطانية المقطوعة، و هم أيضا يشعرون أنه لابد من المقاطعة القومية• و لذلك يرون أنه ينبغى للهند أن تقاطع المعرض الامبراطورى بكل قوة•

أيها السادة !

إننا فى هذه المناسبة لن نشتكى على أنهم قد تأخروا فى الاعتراف بالحقيقة، و كذلك لنفس أن الحقيقة كانت منكشفة قبل ثلاث سنوات، كما هى تتراءى لنا اليوم بعد قرار كينيا، فالاعتراف بالحقيقة سواء أكان متأخرا أو مقدما على كل حال، اعتراف• و لنقول لهم إن وطنكم فى حاجة اليكم اليوم كما كان قبل ثلاث سنوات• فاذا كنا فى الواقع نعتقد أن الهند فى حاجة إلى من يصون عزتها فلماذا لانتحد لغرض واحد و هو صيانة عزة الهند مع بعض الخلافات فيما بيننا•

نصر عظيم لتركيا :

إننى متأكد على أنكم، قبل كل شىء، تتوقعون منى أن أتشرف، نيابة عنكم، باظهار عاطفتكم الفياضة لتقديم التهنئة، العاطفة التى لها صلة عجيبة، و لكنها مفتخرة، بتاريخ كفاحكم القومى، التى تستر فيها قصته العظيمة من تاريخ أعمالكم• إنه كان من مشيئة اللّٰه يربط قطران شرقيان بعيدان كل البعد، باسم العدل و الاستقلال بحيث أن يتألم الواحد على مصيبة الآخر و يكون للواحد منهما نصر و أمنيات فى نصرة ثانيهما• فما هما الركنان البعيدان من أقطار الشرق اللذان جعلتهما وحدة العـــدل و الحرية قريببين؟ احداهما الهند، من جانب ، التى حينما كانت فى مرحلة صعبة من مراحل النضال للحرية ، جعلت الخلافة الاسلامية و حرية الحكومة التركيـــة و استقلالها• احدى مطالبتها القومية و ثانيهما تركيا، من جانب آخــــر و ظهور قوميتها الجديدة التى قد شاهد العالم انتصاراتها الثورية كمفجرة خالدة، التى ظهرت روح حبها الوطنى الناصر لعالم الشرق كله فى صورة رسالة جديدة للعمل و الحياة•

قبل ثمانية أشهر فى هذه القاعة قد هنيتم الوطنيين فى أنقره على تلك الفتوحات التى حارتها الجيش التركى فى ميدان الحرب• كانت تلك الفتوحات فى الحقيقة مقدمة نصر عظيم قادم، فكانت تستر فيها رسالة

الفتوحات المعنوية و الذهنية فى ميدان السياسة• كانت أول قسط من النصر الكامل الطاهر، و كان للعالم أن يرى عند كماله تعميرا لعظمة جديدة بدلا من العظمة الساقطة التى هى صحوة المريض قبيل الموت، كأنه كان ذلك اعلانا أن تفرش صفوف الأقوام عيونها لاستقبال أمة ستنصرها •و هى كانت قافلة فوز و نتح قد وقفت فى طريقها أكبر قوى على الكرة الأرضية بمشروعاتها الضخمة و عقباتها الثابتة، و لكنها ظلت تتقدم بدون خوف حاملا للتاريخ رسالة معجزة من عجائب و غرائب عاطفتها الوطنية• و أخيرا جاء الوقت حينما تنفست القافلة فى منزلها• و تقدم التاريخ فاتحا أبوابه ليستقبل أمة ناجحة جديدة• و فى الرابع و العشرين من شهر يوليو الماضى، وقع على ميثاق الصلح، فكان ذلك اليوم يوم ولادة العظمة القومية الجديدة• و كان كمال فتوحات تحتاج كل أمة لحياتهـــا و عزتها، كان فيه الفوز السياسى أكثر منه الفوز العسكرى، و أكثر منهما النصر المعنوى و الفكرى الذى بدونه لا معنى للفتوحات السياسيـــة و الحربية•

تهنئة عالمية :

أيها السادة !

عند هذا النصر العظيم، مهما تقدم الهند من التهانىء الحارة المخلصة، فهو قليل، إن الهند لنعرف من أسرار و معانى الحادثة أكثر من شكلها• انها لاتشاهد فيها انتصار تركيا و نجاحها فى مقاصدها فحسب بل تشاهد انتصار الأرض الشرقية كلها• إننى قبل كل شىء أتشرف بتقديم واجبات التوقير و التبجيل إلى صاحب الجلالة خليفة المسلمين ثم أهنىء المجلس الملى فى أنقره على دور فتوحاتها الديموقراطية الجديدة، و فى الآخر تنظر عيوننا أن ترتفع إلى اعظم شخصية فى هذا العصر التى وجودها فى الحقيقة فخاطب هذه التهانىء، إننى أقدم التهانىء نيابة عن الهند كلها إلى مصطفىٰ كمال باشا• إننى ذكرت الهند و تركيا، و لا أنى أتمكن للآن على أداء واجبات التهنئة الأساسية• إنها فى الحقيقة أوسع من أن تحد بحدود ملة أو قطر• هذا النزاع الذى كان يؤخر الصلح الشامل منذ خمس سنوات، لم يكن مجرد حرب بين الحكومات و الأمم، و لم يكن فى التدبر الفاتح لعصمت باشا و فى التحديات من جانب لورد كرزن تمثل

تركيا و بريطانيا أو الشرق و الغرب، بل كان هناك أمر أكثر من ذلك، يستتر فيه، انها كانت حرب أصول و معركة مبادىء متناقضة ، كان من جانب تعنت القوة و من جانب آخر خلو يد الحق و الانصاف• و كانت القوة تدعى أن الضعفاء لايستحقون الحياة، و كان العدل يعلن بتواضع أن كل أمة عزمت على الحياة تستحق الحياة• و استمر النزاع، كما هى العادة، و فى الأخير أعلنت مشيئة الله النتيجة• فانهزمت القوة بكل ما فى يدها من العدة و انتصر العدل مع كل ما كان معه من الفقر و اليأس• فالنصر التركى فى الحقيقة أكثر من أن تعتبر نصر آسيا أو الشرق بل هو نصر العدل، و العدل أعلى من تفرقات الشرق و الغرب، العدل لا قومية له و لا وطن• و اذا كانت له قومية فهى الانسانية العالمية العليا• فأذنونى أن أقدم التهانىء على هذا النصر إلى العالم الانسانى، و أهنئى كل انسان فى الشرق و الغرب الذى يحترم العدل و الحرية و الانسانية•

الظلم الفاشل :

قد حصلنا فى ميثاق لوزان على جميع ما طالبته تركيا و الهند ماعدا استقلال البلاد العربية• و قد اشتمل على شرائط الدكتور ولسن المنسبة و على الوعود الشهيرة التى نقضتها بريطانيا المعقودة فى سنة ١٩١٨م• و كان الشرط الثانى عشر لدكتور ولسن أن تحفظ حكومة تركيا فالحكومة التركيا موجودة الآن• و كان رئيس الوزراء البريطانى خال ألاّ تحرم تركيا من آراضى آسيا الصغرى و آراضى تهريس الزراعية فلم تحرم تركيا من هذه الآراضى و فوق ذلك فالميثاق يشتمل على أمور لم تكن مذكورة فى تلك الوعود• لم تكن الوعود تشتمل على عظمة الاختيار الذاتى لتركيا و لكنها قد حصلت عليها، و لم تكن تشتمل على رفع الامتيازات الأجنبية فى تركيا أو غلق مكاتب البريد الغير التركى اللذان كانا ينفيان الاختيار الذاتى الكامل للامبراطورية العثمانية• قد رفعا الآن• و لانجد فى تلك الميثاق أى اشارة إلى أن المعاملة مع تركيا كانت كما تعامل العدو المنهزم بل عوملت كأنها قوة معادلة• على خلاف ذلك نرى فى الوعود أن يجعل مضيق بوسفورس طريقا عالميا، و لكن الميثاق اعترف بالحكم التركى عليها• و لاشك فى أن كل ما تحقق هو منشأ الوعود و اجابة لمتطلبات العدل• و أستسمحكم أن أضيف إلى كل ذلك، لتكميل اظهار

الحقائق أن الوعود قد قهرت فاذا قهرت وعود القوة بالسيف فهى تجود بأكره ما وعدت و هى تعطى القاهر كل شىء• و لكن ليس عندها شى للعدل•

أيها السادة !

هذا الميثاق سؤال، سيرتب التاريخ فى جوابه قصصـــا فيها عبـــــرة• و لاشك فى أن العدل قد اكتمل، و حصل المستحق على حقه، و لكن ماذا حصلت بريطانيا التى ظلت أربع سنوات تدوس قطع وعودها المنقوضـــــة و وقفت نفسها لتكميل الظلم و القهر يعزم صميم لا عهد به للعــــــدل و الحق• إنها أرادت أن تقضى على تركيا و لكن تركيا قويت ضد مشاريعها و قراراتها• إنها امتنعت عن الانحناء أمام العدل، لكنها اضطرت على الانحناء أمام السيف، إنها كتبت القرارات مرارا بالقلم و لكنها كلها مزقت قطعا بالسيف• إنها رتبت المواثيق كمن يحكم الأمم و يملك التقادير، فتظلمت الهند باسم الحق و العدل و لكنها رفضت باحتقـــــار• و حينما كتب مصطفىٰ كمال ميثاقه بسن السيف فانحنت أمامــــه كمنهزم لم تستطع أن ترفض ترحيبه، لسنا فى حاجة إلى جواب المؤرخ لأن العالم رد على السؤال• فى الحقيقة إنها أعطت كل شىء لتركيا، و كل ما حصلت عليها هى لطخة ظلمه الفاشل التى كانت على ظهرها من قبل و لكنها ظهرت الآن، حسب مشيئتها، على جبينها•

الشرق الجديد :

ينبغى أن نتذكر أن الحوادث العالمية التى تظهر على صفحات التاريخ لاتتراءى لمن يشاهدها• نحن نمر من العصر الثورى الذى هو طبق تلك الأزمنة التى بحث فيها المؤرخون أسس التغيرات العظيمة فى هذه الكرة الأرضية• إن العالم يميل بسرعة إلى تقلب جديد• و جمع الأشياء فيه، التى كان يعتقد عنها أنها غير متزلزلة• صارت فى حركة مهتزة• إن الحـــدود و الخطوط فى خريطها أخذت تتحرك كأصولها و مبادئه فكم من المرتفعات سقطت و صارت منخفضات، و كم من المنخفضات قامت و سارت مرتفعات• إن العروج بعد بلوغه إلى أوجه بدأ فى الزوال، و ظلمات اليأس ظلت تتسع

إلى أن وصلت حداً تشرق فيه الفجر• من يستطيع أن يرى ما يحمله المستقبل القريب فى أحضانه• و لكن ما يحدث الآن تتضح منه مشاهد ثورة الشرق الجديد التى لا تحتاج إلى تكهن أحد• إن يقظة الشرق التى كانت منذ ربع قرن يقظة فقط بدأت تتقدم إلى منازلها• و نتائج مهالك الحرب العالمية ولدت روحا جديداً للحياة و الحركة• إن أيدى مصطفى كمال الساحرة لم توقظ حظ تركيا النائم فحسب بل صفقت أيضا على أبواب الشرق• و الآن تنتشر صداها فى آسيا الصغرى من جانب، و من جانب آخر تعبر أمواج بحر الهند مارا بصحارى أفريقيا و سواحلها• و من يستطيع أن يقول صداها لاترتفع من كل ركن من أركان الشرق•

أيها السادة !

إن الهند لاتستطيع أن تنس ربطها الطبيعى و الجغرافيائى بهذا الكفاح• و هى حينما يضم كفاحها به يشعر بجميع عواطف الوحدة و الارتباط التى ينشئها الزمن و الأحوال، و وحدة الهدف بين مختلف الجماعات فى هذه الأرض• فهى ترحب كل أمة تكافح للعدل و الحرية، و تتأسف على كل أمة تأخرت عن أخواتها فى هذا السبيل• و هى تؤكد لجميع محبى الوطن فى مصر و الشام و فلسطين و العراق و مراكش و غيرها من الدول الشرقية أن ملايين من الأفقدة تضطرب لنجاحهم و أن حبهم لحريتهم و استقلالهم لا يقل عن حبهم لاستقلال وطنهم•

جزيرة العرب :

و بالأخص إنها تجدد عهدها القديم لاستقلال و صون جزيرة العرب• إنه كان بندا هاما من بنود مطالبات الخلافة التى أعلنت فى هذه القاعة فى سنة ١٩٢٠م• إن هذه المطالبات ليست هامة للهند لمجرد أن أكبر عقيدة دينية للمسلمين ترتبط به بل لأن الهند لايمكن أن تغمض عنها عيونها لاستقلالها و حريتها• إن الحالة الطبيعية و الجغرافية للهند و مصر و البلاد العربية كانت حيث أن مقدرات هذه البلاد السياسية قد ارتبط بعضها مع بعض، و أن وجود الهند بدء كل شىء لجيرانها كحلقة أولى و سلسلة، و كان من لوازم ابقاء الهند تحت السيطرة الاستعمارية و جعل

الحكم الأجنبى فيها دائميا إلا تخرج قناة السويس من يد بريطانيا • و الآن يضحى باستقلال البلاد العربية أيضا على سوء حظ الهند • البلاد العربية التى سحقت حريتها لتشارك الهند، لو صارت مركزا جديداً فى آسيا للاستعمار البريطانى فلا تبدأ حدود استعمار الهند من بحر الهند بل ستقام جدرانه على سواحل الشام من جانب، و من جانب آخر تبدأ حدوده من موصو و ديار بكرمارا بخليج فارس• إن الهند تؤكد للعرب أن استقلالهم و تحفظهم من الاستعمار الأجنبى، لايزال هدفها فى كفاحها، كما كان فى اعلان سنة ١٩٢٠م• و انها مستمرة فى كفاحها إلى ما بقيت بقعة من الأراضى العربية تحت السيطرة الأجنبية•

قسطنطنية و سجن برودا :

حينما ترتفع عيوننا إلى قصر الخلافة الفخم فى قسطنطنية على النصر العظيم لتركيا فيتوجه تصورنا اضطراريا إلى سجن فى الهند الذى سجنت فى إحدى زنزاناته شخصية هندية عظيمة• إننى أتيقن أنه اذا كان هناك من يستحق التهنئة على نصر تركيا فى خارجها فهو زعيم الهند الأكبر مهاتما غاندى• انه مهماتما غاندى قد رفع صوته لمطالبة هذا الغرض فى الوقت الذى لم يرتفع فيه صوت داخل تركيا فى سبيل المدافعة الملية• إنها نظرته العارفة بالحقيقة، التى خمّنت من أول وهلة جميع أعماق المسألة، و دعا الهند كلها اليها انها ليست مطالبة المسلمين وحدهم، بل هى مطالبة قومية للوطن كله•

أيها السادة !

إن الكفاح الذى قامت به الهند تحت قيادة مهاتما غاندى فى سبيل مطالبة الخلافة هو أهم حادثة فى العصر الحاضر التى يبحث التاريخ على نتائجها • و لعل الوقت لم يأت لتقدير نتائجها، مع ذلك فنحن نشعر ببعض ما ننتج اليه بدون بحث و نظر و لكل نتيجة منها عظمة حيث يمكن أن يكافح من أجلها فقط• مسألة الاتحاد بين الهندوسين و المسلمين الذى ما كان استقلال الهند بدونها إلاّ أصغاث أحلام، و قد استطاعت هذه المسألة المتغلب على المشاكل التى حالت فى سبيلها، و كان ذلك من نتائج

مطالبة الخلافة •

إن المكانة التى حصلت عليها الهند بين الأمم الشرقية و التى اعطتها منزلة هامة فى نظر الطبقة المتيقظة الجديدة فى الشرق • فلو لم يكن هذا الكفاح فما كان مركز الهند فى آسيا و أفريقيا؟ إن الحرية فى تركيا و البلاد العربية قد سحقت بالجنود الهندية فكان من اللازم أن الشرق كله يكرهها • فكل مكان كان يظهر هندى يشار إليه بالبنان أنه من سكان قطر شقى لم يقنع على تعاسته بل صار ذريعة لتعاسة دول الشرق الحرة • و لكن اليوم انقلبت الأحوال • فتستطيع الهند اليوم أن ترفع رأسها قائلة : إن البؤس الذى لطخ طرف ثوبها قد غسلته بمشيئها و مقدرتها • فماذا حصل أن آلاف الهنود ذهبوا برضاهم ورغبتهم إلى ميدان الحرب ليرفعوا سيوفهم ضد حرية العرب و الأتراك فحصل أيضا أن الأشخاص من الهنود دخلوا السجون برغبتهم و رضاهم مطالبين العدل مع العرب و الأتراك • فاليوم ترتفع أصوات الاعزاز و الاحترام للهند • و يذكرونها فى قسطنطنية كأنها حاملة راية الحرية فى الشرق، و أسواق القاهرة تمتلىء بأصداء " الله ينصرك يا غاندى " • ففى الحقيقة إنه مجد الأمم الحرة الذى حصلت عليه الهند المحكومة • و لا شك فى أن هذا كله من نتائج حركة الخلافة •

و فوق هاتين النتيجتين يأتى أمامنا شىء أكثر من ذلك و هو الارتقاء الذهنى المتحرر للهند الذى حصل عليه بسبب هذا الكفاح • فعلى كل ملة، لتحصل على حريتها، أن تثبت قبل كل شىء أنها تعرف الحرية و تقدرها • و حينما طالبت الهند أن تركيا و البلاد العربية لا يمكن أن تحرم من الاستقلال فقد أثبت حبها و تقديرها للحرية • الأمم المحكومة لا مشيئة لها و لا رغبة، فماذا كانت الهند ترضى على شىء لتركيا و تسعى لحصوله فانها من سعيها للاستقلال لأن الحصول على الحرية عبارة عن ارتقاء و المشيئة •

أيها السادة !

إننى قد ذكرت فى بدء خطبتى مشاكل العصر، فلكل نضال اجتماعى يشترط الاتحاد فى العمل، و التجنب عن الاختلاف و قد ضعف فينا هذا الشرط لذلك نحن فى خطر، و لكننى قبل كل شىء ألفت نظركم إلى أن تقدروا كمية هذه المشاكل و نوعيتها • فاذا فيها شىء من النقص أو

الزيادة فلاعجب لو واجهنا خطرا آخر• نحن الآن فى موقف وسط ، طرفاه الغفلة و اليأس• فلو قدّرنا المشاكل أكثر من الحقيقة فنكون قد تقدمنا نحو الغفلة و اذا رأيناها أقل من الحقيقة ففيها خطر الأقدام إلى اليأس، فينبغى ألاّ نكون خائفين و لا غافلين• يجب أن نواجه و نغلب و لكن ذلك لايمكن الا اذا قدرنا المشاكل حق تقدير• ففى هذا الطريق نحن فى حاجة الى الميزان أكثر منها إلى الاسلحة•

وحدة قوانين الاجتماع :

يجب فى هذا الموقف أن نذكر تلك القوانين الطبيعية للحياة الاجتماعية فى العالم التى فى علمنا و لكن أحيانا غلبة العواطف تغمض العيون عما يعلمه الذهن•

نحن مخلوقات على كرة الحياة و الحركة هذه، المحيرة العقول، كما تظهر مع حركتها الدائمة الغير متغيرة مخلوقات أخرى غير معروفة المنتشر فى أحضانها• و الكرة هذه نفسها جزء صغير من هذه الكائنات الحية التى لاتعرف حدودها و مقدارها، و لكننا عرفنا أن جمع أمورها غير متغيرة و لو أن فيها مظاهر لاتحصى للحياة و الحركة• لكنها تابع لقانون حياة واحد كما أن خالقها واحد، لذلك لايوجد فيها شىء جديد و لايختلف فيها أمر من أمر آخر• كل ماحدث مرة يحدث دائما، و كل ما كان فيها لواحد يكون للجمع• فهى غير متغيرة و محيطة بجميع الأشياء، متماثلة و ثابتة كما قال الشاعر الفلسفى الايرانى عمر خيام " قصة حياته واحدة و لو تتكرر دائما باسماء جديدة و صور جديدة" و فى كلمات أكثر اختصارا لشاعر شهير من فرنسا وكتور هيوغو " إن قصة أحداث العالم و لو أنها متسلسلة و لكنها مجرد تكرار"•

كما ابتهج وجدان الشاعر بهذه الوحدة الكاملة فى حوادث العالمية و تجليات الوحدة الغير المتغيرة فى قوانين الحياة كذلك درسها المؤرخ و استدل من نتائجها الفلسفى• و يلزم علينا أن نفتح لها عيوننا كعامل سياسى• فهذه الوحدة القانونية كما هى للافراد و الأجسام كذلك للجماعات و العصور أجسام و أذهان و كيفيات نفسية التى تتولد من تركيب أمزجتها• إنه من الضرورى أن المماثلة فى الطبيعة و فى ما حوالينا تأتى بأحوال مماثلة و نتائج مشابهة فجميع الأفعال الصادرة من

أشخاص لايكون مصدرها شخصياتهم بل يكون مصدرها أحوالهم الذهنية و الجسمية• فجميع الأفراد الذين فى حالة جسمية و ذهنية مماثلة تصدر منهم أفعال مماثلة• كذلك فى أعمال الجماعات و أحوالها، تشخص الجماعة و تعينها أمر غير مؤثر• أن الأحوال و النتائج تتعلق لطبيعة و جو خاص• فكلما كانت نفس الطبيعة و نفس الجو لجماعة يجب أن تظهر فيها نفس الأحوال و النتائج•

نشأة الأقوام و نهايتها، عروجها و زوالها، غفلتها و يقظتها، حريتها و محكوميتها، نجاحها و فشلها كل ذلك يسيطر عليها هذا القانون• و كل ما مرّ بأمة و حدث لها، نفس الشىء سيمر بأمة أخرى و يحدث لها• هذا هو التوافق المحير فى الحياة الاجتماعية الذى ذكره عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ الفيلسوف فى القرن الثالث عشر الميلادى (الذى هو أوّل من دوّن مبادىء فلسفة التاريخ و أصولها) فى قوله : لو حذفنا قيود الأسماء و الأزمنة فتاريخ أمة أو زمن سيكون نفس التاريخ لكل أمة و لكل زمن لأنه ليس هناك تغير فى أحوال الأمم سوى أسمائها و أشكالها• و قد وضح نفس الحقيقة المؤلف الفرنسى الشهير الدكتور جوستاولى بان على أحسن وجه : لما نكمل تدوين الحياة النفسية كما كملنا للحياة الشخصية فيمكن لنا أن ندون تاريخ أمة و نستعمله لكل أمة و لكل مدينة• إنه يكون مفيدا لنا كما يفيدنا تقويم ألف سنة•

سفر الكفاح الملى و منازله :

أيها السادة !

يجب علينا ألاّ نغفل من الأحكام القطعية التابعة لذلك القانون للحياة القومية• فهذا هو الأمر الذى يمكن أن يمحو عجبنا و تخوفنا الغير المفيد• و يلزم أن نكون عارفين بأن ما يحدث اليوم ليس هو جديد و لا غير معهود، بل هى حالة لازمة و عادة قديمة للمرحلة التى تمر بها الهند فى كفاحها القومى• ففى الحقيقة نحن بما عمل دائما و نرى رؤيا من قبلنا، لسنا نحن إلا ورقة من تاريخ الأمم التى هى نظير أضيف إلى نظائر وحدة القانون الاجتماعى• و قد حدث دائما أن الأمم تيقظت بعد نعاس و بعد ما كمل تغير حالتهم الفكرى و الذهنى، و طرأت تغيرات متتاليات على حالهم

الخارجى فلو استعير استعارة حكيم المانى هرمن فيمكننى أن أقول : إن الروح القومية تنام دائما فى غفلة الأفراد، و تحلم فى تغيرات الذهـــــن و تتقلب على اضطراب العواطف و أخيرا تقدم فى ميدان الكفاح• ثم هذا الكفاح سفر منازله معينة و تقاليد و طرق مقررة التى يلزم أن تحدث لكل أمة و يلزم أن تمر بها كل قافلة، كما أن نجاحه عظيم كذلك عقباته كثيـــرة و كما أن الفوز يقينى كذلك المشاكل لازمة•

مشاكلها داخلية و خارجية فيها امتحانات للذهن و الجسم، فيها طوفان داخلى و سيل خارجى، فيها مزالق فى كل مكان و مزلات عند كل خطوة• و لايستمر سفرها على نمط واحد• إنه يمشى خطوة خطوة و يتقدم مهلا مهلا و فيها القيام، القيام بعد سقطات و الجر مع العقبات• انتصاراتها ليست متسلسلة و لكنها لازمة• النجاح فيها ليس فى كل مرحلة و لكنه فى النهاية لازم و يقيني•

أيها السادة !

إن قانون الله للحياة لايمكن أن يعطل من أجل تكاسلنا، فاذا سرنا فمنازله فى استقبالنا، و لابد أن نعبرها كلها• فاذا توقفت سرعتنا، فانها تتوقف عموما، و علينا أن نبدأ الرحلة مرة أخرى بسرعة فماذا طرأ على حركتنا برهة من التوقف، فيحصل ذلك عموما، فيجب أن نبدأ السفر من جديد• فلو لم نستطع أن نتفق على أمر، أو وقعت عقدة فى رابطة اتحادنا، فلا بأس• فلما ذا لانتفق من جديد• و لاشك فى انه امتحان حصل لنا كما يحصل للجميع، و يجب أن نغلب عليه كما تغلب عليه الأمم الجريئة و ليس فيه خوف أو يأس أكثر من ذلك• و ليس هو برق غريب نزل علينا، انها حادثة عادية فى هذا السبيل التى حدثت للكثيرين الذين لا علـــم لنا بهم و سيحدث لكثيرين فيما بعدنا•

منزل الامتحان :

تعالوا نتوقف و نرى، ماهى حقيقة المشاكل التى حلت فى نفسيات الأعمال الاجتماعية؟ لسنا فى حاجة إلى أن نوضح أن المنبع الحقيقى لأعمال الأمة هو الذهن، كما هو الحال فى الفرد الواحد•

إن النمو الذهنى لأفراد الأمة حينما يصل إلى حد أن يثبت نفسه فى الخارج أيضا فهو ينتظر الأحوال المناسبة • و فى هذه الأحوال المناسبة هو فى حاجة إلى مؤثر قومى يمكّنه على جمع العناصر المنتشرة على نقطة اجتماع واحدة، بعد التغلب على جميع الأفكار المنتشـــرة و المختلفــة • و حينما تنقلب أذهان الأفراد إلى ذهن مركب للجماعة فيؤثر فيه عنصر العواطف أكثر من عنصر العقل و الادراك، فهذه النقطة أيضا تتولد من العواطف و ليس من الادراك • و عندما تظهر هذه الحالة، يبدأ الكفاح العملى و ينهض حسب مقدرته و يتصادم بالقوى المضادة • فاما ينجح فى الوصول إلى حد متعين أو يتقدم متمهلا إلى حدما حسب القوانين الطبيعية للطريق • و لهذا التمهل أيضا أحوال مختلفة، و لكن على كل حال انه من اللازم أن قانون ردّ فعل يظهر أثره إلى حدما • و حينذاك يطـرأ آثار يأس و اضمحلال، و يظهر أكثر أثره على وحدة التصورات و الأفكار و يتراءى كأنها رزمه أوراق كبيرة إما ضعفت عقدتها أو انحلت، و حينذاك تبدأ الخلافات و تهب رياح الانتشار و يواجه الكفاح القومى امتحانا شديــــدا • و من حيث أن هذا الحال أيضا طبيعى كجميع أحوال الجماعة فلاتستطيع الادراك و العلم أن يبدل فيها تبديلا كبيرا • إن أفراد الأمة مهما يكونوا ذوى عقل و خبرة بتجارب العالم الماضية فهم لايستطيعون أن يوقفوا عواطفهم بالتأثر من هذه الأحوال و النتائج • و مع ذلك فـاذا كان ذهن الكفاح ورثته سليمان فكل ما يحصل يكون من عوارض الجسم، و لايكون فيه أى خطر على حياة الكفاح • و يكون ذلك فى أكثر الأحيان توقف موقت و فى بعض الأحيان عقدة صعبة و تارة يأخذ شكل التأجيل الخطر • فحينما تنتهى هذه المدة التى كانت لازمة لكيف هذا السكر ترتفع فوق أستار هذا اليأس، و يظهر الكفاح فى روح عمله الملتهب فى أكثر الأحيان أكثر قوة و ثباتا • لأن هذا التوقف الموقت كان سطحيا • و القوى العميقة كانت دائمـــة العمل، و فى ظهوره الذاتى يحمل مقدارا كبيرا من القوى القديمة مع القوى الجديدة •

إن أعمال الجماعات، كجميع تغيرات الحوادث فى العالم التى إما تنتهى و إما تبقى ساريـــة العمـــل و إما تتولد مرة بعد أخرى، انما تكون فى مد و جزر، ونحن نخطأ فى فهمنا حيث نعتبر الجزر نهاية والد حياة جديدة • و اعتبار توقف كفاح أمة نهاية خطأ كما أن عند روية جزر البحر يعتقد أنه لن يكون فيه مد غدا •

قد طرأ على كفاحنا القومى توقف بعد حركة، فكان يجرى بسرعة و فجأة أحكام المسئوليات الدولية أشارت إلى أن توقفوا فصادفه التوقف • و كان من الطبيعى أن يشعر بصدمة شديدة و نتجت منها كل ما هو يقتض مثل هذا التوقف و من نتائج ذلك أن حدث اضطراب فى جمعيتنا • و تراءى كأشياء ملفوفا مربوطا بدأ يفتك و ينتشر بسرعة • فما السكوت العام فى الكفاح، و الاختلافات فى داخل الجمعية، و الفتور فى الاتحاد بين الهندوكيين و المسلمين أو الضعف فى مساعى الاتحاد كل ذلك مظاهر لهذه الحالة •

أيها السادة !

لاشك فى أنه امتحان يجب التغلب عليه بعزم ناجح، و ربما نضطر إلى نضال شديد، فعلى كل حال أرجو منكم الاّ تأخذوا أثرا فى أذهانكم أكثر مما ذكرت، إنها حالة للمرء الذى يكون عالما بنفسيات الأمم و تواريخها • كحالة ذلك الرجل الذى كان يغدو فتوقف ليتنفس ثم يجرى •

و ينبغى الاّ نبالى أن من يخالفنا و ينقدنا يرغبون فى الانخداع من حالتنا هذه، لأننا نعلم أنهم فى حالة لايعترف فيها بالقوة إلاّ اذا ظهرت أمام العيون • و لكن يجب ألاّ نقبل أى شك فى حقيقة حالنا • فما هو الذى فقدناه؟ جميع قوى كفاحنا قوية، و للآن لم يتزلزل جذورها و نحن لانشعر ضعفا فى أقدامنا • و هل أن نشك فى محسوساتنا؟ ألاّ نشعر أنها موجودة فى قلوبنا كعقيدة، و فى عيوننا كهدف و تجرى فى شرايين جسمنا كروح •

أيها السادة !

إسمحوا لى أن أعلن اليوم نيابة عما هو فى الحقيقة عبارة عـــن يقينكم واحساسكم • إننى أعلن بكل طمأنينة أن كفاحنا قائم و مستمر على حالـــه و نحن فى حال وقفة التى أجلت المعركة الفاصلة، و لكن لا تأجيل فى الحرب، و قد نشأت لنا مسائل التيقظ و العمل الشاق و السعى، و لكننا نرفض أن هنا مسألة التأجيل أو اليأس، و حينما لفتتكم إلى أن ليس هناك سبب لليأس فأودّ أيضا أن أقول لكم إنه ليس هناك سبب للغفلة • و علينا ألاّ ننسى هذه الحقيقة فى الحياة : أن المرض مهما يكن بسيطا فان

الاهمال و عدم الحمية يجعله مهلكا، فالامتحان الذى أمامنا اليوم هو فى الحقيقة وقفة موقتة على شرط ألاّ نتركها تتوسع• كيف يمكن أن نقوم بهذا العمل؟ و ما هو علاج صعوبات الوقت الحاضر؟ نحن كلنا نعلم جوابـــــه، و لكن العمل عليه صعب، نحن فى حاجة إلى الاتحاد فقط، و نحن قد اجتمعنا اليوم هنا للبحث عنه•

أيها السادة !

إن هذا اليوم التذكارى قد جاء لأن يعطينا فرصة ثمينة لأن نعبر هذا الامتحان بنجاح، و نحن دعونا عيون العالم كله لتشاهد نتيجة امتحاننا، فهل نستعمل هذه الذكريات استعمالا جيدا؟ علينا أن نجيب على هذا السؤال فى ساعات•

لاتعاون سلمى :

لابد لى أن أبدأ رجائى بجد أولى• نحن قد اخترنا للحصول على مقاصدنا مبدأ عدم العنف و اللاتعاون (ترك التعاون)• و قد وضعنا أساس اللاتعاون على عقيدة ساجذة و لكنها عالمية و هى الا تتعافى مع الشـــــر و يجب أن نتركه وحيدا، لكى لايمكن أن تنمو و تترعرع• و هى حقيقة صادقة فى جميع الأديان و التعليمات الخلقية فاذا بدلنا كلمة الشر بكلمة الخسارة فى هذا التعريف الأساسى (و فى رأيى أن كلتيهما مترادفان) فيكون ذلك عقيدة عالمية للنوع الانسانى بل يكون ميلان عاطفى للطبيعة الحيوانية• و هنا تأتى أيضا نداءات الأديان فى مسامعنا، فالاسلام قد لقن متبعيه مبدأ اللاتعاون الذى غرضه الاّ تكونوا وسيلة التعاون و القدرة لأولئك الذين فى أعمالهم خسارة عملية لكم• و حكمت الأديان الأخرى بنفس الأوامر• فاذانظرناإلى ميدان الكفاح السياسى للأمم فانها ليست عقيدة متفقة بل انه عمل متفق عليه• إنه لحقيقة واضحة أنه ليست هناك جماعة فى العالم استطاعت الحصول على حقوقها عن طريق التعاون•

إن المقاطعة و المقاومة السلبية و التمرد المدنى التى هى أسلحته ليست معارف جديدة فان الأشخاص و الجماعات الضعيفة اذا تعذر عليهم النضال المسلح لجأوا إلى هذه الطريقة كذريعـــــة لتحفظ أغراضهـــــا

و مقاصدها • فهذا الصوت الذى أتفق الذى اتفق عليه الدينى و الخلق القومى لأمر قديم جدا فى العالم و هو أن تحملوا المصائب و لاتنحرفوا عن الحق • و يمكن أيضا أن يقال : إنما هذه الأصول كانت سببا للثبات و القرار فى حالة عدم القدرة و الضعف الأوّلى لكل دين و تعليمات • و نرى ظله فى كأس السم التى تناولها سقراط، و نجد نقوشه على صليب القدس، و سمع أصداءه فى أزقة مكة • و إن أزمنة القرنين الأولين فى الدين المسيحى قصة بسبب ذلك الطوفان من الظلم و القساوة القوة الغير المسخرة لهذه الأصول هى التى وطدتها و أثبتتها • و قد احتفظ الى اليوم ماكتبه كاثرلولين أحد أرباب المسيحيين فى ذلك العصر و قدمه الى المحكمة الرومية كبيانه التحريرى • و يمكن أن نقرأ كلامه هذا فى كتاب " النزاع بين الدين و العلم " للكاتب الامريكى دريبر •

> لو أن انشاء جماعتنا لم يكن قديما و لكن أى مكان لانوجد فيه المدن و الجزائر و المقاطعات و الحصون و سكنات العساكر و قاعات القصور و مجالس الشيوخ، فنحن موجودون فى جميع الأمكنة التى هى آيات سيطرتكم، و لم نر لكم مكانا ماعدا معابدكم، تصوروا لو نريد ثارة الحرب فما تكون الحالة • و لكن ديننا يعلمنا أن نكون مقتولين خير من أن نكون قاتليـــن • و لذلك نتحمل و لا نحارب •

فماذا تكون روح المقاومة السلبية أكمل و أكثر تأثيرا من هذا؟ لو شئنا استعملنا هذه الكلمات كما هى التى مضت عليها ألف سبعمائة سنة •

النبيل ليو تولستاى :

و لكن من حيث أنه يستعمل كنظام العمل للحصول على الحقوق السياسية و لإهباط نظم الحكم الظالم و أن يقتنع عليه فقط مكان الثورة المسلمة، تصور قدمه أوّل مرة للعالم فى هذا الزمن معلم مسيحى صادق فى روسيا فى تعليماته الشهيرة • و كان ذهن هذه الشخصية العظيمة فى الحقيقة بروتستانى متطرف ضد مادية المدنية الغربية الخاليـــة من الروح، و ضد عدم التساوى فى النظم الاجتماعية، و عدم الاعتدال فى الرآسمالية المندفعة، و استبداد الدين الجامد فى الكنيسة الآرتوديكسية الروسيـــة •

و بسبب هذا التطرف نحن مضطرون أن نسلم فى الكلمات الناقدة للرئيس الامريكى السابق روزولت (التى كتبها فى آوت.لك الامريكية) أنها (هذه التعليمات) عبرت حدود الاعتدال و العملية بدون موانع• و على كل حال فهذا المبدأ من تعليماته مبدأ معتدل، الذى عمليته الساذجة واضحة كل الوضوح، و انه يرشد العالم فى بحثه الى طريق واضح سهل• و ان الروح الاساسية فى تعليماته كانت أن يقضى على الحروب و القتل الانسانى• و أن القوى التى حالت دون الحقوق الانسانية لاتصح أن تحارب بالأسلحة و لاحاجة الى ذلك• فقوتها فى مصانعها التى بثوها فى جميع الأطراف فلو لم يتسبب الناس فى نموها و ازدهارها باعاناتهم و استحراكهم فليس لها البقاء• و قد دعا إليها تولستاى فى كتاباته الكثيرة و قد رتبت مجموعة مقالاته باسم"سوشل ايول"،و توجد صدى تعليماته فى كل مكان فيها• و فى سنة ١٩٠٠م، حينما قتل الأناركيون الملك همبرت ملك ايطاليا، نشر رسالة إلى جميع الجمعيات و الأمم التى كانت تريد الثورة للحصول على الحقوق و الانصاف، كتب فيها : ليس قتل الانسان بعلاج للظلم و الاستبداد، إنه تسليط مرض لدفع مرض، انما العلاج الحقيقى هو أن نترك التعاون و التأييد لنظام المجتمع الذى تتولد منه المظالم•

هذا الطريق لسهل و واضح، و لكن لماذا لايعمل به؟ إنه يجيب بنفسه فى التتمة• لأن الحكومة سخرت الشعب ببراعة لدوامها و ثباتها• و الشعب نائم من حيث لايرى شيئا و لايفهم، فليس عملنا أن نقتل و نسيل الدماء للقضاء على استبداد الحكومات بل يلزم أن نزيل هذا السحر و نوقظ الناس من نومهم الطلسمى•

مهاتما غاندى :

العالم دائما يحتاج إلى الارشاد العملى أكثر منه إلى التعليم، و ليس له شئ جديد من الأمور الحقيقية الصادقة و لكن الشئ الذى يهب عظمة جديدة و نجاحا باهرا هو الايمان بهذا الصدق العمل به• و كل واحد يعلم أنه من واجباتنا، النضال فى سبيل الاستقلال، و لكن هذا الأمر أن ينبغى أن نناضل لأجل الاستقلال لايعلم به الا أفراد قليلون من أمثال واشنطن•

فلو أن تولستاى دعا العالم إلى مبدئه و لكن أقدامه كان متوقفة فى انتظار شخصية أخرى، تلك الشخصية العظيمة التى اختارته القدرة لهذا

العمل• و قد ظهرت هذه الشخصية بوجود مهاتما غاندى• إن العالم كان يعرف حقيقة اللاتعاون حتى قبل تولستاى و لكنه لم يكن عالما بسرّ قوته العملية قبل مهاتما غاندى•

برنامج اللاتعاون :

إن الطرق التى اختارتها الهند تحت قيادة مهاتما غانـــدى، مبادئها و هى التى ذكرت آنفا• و لكنها اختلفت عنها فى بعض الأمور، فكان أولا وعظا خلقيا و الآن صار برنامجا سياسيا• فى تعليمات تولستاى اتساعات كبيرة من العقائد و الأصول التى كانت تتضارب بكثير من نظم العمل من جانب و من جانب آخر كانت السيطرة فيها على المصاعب العملية مشكلة كبيرة• و لكن فى الصورة الحديثة قد انكمشت أطرافها، و ليس فيها الآن شىء يقتضى أن يغير عقيدة سياسية أو دينية لأى جماعة، أو يكون فيها مشكلة لايمكن التغلب عليها فى وقت محدود• عدم العنف روحها الأساسية، و هى مقتنعة على أنها لولا يمكن قبولها كعقيدة فيمكن اختيارها كحكمة عملية قوية• و لاشك فى أن من أصولها الأولية أن تقطع جميع العلاقات التى هى من بواعث اقامة السيطرة الادارية فى الهنـــــد• و لكنها ضيقت حدود دائرة نفوذها، و الذى محاط بها ينبغى أن يعمل بها حيث تصبح شدائدها فى أقل شكل• الايثار و ضبط النفس و علو الروح الخلقى من أسلحتها الحقيقية فى المعركة• و مع ذلك فانه يعامل بالملاطفة، و لايطالب الناس بأمر يكون القيام به صعبا جدا على الاستطاعة العامة• سوى على تلك الجماعة التى لها مركزية و يكون عليها أن تكون نموذجا للبلاد• و فى الحالات الحاضرة يمكن أن يقال أنه أصبح نظام العمل لجميع الجماعات تطالب بحقوقها• و الذى هو واضح و فيه سذاجـــة و لذلك يمكن أن يكون عمليا• و يؤكد للقوى العالمية النصر الغير المسلحة و ليس فيه صدق الأصول فحسب بل قد لوحظت فيه أيضا جميع عوائق العمل•

ترتيب العمل :

أيها السادة !

فى بعض البنود من برنامج اللاتعاون نشأ بيننا خلاف و لو كان ذلك

يتعلق بجزء من طريق عملنا و لكن عند ما بدأت المناقشة، فكما هو متبع نشأت أسئلة جديدة• فأول سؤال واجهنا عن نوعية برنامجنا الحاضر• فقد عومل بهذا البرنامج مرة، و قد حصل على النتائج التى كانت ممكنة الحصول، و لكن الحرب لم تصل إلى نتيجة حتمية، و جميع معاركها لاتزال باقية• و السؤال الآن : ما هى نوعية هذا البرنامج؟ هل كان هذا البرنامج من النوع الذى يمكن أن يعمل به لماذا نجح فيها و إلاّ فيلزم أن نبحث عن برنامج آخر• أم هو دعوة دائمة غير متغيرة كالدعوات الدينية و الخلقية، و التى يجب أن نكررها دائما، و نحصل على مقصدنا فى اليوم الذى يعمل بها كامل العمل، كل البلاد أو أغلبية البلاد، مهما تأخر الوقت لذلك•

أعتقد أن ننظر أولا فى هذا السؤال، اننى أجيب بالنفى على كلتى الناحيتين من هذا السؤال• إنه لم يكن مجرد عمل طارىء وقع تحت تجربة واحدة كما يظهر من ناحية فى هذا السؤال، و لا انه دائمى و غير متغير كما يتراءى من الناحية الأخرى• و قد اختير المتطرف كلتى الناحيتين، و الحقيقة بينهما• فيها استحكام إيمان و تغيير طرق العمل، و هى تراعى الغرض و الحاجة كليهما•

و لكن لنصل إلى النتيجة الواضحة يجب أن ننظر فى مراحل طرق هذا البرنامج• اننى أرغب أن أقدم أمامكم فى هذا الصدد تلك الأفكار التصورات التى كانت أمام عيونى من أول يوم برنامج اللاتعاون• أن هذا البرنامج قد رتب و صدق عليه قبل هذا فى الاجتماع الخاص بكلكتا• و أول لجنة بحثت فيه اجتمعت هنا فى دلهى فى مارس سنة ١٩٢٠م، و قد اشترك فيه للتشاور و البحث مع مهاتما غاندى لاله لاجبت راى و الحكيم أجمل خان و أنا• اننى أريد أن أقول لكم إن من ذلك التأريخ إلى يومنا هذا لم يأت لمحة تصورت فيه أنه عبارة عن احدى الناحيتين المتطرفتين لهذا السؤال•

نوعية البرنامج :

إن الأصل الأساس لهذا البرنامج هو اننا نستطيع أن ننجح فى كفاحنا السلمى ضد البيوروقراطية الهندية حيث انها تضطر على تسليم أسلحتها• و نحن عبرنا مشيئة الهند فى كلمات الخلافة و بنجاب و سوراج• و لكن فى معاملتنا ليست كلمات كثيرة و انما هى مستترة فى كلمة واحدة• فالسؤال

الذى أمام الهند هو، لكل الأمم، هل الحكومة التى تمثل مشيئة الأمة تكون حكومة حرة أم حكومة سلطت عليها بالقوة العسكرية•

كيف نأتى بهذا الكفاح الغير المسلح فى العمل؟ لاشك فى أن هذا البرنامج يدعونا إلى أمر ليس مجرد حاجة أو مسألة الوقت الحاضر بل هو أيضا عقيدة مستحكمة• انه يقول أن ينبغى لنا أن نتجنب الاشتراك فى أعمال نظام الحكم الحاضر و ذلك لانه لايصح أن نتعاون مع أمثال هذا الحكم• لأننا اذا تجنبنا عنه استطعنا أن نطرح به حيث لايبقى قادرا على مواجهتنا• و مطالبته هذه تشتمل على الواجبات و الحاجات• انها حقيقة متفقة عليها بين الدين و الأخلاق و التجربة و التاريخ• و علينا ألاّ نكون أداة عمل المظالم التى تجرى علينا• و من يستطيع أن ينكر هذه العقيدة، أن الشهادات الثابتة من التاريخ و التجربة تدل على أنه ليست هناك أمة حصلت على استقلالها من السلطة الأجنبية بالتعاون مع المستعمر و تحصل أى أمة على هذه النعمة كهدية• انه ضد السيطرة الحاكمة• و من يستطيع الانكار عنه؟ فماذا وقع هناك التجنب الكامل عن الشركة فى الأعمال فى وقت واحد فلايمكن أن يشك أى عقل فى أن يمكن قلب التاريخ فى مابين اشراق الشمس و غروبه•• إن مشكلة هذه السهولة متدرجة فى هذا السؤال عن نوعية البرنامج، فاذا كان، فى هذه الحرب التى مع كونها حرب، ليست بحرب، هناك أى استعداد، فهو هذا•

إننى لا أذهب فى تفاصيل المصاعب و لكننى أريد أن أقول إنه قد اختار، نظرا إلى هذه المصاعب، طريقا تحل جميع المشاكل، إنه لاينتظر لنجاحه ذلك الوقت الذى يصبح فيه جميع المتعاونين، غير المتعاونين أو يعمل بهذا البرنامج أغلبية كبيرة، و لكنه اختار طريقا يكفى فيها عمل بكمية خاصة• و لو وجدت هذه الكمية فلا ينتظر بقية الكمية و لو تكون راغبا فيه•

و صورة هذا العمل أنه قسم إلى قسمين طبيعيين، الأول حصول الأدوات اللازمة للحرب و الثانى الحرب نفسها• إنه يحتاج إلى الرجال كأدوات الحرب و إلى تلك الروح التى يراها ضرورية لحربه الغير المسلحة و فى ميدان الحرب يحتاج إلى تصادم مناسب بين قوته السلبية و بين السلطة الادارية الذى يكون فى الآخر ذا نتيجة لكل المعارك الحاسمة•

و للمقصد الأول اختار برنامجا يدعو فيه إلى مقاطعة الحكومة فى اجتماعاتها الرسمية و معاهدها التعليمية و محاكمها القانونية لأنه يتيقن أن فى أحياء التعاون هذه رجال يمكن أن يكونوا أحسن الجنود للسلطة

الادارية و لكفاح القومى كليهما، فهو يدعوهم ليحرم العدو من أحسن عساكره و يكسب لحربه أحسن الجنود• فاذا حصل بهذه الدعوة على عدد من الناس فكأنه ألف لنفسه أول جيش، و هذا الجيش هو الجيش الرئيس و الحقيقى فى كفاحه كله• و جميع أمانيه للمستقبل تنحصر على هذه الجماعة••

هذا الجيش الأول سيبدأ معركته بدون انتظار من جانب و من جانب آخر يجذب إليه من وقت لآخر جماعات تحت أثر دعوته و نموذجه العملى•

و قد اختار لغرض ثان برنامج المقاومة السلبية و العصيان المدنى• و هذا البرنامج، هى الحرب الحقيقية و عليه ينحصر الحكم الآخير فى هدفه•

هذه الطريقة قد جعلت السؤال غيرلازم : هل تستطيع البلاد أن تلبى دعوة اللاتعاون فى وقت محدود؟ و اذا خرجت جماعة كبيرة من المحاكم و الكليات عاملة بهذا البرنامج فهل يمكن أن نمسك بها معنا باستقامة ثابتة فى كل وقت من حربنا المستمرة؟ لو لم تعمل به البلاد كلها، فلا تعمل• و لو لم تستطع الكثرة الكثيرة أن تستمر بعد القيام به، فلا بأس، لا يأسف اللاتعاون على ذلك، و لكنه لا يكون خائفا• لاشك فى أنه يدعو إليه الجميع كعقيدة و فريضة• و لكن كبرنامج لا لكفاح الذى لايحتاج إلى حالة تامة متحدة• إنه لايجهل هذه الحقيقة أن أعمال الجماعات لا تتبع الاستدلال و العقل• لأنها كلها تكون من خلق العواطف• أن الجماعة إن تعدو و إما تجلس، و لكن قليلا ما يحدث أنها تسير بسرعة على نمط واحد• فلابد أن يكون هناك مد وجز• فاذا تهيأ الجو الخاص، تأتى آلاف الأقدام مسرعة باشارة واحدة، و عندما يتغير الحال فلا يتحرك قدم على دعوات عدة• و كيف يمكن أن ينشأ هذا الجو؟ بالحرب فقط ، وحربه هو العصيان المدنى• فاذا كان قلقا فمن أجل جيشه الرئيسي الأول• فانتصاره أو انهزامه ينحصر على انتصار جيشه أو انهزامه الخلقى• فيجب فى هذا الجيش، مهما يكن قليلا، أن يولد فيه كيفية قوية، لا كمية• إنه يصنع من نفسه نموذجا كاملا للاتعاون يكون راسيا كالجبال و فياضا كالبحار• إنه يقدم الضحية بعد الضحية و يغلب على سياق البلاد و اغراضه بقوة عمله و جذبه• و يتيقن أنه اذا قامت مثل هذه الجماعة فى البلاد، فطبعا للقانون النفسى لمثل هذا الكفاح، ستسنح لها فرص المعارك الحربية• و حينما وجد جو لمثل هذه المعارك ستسعى إليه آلاف الأقدام بنفسها و بدون دعوة، فلا تكون هناك قلة فى الجنود• فلو لم يحصل على نتيجة فى الجولة

الأولى، فلا بأس لا يكون خائفا من ذلك، فقد ذهب الجنود ان مضاجعهم، إنه يمارس عمله و يقضى هذه الوفقة للاستعداد لجولة أخرى• فاذا حال مثل هذا الجو يعلن لمعركة أخرى و هو على يقين أن جميع من رقدوا فى مضاجعهم سيركضون، و على كل حال فبرنامجه يقتضى الحصول على نتيجة فى وقت محدود، لا فى أوقات طويلة، و لذلك قدّر أن نتيجة الجولة الأولى ستظهرخلال سنة واحدة•

إننى أرى أن بعد وضاحة ترتيب العمل هذا قد حصلنا على جواب لهذا السؤال الذى نشأ من المناقشة الحالية• فكلتا الناحيتان من هذا السؤال منحرفتان. فى الحقيقة• لم يكن البرنامج من ذلك النوع الذى يعمل به مرة ثم يترك، و لايصح أيضا أن يغض العيون من الأحوال و النتائج و يطل يصح كمجرد مبدأ اخلاقى و ليست الحرب نفسها النصف الأول كهذا البرنامج، بل هو الحصول على الجنود للحرب، و إنه يقدم لنا خدمات مرارا كلما اشعلنا المعارك الحاسمة، و النصف الثانى هو أن يهيأ ميدان الحرب الحقيقية، و ليس من اللازم لها أن تكون حاسمة فى مرة واحدة•

ذهنية اللاتعاون :

و من هنا يتضح ضمنيا أن كل ما أشيع من الدعايات الكاذبة عن ذهنية اللاتعاون كلها كانت بعيدا عن القياس! قبل إنه تحدّ للمدنية الغربيـــــة و علومها، إنه وعظ لخلق و دين جديد بدلا من الكفاح السياسى، إنه ترغيب فى الرجوع مكان التقدم، عن طريق الرهبانية و التزهد فى الدنيا• اننى أقول بكل ثقة إن هذا كله تعبير تصوراتنا الذى لانسلمه•

فى الحقيقة لاعلاقة له رأسا بمسائل المعيشـــة و التعليـــم و المدنيـــة• و لاشبهة أن فى الهند آراء مختلفة فيما يتعلق بمحاسن ومساوى المدنية الغربية و ثقافتها• أن ذهن أوربا و أمريكا نفسه صار يضطرب و فاضت سيول من الأصـــول و التصـــورات الجديدة• و هذا أيضا صحيح أن لمهاتما غاندى تصورات خاصة فى هذا الصدد كمثل تولستـــاوى و لكن لا رأى للاتعاون سوى مقصده• هو لا يعلّم متبعيه عقيدة دينية كما أنه لايريد أن يبنى صومعة للتزهـد و العبادة و لترك الدنيا• إنه فى كل حال نظام سياسى، اساسة الحقيقة و الحق• لذلك نعرفه عيون الديـــن و الاخـــلاق و التاريخ بنظر مماثل و تدعو بلغاتها الخاصة• فاذا قال ان أتركوا المعاهد

التعليمية و المحاماة، فلا معنى ذلك أنه ضد العلوم الأوربية أو المحامات، بل لمجرد أنه ضد هذا الحكم الذى يضطر الواحد أن يبين تحته و يكون ذريعة لاعانته• و اذا قال أن ألبسوا الأقمشة المصنوعة محليا فليس لأنه يكره الملابس الثمينة أو مودات خاصة بل لأنه يرجح الملابس المحلية على الملابس الأجنبية و لأنه على يقين أن البلاد فى حاجة إلى السذاجة فى طرق حياتها، لاستقلالها و نجاتها من السيطرة الأجنبية•

التجربة الأولى :

و الآن تعالوا نتأمل فى أى حال نحن الآن؟ طبقا للقسم الأول من البرنامج دعونا الناس و هم جاؤا و نظمت الجماعة الرئيسية الأولى و طبقا للقسم الثانى قد هيأت الأحوال بسرعة جو التصادم و بدأت المعركة• كان ذلك فى ديسمبر سنة ١٩٢١م• و الآن فليس لنا، فحسب بل للعالم كله أن يسأل إلى أى حد نجح هذا البرنامج• و لكن ما هو معيار فحص نجاحه؟ هناك أمران، و ليس لنجاح كليهما معيار واحد، الأول نظام عمل اللاتعاون و الثانى كفاحنا الذى حصلنا عليه بالقيام على الأول• فلو لم نستطع الحصول على مقصدنا النهائى فى كفاحنا، فليس من اللازم أن تكون المسئولية على نظام العمل• و نجاحه من حيث أنه برنامج عملى، أن نجد شهادة بالتجربة أنه قابل للعمل و مؤثر و منتج• فاذا وجدنا هذه الشهادة فلم يبق شىء لنجاحه و لو بقى لنا النجاح•

و أما كفاحنا فأنكر أن الحصول على هدفنا الأخير يكون معياره• فالحصول على الهدف الأخير ليس نجاح بل هو نجاح تام• و لابد أن نحصل قبله على فتوحات عديدة و علينا أن نرى : هل يمكن لنا أن نحصل على تلك الفتوحات أم لا؟

نجاح التجربة :

أيها السادة !

إننى لأتجرأ أن أقول بدون تردد إننى على يقين كامل أن البرنامج نجح، بل انه حصل على أكثر من النجاح الذى يمكن أن يحصل عليه فى أى برنامج مماثل• فانه إن كان منذ ثلاث سنوات مبدأ واضح النجاح

بالاستدلال، فهو الآن ايقان ثبت بالتجربة، أثبتت المشاهدة نجاحه•

ألقوا نظـــرة دقيقة على جميع تلك المشاكل و العقبات التى حالت فى طريقه، تصوروا قلة الموقت الذى حصلنا عليه عبور منازله الثلاثة : التعليم و الاستعداد و العمل• و لاتسنوا أيضا هذه الحقيقة، أنه كان أول خطوة عملية للبلاد فى سبيل تحريرها• ثم انظروا إلى تلك السلسلة العظيمة من النتائج المحيرة التى موجودة بين أيديكم• فكيف يمكن، و لو فى الخيال، أن نتصور فشله؟ و ما هو الشىء الذى فيه و لم يعمل بـه ؟ و أى فيـــه لم يظهر أثره؟ هل لم يترك آلاف من الناس المعاهد الحكوميـــة؟ و هل لم يرفعوا أيديهم من تلك المنافع و النعم التى كانوا يحصلون عليها؟ و هل لم تر فى البلاد ثورة التضحية و الايثار العام؟ و هل لم يدخل آلاف من الناس فى السجون راضين و فرحين؟ و هل لم يعجز نظام الحكم المسلح من أن يستطيـع على فتح دكان واحد فى الاضراب العام بمناسبة زيارة أمير ويلز للهند؟ و هل لم يشهد كل صباح و كل مساء منذ سنة ١٩٢١م أن شعب الهند أيضا له إرادته و أنه يمكن أن يظهر فى الميدان و يقوم للمواجهة؟

إن ثورة الأمم لاتنشأ أولا من السطح و انما يتولد فى اعمـــاق القلـب و الذهن، إنها قد قلبت ذهن الهند فى خلال اثنى عشر شهرا و رفعت فجأة صلاحية عمل الطبقات و الجماعات• و بعثت رسالة الحرية الحرية و حب الوطـــن إلى كل فـــرد فى هذه القارة• و طرأ بها انقلاب على حياة آلاف من الناس، و أخرجت خوف العقوبات و الآلام فى سبيل تحرير الوطن من قلوب الناس حيث أصبح الاعتقال القوية و المحاكم التى تصدر أوامر العقوبة مشاهد الألعاب• و على كل حال لم يبق شىء من أمور الكفاح لتحرير الوطن التى لم تفتح الثورة بابه على البلاد• فاذا كانت هذه كلها حوادث أمس، فاذا نحتاج إليه لنثبت أن البرنامج ناجح و عملى و غير مخطىء فى التأثير• إن اللاتعاون لِمَ يدعى أبدا سيبدى معجزات التقاليد القديمة• كان اعلامه المتواضع أنه اذا عمل به البلاد فيمكن أن تحصل قوة لاتستطيع السلطة الادارية على تسخيرها•

المعركة الأولى :

فاذا سئل : إلى أى حد نجح كفاحنا؟ فيجب أن نلقى نظرة على حوادث

سنة ١٩٢١م• حينما فتحت السلطة الادارية طريق التمرد المدنى الدفاعى بنفاذ التعديل فى القانون الجنائى• إنها كانت فى الحقيقة هى المعركة الاساسية• فلأذكر هنا هذه الحادثة من تاريخه : فى ٢/ ديسمبر بدأت المعركة و لم يمض عليها اسبوعان حتى ظهرت على السلطة الادارية آثار الانهزام• إلى أن اضطرت إلى اعتراف بقوة الكفاح• و لم يكن هناك بدلا أن تقبل الهدنة أو الصلح، فكانت مستعدة أن تعامل الكفاح كفريق مقابل• و لم تكن هناك مسألة النجاح و الفشل لأى من الفريقين• و كل منهما أجل أعماله موقتا• فكانت الحكومة أن تؤجل نفاذ تعديل القانون الجنائى و تفرج عن المسجونين• كان حزب المؤتمر أن يوقف مقاطعة زيارة أمير ويلز للهند• ثم بعدذلك ينعقد مؤتمر المائدة المستديرة الذى ينظر فى مطالبات الكفاح• و قد أكد على هذه الشروط صاحب العزة الحاكم العام فى ٢١/ ديسمبر بكلكتا مجيبا إلى بعض المندوبين• و مرارا أظهر فى لهجة الطلب و التمنى و الصلح و الاخلاص،ورغبته الشديدة فى أن تنتهى المعركة إلى صورة من التأجيل و الصلح• لم أذكر هذه الواقعة باعتبارها نجاحا كبيرا للكفاح• إن هدفنا عال و بمناسبته يلزم أن يكون معيار نجاحنا أيضا عال• و ليس هذا بشىء عظيم أن وجدت رغبة فى الصلح من جانبهم بدون أى وعد، و لكننى أراه نجاحا ابتدائيا لكفاحنا• فقد أظهر لنا أن طريق عملنا إلى أى حد مؤثر و صحيح، و كيف يستطيع أن يغلب الاغماض و الكبرياء الاعتراف و الطلب فى مدة اسبوعين فقط•

تغير الحال و توقف الكفاح :

فى تاريخ كل كفاح قومى، اذا كانت أشياء كثيرة تذكارية، كذلك هناك أيضا أخطاء يوجد ذكرها، و وجود هذه الاخطاء فى مثل هــذه الأحــوال أو طبيعى• و اننى على يقين أن قرار باردولى كان من هذه الاخطاء فى كفاحنا، فليس لنا إلاّ أن نتأسف عليه• و لكننا نراه أمرا يحدث فى مثل هذه الأحوال و ما كان فى امكاننا تجنبه• و فى الحقيقة أن أول معركة حاسمة فى كفاحنا قد انتهت على قرار باردولى• و من ذلك الوقت نحن فى حالة هدنة• فلم تنتهى الحرب و لكن المعركة قد توقفت•

الاختلاف على المجالس :

عندما أخرج عنى من السجن فى يناير الماضى رأيت أن الخدمة التى

هى أشد لزوما على أن أسعى لإنهاء هذا الخلاف• و حيث كان من اللازم أن أتجنب عن الانحياز إلى أحد الجانبين بعدم اظهار آرائى الشخصية، فلم أجد فرصة إلى الآن أن أظهر رأيى المتواضع فى هذا الموضوع، و اليوم أول فرصة لأن أفتح فمى فى هذه المسألة• أن الجماعتين اللتين جاءتا فى حيز الوجود، تشتمل كل واحد منهما على أحبائى المحترمين الذين فى قلبى عزة و احترام نحو صلاحيتهم و خدماتهم، كما يلزم أن يكون فى كل هندى• و على كل حال لايمنعنى ذلك من اظهار آرائى بكل وضاحة• فلو لم أفعل ذلك فيكون ذلك إلى جانب عدم أداء الفريضة،الاستعمال الخاطىء لتلك الثقة التى أظهرتم لى اليوم•

إن أول شىء أريد أن أقول فى صدد هذا الاختلاف، اننى أخالف الفريقين قطعيا من أول يوم فى ما أعطوه من الأهمية لهذه المسألة، و لأتجرأ على القول بان أصل المشاكل الموجودة يستتر فى هذا الخطأ•

إنه من الواضح أن كلما ظهر خلاف، يجب علينا قبل كل شىء أن ننظر فيه هل هو خلاف جذرى أو فرعى؟ و هل يترتب أثره على أصل من أصول الشجرة أو على أحد فروعها فقط؟ فاذا كان الخلاف فى أصل من الأصول فلاشك فى أن يجب علينا أن نظهر فيه تمسكا و ثباتا بكل قوة، لا مسامحة فيه و لا ملاطفة، و تراعى فيه مسألة الأغلبية و الأقلية و لايمكن أن توفه مسألة النظام• و لو كان الخلاف فى فرع من الفروع فتنقلب المسألة رأسا على عقب• و هنا أيضا يجب ألاّ نكون ضعفاء فى آرائنا، و لكن يلزم ألاّ نكون أشداء فى العمل حيث لايقبل الليونة• فاذا احتيج نغض عيوننا عنه فاذا تعرضت مصلحة كبيرة فلا بأس أن تضحى بهذا الأمر الصغير من أجلها• و التعاون مع الجماعة، و الانقياد للحزب، و الاتباع للنظام كل ذلك يكون فوق هذا، و لايترك لمثل هذا الأمر البسيط• و لاشك فى أن العزم و الثبات من أوصاف الانسان فى الدرجة الأولى• و لكن فيما اذا وضعت فى محلها الصحيح و تستعمل بكمية مناسبة• و اننى لأقول بدون تردد ان هذا الخلاف لا أهمية له لمسألة اللاتعاون• ماهو اللاتعاون من حيث الأصل؟ اننى على يقين أنه ليس هنا من يستطيع القول به بنود هذا البرنامج التى توجد فيها كلمات الكليات و المحاكم و المجالس، إنه ليس عبارة عن ترك الالتحاق بالكليات الحكومية، أو منع المقترعين عن اشتراك فى التصويت• إنه أمر فوق ذلك كله و هو اللاتعاون، و نحن نعلم أن الخلاف لم يكن فى اللاتعاون و لم يكن فى هل نذهب إلى المجالس للتعاون فى العمل أم لا•

و انما كان فى هل نختار نفس طريق العمل فى وقت الانتخابات الثانية للمحاماة الاصلاحية الذى اختير فى المرة السابقة، أم نجعل فيه بعض التغير؟ اننى عاجز عن فهم أنه لِمَ لايكون فى هذا الأمر رأيان مع شدة التمسك باللاتعاون؟ إنه مجرد مسألة التغير فى البرنامج أو عـدم التغيير• و هل تعتبر هذه المسألة من أصول اللاتعاون؟ إن أصل اللاتعـاون، أنـه لايصح لنا أن نتعاون مع السلطة الادارية الحاضرة• فاذا وافق عليه أحد فهو اللاتعاون• بقى كيف تستعمله فى حركتنا القومية؟ فكلما تقرر فى هذا الصدد يكون واجب العمل و لكنه لم يكن، على كل حال أساس، إنه فـرع، و لم يكن غرضا مقصودا و انما وسيلة• فاذا كان فيه اختلاف فى الآراء فهو لايستحق هذه الأهمية التى تعطى للخلاف فى الأصول•

الحرية هدفنا، وعد العنف و اللاتعاون أصولنا و للوصول إلى هدفنا وضعنا برنامجا، كل بند منه وسيلة و ليس بهدف، لايمكن أن نغير عقيدتنا و لا أن نترك الأصول، و لكن يمكن تغيير الوسائل كل آنٍ و كل لمحةٍ• فلو لم نقبل هذا التغيير فكأننا ما قبلنا الحرب•

و لكن للأسف قد أخذ هذا الخلاف على أهمية فى الفريقين كأنه خلاف فى الأصول• و صرفت من الجانبين قوة كأن حياة الكفاح القومى و مماته منحصرة عليه• فقيل من جانب أنه خلاف فى اللاتعاون نفسه• و لكننى أريد أن أقول بكل احترام : لو سلمنا أن أصول اللاتعاون ضيق إلىٰ هذا الحـد فلا يمكن أن يحي أى عمل للاتعاون أكثر من بضعة أيام• و من جانب آخر شدد فى هذا الأمر إلى أن قبلت التفرقة فى القوى المتحدة لحزب المؤتمر• و لكننى أقول، مع الأسف، إنه اذا قبلت التفرقة، و ترتيب الصفوف بسبب مثل هذه الخلافات الجزئية فلا يمكن أن يثبت نظام فى العالم•

على كل حال، إن الأهميـة التى أعطيت لهذه المسألة أعارضها أنا• فلم تكن هذه المسألة بمكان حيث أن نخاطر من أجلها باتحادنا و أعمالنا الحماسية و كل مكاسبنا• إننى أرى بكل حزم أنكم لو قررتم أى قرار فى مؤتمر " غيا " (GAYA) فما كان هناك أثر لتلك المشاكل التى تسببت إلى ضياع سنة كاملة قيمة من كفاحنا و هى سنة ١٩٢٣م•

ما هو سبب الفتور فى الاتحاد بين الهندوكين و المسلمين؟ أقول اختلافكم هذا فقط و بسبب هذا الاختلاف تعطّلت أعمالكم• فلما لم يبق العمـــل الأساس للناس الذى تعلقت به قلوبهم فكان من نتيجته الحتمية أن يتعاركوا بعضهم بعضا• انكم لما تصرفون قواكم إلى هذا الحد فأذكر

نمحة أن النجاح لايتوقف على الأسلحة و نوعية الطرق بل يتوقف على قوة الجيش نفسه• و السؤال عن كيفية الأسلحة سؤال من الدرجة الثانيـــــة• و السؤال الحقيقى هو كيف يكون الجنود؟ و ما يكون حالهم الخلقى؟ و فى الاسلحة يكفى أن تكون حادة فلو لم يكن من الدرجـــــة الأولى فلا بأس• و الجيش لابد أن يكون فيه الاتحاد و الثبات• فالجيش المتحد يمكن أن يغلب بالأسلحة الرديئة• و لكن أجود الاسلحة لاتستطيع أن تكسب النجاح بالعساكر المنتشرة و الغير المطمئنة، نحن نتضارب منذ سنة على مسألة بسيطة جدا• و هى ما هى تكون نوعية الأسلحة؟ و لكن لأننا ما هى حال العساكر اليوم• فاذا انتشر الجيش فما فائدة أحسن البنادق؟ و لنفرض أن مقاطعة المجالس هى أهم مسألة أو فى استيلاء على المجالس غلبة على أمور العالم كلها، و لكن لو لم تكن لكم قوة متحـــدة و انقلـــب نظامكـــم، و لم تبق مسئولية للمركز القومى، و أهم من ذلك كله اذا تسرب الانشقاق فى الاتحاد بين الهندوكيين و المسلمين، فكيف تقومون بالمقاطعة؟ أو كيف تغلبون على مقاعد المجالس؟

الافراط و التفريط :

أيها السادة !

إن الأمور التى علينا أن نحافظ عليها ليست هى الجزئيات، و إنما هى الأصول، فلا يصح على أى حال أن نتعمق فى أى مسألـــة جزئية إلى حيث أن ينشأ منه خطر حدوث أصول جديدة التى يولد لنا فى المستقبل مشاكل أساسية• فلما أخذ هذا الخلاف شكل النزاع و المناقشة بين الجماعتين اللتين جاءتا و الوجود بسببه، فكان لابد من وجود ميـــلان إلى الإفـــراط و التفريط• و لكن من واجبنا أن نحفظ منه قلوبنا و أذهاننا• و لاندعو إلى الإنقياد الأعمى، و لكن يجب أن نثبت أنفسنا على طاعة النظام• و المراد بالإنقياد طلب الحالة الذهنية للانسان التى فيها يتجاوز حد الاعتدال فى أتباع من يعتبره عظيما، و بدلا من أن يستعمل ذهنه و عقله يصبح قول رجل واحد عنده معياراً للحق و الباطل و الصحيح و الغلط• مثل هذا التقليد سواء أ كان فى سبيل الدين أو فى العلم لأكبر عائق لرقى الانسان و سعادته• و لن ينبغى لنا، أن نعرّف به السياسة• و على خلاف ذلك المراد بالطاعة هو الاتباع الذى يقوم بالجندى لقائده، فلما كان التقليد عائقا

فى الرقى و النجاح كذلك الطاعة شرط لكل عمل اجتماعى • و يمكن أن يخطأ القائد فى اصدار الأوامر فللجندى أن يكون له رأى على خلاف ذلك و لكن لايصح أن يخطو خطوة على خلاف ذلك • فلو أخطأ القائد فى أمر فيجب أن نضحى بأنفسنا بمثل ما عمل جيش سبا سنوبول الذى رثاه تينى سن على دماره، و لكن لاتخرج من الطاعة، نتحمل خطأ واحدا أحسن من أن ينهار النظام كله •

حزب المؤتمر القومى هو الحزب الحاكم الوحيد اليوم • و نحن فى حال الحرب، فيجب علينا ألاّ نقلد تقليدا أعمى سواء أ كان ذلك فى قرار الحزب أو فى رأى أكبر زعيم من زعمائنا و مع ذلك يجب ألاّ نحل أنفسنا من الطاعة • الفريق الذى يخالف التغييرات، لايحتاط فى أنه لايكون أن يتقدم إلى التقليد و الجمود و الفريق الذى يصر على التغيير لا يقيم بأنه لايصح لنا أن نخرج من الطاعة بسبب الاختلافات الجزئية •

برنامجنا فى المستقبل :

أيها السادة !

أرجوكم أن تسمحوا لى أن أعرض لكم آرائى عن الأحوال الحاضرة و طرق عملنا فى المستقبل • إننى على يقين أن قيادة مهاتما غاندى للهند قيادة حقة، و لو استطاعت الهند أن تحصل على الحرية و النجاح ففى قيادته فقط • و للهند اليوم ثلاث طرق فقط ! إما أن يقنع بما هى عليه اليوم و إما تقوم بالثورة المسلحة و إما يعمل باللاتعاون • فلا نستطيع أن نقتنع بما نحن فيه • و لايمكن لنا أن نقوم بالثورة المسلحة، و لانريدها • فبقى لنا الطريق الثالث، هو اللاتعاون •

أما برنامجه، فلم يأت أمامنا شىء نشعر به ضرورة تغير جذرى • و لكن علينا أن نسلم أن المواجهة الأولى قد انتهت و نحن فى وقفه حربية و يجب أن نستعد للمعركة القادمة • و المعركة الحاسمة لا تأتى إلا عن طريق التمرد المدنى • فلو أغمضنا عيوننا عن التمرد المدنى حاليا، فنحن واثقين بالتمرد المدنى الدفاعى •

نعم نحتاج له إلى أحوال، بعضها يتعلق بتجهيزاتنا، و بعضها يتعلق بطرق أعمال السلطة الادارية، فنحن لا نحصل على الحالة التى نريدها إلا اذا اختارت السلطة طريقا خاصا لعملها فمثلا تمنع حركاتنا بالعنف

و الاستبداد أو تستعمل القانون استعمالا خاطئا، كما فعلت فى المواقف السابقة• فلا شك فى أنه أمر ليس فى اختيارنا، و لكن مع ذلك انه موضع اطمئنان أن القوانين الطبيعية للاحوال الحاضرة فى جانبنا• لسنا على علم أننا على الصراط المستقيم فحسب بل نعلم أيضا أن الفريق المقابل على الطريق المخطىء، طبيعة هذه المعركة أن يترك الفريق المضل مرارا• فاليوم ليست المعركة بين السلطة الادارة و بين أذهان الهنود بل هى معركة بين نظام فاسد و بين مطالبة حقة• فلابد من أن تصد عنها الأخطاء مرة بعد مرة كما أنه من اللازم أن يجد الكفاح على قوى و فرصا جديـــدة• و يجب أن نكون على يقين أنه اذا استمر استعدادنا ففى مدة قصيرة تنشأ أحوال تساعدنا على بدء المعركة الثانية، بمجرد بدء المعركة ستنجذب إلينا الجنود و سنرى أن السرر أصبحت خاوية و الميادين ملآنة•

معركة المجالس :

و لكن كيف نقضى هذه الوقفة حيث يتهيأ لنا على أسرع ما يمكن جو مناسب للمعركة؟ و إلى جانب ذلك يكون نافعا لمشغولياتنا الحاضرة فهل يكون نافعا أن نقاطع الانتخاب للمجالس أم لا؟ أم نذهب إلى المجالس حيثما ما استطعنا على الحصول فيها على الأغلبية و نجعلها ركنا مؤقتا لحركة اللاتعاون؟

أيها السادة !

بعد النظر فى جميع جوانب المسألة قد وصلت إلى رأى و هو أن فى الحالات الحاضرة لايستحسن أن نقاطعها يمكننا فى الخارج• كما كانت المقاطعة ضرورية فى الانتخابات السابقة، كذلك اليوم ضرورى أن نحصل على المقاعد إلى أقصى حد ممكن و نذهب إلى المجالـــس التشريعيـــــة و الاصلاحية• و نختار طريقا تجعل هذه الأماكن ركنا من أركان كفاحنا•

ففى رأيى المتواضع يكون موقفنا أن تدخل جماعة منا فى المجالس من ناحية، و من ناحية أخرى تستمر حركتنا من الخارج و المجلس الأعلى للمؤتمر يراقب كلاً الموقفين و يعمل فى كل مكان تحت نظام واحد• و يجب أن يقرر قطعيا أن الدخول فى المجالس يكون حسب برنامج معين يقرره الحزب و ان برنامجنا يشتمل بوضوح على الأمور التى تصون موقفنا من أوساخ التعاون فى العمل• إنه يقينى أن الدخول فيها لايمكن الاستمرار

على عمل، لأننا نقصد التعاون فى العمل، لو كان للاعمال المفيدة فى الظاهر• و يجب أن يوضح أيضا إلاّ نقبل فيها مسئولية منصب مهما يكن بسيطا و لأى مدة تكون و تحت أى آنية كانت•

بقى سؤال : ماذا يكون طريقة عملنا فى المجالس بعد الدخول فيها؟ فتكون له صور مختلفة و كثير منها تكون تابعا للأحوال• على كل حال هناك أمر واضح و لازم، و هو أن يجب على الأعضاء اللاتعاونيين أن يخرجوا منها فى وقت مناسب• فنحن نختار الدخول فيها لأننا اذا جعلناها ركنا من أركان الحرب فيكون أفيد من المقاطعة• فاذا غلب ظننا أننا لسنا فى هدنة بل فى حالة معركة، فأنا، على الأقل، لا أشير اللمحة إلى التصور بالدخول فى المجالس• و لأجل ذلك وافقت على برنامج "غيا" و لو كنت فى كامل اليأس منه، لأنه اذا كان هنا أقل أمل فى نجاحه يجب أن نسعى له متكاتفين و لا نتصور الدخول فى المجالس• و على كل حال اذا شئنا وضعنا اليوم برنامجا لنا بعد الانتخابات أو نؤجله للاجتماع السنوى المقبل و ربما يكون الشكل الثانى أحسن• و ماذا يكون العمل فى الخارج؟ هذا هو أهم شىء و على هذا ينحصر افادة الركن الجديد للحرب• أريد أن الفت أنظاركم فى هذا الأمر إلى الأمور التالية :

١- يجب أن نبدأ من جديد عمل التبليغ للاتحاد بين الهندوكيين و المسلمين كجزء لبرنامجنا البنائى و سأقدم حالا تفاصيله•

٢- إتحاد نقابات العمال الذى لايمكن أن نقوم بعمل متغافلين عنه•

٣- تعليم الشعب كتابة و خطابة• نحن فى نشاط كفاحنا الماضى اضطررنا على أن نعمل للاتحاد• الاستعداد و المواجهة فى وقت واحد، و لكن فى الوقفة الحاضرة ينبغى ألاّ نغفل عنه، يجب أن نسعى لننقش على قلوب الناس أصولنا و مقاصدنا للاتحاد القومى و اللاتعاون و التمرد المدنى و لايكون ذلك كمجرد حسن عقيدة دينية، بل علينا أن نؤمن بوجوبها تحت عاطفة الحب الوطنى فقط• و يجب أن نعد الاعلانات و النشرات بكثرة فى لغات الهند المختلفة و نوزعها، و يقوم المتطوعون و الأعضاء العاملون من الحزب برحلات المدن و الأرياف و ليعلموا الناس بثبات كأن المعاهد التعليمية قد فتحت مؤقتا فى جميع أطراف البلاد و يوضع برنامج لهذا العمل لمدة ثلاثة شهور أو ستة شهور• و فى استطاعتنا أن نعلم البلاد مقصدا خاصا فى هذه المدة• فاذا وضعت الحكومة عقبات فى هذا

العمل فذلك يكون أفيد لنا، و ليس ببعيد أن ينشأ الجو المطلوب بوسيلته•

الجزء المتبقى من البرنامج البنائى :

و لكننى أريد أن أوضح كل الوضوح أنه لايصح لنا الدخول فى المجالس إلا صورة واحدة و هى ألآ تسمح لنا المؤتمر بذلك فحسب بل يقوم بدور القيادة فى هذا الأمر• فاذا كان اليوم قراركم خلاف ذلك، فكما قلت آنفا بالتفصيل، لايصح لأى فرد أو جماعة منا أن يخطو خطوة واحدة خلاف هذا القرار• و اننى لأرفض كل الرفض أنه أمر يستدعى خروجنا من طاعة النظام• فاذا قررتم اليوم ألآ نرشح أنفسنا فى انتخابات المجالس ففى هذه الحالة يكون رأيى أن نرجح المقاطعة على الدخول، لأن الأمر الأساس لنا هو الاتحاد فى كفاحنا• و الطريق الذى نختاره متحدين أحسن من الخطوات المتفرقة• و كلما لايكون هناك مسألة الاعتقاد لايصح أن نخرج من طاعة النظام•

أيها السادة !

عند اجتماع " غيا " قرر مؤتمر علماء الاسلام أن ينبغى للمسلمين أن يتجنبوا الترشيح فى انتخابات المجالس، ففى الحقيقة أنهم كانوا يرون أساس اللاتعاون من الناحية الدينية، فكان من الطبيعى أن يمتنعوا عن الطرق التى تتسبب الضرر للأساس• إن الدخول فى المجالس نافع أو مضر هو أمر بيت فيه أولئك الذين لهم تجربة فى هذه الأمور، و لكنهم أنفسهم كانوا مختلفين فيما بينهم فى ذلك الوقت، فكان من اللازم أن يختار العلماء الوجهة التى تكون فيها الحيطة، و فى حالة الخلاف كان مقتضى الحيطـــة أن يتجنب، و لكنى أوكّد لكم انكم اذا قررتم أمرا فليس هناك سبب لأن يصروا على شىء فى هذا الأمر•

الاتحاد بين الهندوكيين و المسلمين :

أيها السادة !

إننى قد أخذت كثيرا من وقتكم الثمين فى ذكر الحيطان و الجـــدران و لكن بقيت مسألة أساس كفاحنا• إننى أشير إلى الاتحاد بين الهندوكيين

و المسلمين• إنه أول أساس لبنائنا الذى بدونه ليس تحرير الهند فحسب بل جميع تلك الأمور التى ضرورية لرقى البلاد و حياتها، تصبح أصغاث أحلام• ليس اننا لانحصل بدونه على الاستقلال القومى فحسب بل لانستطيع بدونه أن نولد فينا المبادىء الأولية للانسانية• اذا نزل ملك من السحب السماوية و وقف على منارة قطب معلنا أنكم ستحصلون على الشمس فى خلال ٢٤ ساعة بشرط أن الهند تسحب يدها من الاتحاد بين الهندوكيين و المسلمين فاننى أترك الشمس و لا أترك الاتحاد• فاننا اذا تأخرنا فى الحصول على الشمس فتكون خسارة للهند و لكن اذا ذهب الاتحاد من أيدينا فتكون خسارة للعالم الانسانى كله•

ما هى الحالة الحاضرةللبلاد؟ فكل من يكون فى قلبه ذرة من الحب للهند هل يستطيع أن يصبر على رؤية هذه الحالة، منذ أربع سنوات قد اعلنا اعلانا عظيما لعزتنا و شرفنا الملّى• و قلنا للعالم أن ينتظر استقلالنا، و لكن فى الوقت الذى هوالمنصفليسمع قصة استقلالنا قد تهيأنا أن نرتب قصة خجلنا المحكومى و اسالة الدماء الجنونية، و صارت الحالة أن قد أخذت حركة " شدهى " (تطهير الناس باجبارهم على قبول الديانة الهندوكية) و المدافعة عنها و التجمع لها مكان" سوراج "(تحرير البلاد من التغلب الأجنبى واقامة حكومة عادلة) و الخلافة و بدأ الناس أن يتشاغبوا من أجلها فى كل جانب• يقال من جانب : صونوا الهندوكيين من المسلمين• و يقال من جانب آخر : احفظوا عزة الاسلام من مهاجمة الهندوكيين، مادامت الصيحات تعلو لصون الهندوكيين و السملمين فكيف يمكن أن تحيا العواطف الشديدة لصون الهند المسكينة• من جانب تشعل العصبيات الدينية الجنونية بوسيلة الجرائد و الاجتماعات و من جانب آخر الجهلة المخدوعون يسيلون دماءهم بغزارة، ميرت و أجمير و سهارنفور و آغره، و بلول وغيرها من الأماكن الكثيرة تأثرت باضطرابات دموية شديدة• و من يعلم ماذا يكون فى المستقبل من نتائجها المؤسفة•

أيها السادة !

إننى أريد أخاطب يوضح جميع أولئك الذين يقومون بدعاية عند هذه العواطف بأنه لايمكن تحمل هذه الأحوال، إننى أتقدم خطوة إلى الأمام وأقول : إننا متقدمون إلى الحرية فلا تقفوا فى سبيلنا، فاذا وقفتم فعلينا أن نزيل من طريقنا جميع العقبات• و أعرض لجميعكم الذين حفروا هنا من كل ركن من أركان الهند و تحلون معكم دماغ الهند و لسانها، اذا كنتم

لاتستطيعون أن تقرروا : هل يدخل اللاتعاونيون المجالس، أم لا، فلا حرج• و لكن لله لاتقوموا من هنا الا بعد أن تقرروا : هل الهند تحتفظ بأمانيها الرامية لحريتها أو تدفنها فى آراض آغره و سهارنفور الملطحة بالدماء! عليكم اليوم أن تصدروا حكمكم فى هذا الصدد و اصرفوا جميع قواكم من أجله• فاذا صبرتـــم على ذلك اليوم فتيقنوا أن سفركم سيتاخر لسنوات•

تنظيمات طائفية :

أيها السادة !

لم تمض مدة كبيرة كان المسلمون لم يشتركوا فى الحركة السياسية لحزب المؤتمر• و كانت فكرة المسلمين انهم فى الهند أقليـة أمام الهندوكيين، و أيضا متأخرون عنهم فى الثروة و التعليم، فاذا اشتركوا فى حركة متحدة فيستحق وجودهم و لأجل هذا التصور ظلت حكمتهم القومية أن ينظموا أنفسهم منفصلين•

ربما يعرف منكم جميع الذين كانوا يطالبون، فى خلال اثنتى عشرة سنة الماضية، التغيرات الجماعية للمسلمين أن فى سنـــة ١٩١٢م كان صوتى أول صوت ارتفع ضد هذا العمل• و قد نبهت أبناء دينى إلى انهم بهذه الحركة الانفصالية يستعملون أنفسهم ضد حركة تحرير البلاد و عليهم أن يتقوا باخوانهم الهندوكيين و يتضمنوا إلى حزب المؤتمر• و يجعلوا الحرية نصب أعينهم و يتركوا التنظيم الطائفى• كان نداى ذلك قد ثقل فى ذلك الوقت على جميع أبناء دينى و عورضت بكل شدة، و لكن فى الأخيرحان ذلك الوقت بسرعة حينما اعترف المسلمون بصدق هذه الحقيقة• فحينما كنت معتقلا فى رانتشى سنة ١٩١٦ كنت أسمع أن المسلمين ينضمون زرافات إلى حزب المؤتمر•

أيها السادة !

كما أننى قد رفعت صوتى فى سنة ١٩١٢م ضد مسلك أبناء دينى و لم يتمكن ايقافى خوف اختلافهم من اظهار كلمة الحق كذلك اليوم أرى أول فريضتى أن أرفع صوتى ضد جميع أخوانى الذين يحملون أعلام الجمعيات الهندوكية• اننى اشعر بحيرة أن تلك الحاكمة الذهنية التى كانت للجمعية السياسية للمسلمين هى نفسها اليوم لهؤلاء الناس نفس الأدلة نسمع منهم، نفس العلل و البواعث على ألسنتهم اليوم• كان المسلمون يتخيلون

ذلك لأنهم كانو أقلية• و اليوم تثير هذه الحركة أولئك الذين عددهم ثلاثة أضعاف، اننى أريد أن أقول بوضاحة إننا اليوم لسنا فى حاجة إلى أى تجمع للهندوكيين و لا للمسلمين فى الهند• نحن فى حاجة إلى تجمع واحد فقط و هو حزب المؤتمر القومى الهندى•

إننى لا أريد أن أناقش تفاصيل هذا الأمر• لأرفض صحة الأدلة التى تذكر فى تأييد هذه الحركات• يقال ان فى سنة كذا كانت الاضطــرابات و كانت خسارة أحد الفريقين أكبر فيجب أن ينظم جمعية ضد الفريق الثانى•

و أقول : انه لو سلمنا هذا الطريق فى الاستدلال فكل جماعة تستطيع أن ترتب مثل هذه القائمة لخسارتها• و بعد ذلك تعلن عن نظم الجمعية• فاذا ألقينا نظرة على الحوادث التى وقعت فى بومباى خلال عشرين سنة الماضية، فنجد عددا من الاضطرابات التى حدثت بين طائفتين من المسلمين• و كل واحد منهما قتلت و نهبت كثيرا من الأخرى• و لكنى أريد أن أعلن بوضوح تام أن فى هذه الفترة من الاتحاد بين الهندوكييــن و المسلمين ، حدوث الاضطراب فى ملتان و وقوع خسارة كبيرة للهندوكيين ضد المشاغبين المسلمين، لخسارة يجب ينجرح بها قلب كل مسلم• مع ذلك فان البلاد، مثل الهند، التى يسكنها مئات الملايين من الناس، و التى دخلت فى عهدها الجديد منذ قليل من الزمن• و التى فيها عصبية دينية شديدة، و التى فيها ثوران العواطف الدينية، ليس ببعيد أن يقع فيها مثل هذه الحوادث و لايعتبر ذلك أمرا غير ممكن• و علاجه الحقيقى أن الطبقات الأخرى لا تأخذ أثرا منها و لاتثور فيها مثل هذه العواطف الطائفية• يذم المعتدى و يعطف على المظلوم• و ليس العلاج أن يوسع فى هذه الحوادث المحلية، و يدعى فريق المواجهة جاعلا المسألة هامة للبلاد و الطائفة كلها، ثم يجهز الفريق الثانى عدته من جديد و بذلك تقوم الحرب التى لا نهاية لها•

إننى لا أنكر أن لكل جماعة فى الهند أعمال كثيرة لإصــــلاح نفسهـــا و تنسيقها، و يجب على كل جماعة أن تسعى لتصليح ضعفهــــا بنفسها، و لكنى أنكر قطعا أن يمكن لحركة إصلاحية أن تقوم فيها اذا هيئت مادتها من الاضطرابات و من دم الحروب الأهلية•

كذلك أقول لحركة " شدهى " إننا لنستطيع أن نضع على الورق الحركة السياسية المتحدة و النزاع الطائفى الدينى فى حقلين مختلفين إلا انه

لايمكن مثل هذه التفرقة عمليا• إننا فى حاجة إلى قومية متحدة• و نحن نعلم أنه اذا ارتفعت نداءات المنبوذ من جانب و طبقة الهندوس العليا من جانب آخر فلايمكن أن يوجد ذلك التسامح الذى بدونه لايمكن ثبات الاتحاد•

أيها السادة !

إننى أعرض لكل جماعة فى البلاد أنه لابد أن يقرروا مرة مسير الهند، فماذا كانوا يرغبون فى أن تحصل الهند على الحرية و النجاة فلابد لهم من أن يؤجلوا من أجل ذلك جميع أعمالهم الأخرى، مهما تكن تلك الأعمال محبوبة لهم• و ليس هناك طريق غير ذلك•

إننى اليوم من هذه المنصة التى هى مهد القومية الهندية المتحدة أناشد جميع الهندوكيين و المسلمين ألاّ يدوسوا أمانيها بهذه القســـاوة• و بدون مناقشة، فيما حدث سابقا، يمتنعوا عن كل نشاط له علاقة بحركة "شدهى" و مدافعتها أو بأى حركة طائفية• فاذا لم يكتفوا بكلمة الامتناع فعلى الأقل يؤجلوا• فاذا فعلوا ذلك أدواة خدمة عظيمة ليس للوطن فحسب بل و للعالم الانسانى أجمع•

أيها السادة !

فى هذه المناسبة دعوتى أذكر لكم أنه ينبغى ألاّ نتساهل الآن فيما يلزم علينا أن نضع ميثاقا قوميا الذى ليس أن يوضح للأبد هدفنا القومى فقط بل و يصدر حكما على ما يتعلق بالجماعات المختلفة و تنشأ بينها من النزعات كل يوم و آخر• من الممكن جدا أن يتأثر حرية ثلاثة آلاف مليون نفر بمجرد أن موكبا مرّ أمام مسجد ضاربا موسيقاه، أو قطع فرع من شجرة فى الطريق•

مادام هذا هو حال نوعية المصائب فى البلاد فلا ينبغى أن نتأثر فى الوصول إلى قرار دائمى و قطعى لحل هذه المشاكل• فأرجو منكم أن تأملوا أيضا فى هذه المسألة، و الأنسب أن نؤلفوا لجنة من أفراد ممتازين لهذا الغرض، التى نجهز مسودة لقرار تقدم فى الاجتماع القادم•

تتمـــة :

أيها السادة !

إن نتائج يومنا هذا، كالأيام العظيمة للأمم، تنقسم إلى قسمين، فاما

نستطيع أن نحصل اليوم على نجاح عظيم و إما نواجه مشاكل كبيرة، فاليوم امتحان كبير لعزمنا و ثباتنا و حبنا للوطن• فتعالوا نغلب عليه و ننصرف إلى بناء نصيبنا•

تعريب : د/محمد مهدى الأنصارى

مولانا أبوالكلام آزاد
شخصية ثورية فذة

بقلم : البروفيسور محمد حبيب
استاذ التاريخ بجامعة عليجر سابقا

إن حياة مولانا أبى الكلام آزاد كانت حياة نشيطة قوية مملوءة بالحيوية و الفكرة المنطقية• و نجد فى حياته المتطورة مراحل شتى و تجولات مختلفة حينما كان مولانا آزاد فى مقتبل عمره على مفترق الطرق، لأنه كان قد تثقف بالثقافة الاسلامية و درس العلوم الاسلامية التى نشأت فى القرون الوسطى لم يكن فيها أثر للحضارة الجديدة و العلوم و الفلسفة الحديثة• و لكنه وجد سبيلا الى الحياة الجديدة بقوة نفسه و ثقابة ذهنه حتى اعطى منصبا عاليا فى الحكومة الهندية و عالج مسائل الحياة الجديدة و الأوضاع الحديثة أحسن معالجة•

و ان والد مولانا آزاد الشيخ محمد خير الدين هاجر من الهند الى مكة• وولد مولانا آزاد فى هذه المدينة المقدسة فى حارة دار السلام فى نوفمبر ١٨٨٨م• و كان أبوه عالما نحريرا و صوفيا كبيرا• و كان له مريدون فى الهند كلها من أقصاها الى أقصاها• و كان عالما تقيا لايحب التأويلات التى تخالف روايات السلف من العلماء الصالحين• و قد درس مولانا آزاد العلوم و الفنون فى ظل أبيه• و كان أبوه شديدا فى الرقابة عليه• و لما بلغ مولانا آزاد الى السن العاشر من العمر فرجع أبوه الى الهند و مكث فى أكثر الأحيان فى مدينة كلكتا• و قد خرج مولانا آزاد من القيود التى نشأ و ترعرع فيها من حيث الفكرة• و اطلق نفسه من الروايات و الأفكار التقليدية التى كانت غالبة على الجو الذى نشأ فيه، لأنه درس كتب الزعيم الشهير سر سيد أحمد خان فتأثر بها و أخذ عنها و لكن هذا الأثر لم يبق فى نفسه و فكرته إلا قليلا• و السبب فى ذلك أن سر سيد أحمد خان قد هجم على علماء الاسلام الذين كانوا جامدين و كانوا يتقلدون

أقدار القرون الوسطى فى فكرتهم و حياتهم• و كانت حملته عليهم حملة شعواء• و كان مولانا آزاد يوافق به فى هذا الأمر• ولكن سر سيد أحمد خان كان يتعاون بالحكومة البرطانية فى الهند• و كانت حركة عليجر الاصلاحية تميل الى الانجليز و توافق بهم• و لكن مولانا آزاد كان يخالف الانجليز و يثور عليهم• و كل هذا ساق إلى الإلحاد و التذبذب فى حياته الباطنية أما لفظ الإلحاد الذى استعمله مولانا نفسه عنه، لفظ شديـــــد• و لكن لايمكن لمنكر أن ينكر الاضطرابات فى قلبه و الأحوال القلقة الفكرية فى نفسه التى عاش فيها مولانا آزاد لبرهة من الزمان• و هذه الأحوال القلقة قد تكسّرت آراءه و تحطّمت نظرياته و انه اختار طريقة حياة راقية و انقطع من القدامة انقطاعا كاملا• و بقى على هذه الحال إلى آخر حياته• و هى مزية واضحة فى فكرته•

و فى سنة ١٩١٢م أصدر مولانا أبو الكلام آزاد مجلة أسبوعية باللغة الاردية بإسم " الهلال " و انه كان قد نال تجربة واسعة فى مجال الصحافة من قبل• و ان هذه المجلة نالت اعجابا و قبولا بين الناس حتى بلغت عدد زبائنها ٢٥٠٠٠، زبون• و إنه أنكر التقليد الأعمى فى مسائل الاســـــلام و نظرياته و انه أورد اعتراضات على سر سيد أحمد خان فى تعاونه بالانجليز فى الأمور السياسية• و إنه اجتهد لكى يعرض أمامنا أخيلة جديدة حسب اجتهاداته• و قد ظهرت هذه الناحية مظهر جميلا فى تفسيره المسمّى " بترجمان القرآن "

و ان الزعيم الذى يختار سبيله فى الحياة بنفسه لابدّ له أن يحتمل المحن و المشاق و ان يمضى من الطريق الوعر فى الحياة• و هذا من لوازم هذه الحياة التى اختارها مولانا آزاد نفسه• و كان مستعدا لمواجهة هذه الكوارث و الآلام• و قد كتب سنة ١٩١٣م فى مجلته الاسبوعيــــــة " الهلال" :

> " و قد يأتى حين من الدهر فى تاريخ الأقوام حينما تصير الحياة معصية و تكون التضحية بها هى الحياة• و فى هذا الوقت لايبقى أى جرم أشدّ من أن يستبقى الانسان حياته بل التفدية و التضحية تعدّان من عزائم الأمور و سمة الحياة، و مثل هذا الوقت يأتى فى تاريخ حياة الأمم ثم ينقضى حسب قانون الطبيعة و كل ماجاء بالهلاك و الفساد و الدمار فى هذه الأزمة، تأتى بفوائد

جديدة و بأثمار متنوعة فى الحياة حينما يتبدل الموسم
و هذه الأثمار تبقى لقوامها و دوامها(١) و ان روح
القومية تنام فى غفلة الأشخاص و الأفراد(٢) و قد آن
لهم أن ينتبهوا و يستيقظوا من نومهم السبات"•

و لما صودرت " الهلال " الاسبوعية من قبل الحكومة الانجليزية فأصدر مولانا آزاد مجلة أخرى باسم " البلاغ " و لكن حكومة بنغال اجلته من ولاية بنغال و انتهجت الولايات الأخرى الهندية الاستعمارية نهجة حكومة بنغال و منعت مولانا آزاد من الدخول فيها اللّهم الا حكومة بيهار و حكومة ولاية بومبائى• فانتقل مولانا آزاد من كلكتا الى مدينة رانتشى فى ولاية بيهار و أصبح تحت رقابة الحكومة و فى إقامة جبرية(HOUSE ARREST) و قد ألف مولانا آزاد فى هذا الزمان تحت حراسة الحكومة كتابين شهيرين همـــا " تذكرة " و تفسير ترجمان القرآن الجزء الأول"•

و إن المقلدين من أهل السنة يوردون على مولانا آزاد اعتراضين :

الاعتراض الأول هو أنه غير مقلد لأنه لم يوافق بالروايات و التقاليد الرائجة بين المسلمين فى بيئتهم لأنها مسلّمة فى الفكرة الاسلامية فى الهند• و قد اعترف له مولانا آزاد و لم ينكر قولهم• و هو يقول فى كتابــه " تذكرة" فى هذا الصدد :

" و فى حال عشت، تجنبت من النقص و التقصير و تجنبت كذلك من التقليد و اختيار الطرق المعبّدة لعامة الناس"• و قد قال بنفسه انه أينما عاش و فى أية حالة مكث، فإنه لم يرد ان يتبع طريقة غيره بل أراد أن يختار طريقا جديدا لنفسه و يترك أثارا للناس• و ان اللّه هيأ للناس تسهيلات لا تعدّ و لا تحصىٰ و كذلك أبواب الهداية مفتوحة لهم• المدد يأتى من الغيب للذين يبغون الهداية و الارشاد، و الطريق الأيسر و الآمن أن يبايع الانسان على يد شيخ عالم و هادٍ كبير و لكنى (أى مولانا آزاد) أقول إن المراحل الصعبة التى مررت بها، لم تكن نتيجة هداية أحد بل الحـــق هو كـــل ما حصلت، و حصلت بنفس، ليست فيه منّة لا علىّ لأحـد و لا أسرة و لا تربية ظاهرة بل كل ما نلت ، نلت بالعشق و الشوق الى المقصد(٣) و يقول مولانا آزاد فى موضع آخر " إن العقائد التقليدية هى التى تمنع الانسان من الترقية الذهنية و لايمكن أية قوة أن تقيده كما تقيده العقائـــد التقليدية الجامدة و هو لايقدر على ان يحطمها تحطيما، و السبب فى ذلك انه لايريد الانقطاع عنها بل يحبّها حبّـا جمّـا، لأن هذه

التقاليد التى ورثها من آباءه و أسرته و تربيته تكون أحب إليه مـن الدنيا و مافيها، لأنه يزعم ان كل عقيدة و كل عمل و كل رواية ورثها من آباءه هى وراثة مقدسة، و لابد له أن يصونها و يحافظ عليها و لا يمكن له أن يمسها بسوء• و ربما يكون إجبار هذه الوراثة العقائدية شديدا و لايمكن للتعليم ان يكسرها أو يوثر فيها(٤)•

و الاعتراض الثانى الذى أورده أهل التقليد عليه انه يعتقد فى وحدة الأديان مع إدّعاء اسلامـه • و هذا الاعتراض صحيح و لكن نجد فيه سمة البغض، لأن القرآن أعلن بكل وضوح و جلاء• بأن اللّه قد أرسل رسلا الى كل قوم و ملك كما قال اللّه سبحانه :

" وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُوْلاً،"

(سورة بنى اسرائيل ركوع٢)

و الصفة الجوهرية لذات اللّه تعالى هى الربوبية و قد قال مولانا آزاد فى هذا الصدد :

" إن اللّه تعالى يخلق الإنسان ثم يحفظه ثم يهيّئ له وسائل ترقيته ثم يهديه"•

و كان مولانا آزاد ترك طريقة فكرة العلماء فى تفسير القرآن لأنهم فسروا القرآن تحت اثر الفلسفة اليونانية و بمثل هذه التفاسير ساقتهم إلى الاعوجاج و سوء الفهم و الغموض، بل كان مولانا آزاد يقول لابد لنا ان نفهم القرآن كما فهمه النبى صلى اللّه عليه وسلم و كما فهمه الصحابة رضى اللّه عنهم• و كان النبى صلى اللّه عليه وسلم وارثا لشرائع الأنبياء السالفين حتى أتّم الشريعة و كمّلها، و كذلك كانت الصحابة يعتقدون فى رسالة النبى صلى اللّه عليه وسلم فالقرآن يقول : و لانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه " (البقرة ركوع-٤٠) و فى هذه المسائل كلها كان مولانا آزاد يكتب بكل وضوح و صراحة فعلينا أن ننظر الى ماكتب هو بنفسه فى مجلـــــة " الهلال" و قد كتب مجيبا لمستفسر :

" لابد أن نفرق بين دين و بين متبعيه، هذان أمران مختلفان و منفصلان و هما ليسا بأمر واحد• و اننا قد أخطانا فى فهم هذه المسئلة خطأ كبيرا لأننا ننسى أن بينهما بون شاسع و هذا الفهم الخاطئ هو المصدر لقنوطنا من الدين الى حد كبير• و ليست هنا اى صداقة يكون متبعوها حجة عليها فى بحث الحقيقة• و ليست هنا طريقة أخرى للبلوغ الى الصداقة• و لأجل ذلك لابد للقرآن من طريقتين و هما إما ان يصدق القرآن بمتّبعى

المذاهب كلّها أو يكذّبهم كلهم، و التصديق بالأديان كلها لايمكن لأن كلا منها يدعى بما هو مضاد لآخر و كذلك التكذيب للأديان كلها لايوافق بالعقل و الصدق، لأن فى هذه الحالة، الدنيا تكون خالية من تربية الانسان الروحانية• هذا هو السبب أن القرآن ترك هاتين الطريقتين و أختار طريقة ثالثة و أعلن ان المذاهب كلها حقة و لكن الذين يتّبعونها هم المنحرفون من الحق• و كل ما توجد من الخلافات و الضلالات و الإدعاءات المكثفة و التعصبات المفرطة و التصادمات بين الأحزاب و الملل كلها توجد بين متبعى هذه الأديان لا فى تعاليمها، لأن تعاليم الأديان لا تأمر لها و لا تعلن بها• فلو ينقشع الظلام و ينعدم الإعوجاج فى متبعى الأديان، لبقى الحق عند كل أمة• هذا هو الحق المشترك بين الأديان كلها •و هذه هى الصداقة الروحانية العامة فى العالم كله(٥)
و يقول مولانا أبوالكلام آزاد فى جواب مستفسر آخر :

" إن المشاكل التى تواجه فى درس القرآن و التفكير عنه، لأنك لم تكن أمامك الأسس الجوهرية حينما تتفكر عن القرآن• و بالإيجاز عليك أن تعرف أن بعد القرن الأول ابتعد الناس عن فهم القرآن و التفكر عنه لأنهم سلكو مسالك حسب أهواءهم و أمانيهم• و عليك أن تعرف ان فهم القرآن له طريقة قرآنية وغير قرآنية و المراد من طريقة غير قرآنية هى جميع الطرق التى نشأت من اذواق المفسرين و أفكارهم• و هى نتيجة للعلوم الوضعية المنتشرة بين الأوساط العلمية لأن هذه العلوم نشأت بسبب الإختلاط بالتمدن الايرانى و الرومى و الهندى و اليونانى و الاقتباس من الأفكار الأجنبية و هى حصيلة بالطبع لإختلاط الأمم العربية بالأمم الأعجمية• و كل فرقة من المفسرين رأت الى معانى القرآن ومفاهيمه حسب فكرتها و عقائدها، و لم تزل هذه الحالة حتى بلغ الأمر الى ان ألفاظ القرآن و تراكيبه و أسلوبه و براهينه و مواعيظه و حكمه كلها اختارت طريقة جديدة حسب أهواء المفسّر• و لكن الحق هو ان القرآن يعلّم عقائد و أقدارا تطابق بالفكرة الانسانية فى اليسر و السذاجة• و أنت تجد أسس العلوم و الفنون منحصرة على القوانين الوضعية• و قد كانت النتيجة لهذه الوضعية و التصنع ان الناس افتقدوا صلاحيتهم لفهم الفطرة الانسانية و الذوق السليم و تعودوا للبحوث المنطقية و الفلسفية حتى انهم جعلوا يكرهون السهولة و السذاجة لأن المقدمات التى كانوا يستنتجون فيها كانت تنحصر على العلوم الوضعية و العقلية المتصنعة و لم تكن حقيقية

و انها لاتوافق بمقتضيات العصر كلها• و يمكن أن الأمور المسلمة اليوم تكون ضعيفة واهية بالغد حتى يضحك منه الناس• و لأجل ذلك الإيمان لايمكن أن يكون محتويا على مثل هذه الأسس المتغيرة(٦)•

و ان مولانا آزاد قد استطرد قائلا فى موضع آخر:

" و من الأسف أن القرآن يهدى الى طريق آخر و الناس يضعون القرآن على روؤسهم ثم يذهبون الى مذاهب أخرى غير قرآنية• و إن المفسرين و المتكلمين يعالجون المنطق لأرسطو و الفلسفة لأهل اليونان فى تفسير القرآن و ينسون الصراط المستقيم(٧)•

و فى شهر فبرائر سنة ١٩٣٠م انه قال مخاطبا لمجلس الخلافة فى بنغال " ان الأساس للنزاعات و الخلافات فى العالم هى ان الحقيقة واحدة و لكن الأسماء و المصطلحات كثيرة و متنوعة و طلب الصداقة ينتهى على الخصومة مثل الذين كانوا يتخاصمون فى لفظ " الشهد" و العسل" و لكن الخلافات كانت فى التسمية، و الحقيقة كانت واحدة، و الأشكال تختلف اختلافا كبيرا و ان الناس يعشقون بالألفاظ الظاهرة و لايعتنون بالروح مع انهم كلهم يطلبون الحقيقة و لكنهم يختلون فى الأسماء و واحد يقول " الشهد" آخر يقول " العسل" و ليس هنا أحد يوضح الأمر مهما أن هذين اللفظين يعبران عن جقيقة واحدة كذلك كل ماترى من الخلافات فى الأديان و التقاليد، تجد العلة فيها واحدة فى كل مكان• و لو أن جواهر الأشياء و الأسماء توضح و تفسر، لانكشفت الحقيقة أمام الناس حينئذ يفتقد الناس النزاعات و الخلافات و المجادلات و الآراء المتخاصمة لأن الحقيقة واحدة و الأسماء مختلفة•

و انه قد استطرد قائلا :

" هناك دين موروث يرثه الناس من آبائهم مثل شارع فى مكان خاص يمشى الناس عليه• و كل من يمشى على هذا الشارع هو مقلد، لأنه يمشى على طريق معبّد معروف، هذا هو التقليد، لعلك رأيت ان هناك بندا فى استئمارة "الاحصائية" عن الدين و يمكن لك ان تكتب فيه " الاسلام " و كل ذلك تقليد و نقل لأن هناك دينا روائيا و ينحصر على عادات و تقاليد معروفة يرثها الرجل من آباءه• و لكن فضلا من ذلك الدين له حقيقة، ليست لها علاقة بهذه التقاليد و الرسوم، أما الدين فله حقيقة و لكنها اختلطت و امتزجت بهذه التقاليد و الرسوم، فجوهر الدين موجود و لكن الناس لايعرفونه بل انهم يتبعون الروايات القديمة بغير أن يعرفوا روح

الدين و جوهره• فهناك ينكشف الأمر ان الخلافات كلها بين متّبعى الأديان و بين أصحاب الظواهر و بين المتصنعين، اما لو أنهم اختاروا روح الدين و عملوا عليها لبلغوا الى حقيقة واحدة و لو أن السبل تختلف و لكن المنزل واحد(٨)•

و ان مولانا آزاد يسلّط الضوء على الخلاف بين الدين و العلم و يقول فى ذلك :

" الفلسفة تفتح باب الشك ثم لاتغلق، أما العلم فيعطى الأدلة و لكنه لايقدر على أن يعطى العقيدة، أما الدين فيعطى العقيدة و لكنه لايعطى البراهين• و الحياة لاتحتاج الى الحقائق فقط و لكنها تحتاج الى العقائد، لأننا لانثق بالحقائق الثابتة فقط بل نحتاج لقيام حياتنا إلى أقدار عالية نعتقد فيها و نؤمن بها و لو لانقدر أن نثبتها بالأدلة"(٩)•

و فى هذا الزمان كانت أمام مولانا آزاد قضيتان لأنه كان يريد أن يفهم القرآن كما فهمه النبى صلى الله عليه وسلم و لذلك لابد أن يرد على المصطلحات التى استعملت فى التفاسير التى ألفت فى القرون الوسطى• وهو يقول فى مقدمة "ترجمان القرآن" الذى صدر سنة ١٩٣١م :

" القرآن لايحب التصنع و التكلف و العلوم العقلية بل طريقته هى طريقة فطرية نجدها عند الأنبياء عليه السلام• و كذلك لما نزل القرآن، آمن به الصحابة، فإنهم كانوا لايعرفون العلوم العقلية و المنطق و الفلسفـــة و التصوف و المصطلحات العلمية و النظريات المتفلسفة• و ان الصحابة كانوا خالفين على الفطرة و السذاجة فى الفكر و العاطفة"•

و ان مولانا آزاد ردّ على هذه النظرية ان اللغة العربية هى نتيجة لنشأة الألسنة و تحولاتها بالعوارض الوقتية بل انه رأى أن اللغة لها تاريخ طويل تبتدأ قبل التاريخ و انها ظهرت فى قالب أدبى بعد ما عاشت حياة أدبية بالتوارث و التسلسل فى قرون متطاولة• فالفرق هنا فرق جوهـــرى و هو أن المصطلحات اليونانية لايمكن أن تفتقد مفاهمها و لكن المصطلحات التى كانت قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم كانت خالية من المفاهيم المتفلسفة المقررة• و هذا هو السبب أن القرآن دخل فى قلوب الناس كما نزل و الصحابة لم يفهموا منـــه غير ما أراد القـــرآن و لم يحسّوا الصعوبة فى فهمه• و كانوا اذا سمعوا آية أو سورة فهموا منها حسب ما أراد الله و رسوله أن يفهموا•

أما اذا كانت الخلافات فى مفهوم كلمة فلابد أن نرجح المفهوم الذى

أوضحه المصنف يعنى صاحب الكتاب الذى يصرح مافيه• و ان القرآن نزل فى مدة ثلاث و عشرين سنة و كلما كان ينزل القرآن كان الصحابة يتكررونه فى صلاتهم• و اذا احتاجوا الى فهم كلمة فكانوا يسئلون النبى صلى اللّٰه عليه وسلم حتى امتاز بعض الصحابة فى فهم القرآن و شهد بذلك النبى صلى اللّٰه عليه وسلم بنفسه• و فهم الصحابة للقرآن لابد أن ترجح على فهم الذين جاءوا بعد الصحابة و لكن من الأسف ان الذين جاءوا بعدهم و كتبوا تفاسير القرآن (خاصة فى القرون الوسطى) فانهم تأوّلوا تاويلات جديدة بفكرتهم تحت مؤثرات زمنية فلسفية لآيات القرآن، و خالفوا تفاسير السلف حتى قيل ان إيمان السلف قوى و لكن فهم الخلف أقوى فى العلم و طرقه، و لو أن السلف قالوا عن أنفسهم : أبّرهم قلوبا و أعمقهم علما، حتى بلغ الأمر الى حد احتجبت فيه الحقيقة و أصبحت المسئلة معضلة معوجة فى اكثر نواحيها، فلم يقدروا على فهمها و حلها•

الدور الأول لتفسير القرآن هو حينما لم تدون العلوم الاسلامية فى الكتب• أما الدور الثانى فهو الذى دونت العلوم و الفنون فى الكتب فيه و نحسّ أن المفسرين سعوا فى هدوء أن يكتبوا تفاسير تميل الى التأويل ثم لم يزل يزداد هذا التيار حتى بلغ منتهاه بالعلوم العقلية اليونانية و هنا نرى أن الإمام الهمام فخرالدين الرازى(١١٥٠-١٢١٠م) ألف تفسير القرآن و سعى سعيا بالغا لكى يفسر القرآن بالفلسفة و المنطق و التصنع• و لو انه تتبع الفطرة و الطبيعة و ترك الفلسفة لأخرج ثلث المواد من تفسيره•

وهذه الآفة لم تكن فى الاستدلال فقط بل نشأت هناك مصطلحات منطقية فلسفية فى كل علم و فن• و هذا معروف أن القرآن ليس موضوعه الفلسفة اليونانية• و لما نزل القرآن لم تكن هذه المصطلحات اليونانية موجودة• أما الألفاظ التى استعملت فى القرآن فى أول الأمر لم تكن مصطلحات، فالمفاهيم لهذه الألفاظ التى كانت فى زمن نزول القرآن هى التى تعتبر، أما المفاهيم التى نجدها فى المصطلحات المتصنعة مثل خلود، أحدية، مثلية و تفصيل وحجة و برهان و تأويل قد نشأت فى هذه الألفاظ معانى و مفاهيم لم تخطر على قلب قارى القرآن فى الصدر الاول مثلها قط و كانت لاتحتوى على المعانى التى نراها فى زمن المنطق و الفلسفة•

و ان الذين يريدون أن يستنتجوا من القرآن ما ليس فيه فهم يريدون أن

يطبقوا الحقائق العلمية العصرية على القرآن كما أنهم اطبقوا عليه نظام بطليموس من قبل• كذلك أن المفسرين الجدد يريدون أن يطبقوا نظريات علم النجم الحديثة على القرآن و القرآن براء منها•

و لاشك أن الفكرة الانسانية المتغيرة قد أثرت فى تفسير القرآن كما أنها أثرت فى العلوم و الفنون• و لكن لا بد لنا ان نعترف بهذه الحقيقة الناصعة البيضاء ان علماء الحق جاهدوا جهدا جهيدا خلاف النزاعات الفلسفية و السياسية و لم يحتملوا أيّ تغير فى عقائد الاسلام و مسائله من قبل الحكومة أو الأشخاص و لكن التأثير لا يأتى من قبل السياسة فقط بل هناك مؤثرات نفسانية أخرى، و اذا انفتحت هذه الأبواب الكثيرة، لايمكن لأحد أن يغلقها• و يمكن أن يصون علماء الحق العقائد و الأعمال فى مثل هذا التيار الفكرى كما فعلوا فى كل عصر و مصر، و لكن لايمكن أن تصان الأذهان و العقليات و دخائل النفوس• و قد أثرت هذه التيارات الفكرية الحديثة فى النفوس و بلغت كل مبلغ فى العصر العباسى و فى العصر الحديث كلاهما•

و بعد القـــرن الرابع من الهجـرة انتهى دور الاجتهاد فى علوم التاريخ (و العلوم الاسلامية)• ثم بدأت الطريقة التقليدية• و هذا الدّاء العضال قد تسرّب فى جسم تفسير القرآن• و كلّ من كان يكتب تفسير القرآن، يختار مفسرا له ثم يقلّده كالأعمى• هذا هو السبب، لو أن مفسرا أخطأ فى القرن الثالث الهجرى فلابد للمفسرين أن ينقلوا نفس الخطأ حتى فى القرن التاسع الهجـــــــرى• و انهم قلدوا تقليدا جامدا و لم يصحّحوا الخطـــأ و لم يتفحّصوا عن المسئلة حتى يعرفوا الحقيقة، (بل كانت الاخطاء تنقل من مفسر الى مفسر فى قرون متطاولة)• ثم انحط هذا الفن حتى لم يكتبوا التفاسير الجديدة بل جعلوا يكتبون الحواشى على التفاسير المتداولة و لو نظرت الى الحواشى التى كتبت على البيضاوى و تفسير الجلالين لرأيت انهم ضيعوا أوقاتهم فى دار قد أسست و تمّت بنايتها من قبل، و انهم لايكادون أن يجدوا شيئا غير أنهم يأخذون من كتاب ثم يصنعون هذه المواد المنقولة على حاشية كتاب آخر• و ان هذا من العجب أن فى هذه التفاسير المتداولة انك تجده أقوالا متعددة و لكن هولاء المفسرون يرجحون قولا ضعيفا من بين هذه الأقوال الكثيرة الذى لايطابق بالمحل و الموضوع و يكون بين هذه الأقوال قولا قويا مناسبا بالمقام و الموضوع و لكنهم يتركون ذلك القول القوى و لايلتفتون اليه بل يختارون قولا يكون أضعف

منها(١٠)

و لو أن فى هذه النظرية نقدا لاذعا على المفسرين الجامدين و لكن الحقيقة تلمع فيها، لأن هذا التقليد سبّب الجمود فى الفكر الاسلامى فى الأمم الاسلامية• و قد قال أبوريحان البيرونى نفس المقال عن علوم المسلمين جمودها فى زمن محمود الغزنوى• و نظرية مولانا آزاد فى تفسيره ترجمان القرآن تتشابه بنظرية البيرونى عن سبب إنحطاط المسلمين• السؤال هو كيف جمد الفكر أو كما قال مولانا آزاد ماهو الأسباب لإنغلاق أبواب الإجتهاد فى الأمة الاسلامية• فلابد أن نبحث عن هذا الأمر• و فى زمن الذى مات فيه الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٧٤٠م) بلغت حدود الاسلام الى الأندلس من جانب و الى الصين من جانب آخر• و لايمكن لمنكر ان ينكر أن النظم لعامة الناس فى حياتهم الإقتصادية كان مفيدا من مركز واحد• و هذا هو السبب أن الدول الاسلامية القوية برزت الى الأمام بالقوة المركزية الوحيدة فى الحكم و استحكام الحكومة مثل الخلافة الأموية و العباسية و الغزنوية و الخوارزمية و التاتارية و التيمورية• و بدأت الحركات القومية القوية فى القرن السادس عشر فى أوربا و آسيا• و لما هلكت أسرة بسبب ضعفها، جاءت أسرة أخرى مكانها، لأن فى ذلك الزمان، كانت الحكومة المركزية هى التى تقدر على صيانة الطرق للتجارة ، لأن التجار كانوا يسافرون على الأقل لثلاثة شهور أو أربعة شهور• و كانت أشياء التجارة لاتوجد إلا فى بعض الممالك، فان الناس كانوا محتاجين إلى تكميل حوائجهم بالتجارة• و لاشك أن الاسلام جعل الطرق محفوظة للتجارة فى جميع الممالك التى سيطر عليها و لأجل ذلك فشا فيها الأمن و السلام و راجت فيها اللغة العربية كلغة رسمية راقية، فضلا من ذلك ان الاسلام اعطى قوانين و نظما أحسن و أعلى فى ذلك الزمان للبلاد التى ساس فيها، و ان المدن الكبرى و الصغرى التى كانت مركز الثقافة الاسلامية كانت تحتاج الى الطرق المحفوظة للتجارة و لحصول الحبوب، لأن مدن الاسلام كانت بعيدة من البقاع التى تنتج الحبوب• و لأجل ذلك قال بعض المهرة فى القوانين ان الاسلام كانت عظمته و جلالته فى المدن•

و إن الأمير معاوية رضى الله عنه، أسّس ادارتين سياسيتين، الإدارة الأولى هى الحكومة الشخصية و الثانية هى الجماعة الحاكمة حول الحكومة، و هى التى كانت تحكم البلاد و لكن الملك هو الذى كان يعيّن

الأمراء و يعزلهم• و كانت هناك مؤسسة ثالثة برزت إلى الأمام بمناسبة الأحوال و الظروف و هى طائفة العلماء المؤيدة للحكومة• و لايوجد البحث عن العلاقات و الصلات بين هذه المؤسسات الثلاث فى القرآن و لكن الناس تأولوا تأويلات بعيدة و أطبقوها عليها للجواز• و انهم ضيّقوا من التأويلات ما كان واسعا• و لكن المسئلة الهامة فى القرون الوسطىٰ كانت الحصول على الأمن و السلامة• و ان الزعماء و المفكرين فى العصر الحديث يرون أن سبب ترقية التمدن الاسلامى و ترقية الأحوال الاقتصادية هو نتيجة للأمن و السلامة فى الممالك الاسلامية• و ان أسلافنا كانوا يهتمون بالأمن فى المجتمع الجامد• و فى ذلك الزمان لو أن أسرة ملكية انتهت و ماتت فكانت تأتى أسرة حاكمة أخرى مكانها و لكن عامة الناس لايتعرضون للضرر و الخطر غير أن الأسرة الحاكمة هى التى كانت تقتل و تصيبها المصائب أما الشعب فكانوا مأمونين فى الانقلابات السياسية• أما العقائد و النظريات فأمرها غير الأمر السياسى لأن الأقوام المختلفة لما اختلطت بالعرب و دخلت الأمم العجمية فى الاسلام برواياتها و حضاراتها و تنازعت و تخالفت العناصر المختلفـــــة و الثقافات المتنوعة فظهرت النزعـــــات و الخلافات بسبب دخول هذه الحضارات فى دائرة الاسلام• و ان العلماء أرادوا فى هذا الموقف الحرج ان يصالحوا بين هذه العناصر المختلفة المتصارعة فى العقائد و المظاهر• و ان هولاء الجامدين المتقلدين كانوا يعتقدون أن لا يدخلوا شيئا جديدا فى دائرة الاسلام، لأنهم كانوا يرون أن كل شىء جديد يدخل فى المجتمع الاسلامى سيكون خطرا له•

و هذه النظرية هى التى منعت العلم وشبّهته بالسحـــــر و الكيميـــاء• و إنهم أحرصوا المسلمين بتلاوة القرآن و انهم لم يبالوا هل المسلمون يفهمون معانى القرآن أو يتلونه بغير فهم معناه• و قالوا درس القرآن لهداية النفس و الترقية الروحانية لابد فيه• أما التفسير فكان أمرا خطيرا عندهم• و إنهم أجبروا المصنفين أن يختاروا مذهبا من المذاهب المعروفة (فى الفقه) و أن يقلدوه•

و ليس هنا شىء جديد فى مذمّة نظم العلوم الدينية التى نشأت فى القرون الوسطىٰ لأن قبائحها واضحة و لكن التجدّد هو كتابة تفسير جديد لأن مولانا آزاد عرض نفسه آراءً جديدةً فى تفسير القرآن معبرا عن روح القرآن، و هو فى الحقيقة مفكر ثورى، يعتقد فى الحرية الحقيقية للانسانية مع انه يعد من جماعة العلماء• و أنه كان عالما نحريرا يفوق مستوى عامة

العلماء• و فضلا من ذلك، انه كان مجاهدا للوطن و هو يحب الوطن حبا جما، لأنه كان يعتقد أن القرآن لايعلّم الناس النفرة بل هو رسالة الرحمة و الرأفة بين الناس كلهم، و مع وجود الخلافات الأساسية بين الاسلام و الأديان الأخرى، إن الاسلام يجمع بينه و بين الأديان الأخرى و يتحد بها على أساس الاخلاق الفاضلة• و ان مولانا آزاد يقول فى ذلك :

" لم أزل اشتغل بدرس القرآن و التفكر فيه منذ سبع و عشرين سنة ليل نهار و إنى قطعت مراحل و أودية فى فهم سورة واحدة و آية واحدة و لفظ و لفظ و قطعت مراحل بعد مراحل حتى حصلت لى النفس المطمئنة فى فهم السور و الآيات• و ان كتب التفاسير المطبوعة و غير المطبوعة، إنى قرأت أكثرها و لم أترك ناحية من نواحى القرآن إلا فكرت عنها و عالجت مسائل القرآن معالجة علمية"

" و فى هذا الزمان ان الناس يقسمون العلوم الى القديمة و الحديثة، فان العلوم القديمة فقد ورثتها من آبائى• أما العلوم الجديدة فقد درستها بنفسى و وجدت اليها سبيلا، فعرفت الطرق القديمة كما عرفت الطرق الحديثة• و انى جربت الأمور و عرفت القبح و الحسن فى كل شىء• و ان البيئة و التعليم و التربية و الأسرة التى ورثت منها عقائد، فإنى لم أقلد هذه العناصر منذ أول يوم و لم أقتنع بها بل لم أزل أبحث الحقيقة و لميمنعنى مانع فى الشوق الى طلب الحقيقة حتى وجدتها"

" أما اليقين الذى نلته فبلغت اليه بعد ما قطعت أودية من الشك و الوهم• و ليس عندى اعتقاد فى روحى غير أنى ابتلعت غصص الشك و الانكار و شربت كأس السّم فى البلوغ اليه و الحصول له، و استعملت ترياق الشك من كل مكان ممكن• و لما كنت مضطربا قلقا لم يكن اضطرابى و قلقى مثل عامة الناس، و لما حصلت طمانية القلب فى العقائد فلم تكن فكرتى مثل فكرة الناس• و انى كل ماعرفت بعد البحث و طلب

الحقيقة، كتبت فكرتى فى تفسير القرآن"(١١)

و ان " ترجمان القرآن" طبع فى مجلدين و فيه مقدمة و تفسير سورة الفاتحة، و قد بلغ التفسير الى ثمانية عشر جزءا من القرآن• و انه ترجم القرآن المجيد من اللغة العربية الى اللغة الأردية فى أسلوب جميل جذاب• و انه لم يكمل تفسيره و لكنه يعدّ من التفاسير الهامة فى الأدب الاسلامى المعاصر•

وقد كتب العلامة سيد سليمان الندوى عن هذا التفسير :

" إن المسلمين كتبوا تفسير القرآن فأكثروا و لكن فى الحقيقة لم يكتبوا شيئا لأن تفاسير السلف لاتوجد فكيف عنهم اذ تفاسيرهم غير موجودة• أما المفسرون عندى مهم العلامة ابن تيمية و ابن القيّم و من الناحيـــة الأدب و الاعجاز عبد الكريم الموصلى مصنف " المثل السائر" و من المتأخرين الشاه ولى الله الدهلوى الذى كان بحّاثة فى العلوم القرآنية، و قد قرأت كتاباتهم• أما تفسير الحافظ ابن تيمية و ابن قيّم فلا يوجدان و لكن تصانيفهما كلها قطعة من التفسير• و نجد من تفسير ابن تيمية تفسير "سورة الإخلاص"، و "المعوذتين" و "سورة النور" فقط• أما ابن القيّم فطبع له أقسام القرآن، "مفتاح دار السعادة" و "بدائع الفوائد" و نعرف بهذه الكتب غزارة تفسيرهما •

و الحق ان لتفسير القرآن طريقتين، الطريقة الأولى هى طريقة روائية من العلوم التقليديـة مثل طريقة جرير الطبـرى و ثعالبـــى و القرطبـى و بغوى و ابن كثير و غيرهم• و الطريقة الثانية هى طريقة عقلية فلسفية مثل التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى و أبى مسلم النيشابـــورى و راغب الاد .نهانى و مدارك و بيضاوى وغيرهم• تفسير القرآن الذى يجمع بين العقل و النقل بالحفاظ على روح الاسلام، أما الروايات فتكون مع الدراية فيه أما العقلات فتكون حرة من اتباع أفلاطون و أرسطو، بمثل هذا التفسير كتبه العلامة ابن تيمية و العلامة ابن قيّم و لم يحصل هذه السعادة غيرهما •

و لابد لنا أن نعترف الفضل لصاحب ترجمان القرآن حيث انه عرف روح العصر و اختار نفس الطريقة التى اختارها ابن تيمية وابن القيّم فى زمن فتنة التتار، فان مولانا آزاد اختار نفس الطريقة فى زمن الفتنة الأوربية (الاستعمارية) و كما انهما ردّا على فلسفة اليونان و أتباعه كذلك ردّ مولانا

آزاد فلسفة اليونان و الأفرنج و قال ان هاتين الفلسفتين هما الأصل فى أسباب انحطاط الأمة الاسلامية، و انه ارجع الأمور الى الفطرة و دعا الناس الى فهم كلام الله كما فهم النبى صلى الله عليه و سلم و بالمصطلحات النبوية و بلسانه ثم بالعقل و الفطرة•

و قد ترجم مولانا آزاد القرآن من سورة البقرة الى الأنعام من اللغة العربية الى اللغة الأردية و لكن ليست هذه الترجمة فقط بل انه أشمل فيها التفسير أيضا• و لايمكن لرجل أن يوافق بالآخر فى كل مسئلة و لكنى أقول صريحا ان الترجمة واضحة حلوة مؤثرة، و هذا التفسير يطابق بمقتضيات العصر، و لابد ان ينتشر بين المسلمين و يصل الى كل بيت من بيوتهم" (١٢)•

و إنى عرضت هذه الاقتباسات لأنها من عالم قديم كان يعتقد فى المدرسة القديمة و انه غادر الى باكستان و ترك المسلمين فى بلاء و شقاء فى زمن تقسيم الهند إلى دولتين الهند و باكستان سنة ١٩٤٧م• و هنا نفهم الفرق فى عقلية مولانا آزاد و فى عقلية عضو هام عظيم من اعضاء مدرسة العلامة شبلى - اعنى عقلية مولانا سيد سليمان الندوى• و هذا واضح ان هذا المحلّ لم يكن مناسبا للتقابل بين فتنة التتار و فتنة أوربا، و ان الهزيمة التى لقى علاء الدين خوارزم شاه و عماله على يد تشنجيز خان لم تكن لأنه كان قد قرأ فلسفة اليونان و تقلدها و لكن الحقيقة هى ان التتار قد امتنعوا من التقدم الى بلاد الاسلام لأن حكومة مصر هزمتهم و كذلك منعهم علاء الدين الخلجى من الهجوم على الهند• أماالعلماءالسوء فانهم أطاعوا تشنجيز خان اطاعة كاملة و حصلوا على هدايا ثمنية منه• و كان الإمام ابن تيمية مؤسّسا للوهابية كما قال المصنّف و لهذا السبب انه ابتلى بلاء عظيما من قبل عامة الناس لأنهم كالأنعام و من قبل أمراء المسلمين - لأن علماء السوء ائتمروا بهم خلاف ابن تيمية - و اننا نرى أن مولانا آزاد أثنى ثناءً عاطراً على العلامة ابن تيمية و لكنه لم يفسر عقائده و لم يؤيدها• و لاشك أن سر سيد و أصحابه أخطأوا حينما قبلوا عبودية الحكومة البريطانية مع قبول العلوم الجديدة• و كذلك أخطأ مولانا شبلى و أصحابه حينما هجموا على العلوم الجديدة بالأسلحة الدينية هجوما لاذعا ثم انهم عزلوا عن السياسة و قد أخطأوا فى ذلك أيضا• أما مولانا أزاد فلم يقترف أى واحد من هذين الخطأين• و لو انه اعترض على التفسير الذى كان الفكر اليونانى و تقلده غالباً و سائداً و لكنه أعطى مكانا عاليا

مرموقا للفلسفة اليونانية و علومه و موسيقاه و اعترف ان اليونان لها منزلة رفيعة فى ترقية التمدن الانسانى(١٣)•

و لم يعترض مولانا آزاد قط على العلوم الأوربية كلها من الرياضيات الى علم الآثار القديمة• لأن هذه العلوم تتعلق بترقية الأقدار الإنسانيـــة• و انه شجع الأبحاث فى العلوم حينما كان وزيرا للمعارف فى الحكومة المركزية فى الهند• فهذا الأمر دليل كاف على علو مرتبته و عبقريتـــه• و إنى أتعجب كيف يمكن لمولانا آزاد أن يستفيد من ابن تيمية أو من مصنّف ولد فى القرون الوسطىٰ و لو أن مولانا آزاد يستنبط الأقدا الأخلاقية و الروحانية من القرآن و لكن كان نظره الى الدنيا الجديدة التى توجد فيها الكهرباء و الطاقات النووية•و نجد فيها ان الناس اعترفوا بنظرية دارون• و كان مولانا آزاد عالما بتاريخ العالم و كان قد تعمق فى مقارنة الأديان المختلفة• و كان علماء الشرق و الغرب فى القرون الوسطىٰ لايعرفون هذين الموضوعين- اعنى تاريخ العالم و دراسة مقارنة للأديان•

أما سورة الفاتحة فهى خلاصة القرآن• و ان سبع آيات تحتوى عليها سورة الفاتحة و ان مولانا آزاد كتب تفسير هذه السورة فأطال و أجاد لأنها تحتوى على الأسس الجوهرية منالقرآن• و هذا كتاب قيّم و أنيق جداً• وقد ترجم و لخصّ هذا التفسير أوّلا محمد اشفاق حسين من الأردية الى الانجليزية• ثم لخصّه و ترجمه الى الانجليزية البروفسور عبـــــد اللطيف (رئيس قسم اللغة الانجليزية بالجامعة العثمانية سابقا)•

و هنا نذكر أهم النكات التى بينها مولانا آزاد عن نظرية وحدة الأديان :

١- وجوُد البارى هو عقيدة توجد فى جميع الأديان• و هذه وراثة مشتركة بين أبناء البشر• و عبادة اللّه وديعة فى فطرة الانسان، الأديان كلها تصدق هذه الحقيقة و تعلّمها•

٢- الفِرَقُ الدينية تختلف اختلافا كبيرا فى ثلاثة أشياء فقط :

(الف) هم يصروّن على صفات الٰهية مختلفة•

(ب) الفرق بين طرق العبادة•

(ج) اختلاف الشرائع•

٣- هذه الخلافات قد نشأت باختلاف الزمان و المكان ثم ان للأذهان البشرية لها مراتب و درجات فى الارتقاء• و لايمكن لأحد أن يقول شيئا جديدا فى وجود البارى، و رسالة الأنبياء واحدة فى هذا

الصدد• و ان ذات اللّٰه تعالى ماوراء العقل الانسانى و فهمه•

و ان مولانا أبو الكلام آزاد اقتبس من آراء "سير آليورلاج" اقتباسا وهو كمايلى :

" إن مركز الذّرة قد جعل من التيارات البرقية المثبة و الحركة البرقية حول الذّرة الى حركة التيارات حول الشمس تشير الى قوانين مقــدّرة• و نظرية مولانا آزاد هى ليست علل و معلولات مادية فقط بل هى سلسلة كونية و اخلاقية أو فى ألفاظ القرآن و هى فطرة اللّٰه• و مقصد القانون الالهى هو الذى يهدى الكائنات الى الطريق السوّى• و قبل تخليق الخلية الانسانية و المخلوقات الحيّة كانت هناك متطلبات للارتقاء الى الدرجات العليا(١٤) و لكن لما تظهر الحياة أول مرة يمكن لنا أن نفهمها بطريقة حسنة• و الهداية الالٰهية، هى التى يقال لها " الهدى و الوحى" فى لغة القرآن• و هذه الهداية الالٰهية تهدى حتى المخلوقات الأدنى البهيمية و توحى فى وجدانها• و هذه هى تجربة مكتسبة يمكن أن تتعلم الأولاد من جيل الى جيل• أما الحيوانات العليا فالهداية الالٰهية فيها تتصرف بالحواس الخمسة و المفاهيم العقلية(١٥) أما الإنسان الذى كلّف أن يعيش حسب العقائد الأخلاقية فأرسل اللّٰه إليهم الأنبياء و المرسلين لهدايتهم• و مولانا آزاد يعترف بنظرية " دارون " التى تعرف بالتنازع للبقاء أو بالبقاء الأصلح و لكن مولانا يقول لهذه النظرية بالبقاء الأنفــع• و لكنه يعتقد انها تحتاج الى الهداية الالٰهية، لأن الهداية لابد منها للحيوانات و ارتقاءها و هذه القوانين الفطرية تطبق على المجتمع الانسانى كما تطبق على الأنواع الحيوانات كلها، و كما أن الفطرة تبقى الأنواع المفيدة من الحيوانات و تهلك الأنواع التى لا نفع فيها• كذلك ان البيئة الإنسانية تهلك اذا لم تبق فيها منفعة للانسان• و هذه الهلاكة بغير النافع من الأشياء و الأمور هى من رحمة اللّٰه• كذلك هو يبقى المجتمع الانسانى النافع و يهلك غير النافع، و لو لم يكن هذا العمل جارٍ لظهر الفساد فى الحياة الانسانية و فشا الظلم وحينئذ لايكون هنا دافع خلاف هذا الظلم و الفساد ولأجل ذلك بقاء الأنفع هو رحمة للناس•

كما يعرف الناس كلهم أن تعاليم الاسلام هى باب تاريخ الانسان الواسع، و هنا نلخّص آراء مولانا آزاد كمايلى :

" القرآن يقول ان الإنسان فى بدء حياته كان يعيش عيشة فطرية ساذجة، و لم تكن هنا خلافات و لامخاصمات فيما بينهم و كلهم كانوا

يعيشون عيشة راضية و كانوا راضين بالاتحاد فيما بينهم، و لكن كثر نسل الإنسان و ازدادت قواعد المعيشة فنشأت الخلافات، و هذه الخلافات ساقتهم الى التطرف و الظلم و الفساد و ظهرت النفرة و الكراهة بين فرقة و فرقة و جعل صاحب القوة يظلم الضعيف• و لما بلغ الحال الى ذلك فاحتاج النوع البشرى الى الهداية و العدل و الصدق، فهناك ظهر النور فى شكل الوحى الالهى، فابتدأت سلسلة الدعوة و التبليغ من رسل الله الى بنى البشر• و هولاء الذين جاهدوا برسالات الله هم الرسل فانهم يأتون بها من الله ثم يبلّغونها الى الناس بالحق• و معنى الرسول هنا الذى يأتى بالرسالة(١٦)• و يقول مولانا أبو الكلام آزاد اذا نظرنا الى جميع مراحل حياة الإنسان ثم تفكرنا عن وجود البارى و تظريات الإنسان عنه فوجدنا فيها سلسلة ارتقاء عقلية• و كلما يتقدم الإنسان فى قوته العقلية و المادية كذلك انه يتقدم و يتطور فى فهم ذات الله تعالـــــى• و هذا الارتقاء فى العقلية ظهر من الدرجة الدنيا الى الدرجة الأعلـــــى• و لأجل ذلك صعب علينا أن نعرف المراحل الابتدائية لهذا الرقى، لأننا كلما نلتفت الى الوراء، فنجد ضوء التاريخ ضئيلا و لانجد تفاصيل هذا الرقى فى وحى الأنبياء•

تعريب : البروفيسور احتشام أحمد الندوى

الهوامش :

١- آثار أبى الكلام آزاد لقاضى عبد الغفار ص : ١٤
٢- نفس المصدر، ص : ١٠
٣- آثار أبى الكلام آزاد لقاضى عبد الستار ص : ٢٠٢-٢٠٤
٤- نفس المصدر، ص : ٢٧٣-٢٧٤
٥- آثار أبى الكلام آزاد، ص : ١٥٠-١٥٨
٦- نفس المصدر، ص : ١٥٦-١٦٠
٧- نفس المصدر، ص : ١٦٠-١٦١
٨- آثار أبى الكلام آزاد، ص : ٢٨
٩- نفس المصدر، ص : ٢٨٣
١٠- تفسير" ترجمان القرآن " مقدمة المصنف، ص : ١٠-١٦
١١- " ترجمان القرآن " ج : ١، ص : ١٩
١٢- أبو الكلام آزاد لعبد الله بت سكرتير لطلاب مسلمى بنجاب، ص : ٨٢-٨٥
١٣- " غبار الخاطر" رسالة كتبها فى ١٩/ سبتمبر سنة ١٩٤٣م، إن مولانا آزاد

فقد أظهر رأيه و فكرته عن الموسيقى حينما قال :

" إنى سأبقى حياً بغير الاحتياجات التى نحتاج إليها فى عيشى هذا، إذا افتقدناها، و لكن لايمكن العيش لى بغير الموسيقى، و قد اشتكى مولانا آزاد فى هذه الرسالة ان المسلمين لم يأخذوا من اليونان من العلوم و الفنون كما كان يجب عليهم• و إن أبا ريحان البيرونى قد ذكر جميع العلوم و العقائد للهندوس فى كتاب الهند و ذكر تصانيفهم عن سائر العلوم و لكنه لم يكتب شيئاً عن الموسيقى الهندية• و كذلك تغافل العرب عن العلوم الأدبية عند اليونان• فكانوا يعرفون قليلاً عن الشعر اليونانى و المسرحيات اليونانية و إنهم عرفوا هومر و سوفو كلس وغيرهما من مقالات أرسطو و جمهورية أفلاطون و لكنهم لم يعرفوا فوق ذلك• و إبن رشد الذى عرف المهزلة و المأسات فى شرحه فانه لم يعرف شيئا عن مسرحيات اليونان• و يمكن لنا أن نعرف من هذه الأمثلة أن العرب قد جهلوا علوم اليونان الأدبية• و إن إبن رشد كتب أن المهزلة هى المدح و أن المأسات هى الهجاء• و هذا أيضا لم يعرف بالوضاحة إلى أى حدّ أخذ العرب فن البلاغة من اليونان لعلهم لم يعتنوا بها• و قد نقل "كتاب الشعر" و "كتاب الخطابة" لأرسطو من اللغة أليونانية إلى اللغة العربية• و قد شرحهما إبن رشد فيما شرح من كتب أرسطو• و إن ائمة العرب لم يفهموا روح هاتين الرسالتين و لم يجدوا فرصة من البلاغة العربية لإستفهمام هاتين الرسالتين• و إن أرسطو ملأهما بنماذج الخطابة اليونانية و الشعر اليونانى• و العقلية العربية كانت لاتعرف شيئاً عن الشعر اليونانى و أدبه•

(غبار الخاطر من صفحة ٣١٦ إلى صفحة ٣١٧)

و هنا يجدر بنا أن نقول إن العرب لم يعرفوا فن العمارة و النقش و الفنون الجميلة الأخرى اليونانية، فالنقطة هنا هى أن مولانا آزاد لايعترض على العرب فى دراستهم اليونانية بل يتأسف أنهم اكتفوا بأخذ العلوم من اليونان فقط و لكنهم تركوا الفنون الأدبية و الموسيقى •

١٤- "غبار الخاطر" رسالة المكتوبة فى ١٨/ أكتوبر سنة ١٩٤٣م

١٥- لابد لنا أن نفسّر هنا أن مولانا آزاد استعمل لفظ " الهداية " فى معنى واسع جداً كما ورد فى القرآن و لكن المفسرين قد قصّروا فى هذا الأمر و ضيّقوا ما كان واسعاً• القرآن يقول فى آية مشهورة "إنَّ اللّهَ أَوْحى إلَى النَّحْلِ أنْ يَجْعَلَ بُيُوْتاً عَلى الْجِبَالِ " و قد اقتبس مولانا آزاد كثيراً من آيات القرآن فى هذا الصدد• (ترجمان القرآن ج : ٢ ص : ١٧٩) مثل " رَبُّنَا الَّذِىْ أَعْطىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ " (٢٠-٥٠) " الَّذِىْ خَلَقَنِىْ فَهُوَ يَهْدِيْنِ" (٢٦-٨٠) " وَ الَّذِىْ قَدَّرَ فَهَدَىٰ"(٨٧-٣)

فهذا واضح أن الوحى هو بشكل راقٍ للهداية، الذى أرسل إلى مخلوقات

الله فى وجدانها و حواسها و عقلها• ثم يقول مولانا آزاد إن الآية التالية تخاطب كفار قريش : " قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَاءِكُمْ مَنْ يَهْدِىْ إلىٰ الْحَقِّ، قُلِ اللّٰهُ يَهْدِىْ إلىٰ الْحَقِّ، أَ فَمَنْ يَهْدِىْ إلىٰ الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَايَهِدِّىْ إِلاَّ أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ" (١٠: ٣٥)•

يقول مولانا آزاد هذه الآية هامّة جداً فى القرآن و لابد لنا أن نفهمها فهماً تاماً، و قد وردت فى هذه الآية الألفاظ مثل " الهداية و الحق " فظنّ المفسرون أن المقصود بالهداية هو الوحى، أما المقصود من الحق هو دين الحق• و أما المترجمون الذين ترجموا القرآن من العربية إلى الفارسية أو إلى الأردية فانهم تقلدوا المفسرين تقليداً تاماً فى هذا الأمر فافتقدوا روح القرآن فى هذا الصدد• و إنى أتحيّر كلما أرى بمثل هذه المواضع فى القرآن لأن المتأخرين يتبعون كالأعمىٰ و قد غمض عليهم فهمهم حتى لم يعرفوا بسبب التقليد ما كان جلياً واضحاً فى القرآن• و الخطاب هنا فى هذه الآية إلى المشركين الذين ينكرون الدين• و هذا هو مقام الإستدلال، و لو كان المراد من الهداية الوحى، كما زعم المفسّرون، فمَا الإستدلال فيه؟ لأنهم لا يؤمنون بالوحى فكيف يعترفون بالهداية التى جاءت إليهم بالوحى؟ و الأصل فى ذلك أن هؤلاء العلماء لم يجتهدوا أن يعرفوا أن القرآن استعمل لفظ الهداية فى معانى مختلفة و فى أشكال متنوعة• على كل حالٍ فالمقصود هنا ليس الوحى بالهداية بل هى الهداية الوجدانية و هى الحواس و العقل• و المراد بالحق هنا ليس الدين بل هو الصدق و الصراط المستقيم (ترجمان القرآن ج : ٢ ص ،١٧٩)

١٦- " ترجمان القرآن " ج : ١ ص : ١٨١، إن القرآن أوضح بين حين و حين أن الهداية هى ظهور الوحى فى بنى البشر، هى واقعة عامة، و ليس هنا أىّ قوم لم يرسل إليهم رسول• (ترجمان القرآن ج : ٢ ص : ٢١٥)

و قد اقتبس مولانا آزاد هذه الآيات التالية فى ترجمان القرآن (ج : ٢ ص : ٢١٥) " وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلٌ، فَإذَا جَاءَ رَسُوْلُهُمْ، قُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَايُظْلَمُوْنَ "(سورة يونس ٤٧)

" وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِىْ كُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلاً أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَاجْتَنِبُوْا الطَّاغُوْتَ" (١٦: ٣٦)

" أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوْحٍ وَ قَوْمِ عَادٍ وَ ثَمُوْدَ وَ الَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ، لا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ اللّٰهُ" (١٤ : ٩)

القرآن يقول : وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ " (٤٠ : ٧٨)

(هذه الآيات مأخوذة من كتاب مولانا آزاد " تذكرة" تحقيق همايون كبير، ١٩٦١م من ص : ٩٦ إلى ص : ١٢٢)

دعوة أبى الكلام آزاد
للتحرير و الاتحاد

بقلم : حبيب ريحان الندوى الأزهرى
معتمد التعليم لدار العلوم تاج المساجد
بوفال

ولد أبو الكلام آزاد بمكة المكرمة سنة ١٨٨٨م• و سُمّيَ بأحمد، و لكن والده سمّاه باسمه التاريخى "فيروز بخت" (١) و معناه " صاحب الحظ السعيد" و مما لاشك فيه أنه كان سعيد الحظ جدا• و كان يكتب إسمه فى بعض الأحيان " بخادم العلماء غلام محى الدين آزاد"(٢)، و لقب بأبى الكلام لأنه كان خطيبا مفوها قد أخذ بناصية الكلام•

و تعلم فى بيته تحت إشراف والده، و قد ترك والده الهند بعد ثورة سنة ١٨٥٧م ضد الإنجليز، و توطن فى مكة المكرمة و هناك ولد أبو الكلام، ثم رجع والده إلى الهند•

عبقريته فى السن المبكر :

و بعد ما تعلم العلوم الإسلامية أراد والده أن يجلس على كرسى المشيخة التى كانت تتوارثه الأجيال، و كان والده من كبار شيوخ الطريقة، إلاّ أن أبا الكلام قد تعلم من التصوف حبه للإسلام و الأولياء و لكنه رفض التقليد و الجمود و الخضوع و كان يكره أشد الكراهية أن يقبل المريدون و المحبون يديه• و كان رأيه أن النجاة للمسلمين لا تأتى عن طريق التصوف الذى كان موجودا آنذاك•

و كان عبقريا فرفض التقليد و الجمود، و رفض المشى على الدرب القديم الذى مشىٰ عليه أجداده و أراد أن يشق لنفسه طريقا خاصا يلائم طبيعته أولا و أن يوجد منهجا جديدا لإصلاح المسلمين و تقدمهم يلائم

طبيعة العصر و يحل مشاكل تأخرهم و جمودهم و إنحطاطهم و خضوعهم لأهوائهم، و يبث فيهم روح الجهد و الجهاد و التناصر و الأخوة حتى يتأهبوا جميعا لطرد الاستعمار الأجنبى من الهند و من البلاد الإسلامية كافة•

البيئة التى نشأ فيها :

يصور أبو الكلام عصره بهذه الأقوال " لما بلغت سن التمييز وجدت أمامى من المشائخ الذين يتبعون منهجا خاصا فى القصائـــــد و الأفكار و كانوا متعصبين لها جدا إلى حد أن الخروج عنها قيد أنملة يعتبر عندهم كفر و زندقة، و كل الحكايات التى سمعت فى طفولتى عن أسرتى هى أيضا كذلك، فقد ورثت تعصبا و جمودا، و لذلك المدرسين الذين اختارهم لى أبى بعد فحص و تمحيص دقيقين كانوا يمشون أيضا على هذا المنهج الضيق الذى نصب حوله جدرانا سميكة من التعصب و التقليد و لامنفذ منها إلى الحرية و التجدد•

أما الظروف الدينية و السياسية الجديدة فقد كان غافلين عنها مطلقا فكأننى كنت أعيش فى الهند ليس فى القرن التاسع العشر بل وفى القرن الثامن عشر• و إذا خرجت عن بيئة الأسرة و الأساتذة وجدت جموعا بشرية من المعتقدين و المحبين و المريدين لمشائخ أسرتى قد يقبلون يـــــدى و رجلى، و يقفون أمامى موقف الخشوع و الخضوع و التأدب كالعبيد تماما•

و لم يكن أحد يفكر فى التعليم الجديد، و تعليم اللغة الإنجليزية، و إن المدارس العربية القديمة مع جمودها كان الجو فيها أوسع قليلا من جو الأسرة المكتوبة إلاّ أن والدى لم يرض لى بالإلتحاق بأحد المدارس العربية القديمة أيضا خوفا منه على أفكارى و عقائدى•

فكان تعليمى لم يكن ضد عقائد و أفكار أسرتى و مع ذلك فان أول شك و تذبذب وقع فى نفسى هو ضد التقليد الأعمى لأن العقائد الموروثة لاتحيى و لاتبقى إلاّ بالتقليد المطلق• و على كل حال فإننى لا أعرف كيف وصل تفكيرى ضد المؤثرات التى من حولى، مؤثرات الأســـــرة و العقائـــــد و التعليم• (٣)

و نحن نعلم أن التقليد فى الفروع يجوز عند أكثرية أهل العلم و لكن التقليد فى العقائد لايجوز عند أكثرهم بل لابد لكل إنسان أن يجتهد فى

تحقيق عقيدته حتى يسلم من الأخطاء الفاتكة فى حياتـــه و هنا يوضـــح أبو الكلام ضرر التقليد الأعمى فى العقائد بقوله " إن أكبر عائق فى تربية ذهن الإنسان و فكره هى العقائد التقليدية الموروثة فإنها ترسفه فى القيود و الأغلال التى لاتنفك عنها أبدا لأنه لايريد الإنفكاك منها بل يحفظ عليها كما يحافظ على الحلى و القلائد الثمينة• فكل عقيدة و تفكير و عمل ورثه من أسرته يتحول عنده إلى ميراث مقدس يحفظ عليها و لا يفكر فى التخلص من آثارها الضارة أيضا• و فى بعض الأحيان يكون التمسك عليها شديدا إلى حد أنه لايغيره التعليم و المجتمع"•(٤)

الجبر و القهر بدل الإفهام و الإقناع :

و كان طريق التربية فى أسرته آنذاك ـــ و فى كثير من الأسر المسلمة فى الهند حتى الآن ـــ مجبولا على القهر و التحكم لا على الإفهام و الإقناع و التعقل و النصح• فكان كل شىء بالأمر و النهى مثل أن يؤمر بالوضـــوء و الصلاة و حضور الجماعات، و هذا على كل حال يعفى فيه التحكم قليلا لأنه من أسس الدين و الشريعة و لكن تعدى الأمر من الواجبات و الضرورات الدينية إلى التقاليد و العادات فكانوا يؤمرون بحضور حفلات الذكــــــر و الختم و يذكرون الله على أعداد من اللوز يبلغ عددها إلـــى خمسمائة لوز• فيختمـــون التسبيح مــــرة و التكبيـــر أخـــرى، و ختمـــــات " يا مسبب الأسباب" و " يا مقلب القلوب" و " يا مفتح الأبواب " وغيرهـــا• و كان أبو الكلام يفكر فى سرقة اللوز و أكلها و لكن التقاليد كانت تمنع هذا و قد يشاع أن اللوز ليس حلواً•(٥)

تأثره بالقرآن الكريم و رفضه للتقليد :

و على كل حال فاننا نرى الرجال العظماء العصاميين و العباقرة دائما أنهم يشقون طريقهم الصحيح من الإدراك و الإجتهاد الصحيح و ليس من التقليد و التوارث فقط• لأن الأثر الإيجابى للتوارث و العقائد القديمة يولد عند الإنسان التقليد و الجمود و الأثر السلبى لها يولد العبقرية و التحرر كردّ فعل للتقليد و الجمود، فكان أبو الكلام مع تأثره بآراء أسرتـــــــه و عقائدهم فقد أوجد لنفسه طريقا جديدا و منهجا اجتهاديا فى الحياة فى

ضوء المنهج الذى رسمه الله تعالى للإنسان فى القرآن الكريم حيث دعى إلى التفكر و التدبر فى آيات الله سبحانه و مخلوقاته، فكان لتأثيره بالقرآن الكريم أثر بالغ فى حياته و نظرياته و منهجه الجديد* بحيث لايقبل عقيدة إلا إذا كان سائغا فى الفكر و الشرع و لايستسيغ رأيا إلاّ إذا كان معه دليل مقنع و لا يؤدي عملا إلاّ إذا طابق المعقول و المنقول، فكانت نفسه العظيمة تأبى أشد الإباء و تنكر أشد الإنكار التقليد الأعمى و التعصب المحض و الجمود القيم و التخلف الممقوت*

و كان تأثره بالقرآن الكريم عظيما فقد تدبر القرآن و معانيه و أفكاره و روحه من بداية حياته إلى وقت طويل، يقول فى هذا الصدد فى مقدمة الطبقة الأولى لترجمان القرآن "إن القرآن الكريم أصبح مصاحبا لى لمدة سبع و عشرين سنة ليلا و نهارا فكنت أفكر فى كل سورة و آية و أتدبر معانيها و أحوم حول آفاقها الطلق، و راجعت جميع التفاسير المطبوعة و المخطوطة و لم أرض على تقسيم القديم و الجديد بل استفدت من المنبعين، و التراث الذى تركها لى الأسرة و التعليم و المجتمع فلم اقتنع عليه من أول يوم حتى لا أستفيد من المنابع الأخرى و لم يستطع التقليد أبدا أن يمنعنى من التحرر و التحقيق، ولم أصل أبدا إلى اليقين إلا بعد قطع الأشواط البعيدة فى أودية الشك، و لم أعتقد اعتقادا جازما على أى شىء إلا بعد الإنكار و الرفض ..... و وصلت بعد كل هذا إلى تصديق ذلك الكتاب الذى " ما كان حديثا يفترى و لكن تصديق الذى بين يديه و تفصيل كل شىء و هدى و رحمة لقوم يؤمنون" (١١١:١٢)(٦)

تأثره برجال الإصلاح :

أصبحت شجرة التفكير و التدبر عند أبى الكلام دوحة عظيمة بعد ما تعقل و تدبر فى القرآن الكريم و درس التاريخ القديم للأمم الإسلامية و غيرها و فكر فى الأحوال المحيطة بالبلاد الإسلامية و البلاد الشرقية و خاصة فى مصر و العالم العربى و تركيا و الهند و قد ظهر المفكرون و المجددون فى عصره و تأثر فى بداية أمره بالسيد أحمد خان و حركته الإصلاحية فى مجال التعليم و لكنه رفضها بعد قليل ثمّ تأثر تأثرا بالغا بداعية الشرق جمال الدين الأفغانى و محمد عبده و رشيد رضا و العلامة شبلى النعمانى، و قد تلمذ عليه أيضا، و كانت دعوتهم تشتمل على الإتحاد

الإسلامى و التحرر من الجمود فى الحياة و المنهج التعليمى و ضرورة عرض الإسلام للإنسانية بثوب جميل و أسلوب جديد يلائم طبيعة العصر الحاضر و لغته بدون تحريف بزيادة أو نقص أو تبديل و تغيير•

خلاصة دعوته لمتبعى جميع الأديان :

فظهر أبوالكلام بمظهر الداعية و المصلح و أصدر فى سنة ١٩١٢م مجلة الهلال الشهرية• و كان لهذه المجلة تاريخ عظيم و كفاح مرير و دعوة نفخت فى الناس روحا جديدا• و لايمكن لنا فى هذه العجالة أن نقدم الأثر الفعال لمجلة الهلال بالتفصيل• إلا أن خلاصة الدعوة أنها ثبّتت فى الناس روح الإصلاح و التعليم و الجهاد و الإتحاد وايقظتهم من سباتهم العميق و بغضتهم إلى الاستعمار البريطانى، و كان الاستعمار البريطانى خاصة و الأوربى عامة يحمل حقدا و حسدا مريرين على الإسلام فى ضوء تعاليم الكنيسة المسيحية ضد الإسلام و تحت آثار الحروب الصليبية التى أثارها العالم المسيحى ضد العالم الإسلامى•

فكان يدعو جميع متبعى الأديان إلى كلمة واحدة و إلى طريق واحد هو طريق الإله الواحد و كان رأيه ان الدين يجمع أشتات الناس و لايفرقهم أبدا• فاجتمعوا أيها الناس تحت رحمة إله واحد و معبود حق و اتحدوا تحت لوائه و أحبوا و تعاطفوا و لا تتفرقوا و لاتدابروا و لاتخاصموا•

و قد نهانا الله عن التفريق بين الرسل و لايكون الإيمان كاملا إلا بالاقرار بجميع الرسل، لأن الله واحد، فالحقيقة واحدة و الصدق واحد و الدين يشمل جميع الناس لا فرق بين قوم و قوم• فالدين عام و شامل لاتحده القوميات و الأزمنة و الأمكنة و الحدود الجغرافية فالله إله الجميع و ربّ العالمين و دينه القويم هو دين الناس أجمعين، و هذا هو روح القرآن و تعاليم الإسلام، فالدين هو الوسيلة الوحيدة لطمانينة النفس و سكون القلب•(٧)

و خلاصة دعوته لمتبعى جميع الأديان كما بيّنه الدكتور ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند السابق و من كبار علماء التربية و التعليم فى الهند هى " أن الدين نوعان النوع الأول مايتولد منه الحقد و التنافر، و هو يفرق الناس و يبعدهم و هذا هو الدين الباطل، أما النوع الثانى فهو ما يتولد منه التقارب و التفاهم و الحب الشامل و هذا هو الدين الحق، و هو يعلمنا

وحدة بنى آدم• فكل من يريد التفرقة و بث روح العصبية و جعل الناس أحزاباً و شيعا متفرقة بالنعرات الجاهلية من وطنية و عرقية و دينية فقد يجرنا إلى التهلكة و الدمار و يريد أن يهدم وحدة جنس بنى آدم"•(٨)

مؤامرات الاستعمار ضد الخلافة العثمانية :

كانت الظروف السياسية العالمية فى أواخر القرن الماضى قد اضطربت اضطرابا كبيرا، و بدأ طغيان الاستعمار الأوربى العالمى إلى ذروته بعد المؤامرات المستمرة إلى بسط نفوذه فى جميع مناطق المعمورة، و تدبير الدسائس الدنية للحد من نفوذ الخلافة الإسلامية التركية، فسيطرت الدول الأوربية على بعض مناطق الدولة العلية و جرّتها إلى حروب طاحنة إستمرت حوالى مئتى عام، و فى النهاية إتحدت القوات المسيحية على إنهاء القوة السياسية الإسلامية الأخيرة المتمركزة فى الخلافة العثمانية و وضعت حلاّ للمسئلة الشرقية و كانت غايته إنهاء الوجود السياسى و العسكرى للإسلام و المسلمين•

دعوة الاتحاد الاسلامى تحت راية الخلافة :

و ظهرت مع هذا دعوة عارمة قوية عند المسلمين للإتحاد الاسلامى تحت رأية الخلافة و كان لجمال الدين الأفغانى مواقف مشرفة فى هذا الصدد، و لكن الاستعمار الأوربى قد نجح فى نشر بذور الشك بين الأخوة المسلمين و فى نفس الوقت أحيا العصبيات الجاهلية من نسلية و قومية و لسانية وغيرها التى اضرت بالإسلام و المسلمين و بمركزهم السياسى•

و كان أبو الكلام رجلا مؤمنا صادق الإيمان و مسلما قوى العزيمة، و كان يحب القوة للإسلام و المسلمين فنادى بأعلى صوته فى سنة ١٩١٤م• " إذا ظهر لنا بوضوح أن خنجرا مسموما يصقل ليطعن به فى ظهر الإسلام فلابد لنا من إيجاد مجن قوى و ترس متين للدفاع عنه، ألا و هو الإتحاد الاسلامى فحسب، و الخلافة التركية تمسك بيدها آخر سيف للدفاع عن الإسلام و لكن كيف يمكن لها وحدها أن تدافع عن مد الإتحاد المسيحي العالمى؟ و لكن لو إتحدت قلوب أربعمأة مليون مسلم فى العالم تحت رأية الهلال فسوف يكونون قوة عظيمة لايهزمها مئات من أمثال الإسكندر

المقدونى و ها نيبال الأفريقى، و لكن الاستعمار قد أوجد عند المسلمين بعض المغرضين و المتفرنجين الذين يدعون إلى دعاوى جاهلية و يصمون آذانهم عن دعوة الإتحاد الإسلامى"•(٩)

ثم بيّن أبو الكلام بالتفصيل تلك الأعمال الوحشية و البربرية التى قارنتها الحضارة الغربية المسيحية فى مستعمراتها و فى نفس الوقت تدعى كذباً و زوراً بأن الإسلام و الترك هما رمزان للبربرية•(١٠)

لماذا نحب تركيا و نضطرب من أحوالها :

و يعطى أبو الكلام آزاد جوابا صريحا و مقنعا للذين يتسائلون لماذا يضطرب مسلمو الهند بأحوال تركيا اضطرابا أكثر من أية بقعة إسلامية أخرى؟ فيقول " إن علاقتنا مع جميع مسلمى العالم هى علاقة الأخوة الإسلامية فقط• أما علاقتنا بتركيا فهى علاوة عن الأخوة الإسلامية علاقة الخلافة الدينية و المركز السياسى الأخير و لأن الخلافة العثمانية هى رمز القوة العسكرية الإسلامية و السيف الوحيد للدفاع عن مصالح الإسلام و المسلمين فإذا إنهارت أية حكومة من الحكومات الإسلامية فكأنما قطع عضو من أعضائنا فنتألم و لكن إذا تحيط بتركيا مصيبة من المصائب فتُكلَمُ أفئدتنا و تدمى قلوبنا و تجزع أرواحنا لأننا حينئذ نفقد وجودنا فهناك نجزع و نفزع نضطرب لا للمسلمين فقط بل و للإسلام أيضا•

و ما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما(١١)

دعوة الإتحاد بين الهندوس و المسلمين :

و بعد نهاية الخلافة الإسلامية فى تركيا قامت حركة الخلافة فى الهند و اشترك فيها بل و أصبح من أوائل دعاتها المهاتما غاندى مع زعماء المسلمين و ظهر موقف موحد ضد الاستعمار البريطانى، و تطورت مسألة الخلافة حتى أصبحت مسألة قومية و تنورت مسألة حرية الهند فى ضوء مسألة الخلافة و كان لابد لنجاح حرية الهند الإتحاد بين الطوائف الهندية بأجمعها و بالأخص بين الهندوس و المسلمين، لأن حكومة الهند

البريطانية كانت تذيق الهوان للهند و الهندوس كما كانت تجرع كأس الذل للمسلمين فى الهند و فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، فلابد للهندوس و المسلمين و سكان الهند جميعا أن يتحدوا لطرد عدوهم المشترك الذى دخل أرضهم و داس كرامتهم، و استطاع بكافة وسائله أن يبث روح الخلاف و التفرقة بين الطوائف الهندية ليستمر فى استعمار البلاد بطريقة القديم على أساس " فرق تسد".

و نتيجة لهذه الدعايات المغرضة فقد ظهرت نظريات متطرفة بين الطوائف الدينية المختلفة التى كانت تعرقل مسيرة الحرية، فهناك من يدعو إلى التعصب و بث روح الفرقة بين أبناء البلد الواحد، و هناك من يدعو لإقامة الدولة الهندية على أسس دينية قديمة، و ظهرت المشاكل الجديدة حيث نادى بعض الناس ببقاء الاستعمار البريطانى فى الهند ليدافع عن الأقليات الهندية و كان هذا التفكير خطيرا و مخطئاً من وجهة النظر السياسية و الواقعية لأن الاستعمار لايستطيع أن يحمى الطوائف الصغيرة مهما كانت قوته و سطوته، بل و لابد من الاتحاد و التعاون و الاعتماد بين الأكثرية و الأقلية و بين الطوائف الدينية المختلفة لتفادى مثل هذه المخاطر، ليحل الوئام بدل الشقاق و الحب بدل البغض و التنافر و يجب عليهم أن يتحدوا على أساس مشترك من الاحترام و التفاهم لأن أرض الهند قدأوتهم فيجب عليهم الدفاع عنها ضد المستعمر الغاصب.

و أريد أن أقدم بعض المقتطفات من خطاب أبى الكلام آزاد فى سنة ١٩٢١م من مجلس الخلافة :

١- إنَّ من نجاح حركة الخلافة أنها أصبحت حركة هندية بالمعنى الكامل.

٢- و هذه ليست حركة جماعة من الجماعات و لاحركة المسلمين فقط بل هى حركة أهل الهند جميعا قد اشترك فيها مئتان و عشرون مليونا من الهندوس مع سبعين مليونا من المسلمين.

٣- و بنجاح حركة الخلافة على أساس الإتحاد بين الهندوس و المسلمين برزت مسألة حرية الهند بقوة، و وصلت إلى ذروته التى لم تبلغ إليها مع جهود أربعين سنة فى الماضى.

٤- و المهاتما غاندى كان من أوائل المعاونين و المشتركين فى حركة الخلافة.

٥- و أقول بصدق بأن حرية الهند لاينال أبدا إلا بالإتحاد الكامل بين

الهندوس و المسلمين• و لانجاة للهند مع الخلاف و التعصب بينهما•
٦- و لابد لنا من ترك موالاة الأعداء المستعمرين•
٧- و الإتفاق و الإتحاد مع متبعى الأديان الذين لم يظهروا لنا العداوة و البغضاء و هذا ثابت و مؤكد بصراحة فى كثير من النصوص القرآنية•
٨- و أنا أعلنت فى سنة ١٩١٢م عن طريق أول عدد من مجلة الهلال بأن أوامر الشريعة الإسلامية تفرض عليهم عدم ولاية الحكومة البريطانية لأنها أكبر خطر للإسلام و المسلمين و للأقوام و الأمم الآسيوية وغيرها فى العالم أجمع•
٩- و يجب على المسلمين بنصوص القرآن و الأسوة المحمدية أن يتحدوا مع الهندوس ضد الحكومة البريطانية و يكونوا قومية هندية واحدة، و أقول للمسلمين أن نداء النبى صلى الله عليه وسلم يعتبر أعظم نداء بعد نداء الله سبحانه و تعالى، فقد عاهد النبى صلى الله عليه وسلم معاهدة بين مسلمى المدينة و اليهود كتب فيها " أنا أمة واحدة " أراد بهذه المعاهدة و وحدة الأمة عرض الصلح عليهم و قيام دولة مطمئنة، و إتحاد الطائفين ضد دسائس قريش،
١٠- و إذا تأملنا هذه المعاهدة و مقاصدها فتبين لنا بوضوح أن مقصد النبى صلى الله عليه وسلم كان عظيما و هو دفاع المسلمين ضد القوة الغاشمة التى تمركزت فى قريش مكة، و نرى اليوم أن طغيان الإستعمار البريطانى قد يهدد الإسلام و المسلمين و شعوب العالم بالدمار و الفناء فهل ليس من السياسة الشرعية أن نتحد مع الهندوس لدفع ضرر القوة الغاشمة و طردها من البلاد•(١٢)

و أريد أن أنقل إليكم اقتباسا آخر من خطابه التاريخى فى احتفال المجلس القومى لحزب المؤتمر فى رام كره فى مارس ١٩٤٠م حيث كان يرأسه، و بيّن فى هذا الخطاب حدود الاتحاد بين الهندوس و المسلمين و بأن أرض الهند مِلْكٌ لجميع سكانها بدون أى تفريق دينى أو عنصرى أو عرقى، يقول أبو الكلام آزاد :" أنا مسلم و أفتخر بإسلامى، ورثت حضارة ثلاثة عشر قرنا و لا أرضى أن يضيع أى جزء من أجزائها و يجب على أن أحافظ على تراثى المكونة من العلوم الاسلامية من تاريخية و شرعية• و لا أرضى أيضا أن يتدخل أحد فى شئونى الدينية اطلاقا و لكن مع كل هذا يتولد عندى احساس بعد معرفة الحقائق التاريخية الواقعية و لايمنعنى منه روح الإسلام و هو أننى أفتخر بانتسابى إلى الهند و بالقول بأننى عنصرهام من

مكونات القومية الهندية فهى لاتزدهر إلا بوجودى، و قد اختارت الارادة الإلهية الأزلية للهند أن تكون مسكنا و موطنا لمختلف الأجناس و الحضارات و الأديان و قد بدأ هذا فى أوائل التاريخ، و رحبت أرض الهند بجميع هذه القوافل و كان آخرهم نزولا إليها القافلة الإسلامية و استقرت فيها إلى الأبد، و استمرت القافلتان (الهندوس و المسلمون) فيها تجريان فى نهرين و فى الآخر انضما فى بحر واحد هو بحر القومية الهندية فكما أن الهندوس يدعى أننى هندوس و هندى لأنى سكنت فيها من آلاف السنين فكذلك المسلم يدعى أننى مسلم و هندى لأن الهند وطنى من ثلاثة عشر قرنا •(١٣)

و كان أبو الكلام آزاد واعيا للإتحاد بين الهندوس و المسلمين إلى حد انه قال بالحرف الواحد :" لو نزل ملك من السماء و أعلن من منارة قطب فى نيو دهلى أن الحرية ستمنح للهند فى غضون أربع و عشرين ساعة بشرط أن يتخلى الهند من الإتحاد بين الهندوس و المسلمين فأنا أرفض الحرية، لأن الحرية لو تأخرت فهذا سيكون خسارة للهند فقط و لكن لو ذهب إتحادنا فستكون خسارة فادحة للإنسانية جمعاء"(١٤)

و هناك من الباحثين من نقدوا نقدا لاذعا على آراء أبى الكلام السياسية و الدينية بل اتهموه أيضا بأنه فسر القرآن الكريم ليطابق به آراء حزب المؤتمر و مثل هذه الانتقادات لاتصدر إلا عن عصبية أو عدم معرفة لتعاليم القرآن، فبدلا من الإتهامات نستطيع أن نقول إن هناك خلافا للرأى و الإجتهاد •

أما أبو الكلام آزاد فقد بيّن قاعدته الدينية و السياسية على أساس من القرآن الكريم فانه دعى بتكريم الإنسان من أجل انسانيته، و دعا إلى الصلح و التقارب و التناصح و الإفهام و الجدال بالتى هى أحسن و أعلن صراحة بأنه لا إكراه فى الدين، و نظم البيئة الإنسانية على أساس من التعاون و روح التسامح، و لم يعلن الحرب إلا على الأعداء الذين يتأمرون عليه أما غير هولاء من غير المسلمين فيعاملهم القرآن معاملة حسنة على أساس من المنافع المشتركة و هذا كله واضح و ظاهر فى آيات القرآن الكريم و أسوة النبى صلى الله عليه وسلم •

و قد تطورت الأحوال السياسية و الظروف الإجتماعية فى الهند و ظهر التيار الجارف ـ لانستطيع تحليلها فى هذا المقال الضيق لنجاح النظرية الثنائية فى تقسيم الهند إلى دولتين مستقلتين ذات

سيادة و كان أبو الكلام آزاد قد فكر بإخلاص و إجتهاد فى هذه المسألة الكبيرة التى تتعلق بسلامة الهند من جهة و بسلامة المسلمين من جهة أخرى فوصل إلى هذه النتيجة :" أنا تفحصت نظرية الرابطة الإسلامية لقيام باكستان من جميع الجوانب و الجهات و آثارها المرتبة على الهند و على مسلمى الهند فوصلت إلى هذه النتيجة و هى أنها لاتكون ضررا على الهند فقط بل ستكون ضررا على مسلمى الهند أيضا• و هى فى الحقيقة لاتحل المشاكل بل ستتولد معها مسائل و مشاكل أخرى متعددة•(١٥)

و لم يفلح أبو الكلام آزاد وغيره من الساسة فى إبقاء الهند دولة واحدة متحدة، و وجهت انتقادات لاذعة و سخرية و استهزاء على أبى الكلام آزاد بالذات إلا أنه كان طودا شامخا للأخلاق و حرية الرأى فلم يغضب و لم يشتم بل اصر على رأيه و وضحه بطرق و عبارات مختلفة•

و هناك ظروف و أسباب و خلفيات و أحقاد كثيرة قد أدت إلى قيام دولتين مستقلتين فى الهند و لعل هذه هى الإرادة الالهية لتعيش الدولتان فى أمن و استقرار• و ذهب الاستعمار البريطانى بدون رجعة و أشرق فجر الحرية و ظهرت جمهورية باكستان الاسلامية و جمهورية الهند إلا أن نظرية و آراء أبى الكلام آزاد فى الإتحاد و التفاهم و التعاون لم تذهب سدى، فلا يمكن قيام الروابط المتينة بين الهند و باكستان، و لايمكن نهضتهما و رقيهما، و لايستتب الأمن الشامل فى منطقة آسيا إلا بالإتحاد بين الهندوس و المسلمين و التعاون بين الدولتين فى المجالات الإنسانية و العلمية و الاقتصادية•

فالسبيل هو سبيل الحب لسلامة البلدين و حل مشاكلهما و ليس سبيل الحرب و البغضاء و التنافر و الكراهية أبدا• لأنه يولد الدمار الشامل•

و هكذا نرى أن مشعل الإتحاد الذى أناره آزاد لاينطفئ ضوءه أبدا• و يستطيع الهندوس و المسلمون دائما أن يمشوا فى هذا الدرب الذى يوصلهم فى النهاية إلى طريق المجد•

المراجع :

١- أبو الكلام آزاد كى تعليمى تصورات : محمد عبد الرزاق فاروقى ـ ص : ١٢

٢- شبلى اور أبو الكلام آزاد : مسعود الحسن عثمانى، من مكتوب آزاد فى سنة ١٩٠٠م، ماخوذ من كتاب أبى الكلام آزاد أحوال و آثار ، ص : ٢٠٥

٣- " غبار خاطر " لمولانا أبى الكلام آزاد، ص : ٩٧-٩٩
٤- " غبار خاطر " ص : ١٠٥
٥- ملخصا عن كتاب " آزاد كى كهانى آزاد كى زبانى" (يعنى قصة آزاد بلسان آزاد) ص : ٤١٠
٦- " ترجمان القرآن " ج : ١، ص : ٥١-٥٣، أكادمية ادبية، ـ دلهى•
٧- اقتبسناهذه الخلاصة من تفسيره " ترجمان القرآن " و غيره من خطاباته نتلخص•
٨- " آجكل " مجلة شهرية عدد خاص عن أبى الكلام و معناها " اليوم و الغد"•
٩- خطبات آزاد : (اكادمية ادبية) من خطبته بكلكته يوم ٢٧/ أكتوبر ١٩١٤م على الاتحاد الاسلامى ص : ٢٤
١٠- خطبات آزاد : من الصفحة ٢٢ إلى ٢٥
١١- أيضا : ٣٠
١٢- خطبات آزاد : من خطاب الرئاسة لمجلس فى آغره سنة ١٩٢١م، ص : ٤٤-٥١
١٣- خطبات آزاد : من خطاب الرئاسة لمجلس القومى لحزب المؤتمر فى رام كره سنة ١٩٤٠م، ص : ٢٩٧-٢٩٨
١٤- أبو الكلام آزاد كى تعليمى تصورات : ص : ١٠٠ نقلا عن آثار أبى الكلام قاضى عبد الغفار، ص : ٣٤
١٥- أبو الكلام آزاد كى تعليمى تصورات : ص : ١٠٠

أول اعتقال لمولانا أبي الكلام آزاد

بقلم : عبدالقوي الدسنوي
كلية سيفية ـ بوفال

لقد بدأ مولانا أبو الكلام آزاد المساهمة فى السياسة العملية مساهمة فعالة بعد انتقال أبيه مولانا خير الدين إلى رحمة الله فى ١٩٠٨م، فتحرر من كثير من المسئوليات و التبعات التى كان لايرغب إليها طبعا، و وجد فرصة سانحة لممارسة عاطفته التى كان يجيش بها صدره منذ زمان و رغبته الصادقة فى خدمة الملة و الوطن، و إنتمى فى تلك الأيام إلى الحزب الانقلابى لشيام سندر تشكراورتى، و قام بأداء مسؤلياته التى فوضت إليه من الحزب قياما جعله محل ثقة لدى الجميع، و لكن لم يتمكن من الانتماء إلى هذا الحزب مدة طويلة لسفره إلى البلدان الاسلامية : مصر، و تركيا، والعراق، و اجتمع خلال زيارته لهذه البلدان بشباب الفكر الثورى و عرف نشاطاتهم و أعمالهم، و اطلع على الصحف و الجرائد العربية الشهيرة التى كانت تصدر فى تلك البلدان مثل " *الهلال*" و" *النهار*" و" *اللواء* " و تعرف على مقاصدها و أهدافها و فكرها و مستواها•

و لما كان مولانا آزاد يحمل ـ هو نفسه ـ عاطفة انقلابية و فكرا انقلابيا، و يقلقه عبودية الوطن و الشعور بالمساوىء الناشئة عن هذه العبودية و الاستعمار، لما كان كذلك أثرته هذه الزيارة ـ لهذه البلدان ـ كثيرا، و أيقظت فيه عاطفة القيام بالتضحية و العمل من أجل الوطن، كما قويت لديه الرغبة فى إصدار جريدة أردية ذات مستوى عالٍ ، فجعلت تقلقه كثيرا بعد عودته إلى الوطن هذه الرغبة الشديدة فى التمكن من القيام بإصدار جريدة أسبوعية مصورة مفيدة• فى مستوى جرائد مصر و صحفها

ممتازة بمكانة فريدة عن الجرائد الأردية من حيث الأهـــــداف و الترتيب و التزيين و الشكل و الهيئة، لقد كان يريد أن يشعل فى الهنود شعلة الحياة عن طريق هذه الجريدة، و يعرفهم بمسئولياتهم، و يجعلهم يقومون على طريق الثورة، فلم يزل يجتمع بأولئك الرجال من وطنه الذين كانوا يحملون هذا الفكر و هذه العاطفة و يستعد استعدادات لازمة لإصدار الجريدة•

لو أراد مولانا آزاد لنجح فى إصدار جريدة أسبوعية، و لكنه كان لايحب التنازل عن المستوى الذى حدده للجريدة التى كان يريد إصدارها، فانتظر ـ لذلك ـ أكثر من ثلاثة أعوام، و لم يزل خلال هذه المدة ـ يمهد الطريق و يذلل الصعاب لإصدار الجريدة، حتى نجح فى إصدار جريدته الأسبوعية الشهيرة (فى ١٣/ يوليو ١٩١٢م) التى رحب بها الناس من جميع الطبقات و رجال الفكر و الاتجاه و الانتماءات المختلفة، و نالت من القبول ـ لدى الطبقة الأردية ـ ما لم تنله أى جريدة أردية لحد الآن•

مرت هذه الجريدة فى حياتها بثلاث مراحل هامة، المرحلة الأولى : كانت لدى حادث هدم مسجد " كانبور " التى أوجدت الشدة و الصرامة فى الهلال، فنشرت على صفحاتها مقالات ملتهبة مشعلة نار الثورة " كالمشهد الأكبر" الأمر الذى أدى إلى فرض الحظر على العدد الذى نشرت فيه مقالة " المشهد الأكبر" لأن الحكومة شعرت بخطر وقوع الفتنـــة و انتشار الفوضى، فطلبت الحكومة الكفالة فى ٨/ سبتمبر ١٩١٣م من الجريدة، فقدم صاحبها آزاد مبلغ الكفالة ـ ألف روبية ـ إلى الحكومة•

و جاءت المرحلة الثانية حينما نشرت " *الهلال* " مقالتها الافتتاحية فى ١/أكتوبر ١٩١٦م ـ بعنوان " مجلس الدفاع عن المطابع و الجرائد الهندية" التى لفت فيه الأنظار ـ لأول مرة ـ إلى تأسيس مجلس للدفاع عن جرائد الهند، كما اتخذت الاجراءات و التدابير اللازمة فى أوقات مختلفة للحفاظ على حقوق الصحافة•

و جاءت المرحلة الثالثة حينما اندلعت نار الحرب فى أوربا فى الأسبوع الأول من أغسطس ١٩١٦م فنشرت مقالة بعنوان : "الاحتلال العالمى لعفريت الحرب" فى " *الهلال* " فى عددها الصادر فى ٥/ أغسطس ١٩١٤م ثم بدأ آزاد ينشر مقالاته ـ عموما ـ عن الحرب، التى يلقى فيها الضوء على سوءات الحكومة و شرورها، الأمر الذى جعل الحكومة تفكر فى اتخاذ إجراء حاسم ضد " *الهلال* " و أتاح لها ذلك حينما صدر عدد ١٤ و ٢١ اكتوبر معا،

الذى نشرت فيه مقالات بعنوان : " *حديث الجنود* " و " *سقوط انتروب* " اعتبرتها حكومة بنغال محل اعتراض و محاسبة، و جُمّت مبلغ التأمين ـ ألفى روبية ـ الذى كان طلب فى سبتمبر ١٩١٣م أو فى نوفمبر ١٩١٤م، فكانت النتيجة أن فرض الحظر على " *الهلال* " بعد صدور عددها الذى ظهر فى ٨/ نوفمبر ١٩١٤م، و اعتبر هذا العددُ العددَ الأخير من الفترة الأولى للهلال •

لم يقبع آزاد بعد فرض الحظر على الهلال فى زاوية جالسا مستريحا، بل لم يزل يبذل جهده فى إصدارها، ليتمكن من إيصال كلمتـــه إلى الناس، و تحقيق أهدافه التى يتوخاها، فأثمرت الجهود المتواصلة ـ عبر سنة كاملة صدور " البلاغ" فى ١٢/ نوفمبر ١٩١٥م، و كانت الحكومة غير واثقة طبعا بمولانا آزاد منذ عصر الهلال، فما تغافلت عنه فشددت الرقابة عليه بعد صدور " *البلاغ* " فما أن مضى إلا ثلاثة شهور حتى اتهمت الحكومـــة مولانا آزاد بأنه يمالىء أعداء الملك المعظم، فأمر بمغادرة بنغال خلال أسبوع، كما فرضت الحكومات الاقليميـــة الأخرى الحظر على دخول مولانا آزاد فى حدودها، و ما فرضت حكومة بيهار فقط الحظر على دخول مولانا آزاد فى حدودها •

لم يبق ـ الآن ـ لمولانا آزاد إلا طريق واحد، و هو أن يختار بلدا يقيم فيه، فوقع بصره على مدينة رانشى (RANCHI)، الجميلة الآمنة من ولاية بيهار، فتوجه إلى رانشى ـ وحيـــدا ـ فى ٣٠/ مارس ١٩١٦م، كان بعض الأقربـــاء و الأحبة لمولانا آزاد أبدوا رغبتهم و استعدادهم لمصاحبته إلى رانشى (١)، و لكنه ما أحب اصطحابهم معه، و حذر مولانا آزاد الحكومة من رانشى بأنه لايجوز للمسلمين أن يقبلوا الوظائف فى الحكومة الانجليزية للحظة واحدة (٢)•

و هكذا احتفت " *البلاغ* " للأبد لمغادرة مولانا آزاد إلـــى رانشـــى، و تضررت كثيرا " دار الارشاد " التى كان تم تأسيسها، كما اضمحلت نشاطات "كلكتا" الأخرى السياسية و الاجتماعية التى كانت موجودة بفضل وجوده فيها• اختار مولانا آزاد لإقامته قرية " مورابادى " القريبة من رانشى، التى كان يسكن فيها قبائل " كول " و " اراوُن " و " مندا " •

أضحى مولانا آزاد يقلقه فكر " *البلاغ* " إنه كان غادر كلكتا إلى رانشى بعد إعداد عدد ٨/ ابريل " *للبلاغ* " بعد وصوله إلى رانشى، أرسل رسالة ـ فى ٨/ ابريل إلى العلامة السيد سليمان الندوى، و رسالـــة إلى الشيخ عبد السلام الندوى، رجا فيهما منهما أن يرسلا مقالة على الأقل فى

أسبوعين إلى البلاغ•

"لقد وصلت إلى رانشى، و سوف يستمر صدور البلاغ، أنتم لاتستطيعون أن تفعلوا شيئا، فافعلوا - على الأقل - أن ترسلوا مقالا مشتملا على ثمانية أعمدة - على الأقل - كل أسبوعين إلى البـــلاغ، و قولـــوا للشيـــخ عبد السلام أن يرسل - هو أيضا - مقالاً - بهذا القدر - كل أسبوعين"(٣)

لقد شغل مولانا آزاد نفسه - فى رانشى - بأعمال مختلفة يتحدث عنها هو بنفسه قائلا :

" لايُخِلّ مخل من الصباح إلى المساء، و من المساء إلى الصباح بذوق السماع، و لايعوق منظر عن الأشغال فالحمد الله، يمضى معظم الأوقات فى تأليف الكتب و تصنيفها، التى كلها عبارة عن شرح كتاب الله العزيز و السنة المطهرة، فما يبقى دون ذلك من الوقت، لايضيع هو الآخر أيضا، تمتد الميادين إلى الأبعاد الطويلة، و الجبال فى كل جانب"(٤)

و هنا و خلال الاقامة فى رانشى - صدرت الأوامر باعتقال مولانا آزاد، كتب مولانا آزاد و هو يتحدث عن أحواله و ظروفه فى رانشى :

" خرجت من كلكتا مطمئنا كل الاطمئنان، و استقر بى المقام فى رانشى فى مكان غير معمور ... خارج المدينـــة، ولكن كلما مضت الأيام، زدت قلقـــا و اضطرابا و ألما، فكان هذا هو الوقت الذى واجهت فيه الحال الانفعالى من طبيعتى"(٥)

جاء شهر رمضان خلال اعتقاله فى رانشى، فكيف كانت تنقضى أيام آزاد و لياليه؟ يقول :

" جاء رمضان ببركاته و نعمه، و إن كنت حرمت - لأول مرة فى حياتى - من صلاة الجماعة، و جماعـــة التراويح و لذة سماع القرآن الكريم الآخذة بالألباب، فانقضت أيام أولى من رمضان فى انقباض و يأس و ألم لكن بدأت - فيما بعد - ألتذ و أستأنس بلذات الخلـــــوة و البعد عن الناس بحيث أغنى ذلك القلب عن المجامع

و المجالس و المحافل، و خاصة ما سعدت به من خير
ليالى العشر الأواخر و أيامها و بركاتها و أفضالها،
لايعبر عن ذلك لسان من ألسنة العالم، و لا الأذن
تطيق سماع ذلك، و تمنيت أن لو حصرت مدة الحياة
كلها فى هذه الليالى العشر، و انقضى العمر كله فى
هذه الكيفيات ....." (٦)

و لكن ظل الناس يبذلون جهودهم لتحرير مولانا آزاد من هذا الاعتقال، و قدموا محضرا بأكثر من ستين توقيعا إلى الحكومة، يكتب مولانا آزاد :

" جاءت رسائل من بعض المسئولين فى حكومة بنغال
خلال الشهور الماضية، و علم بأنه يوجد اعتراف بسوء
الفهم، و قد أبدى - أخيرا - المستر لارد كامائيل،
نفسه مثل هذا الشعور، و ربما أن يصدر الأمر بإلغاء
الاعتقال" (٧)

و لكن ضاعت كل هذه المحاولات و ذهبت سدى، و مارضيت الحكومة بتغيير موقفها، و أرضى آزاد نفسه - كرها - أن يقضى حياته فى مثل هذا الجو، و نجح فى شغل نفسه بالأشغال، ذهب مولانا لأداء صلاة الجمعة إلى مسجد المدينة، فلم يعرفه أحد، و لكن رجوا منه أن يؤمهم لما توسموا منه الفضل و العلم، فرضى مولانا بذلك، فلما ألقى الخطبة تأثر الناس كثيرا، كانوا يظنون أن مولانا يقرأ الخطبة من الكتاب، يكتب مولانا :

" ذهبت فى رمضان يوم الجمعة إلى المسجد الجامع،
لم يكن عدد المصلين متجاوزا صفوف، فألح الناس بى
على الإمامة و إلقاء الخطبة إلحاحا، فاضطررت لإلقاء
الخطبة، لقد عرفوا من الخطبة أن يقرأ شىء مطبوع
من العربية، إن عدد المسلمين هنا و إن كان مما
لابأس به، و لكنهم مبتلون بغاية من سوء الحال
و الانحطاط لوقوعهم فى خمول و معزل عن الناس،
وأشعر برغبة شديدة من بعد صلاة الجمعة فى أن أبدأ
عملى هنا إذا اقتضت الظروف لإطالة الإقامة"(٨)

كان يقول :

" إن العالم قد رأى نماذج من أعمال الحرية و الفراغ،
فينبغى، أن يرى - أيضا - بعض النماذج من أعمال

الاعتقال و المنفى، لأن ذلك هو موضع إبتلاء العمل"(٩)

كان يذهب مولانا كل يوم إلى مركز الشرطة لتسجيل حضوره، الذى كان بعيدا نحو كلومتر من دار إقامته، كان يذهب " بركشا(Rickshaw)" ويصلى العصر و المغرب - فى رجوعه - فى المسجد، و يلقى درسا - بعد صلاة المغرب - في تفسير القرآن الكريم يستغرق نحو ساعة و نصف، و كانت هذه عادته كل يوم تقريبا •

كان يأتى الناس من البلد للإجتماع بمولانا آزاد، و لكنهم كانوا يحذرون و يخافون لحراسة البوليس الشديدة لكن تعودوا - فيما بعد - على ذلك، و كانت تبدأ هذه السلسلة من الساعة الثامنة صباحا •

لقد وقع فى خاطر مولانا فضل الدين الذى كان مديرا " *للهلال* " ثم " *للبلاغ* " ، أن يكتب ترجمة لحياة مولانا آزاد، و قد ذكر ذلك لمولانا أيضا، و رجا منه أن يتولى مولانا - نفسه - هذا العمل، فلم يبد مولانا رضاه بذلك أولا، و لكن لما جاء مولانا فضل الدين إلى رانجى للإجتماع بمولانا آزاد فى مايو ١٩١٦م، فعرض عليه رغبته القديمة، مرة أخرى عرضا ملحا، و أرضاه هذه المرة بكتابة أحوال حياته، و وقع الاتفاق على أن يرسل مولانا كل أسبوع حلقة من ذلك •

فأرسل مولانا - حسب ما اتفق عليه - حلقة مشتملة على ١٦ صفحة، فشعرَ بعد قراءة هذه الحلقة الأولى من أحوال حياة مولانا بأنه يريد أن يكتب أحوال أسرته بتفصيل و إطناب، فخطر بباله أن مولانا ربما يشغل بهذا التفصيل عن صميم الموضوع و مقصده، فألتمس منه أن يختصر ذلك اختصارا، و لكن مولانا ردّ ذلك قائلا : " لا تحدوا من فيضان قريحتى " •

استمرت هذه السلسلة من يونيو ١٩١٦م إلى أكتوبر ١٩١٦م إذ جرى التفتيش فى أكتوبر عن مولانا آزاد، و قبضت الشرطة على جميع الكتب و المخطوطات و المسودات بحجة أنها خطرة مخربة، ولكن لم يزل مولانا - مع هذه الظروف الحرجة - يرسل كل ما يكتب - أسبوعيا - إلى فضل الدين، حتى سكت بعد كتابة أحوال و الديه، فلما أصر عليه فضل الدين ، استطاع أن يرسل ٣٠ صفحة فقط•

قصد فضل الدين مرة ثانية فى فبراير ١٩١٦م إلى رانجى، فأقام بها ستة أشهر، و أعد خمسة عشر سؤالا ، و أعطاها مولانا آزاد، فأملى عليه الإجابة عن الأسئلة، فتجمع عند فضل الدين مادة كبيرة من حياة مولانا، ثم توجه إلى رائى فور حيث اشتغل بترتيب أحوال حياة مولانا آزاد •

ليلاحظ أن المولانا حينما بدأ بتأليف " *تذكرة* " فلم يكن عنده من الكتب إلا "*تذكــرة الواصليــن*" و " *أخبــار الأخيــار* " و " *طبقات أكبرى* " و " *منتخب التواريخ* " فقط، فكتب جميع الأحوال اعتمادا على ذاكرته•

ظهرت الطبعة الأولى من " *تذكرة* " عام ١٩١٩م، و مولانا لايزال فى معتقله برانشى، و لما كانت الأوساط الأدبية فى انتظار و تشوق شديدين لهذا الكتاب أقبل عليه الناس و تساقطوا عليه بمجرد ظهوره•

كتب فضل الدين فى مقدمة الكتاب و هو يبشر الناس بالجزء الثانى من "*تذكرة* " : *هذا جزء أول، و الشطر الأول من الجزء الثانى يشتمل على باقى الأحوال الأسرية لمولانا آزاد، و الشطر الثانى منه يحوى ترجمة مولانا نفسه التى رتبها هذا العاجز، و معظمه إجابات أملاها مولانا عن الأسئلة التى أعددتها*(١٠)•

يعلم من المقدمة أيضا أن كان مولانا لايبيح ـ آنذاك ـ التصوير و لا وضع الصور شرعا، يقول فضل الدين :

> " *و لكن لم يدر بخلد ـ قط ـ أن مولانا لايستبيح التصوير و وضع الصور، فأصدر الهلال مصورة، و صور نفسه أكثر من نفسه، و لكن لما قلت له بالنسبة للصور، كتب : إن إلتقاط الصور و وضعها و نشرها كل ذلك لايجوز، و قد كان منى خطاء شديـــد أن صورت، و أصدرت " الهلال " مصورة، و قد تبت من هذا الخطاء، ولتستر أخطائى الماضية لاتنشر و تذاع*" (١١)

فى بداية الكتاب " اعتذار " بقلم مولانا آزاد، يقول فيه عن " تذكرة " :

> " *حينما كتبت هذه الأجزاء، لم يكن بحسبان أن تنشر بمثل هذه السرعة وقبل المؤلفات الهامة، و عدة أجزاء كانت بحاجة إلى إعادة النظر فيها، و طالت المطالب الفرعية. لا أعلم فيما إذا وضع الكتاب بعد إعادة النظر فيه، و لكن بدأ المرزا أفضل الدين أحمد ينشر المسودة الأصلية بدون علمى و مشورتى، و علمت بذلك حينما كان نشر ثلثان منها، و إن استعجال المرزا إن دل على شئ فإنما يدل على حبه و شوقه، أنا شاكر له، و عيوب الكتاب تنم عن عيوبى و ضعف قلمى، فأنا نادم أرجو العفو، لما أن الكتاب قد طبع*

معظمه، فما مالت الطبيعة إلى إعادة النظر فى بقية الأجزاء و تنقيحها و تهذيبها، و قد تـــرك الناس آثارا و ذكريات لإطمئنان قلوبهم و سكونها، فلا ترك لى أثرا و ذكرا لتشتت البال و اضطراب الخاطر .... "(١٢)

كان سكان رانشى فقراء و غير متعلمين، و الذين كان منهم أصحاب مال و ثراء يتجرون بالخمر، فأثرت عليهم محاضرات مولانا تأثيرا طيبا، فتاب كثير منهم، و اشتغلوا بالأعمال الأخرى•

كان من مساوىء المسلمين هناك أنهم كانوا يتخاصمون بالحنفيـــــة و الوهابية، فأصلحتهم - أيضا - محاضرات مولانا و أرشدتهم إلى الحق، فزالت منهم خلافات الحنفية و الفقهية، و مما سمع فى ذلك أن بعض الناس كانوا بدأوا مخالفة مولانا لما كانوا يظنونه من الوهابيين و لكن عندما عرفوا مولانا صاروا موالين له•

يكتب مولانا - و هو يلقى الضوء على عصر اعتقاله فى رانشى - فى عدد ٢٣/ سبتمبر ١٩٢١م من صحيفة " بيغام " (الرسالة) الأسبوعية :

" فى أواخر ١٩١٨م عنـــدما كانت دنيـــا الآمـــال و الأمنيات قد انقلبت، و سيل الحوادث قد مضى على خرابها و دمارها بكل شدة، فكنت أرى - جالسا فى معزل رانجى - أدوات بناء عالم جديد من الأمل، و إن الدنيا و إن كانت سمعت أصوات انغلاق الباب، و لكن كانت أذناى تسمعان صوت انفتاح باب جديد•

" كان الأسبوع الأول و لياليه العامرة الحية من رمضان، حينما خططت بأيدى هاتين خطوطا على خرائط جديدة من الآمال و العزائم، اليدين اللتين مزقت بهما الخرائط الماضية كلها تمزيقا"(١٣)

خلال اعتقاله فى رانشى أسس مولانا آزاد " الجمعية الاسلامية " التى كانت تهدف إلى إصلاح أحوال المسلمين و تطوير التعليم و نشره، و إصلاح النظام الإجتماعى، و نشر الأدب و الدين و الثقافة الاسلامية، و قد كونت لإدارتها لجنة كان رئيسها الضابط ألطاف حسين، و من الطرافـة أن ألطاف حسين كان رجل المخابرات، و كانت الحكومة قد عينته لمراقبة مولانا، و لكنه اشتغل بمثل هذه الأعمال الإصلاحية الخيرية•

و كان مولانا قد أقام مدرسة تابعة لهذه الجمعية الاسلامية، تجمع

لتيسيرها التبرعات و الاعانات، و قد أرسل مولانا نفسه ألطاف حسين إلى أصدقائه و محبيه لجمع التبرعات، و عندما حصل مبلغ معقول تم بناء مبنى للجمعية و المدرسة*

يقول السيد بهاء الدين أحمد أنه تم فيما بعد إقامة " مدرسة *مولانا آزاد*" فى هذا المبنى، و لم يكن بناء الدور الثانى منه تم إلى زمن إقامة مولانا فى رانشى، و حينما رجع مولانا إلى كلكتا أكمل بناءه من نفقته و على حسابه، كتب السيد عظيم الدين أن مولانا أرسل هذا المبلغ بعد أن باع مطبعته، و تقوم هذه الأيام " *كلية مولانا آزاد*" فى هذا المبنى*

سافر العلامة السيد سليمان الندوى إلى رانشى فى مارس ١٩١٩م يكتب فى رسالة له إلى الشيخ عبد الماجد الدريا آبادى :

> " لقد ظللت غائبا شهرا كاملا عن مقرى، و وصلت إلى رانشى، و تشرفت بزيارة مولانا آزاد بعد ثلاثة أعوام، فتلقانى بترحاب، و أبدى سرورا عظيما بهذا اللقاء، و طابت المجالس معه، إنه - هو الآخر - ضاق ذرعا بالممارسة القديمة لتطبيق المعقول و المنقول، و يغلب عليه هذه الأيام طابع ابن تيمية و ابن القيم، و يسلك مسلك الظاهرية فى الفقه و العقائد، لقد صارت أرض رانشى الصلبة الجرداء ماءا زلالا بسحر بيانه و حلاوة لسانه، إن مبنى المدرسة صغير و لكن رائع جميل، الناس يعترفون بفضله كثيرا، و قد ألقيت أنا - أيضا - أكثر من محاضرة خلال إقامتى فى رانشى"(١٤)

إنعقد الاحتفال الثانى للجمعية الإسلامية فى أكتوبر ١٩١٩م، فحاول مولانا آزاد أن يحضره علماء خارج رانشى أيضا، فوجه الدعوة إلى العلامة السيد سليمان الندوى لحضور الاحتفال بالحاح شديد، فكتب يقول :

> *" لقد قرر عقد الاحتفال الثانى السنوى للجمعية الإسلامية فى الفترة : ٢٦/٢٥/٢٤ من أكتوبر ١٩١٩م، و مشاركتكم فيه هذا العام لضرورية جدا، مهما يكن ... و لكن لا مناص لكم من الحضور، إن لم تحضروا أصابنى الهم و الحسرة كثيرا، وَضْعُ " بيهار" و حالها*

لايخفى عنكم، لقد جاء الناس (العلماء) حتى من
رنجون، و لكن لم يوفق أحد من هذه الولاية (بيهار)
فاجعلوا أنتم فرض الكفاية هذا فرض عين! و يا حبـذا
لو تلقون محاضرة على حياة " بيهار " الماضية
العلميـة و التعليمية(بعد ذلك امحت الألفـــاظ)
و استصحب معك الأستاذ أبا الحسنات، و الشيخ
العمـادى من حيـدر آباد، و لكن لاتمكن دعوتـه،
فوا أسفاه! و قد مضى زمن طويل على حادث كانفور*
و خصص يوم من الاحتفال للبحث فى أمور الولاية
العلمية و التعليمية، و يسرنى كثير من العلماء أن
يدعوا لحضور الاحتفال و يهتموا بهم اهتماما خاصا، أنا
أعلم ـ من سابق ـ أنكم لاتكتبون عن أحد، و لكن هذا
الجواب يمكن للبلاد كلها بل للعالم أجمع "(١٥)

يبدو أن السيد سليمان الندوى حينما أبلغ مولانا رداً على كتابه ـ بحضوره فى الاحتفال، فكتب (مولانا) إليه :

" و على كل حـال، أحضُرَنَّ إلى ٢٤ بل قبلـــه،
و استَصْحبَنَّ معك الأستاذ أبا الحسنات"

يعلم من رسالة ـ أيضا ـ أن المراسلات انقطعت مدة بين العلامة الندوى و بين مولانا آزاد، و كتب السيد سليمان الندوى و هو يرد على رسالة لآزاد لم يكن يعلم بالسماح باستمرار المراسلات زمن الاعتقال، فردّ عليه مولانا آزاد ردّاً، لايخلو من الطرافة، كما يلقى بعض الضوء على حياة اعتقال مولانا آزاد، يكتب مولانا :

" وصلتنى رسالتكم الكريمة، كتبتم فى رسالتكم أنكم
كنتم لاتعلمون بالسماح بتبادل الرسائل، إن اليأس
من ذى اطلاع و علم مثلكم يدعو إلى العجب، و قد
اعتقل رجال قبلى، و تعلمون عنهم كل العلم أنهم كان
يمكن لهم المراسلات تحت المراقبة، و لو منع بالفعل
من كتابة الرسائل لتمتنعون عن إرسال الرسالة إلىّ
قطعيا، كما لم ترسلوا حتى الآن لمجرد الوهم بمنع
ذلك*

كتبت هذه الجملة الأخيرة على سبيل المزاح فقط!

و الأصل أننى بنفس احتاط فى ذلك، إن حالة العصر غير مواتية، الناس ينفرون حتى من ظلهم أنفسهـــم، و إن كانوا يطلبون للإيمان اليقين و الإثبات، و لكنهم يعتبرون الوهم و الخيال كافيا للخوف و الدهشة، فإرسال الرسالة ـ فى هذه الحال ـ إلى رجل لم يرسل هر، يعنى تحميله ما لايحتمل، بعد صدور الأمر بالاعتقال تركت الاعتقال من نفسى، فمن يكتب أُرُدّ عليه، و من يسكت لاأُجبره على النطق"(١٦)

وـمما وقع فى رانشى أن بعض غير المسلمين كانوا يحضرون المسجد للاستماع إلى خطبة الجمعة و محاضرات مولانا، فكره ذلك على بعض الناس، و اعترضوا و قالوا إن الإسلام لايسمح بدخول غير المسلمين فى المسجد، فكتب مولانا مقالا بعنوان : " *جامع الشواهد فى دخول غير مسلم فى المساجد*" نشر أولا فى مجلة " *معارف* " (التى تصدر عن دار المصنفين بأعظـــم كره) فى مايو و يونيو ١٩١٩م، ثم نشر فى صورة كتـاب مستقل (فى ٥٠٠ عددا) يكتـــب مولانـــا آزاد عن هذا الكتاب فى رسالة أرسلها من رانشى إلى السيد سليمان الندوى فى ٢١/ مايو ١٩١٩م :

" ينتشر ـ اليـــوم ـ جهل شديد ببعض المسائل، و لو لم يستدرك و يزل لانغلق باب مفيد بعد انفتاحـــه، و أردت أن أنشر عن ذلك مقالا فى الجرائد فجلست أكتب فطالت الكتابة، و لم تعد الجرائد ـ الآن ـ متحملة عن نشر هذه الكتابة الطويلة، فأرسلها إليكم مضطرا، و أرجو أنها ستجد طريقها إلى النشر بصفة عاجلة و بعنوان مناسب•

" و لذلك صورتان : أولاهما أن تنشر فى " معارف " إذا أحببتم ذلك، و لكن المشكلة فى ذلك أن عدد هذا الشهر يكون ماثلا للطبع، و لايتسع لها، و إن أجّلَ نشرها إلى الشهر القـــادم يكون التأخيـــر كثيـــرا، و المقصود ـ نظرا إلى المصالح و بعض الوجوه ـ هو العجلة و عدم التأخير، بل كان لاينبغى التأخير فى إكمال الكتابة، فإن أمكن نشر هذه المقالة فى عدد هذا الشهر فأنشروا ـ على الأقل ـ النصف الأول منها،

ثم ينشر النصف الأخير - إن شاء الله - فى العدد القادم، فإن لم يكن ذلك فهناك صورة أخرى و هى أن تنشروا هذه المقالة- بقلم خفيف و سطور زائدة - كضميمة لهذا العدد، و يؤجل إصداره لأيام ، و يتحقق -فى هذه الصورة - المقصد الثانى أيضا و هو أننى أريد نسخا لهذه المقالة فى صورة رسالة مستقلة"(١٧)

و يقول فى رسالة أخرى :

" رأيكم صحيح، اليوم تلقيت رسالتكم عن طريق الأستاذ سلطان الذى أرسلها من بوفال، و وصلتنى رسالتكم الأخرى أيضا، أشكركم على تعجيلكم بنشر المقالة، و خاصة أنكم رضيتم بتأجيل إصدار " معارف " وآمل أن تكون المقالة قد جعلت فصلا مكان الحلقات، و أنا أوافقكم على أن تسمى المقالة بعنوان آخر عند صدورها فى صورة الرسالة، و لتقترحوا أنتم عنوانا لها، أما العنوان الذى ذكرتموه فسجعه الثانى رائع جــــدا، ولكن فى " ردّ الجاحد " إساءة إلى المخالفين و المانعين، فتدخل الرسالة فى حدود المناظــــــرة و الجدال، و ذلك ليس بمقصوده، فغيروه بقافية أخرى نحو: " الشاهــــد " أو" الشواهــــد " أو " الفوائــد " أو " جامع الشواهد " و العنوان الأخير قد ساء استعماله كثيرا، حتى إن البعض أسموا كتابهم " جامع الشواهد فى إخراج الوهابيين عن المساجد" و ما أروع محاولة إخراج الوهابيين عن المساجد إزاء محاولة ادخال المشركين فيها .... ! فنحن بواد و العذول بواد، فلتقرحوا قاضية أخرى"(١٨)

لقد أثمرت جهود مولانا الإصلاحية هذه و أشعلت أمل الحياة فى مسلمى هذه المنطقة الذين كانوا - بصفة عامة - فقراء و غير متعلمين، متغلغلة فيهم العادات و التقاليد الإجتماعية المنكرة و غير الاسلاميـــــة، و أيقظت فيهم روح التعليم و الحنين إلى تحصيله، و بدأوا يشعرون بالخبيث من الطيب و الشعارات الأسلامية من غيرها، يقول العلامة السيد سليمان الندوى :

" كانت "رانشى " منطقة مسلموها يعيشون عيشة الذل و المهانة، و كانت الجهالة و المخاصمات الأهلية تحول دون اطلاعهم على الأوضاع المعاصرة، و كانت الارساليات التبشيرية منتشرة كالأسلاك الكهربائية فى كل مكان، أما العالم الدينى فلم يكن له عين و لا أثر فى هذه المنطقة، و كانت روح الشعـــــور الاسلامى و اليقظة الدينية ميتة، و لكن تغيرت سماؤها و أرضها خلال أعوام بفضل وجود مولانا فيها، فنسمع الآن هناك أسماء الجمعيات الاسلامية، و نرى قيام مدرسة إسلامية، و المحاضرات القيمة لكبار العلماء و الدعاة، كما نرى أن روح الدين و الملة قد بدأت تتحرك فى الأجسام، و أن الفقراء يعزمون على إقامة أول كعبة للعلم فى هذه المنطقة التى كان لايوجد فيها عالم من علماء الدين، فى مثل هذه المنطقة تبذل جهود مكثفة لأن يخرج منها مئات العلماء فينوروا ترابها بنور العلم و القرآن، إن المنطقة التى كانت مساجدها بدون مصابيح أشرقت ربوعها كلها بشمس واحدة، فتقام فيها صلوات الجمعة و العيدين"(١٩)

إن فكرة تأليف " *ترجمان القرآن* " كانت نشأت لدى مولانا آزاد عندما أصدر " *الهلال* " فى ١٩١٢م، و يمكن أن يكون قد نظر فى ذلك من قبـــل، و لكنه كان أبدى فكرته هذه ـ فى ذلك الزمان ـ بعدة مناسبات و بأساليب مختلفة.

فقد كان بدأ كتابة الترجمة قبل أن يذهب إلى رانشى، و استمــــر ذلك ـ أيضا ـ خلال اعتقاله فى رانشى، و لما صدر الحكم باعتقاله ـ فجأة ـ فى رانشى فى ٨/ يوليو ١٩١٦م شغل آزاد نفسه بالأعمال التصنيفية التى منها تأليف " *ترجمان القرآن* " و لكن ما كادت تمضى ثلاثة شهور إذ فتش عن مقر إقامته، و ضبطت الشرطة على الكتابات المطبوعة و غير المطبوعة، منها مسودات التفسير و الترجمة، و كان آزاد قد أكمل ترجمة الجزء الثامن من القرآن الكريم، أما التفسير فقد كان وصل منه إلى سورة النساء، و لم يضعف و لم يفتر آزاد فى مثل هذه الأوضاع الحرجة، فقد بدأ ترجمة الجزء التاسع، و فرغ منها فى أواخر ١٩١٨م، و كان بدأ كتابة ذلك على

الآلة الكاتبة، و لما أطلق سراحه فى ٢٧/ ديسمبر ١٩١٩م كان أتم كتابة نصف المسودة•

إن الرجل الذى أهدى إليه آزاد " *ترجمان القرآن* " و القصة المتعلقة بذلك حدثت خلال إقامته فى رانشى ، يقول :

" لعل ذلك كان فى ديسمبر ١٩١٨م و أنا معتقل فى رانشى ـ فبينما خرجت ـ يوما ـ من المسجد بعد صلاة العشاء إذ شعرت بأن رجلا يتبعنى، فعطفت وجهى فإذا برجل قائم يلتحف كساءاً من الصوف فقلت له هل تريد أن تقول لى شيئا؟

قال : نعم! لقد أتيت من مكان بعيد جدا•

قلت : من أين ؟

قال : من وراء الحدود

قلت : متى وصلت هنا؟

قال : وصلت مساء اليوم؟ و أنا رجل مسكين فقير، قطعت المسافة من قندهار إلى كوئته مشياً على الأقدام، و وجدت بـ" كوئته " تجارا من وطنى، فأستأجرونى و أوصلونى إلى آكره، و وصلت من آكره إلى هنا مشيا على الأقدام•

قلت : لماذا تكبدت كل هذه المتاعب؟

قال : لكى أتفهم منك على بعض المواضيع من القرآن الكريم، و قد قرأت " الهلال " و " البلاغ " حرفا حرفا و كلمة كلمة•

أقام هذا الرجل أياما، و رجع ـ فجأة ـ و لم يلقنى عند عودته لما كان يخشى من أننى أزوده بزاد السفر، و كان لايحب أن يثقلنى بذلك، و إنه يكون قد قطع ـ فى عودته أيضا ـ جزءًا كبيرا من الطريق مشيا على الأقدام "(٣٠)

و هكذا بذل آزاد كل لحظة من لحظات إقامته فى رانشى لتحقيق مقاصده و أهدافه، فلما خرج من رانشى فى أوائل يناير ١٩٢٠م كان ألّف ـ بالإضافة إلى " *ترجمان القرآن* " ـ" *جامع الشواهد فى دخول غير مسلم فى المساجد* " و " *البيان* " و " *تفسير ثلاثة و عشرين جزءا من القرآن*

الكريم" و رسائل مختلفة مثل : " الصلاة " و " الحج " و " الزكاة " و " النكاح" و من تراجم المجددين أكمل تأليف : " شاه ولى الله " و " العلامة ابن القيم" و غيرها من كتابات أخرى يرجع فضلها إلى زمن اعتقاله•

لقد كتب العلامة السيد سليمان الندوى مقالة مختصرة حول اعتقال مولانا آزاد فى رانشى بعنوان " يوسف الثانى " يقول :

> *" إذا كان فى معتقلينا من ائتسى بالأسوة المحمدية - على صاحبها الصلاة و السلام - ففينا شخصية أخرى امتازت بالأسوة اليوسفية، شخصية تبلغ - حتى إلى الأحياء - رسالة : " يا صَاحِبى السِجْنِ أ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أمِ اللّه الواحد القهار " فقد قضى مولانا آزاد هذا العصر - عصر الاعتقال - بقدر عظيم من الهمة و الشجاعة و البطولة و الإيمان و اليقين، مما يذكرنا بالسلف الصالح، و لعل الجميع لايعلم بأنه رفض قبول راتب حكومى، و لم يقبل شيئا من " هيئة مساعدة المعتقلين" و ابتلى بأزمات مالية شديدة مستورة فى سر" عبادى الشكور"*

تعريب : محمد نعمان الدين الندوى

الهوامش :

١- مكاتيب أبى الكلام آزاد لمرتبها أبو سلمان الشاه جهانبورى ص : ٩٩
٢- خطبات آزاد ص : ٧٢-٧٣ طبع ساهاتيا اكاديمى - دلهى•
٣- مكاتيب أبى الكلام ص : ١٠١، طبع : أدبستان لاهور•
٤- "تذكرة " طبع ساهاتيا اكاديمى ص : ٣٣٤
٥- " غبار خاطر " طبع ساهاتيا اكاديمى ص : ٣٦
٦- "تذكرة" طبع ساهاتيا اكاديمى ص : ٣٣٣
٧- "تذكرة" طبع ساهاتيا اكاديمى ص : ٣٣٥

٨- أيضا ،، ،، ،، ص : ٣٣٦
٩- أيضا ،، ،، ،، ص : ٣٣٦
١٠- "تذكرة" طبع ساهاتيا اكاديمى ص : ٢٣
١١- أيضا ،، ،، ،، ص : ٢٤
١٢- أيضا ،، ،، ،، ص: ٥
١٣- " بيغام كلكته" ج : ١، عدد ٢٣ ستمبر ١٩٢١م ص : ٢
١٤- مكتوبات سليمانى لمولانا عبد الماجد الدريا بادى ج : ١، ص : ١١٥
١٥- مكاتيب أبى الكلام آزاد ط: أدبستان لاهور، ص : ٨٧
١٦- أيضا ،، ،، ،، ،، ،، ،، ،، ص : ١٠٣
١٧- مكاتيب آزاد، ص : ٥٨
١٨- مكاتيب آزاد، ص : ٧٩
١٩- مكاتيب آزاد أبى الكلام (أدبستان لاهور) ص : ٧٢
٢٠- أبو الكلام آزاد لعبد الله بت، ص : ٦٠

النزعة السياسيـــــة
فى حياة مولانا آزاد و أفكاره

بقلم : د/ سيد احتشام احمد الندوى
قسم اللغة العربية ـ جامعة كاليكوت ـ كيرلا

هذه حقيقة لاتنكر أن مولانا أبا الكلام آزاد كان وزير المعارف فى الحكومة المركزية الهندية و إنه قد ابتلى بلاء حسناً فى سبيل استقلال الهند• و انه ساهم فى مقاومة الإنجليز مقاومة قوية و حارب الاستعمار الإنجليز بكل طاقاته و نشاطاته حتى انتهت إليه الزعامة فى الحرب خلاف الإنجليز و لكن هذه الحرب لم تكن حربا بالمعنى المعروف بهذا اللفظ بل كانت الهند كلها تجاهد و تكافح و تسعى لنيل الحرية• و قد حصلت لمولانا أبى الكلام القدح المعلّى فى هذا الميدان فانه تضحّى بأموالـــــه و أوقاته و قضىٰ دهراً من السنينَ فى السجن• حتى أنه ألف ثلاثة كتب فى السجن ألا هى تفسير "ترجمان القرآن" و " التذكرة" و " غبار خاطر" و إنه ألفّ " تذكرة " فى مدينة رانجى و لم يكن فى السجن و لكنه كان قد أسِرَ فى بيته•

و لو خُضنا غمار التحقيق لوجدنا انه تأثر فى نزعته السياسية من العلامة شبلى النعمانى لأن العلامة شبلى كان من العلماء الذين خالفوا مسلم ليج• و إنه نظم قصائد كثيرةً خلاف مسلم ليج وجلّ هذه القصائد قد طبعت فى المجلة الأسبوعية " الهلال " التى أنشأها مولانا أبو الكلام من كلكتــــه• و كان العلامة شبلى ينظم القصائد و يرسلها بين حين و حين إلى هذه الأسبوعية و كانت تطبع فيها و كان العلامة شبلى ينقد نقداً لاذعاً على مسلم ليج لأنها كانت فى ذلك الزمان تحت سيطرة الإنجليز فكانوا لايعملون شيئاً إلا بحكم الإنجليز لأن الموظفين الكبار من الدوائر الرسمية كانوا يديرون أمور مسلم ليج• ثم ان مولانا أبا الكلام آزاد كان يمثل

المؤتمر الهندي القومي في "الهلال" و في مقالاته و كتاباته • و هذا التجاه إنه أخذه من العلامة شبلي، لأن كل من له إلمام بأفكار السير سيد أحمد خان هو يعرف أنه كان يخالف المؤتمر الهندي القومي مخالفة قوية و كان يقترح على المسلمين أن لاينخرطوا في هذا الحزب السياسي • والسبب في ذلك كان واضحاً، لأنه كان يظن لو أن المسلمين اشتركوا في هذا المؤتمر الهندي الذي يخالف الإنجليز و يخالف الحكومة فهذا يكون مضراً لهم و وبالاً عليهم • و كان هذا العهد قريب من الحادثة الكبرى حرب استقلال الهند الأولى سنة ١٨٥٧م • و قد خسر المسلمون فيها خسراناً مبيناً و قد قُتِلَ آلاف من المسلمين و أخرجوا من ديارهم و ذهبت الحكومة من أيديهم • ثم إنهم قاطعوا تعليم اللغة الإنجليزية و العلوم الجديدة في المدارس التبشيرية خوفاً على دينهم و حفاظاً على ثقافتهم الإسلامية • و أسّس السير سيد أحمد خان كليةً إسلاميةً و حرض المسلمين على التعليم الجديد الإنجليزي فكان لايحب للمسلمين أن يشتركوا في المؤتمر الهندي القومي و يقاطعوا الإنجليز و السبب الجوهري في ذلك هو أن المسلمين كانوا يحصلون على الوظائف الحكومية و كانت اللغة الرسمية في العهد الاسلامي اللغة الفارسية و لكن الانجليز بدّلوا نظام الحكم و بدّلوا اللغة الرسمية، أولاً إنهم جعلوا اللغة الأردية لغة رسمية لمدة قليلة ثم انهم جعلوا اللغة الانجليزية لغة الحكومة و لغة الدوائر، و أن المسلمين لم يتعلموا اللغة الانجليزية فتخلفوا في الحياة و في تحصيل الوظائف و لكن الهندوس لم يتأثروا بانقلاب الحكومة لأنهم كانوا أصحاب التجارة و الدكاكين في العهد الاسلامي و لما جاء الانجليز فانهم حصلوا اللغة الإنجليزية و نالوا الوظائف الحكومية • و في هذه الخلفيّة خاف السير سيد أحمد خان أن المسلمين لو اشتركوا في كانجرس (المؤتمر الهندي القومي) لازداد تخلّف المسلمين بسبب مخالفة الانجليز •

و هذا معروف أن مولانا أبو الكلام آزاد قرأ كتب السير سيد أحمد خان و تأثر بها تأثراً عظيما و لكنه لما طالع كتب الشاه ولي اللّه الدهلوي، ذهب تأثر السير سيد أحمد خان • ثم حدث أن مولانا آزاد زار العلامة شبلي في مدينة بومبائي في حفلة و كان مولانا آزاد حديث العمر فأخذه و جاء به إلى دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ و عينه نائب رئيس التحرير لمجلة " الندوة " التي كانت تصدر عن ندوة العلماء و قد أنشأها العلامة شبلي • و قد بقي مولانا أبو الكلام آزاد لمدة ستّ سنوات في لكناؤ • و كتب مقالات كثيرة لمجلة

الندوة •

وقد أوضحت كل هذه الوقائع لكى أثبت أن مولانا آزاد أخذ النظرية السياسية من العلامة شبلى النعمانى لأنه كان مخالفاً لمسلم ليج و كان موافقاً بنظرية كانجرس و بالنزعات التى كانت مجلة الهلال تمثله فى السياسة • و كان العلامة شبلى قد أرسل العلامة سيد سليمان الندوى لكى يعمل فى مجلة "الهلال" لأن هذه المجلة كانت صوت العلامة شبلى النعمانى • و لما ظهرت الخلافات بيناساطينندوة العلماء و بين العلامة شبلى و استقال العلامة من منصبه و بدأ الطلاب الإضراب و طال الإضراب حتى مضت ستة أشهر و انغلقت دار العلوم لندوة العلماء فى هذه المدة، حينئذ نهض مولانا أبو الكلام آزاد جعل يكتب مقالةً تلو مقالة فى تائيد العلامة شبلى النعمانى حتى اجتمع العلماء والأساطين فى دلهى و صالحوا مصالحة فيما بينهم و كل ذلك حدث بسبب مقالات مولانا آزاد فى تائيداستاذه و مربيه و لو لم يكن العلامة شبلى أستاذا له بمعنى الكلمة المعروفة و لكنه كان استاذاً له فى الجوهر و الحقيقة • فإنى أريد أن أثبت العلاقات الودية القوية و الصلات القريبة الوطيدة بين العلامة شبلى و بين مولانا آزاد • و هذه العلاقة أصبحت سبباً لتأثر مولانا آزاد بنظرية العلامة شبلى النعمانى السياسية •

و هناك نكتة لطيفة لابد أن تلاحظ و هى أن العلامة شبلى كان يأبىٰ أن يقلّد أحداً و خاصةً إنه لم يقلّدالسيرسيد أحمد خان مع أنه عاش فى جواره ثمانى عشرة سنةً، فانه إتّخذ له آراء خاصةً مستقلةً و لم يأخذ شيئاً فى ذلك من نزعاتالسيرسيد أحمد خان السياسية • و هذا من العجب أن مولانا أبا الكلام آزاد الذى اعترف إنه تأثر تأثراً بالغاً من آراءالسيرسيد أحمد خان فى بدء حياته و لكنه لم يأخذ منها شيئا فيما بعد • أما العلامة شبلى فإنه خالف مسلم ليج بكل صراحة و أيدّ كانجرس(المؤتمر الهندى القومى) و كذلك نجد أن مولانا آزاد خالف مسلم ليج و انخرط فى كانجرس حتى أنْتُخبَ رئيساً له و أصبح من أعيانها و أساطينها • فهنا نستنتج أن مولانا أبا الكلام آزاد تأثر بنزعة العلامة الشبلى السياسية و ترك مسلم ليج و انخرط فى كانجرس •

و هذه المجلة " الهلال" كانت تطبع فيها المقالات خلاف الإنجليز و خلاف الحكومة و خلاف مسلم ليج • و كان مولانا آزاد يؤيد تأييداً واضحاً لنظريات كانجرس • حتى صودرت المجلة و أرسل مولانا آزاد إلى السجن • فهذه

الحقائق تثبت جيدا ان النزعة السياسية بين مولانا آزاد و بين العلامة شبلى كانت تتشابه بل هى واحدة فيما بينهما • و إن مولانا آزاد هو واحد من العلماء الذين كانت لهم صلة قريبة وطيدة به • و إننا ندّعى و نقول جهاراً أن مولانا آزاد سلك فى السياسة مسلك الإسلام و اختار سياسة الاسلام الدولية (PAN ISLAMISM) و كان العلامة شبلى قد اعتنق هذه النظرية من قبل، و ان السيد جمال الدين الأفغانى كان أوّل من تمثل هذه النزعة السياسية فى العصر الحديث • و ان مولانا آزاد عرض فكرة الاسلام السياسية ثم تدرج إلى المؤتمر الهندى القومى لأن حزب مسلم ليج كان يخالفه العلامة شبلى فلم يشترك فيه، فان مولانا آزاد جمع بين الاســــلام و السياسة و جمع بين الدين و الدنيا • و كان من صفاته انه اختار هذه النظرية السياسية فى حداثة سنة و مقتبل عمره فثبت عليها و تضحى لها حتى ماتت زوجته و كان فى السجن و لكنه لم يكتب شيئا إلى الحكومــــة و كانت الحكومة الإنجليزية تريد أن تطلقه لو طلب منها أو كتب إليهــــا • و لكن مولانا آزاد ثبت فى موقفه طول حياته • و لاشك انه فاز فى مرامه حيث ان الهند نالت الحرية و ساهم مولانا آزاد فى تطوير هذه الجمهورية العظمى فى العالم و عين أول وزير المعارف لها و بقى على هذا المنصب حتى قضى نحبه و ترك قدرة حسنة للأجيال الآتية فطوبى لمساعيــــه فى سبيل الوطن و الحرية ولخدمة الإسلام •

و إن مولانا آزاد ذكر فى كتابه " التذكرة " العلماء العظام الذين تضحّوا حياتهم لإعلاء كلمة الحق و جاهدوا جهداً جهيداً فى سبيل الحــــق و فى قمع الباطل • و إنه سلك سبيل الحسين بن على رضــــى الله عنهما و الامام أحمــــد بن حنبــــل و الامام ابن تيميه الحرانــــى و غيرهــم من العلماء الذين واجهوا الباطل بكل طاقاتهم و نشاطاتهم و ثبتوا على الحق و احتملوا المحن و المشاق فى سبيل الله و فى سبيل الحق • و هذه هى الدعوة التى قام بها مولانا أبو الكلام آزاد و اختار أن يتصادم و يتقــــاوم و يجاهد خلاف الإنجليز المستعمر و ثبت فى هذا السبيل •(١)

و قيل إن مولانا آزاد تعلّم السياسة من زعماء بنغال الذين كانوا يأتمرون خلاف الحكومة الإنجليزية و انه ساهم معهم برهة من الزمــــان و كانت هذه الحركة الثورية سرّية ثم انه انقطع منها و جعل يصدر مجلته الأسبوعية الهلال • و لعلّه أراد أن يجرّب نفس الحركة بين المسلميــــن و يحرّض عواطف المسلمين خلاف الإنجليز •(٢) و قد أعلن ان الكفــــاح

و الجهاد لاستقلال الوطن هو فرض على المسلمين هذا هو الجهاد الحقيقى، ثم أنه بعد ما تأثر الناس بأسلوبه و أسبوعيته الهلال و خطبه، أعلن لتأسيس حركة سياسية و دينية و انه لم يبين أغراض حركته و لكنه مزّج الدين بالسياسة و كتب لأول مرة فى مجلته الهلال " من أنصارى إلى اللّٰه" و قال للذين يعتقدون فى آراءه و نظرياته أن ينخرطوا فى " حزب اللّٰه " لأنه سمىّ حركته الإسلامية و السياسية باسم " حزب اللّٰه" ثم طلب منهم أن يرسلوا إليه أسماءهم و عناوينهم فأرسل إليه ثمانمائة رجل أسماءهم* و إنه سكت لشهر ثم أعلن أن استمارة خاصة قد طبعت و ترسل إلى من يطلبها و ترسل معها " رسالة الدعوة و التبليغ"* و لابد أن يلاحظ أن مولانا آزاد اختار طريقة الصوفياء للبيعة* و لم يعرف هل طبعت هذه الرسالة أم لا؟ و لكن مولانا آزاد لم يفسّر مقاصد هذه الحركة غير أنه كتب مقالة فى مجلة الهلال ٣/ ديسمبر سنة ١٩١٣م(ص : ٤١٧) عن دستور حركة حزب اللّٰه و خصائصها فقال فيها ان الآية التالية من سورة التوبة هى قطب الرحى لهذه الحركة :

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّٰهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ٥"

(سورة التوبة الآية ١١١)

أما استمارة الانخراط فى حزب اللّٰه فكانت كما يلى :

نحن أنصار اللّٰه

قُلْ إنَّ صَلَاتِىْ وَ نُسُكِىْ وَ مَحْيَاىَ وَ مَمَاتِىْ لِلّٰه رَبِّ الْعَالَمِيْنَ٥ لاَشَرِيْكَ لَه بِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَ أنَا أوَّلُ الْمُسْلِمِيْنَ٥

(القرآن ٦: ١٦٢)

الإسم .... المهنة .... العمر ....

العنوان ....

و كان الأمر قد بلغ إلى هذه المرحلة حينما قبضت الحكومة الإنجليزية على مولانا آزاد و أرسلته إلى السجن و توقفت المجلة " الهلال " من الصدور " فماتت الحركة قبل أن تولد و تنشأ(٣)

عيّن و أرسل مولانا آزاد خلفاءه إلى ولايات هندية مختلفة و أسماءهم مذكورة أدناه :

أسماء الولايات	أسماء الخلفاء
بنجاب :	مولانا عبد الله القصورى
	مولانا سيد داوُد الغزنوى
	مولانا غلام رسول مهر
سندھ :	بير سيد تراب على
اترابرديش :	عبد الرزاق مليح المليح آبادى
دلهى :	مولانا عبد الحق الفاروقى
بيهار :	مولانا أبو الـ...اسن سجاد

أما محمد أجمل خان و همايون كبير فهما ليسا من خلفائه و لكنهما كانا من أقرب الناس إليـــه و كانا من معتقديه و لكنهما لم يكونا من الخلفاء و لم يكن لهما الإجازة لأخذ البيعـــة• و كان من أهم خلفـــائه مولانا عبد الرزاق المليح آبادى• قد أرسله إلى عاصمة اترابرديش لكناؤ لأخذ البيعة له و كتب له هذا الكتاب المذكور أدناه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أخى عبد الرزاق قد بايع على يدى فهو ماذون لكى يأخذ البيعة لنفســى و أن يعلم الناس و يهديهم إلى السنّة و ان طلاب الحق الذين يبايعون على يده فكأنهم بايعونى و العاقبة للمتقين•(٤)

و كان من شروط البيعة أن يقاطع البايع الإنجليز و لايشترى المصنوعات التى جأت من انجلترا إلى الهند• و على المريدين أن يتركوا استعمال الألبسة الانجليزية تركاً باتاً و ان يختاروا الثياب التى تصنع فى الهند• كان هـــذا الشـــرط الأول لكل من يريـــد أن ينخرط فـــى هذه الجماعة•(٥)

و قد كتب الدكتور مشير الحق ان هذه الحركة كان حركة سياسيـــة و لكن مولانا أبو أبا الكلام كان يخاف لو أنه عرضها على المسلمين

كحركة سياسية محضة فلا يقبلونها فتوسّل إلى الإسلام فكانت الحركة فى الظاهر حركة دينية و لكن كانت فى الروح حركة سياسية(٦) هذه هى نظرية، لانتفق بهذه النظرية لأن مولانا آزاد لم يتخذ الدين وسيلة للسياسة بل كان الإسلام يجرى فى لحمه و دمه و روحه و حدث هذا أنه دعا الناس إلى تحرير الهند ثم انه إنضمّ فى كانجرس ثم أصبح من أهم أعضاءه لم يكن منافقاً فى أفكاره و دينه قط•

أما مسئلة امام الهند فهى مسئلة خطيرة فى حياته• و إنه كتب مقالة وحرض المسلمين على انتخاب أميرٍ فى الهند و قد عرضت هذه المسئلة للبحث فى حفلة جمعية العلماء فى لاهور سنة ١٩٢١م و لكن لم ينتخب أحد لأن العلماء لا يرضون على إمارة واحد منهم بسبب التنافس و الانانية و حدث هذا فعلاً حيث جرت الأبحاث عن مسئلة أمير المسلمين فى الهند و لكن العلماء تجنبوا من انتخاب أميرٍ لهم و لكن قال عبد الرزاق المليح آبادى ان شيخ الهند مولانا محمود حسن و مولانا عبد البارى الفرنجى محلى اعترفا الإمامة لمولانا أبى الكلام آزاد مع كل شىء ان العلماء لم يتخذوا قراراً لإنتخاب أحد منهم فى هذا الصدد و لكن الناس يكتبون هذا اللقب له و يدعون له امام الهند مولانا أبو الكلام آزاد•(٧)

الهوامش :

١- مجلة " الجامعة " الأردية دلهى الجديدة يوليو سنة ١٩٦١م، ص : ٤٥٨- ٤٦٩

٢- " استقلالنا " لمولانا آزاد ترجمة بروفيسور محمد حبيب ص : ١٥

٣- المواد عن حزب الله مستعارة من مقالة البرفيسور مشير الحق " السياسية الدينية لمولانا آزاد" مجلة " الجامعة " دلهى الجديدة، ص : ١٨٢-٤٨٨

٤- المواد مأخوذة من مقالة أبى سلمان شاهجهانفورى، "مولانا أبو الكلام آزاد و حركة نظم الجماعة " برهان " دلهى فبراير سنة ١٩٧١م، ص : ٨١-٩٣

٥- السياسة الدينية لمولانا آزاد فى مجلة " جامعة "، ص : ١٨٩-١٩١

٦- نفس المصدر :

٧- " الجامعة " ابريل ١٩٧٣م، ص : ١٩٩-٢٠٠

مولانا أبوالكلام آزاد :
الرائد فى حركة تحرير الوطن

بقلم : خورشيد مصطفى رضوى
مكتبة جامعة دلهى

مع مـرور قرن على ميـلاد القائـد البطـل المولانـــا أبو الكلام آزاد رحمه اللّه، نتوجه لإحياء ذكراه آملين ببزوغ الفجر و تقشع الظلمات التى تخيم حياتنا، خاصة جوانبها الايمانية و العملية، ذلك مع الاعتراف بما عليه أمرنا من قلة البضاعة، و بأن شأننا فيه شأن عجوز مصر التى همت أن تشترى يوسف•

لحياة المولانا آزاد ألوف من الألوان، و لكل لون مئات من الظلال يتعسر تمييز الداكن منها عن الشاحـب• ففى شخصيته تجســـــد الثبات و الصمود بجميع معانيهما، و به تعرفت الصحافة و الخطابة على انسان قدر على تسخير القلوب بقلمه و لسانه، و منه أصبحت السياسة تمثل الصدق و الحق، و هو الذى خاض العلم و الأدب و التاريخ، فلم يترك وراءه من يماثله فيه• وأخيرا فانه كان من أبطال جهاد الحرية و الاستقلال، و فى طلائع الحركة التى جعلت من ذلك الكفاح معركة بين الحـــق و الباطل، و واجبا دينيا بالنسبة للمسلمين•

لقد انضم المولانا الى الحركة الثورية فى البنغال و هو مازال فى وسط العقد الثانى من عمره، و فى السن الثامن عشر،(فى عام ١٩٠٦م) إتجه الى اخوانه فى العقيدة و الدين، يوقظهم من السبات، و يحذرهم من مناورات الاستعمار الذى سعى الى افقاد الأمة المسلمة تحمسها للتحرر، و ينبههم الى دور العملاء- من أمثال السر سيد أحمد خان- الذين خدموا الأهداف الاستعمارية بطرق و أساليب شتى كالإيحاء بأن الحكومة الانكليزية ظل اللّه فى الأرض، و أقوى سند للمسلمين فى كفاحهم ضد الهندوس لأجل استعادة الحقوق المغتصبة، و حماية وجودهم- كأقلية- من طغيان الغالبية الهندوسية، مع كون الغالبية نفسها ترزح تحت نير الاستعبـــاد،

و مع كون تلك المخاوف تناقض تعاليم الشريعة السمحاء، و تعاكس روح الدين الاسلامى الحنيف•

فى غمار هذه الأوضاع المدلهمة، نهض المولانا آزاد، و بقلمه و لسانه كسر الأصنام، و بدد الأوهام و الخرافات عن الدين و السياسة• و خروج المسلمين رافعين اعلام الجهاد ضد المستعمر و حكمه الغاشم، أتى يدل على أن غيوم اليأس قد تبددت، و على أن المولانا كان موفقا فى قيادة الأمة المسلمة و توجيهها توجيها سليما•

لم يكن المولانا آزاد من قادة طلائع جيش التحرير فى أرض شبه القارة و صانعى الهند الحديثة فقط، و انما الحركات الاصلاحية و التحريرية فى شرق العالم الاسلامى و غربه فى القارتين الآسيوية و الأفريقية أيضا تأثرت به، و بجهاده فى سبيل الاستقلال أسوة بالزعيم جمال الدين الأفغانى•

لقد استمر المولانا آزاد يكافح لحقوق الشعوب المضطهدة الرازحة تحت أغلال العبودية، مستنيرا فى ذلك من مقولة الخليفة الراشد عمر الفاروق لوال من ولاة البلدان المفتوحة :- إن الله خلق الناس أحـرارا، و لايحق لأحد أن يستعبدهم• و أفكاره تلك تجلت فى الخطب و الكتابات التى يستوحي منها قوافل الأحرار فى كافة انحاء العالم•

رغم المحاولات المستميتة لم تتمكن قوات الاستعمار المستبد من اسكات صوته، فانه أصدر مجلة " *الهلال* " فى عام ١٩١٢م و من خلالها سعى لإيقاظ أمة الإسلام من غفلتها، و على صفحاتها القراء أنشد أغنية الحرية، و لقن المسلمين دروسا فى الجهاد على أنه فريضة دينية، و ليس فقط واجبا قوميا كما هو عند الهندوس، و راح ينادى من اعماق قلبه :

" هل هناك أحد ينقذ الهند من الرجفة التى أصابها؟ هل يمكن لأحد أن يمسك بيدها و هى تتولول؟ و هل من نصير ينصرها، أو مغيث يستغيث لها• المسلم يولد، ليحيا حرا أو يموت، و التضحية و الاستشهاد من أعرق ما توارثة هذه الأمة جيلا تلو جيل و أبطال معركة الحق و الباطل هذه، يحملون رؤوسهم على أكفهم أيقن الاستسلاميون أن الضعيف دائما يخرج مهزوما فى صراعه مع القوى• لكن المولانا أصر على أن الحق قوة، بها يتمكن الضعيف من القوى و يحطم سيطرته و هيمنته• و من خلال كتاباته الثورية خلق فى قلوب المسلمين نفس الحماس الذى دفع مظلومى طرابلس للوقوف فى وجه القوى التى مثلت الضيم و الطغيان على وجه المعمورة• و ببكاءه على الشهداء الأتراك، هز نفوس الأمة من أعماقهـــا،

و أنار فيها مشاعل الثقة بالذات•

مع ظهور " *الهلال* " على مطلع السياسة الهندية، تهيأت الظروف لصدام الضعيف المظلوم بالقوى الجائرة• لكن قوات الاستبداد البريطانى سحبت الأذن بعدِ مرور سنتين فقط على صدورها، دون أن تتمكن من النيل من الحق و قدرته على الصمود فى وجه الباطـــل ..... فنهض المولانا و أصدر فى مكانها مجلة " *البلاغ* " فى عام ١٩١٥م• بيد أن وقوعه فى الأسر ثم نقله من كلكتا الى معتقل رانشى ، تسبب فى توقف " *البلاغ* " بعد ستة أشهر فقط• (تم الإفراج عنه فى شهر يناير ١٩٢٠م)•

عاشت الأمة المسلمة منهارة منهوكة القوى بسبب دعايات الموالين للحكم الانجليزى حول الاصلاح و التعليم• لكن المولانا بنى على انقاض طرابلس و بلقان، منارة، و أعلن من فوقها رسالته للجهاد فى سبيل تحرير الوطن، فأيقظ الملة الاسلامية من نومها، و نفخ فى جسدها روحا هزّ كيان الاستعمار فى أسسه•

تولى المولانا آزاد قيادة حركة التحرير الوطنية فى وقت حيث لم تكن أية جريمة أكبر من تلك الجريمة• ثم انضم الى الحركة الأخوان محمد على و شوكت على• ؤ تلاهم فى القائمة المهاتما غاندى(بعد عودته من جنوب أفريقيا)، و الزعيم جواهرلال نهرو (فى اعقاب اكمال دراساته فى انكلترا)•

فى أواسط العقد الثانى من القرن العشرين ألقى المولانا آزاد فى السجن، و إفراجه فى عام ١٩٢٠م تزامن انتهاء الحرب العالمية الأولى ... الفترة التى ابتلى بها الوطن بمحن، و شهد موجات قلق عارمة من جراء تنفيذ القوانين ضد التمرد، و التى أدت الى سقوط المئات من المواطنين فى مجزرة جليا نوالا باغ الشهيرة (ابريل عام ١٩١٩م)•

و فى الفترة نفسها أصبحت الخلافة العثمانية مثار اهتمام المسلمين أكثر من أى شىء آخر• فانهم أسوة بغيرهم من مسلمى العالم، شعروا بمرارة ما الم بتركيا نتيجة المؤامرات البريطانية و الفرنسية، و مهاجمة الإغريق على الأناضول، و وقوع مدينة اسطنبول تحت احتلال القوات البريطانية، و فرض الانتداب البريطانى على بلاد العرب• فى هذه الظروف الحرجة كانت الأمة المسلمة بأمس حاجة الى قائد يقدر على اثارة القضايا الاسلامية و العربية من موقف القوة• و بالفعل وجدوا فى شخصية المولانا آزاد من يستطيع ملأ ذلك الفراغ، و يعلن من اعماق قلبه :

" *للمسلمين تاريخ حافل بالأمجاد و البطولات• انهم*

بعثوا لكسر أغلال العبودية و الاستغلال و الاضطهاد اينما ترزح البشرية تحت نيرها• رقابهم لاتخضع للسلاسل أبدا• لهذا و لكون الاسلام دين الإقدام، يتوجب على الأمة المسلمة أن تكون فى طلائع الجهاد، و تقود الشعوب رافعة علم الحرية عاليا خفاقا"

و عن الوساوس و الأوهام التى سعى العملاء إلى خلقها فى نفوس المسلمين بهدف زحزحتهم عن طريق النضال، فقد بددها المولانا مناديا :

" لايكون للتعداد وزن فى حسابات الأمم...... و انما الطاقات تستمد من روح المعنوية و الاتحاد و الفضائل الخلقية التى يكون مصدرها الاعمال الحسنة و خشية اللّه• القلة و الكثرة اعتبارات لم يراهن عليها الاسلام فى وقت من الأوقات، و لم يكن لها وزن عند المسلمين الراسخين فى عقيدتهم و إيمانهم• فلام هذه الوساوس و تلك الأوهام؟ منذ اثنتى عشرة سنة أعدكم للجهاد، و حتى الآن لا أستطيع أن اسلم ان المؤتمر الوطنى أو أية جماعة أخرى بامكانها أن تدرأ تلك الأخطاء المفتعلة• و أياما تكن القرارات التى تتخذها هذه الجماعات اليوم بتأمين حقوق المسلمين، المكسب الحقيقى لأمة أو طائفة سيكون فى نهاية الأمر، ما تحققه بعزيمتها و ثباتها على الحق• و ذلك لايعنى اننى أوافق على أن الأمة المسلمة يمكن لها أن تواصل المسيرة فى ظلام الريب و الخلافات• و انما الايمان هو النور الذى ينير الطريق و يهدى الى سواء الصراط• - نورهم يسعى بين أيديهم و إيمانهم"

ابان ظهور قضية الخلافة الاسلامية، بادر المهاتما غاندى للاعلان بأن الهندوس على استعداد للوقوف الى جانب إخوانهم المسلمين اذا لم يتم حل مشكلة الخلافة وفق مرضياتهم• مما أسفر عن ظهور لجان الخلافة فى كافة انحاء البلاد، و انضمام الهندوس و قادتهم الى نضال المسلمين فى جميع مراحله• فى نفس الفترة قابل وفد للمسلمين بقيادة المولانا آزاد الحاكم الانكليزى، و أنذره بالعصيان لو لم تقم الحكومة البريطانية بتنفيذ

مطالب الأمة الاسلامية حول الخلافة•

فى أغسطس ١٩٣٠م تيقظ الشعب الهندى بكافة طوائفه و ملله، فعقدت الاجتماعات العامة، و أقسم المواطنون بتضحية كل غال و ثمين فى سبيل الوطن• و المهاتما غاندى بدوره أعلن مشاركته فى الحركة بارجاع الأوسمة و الخطابات الى الحكومة، و فى كتاب بعث به الى الحاكم الانكليزى بتلك المناسبة ذكر أن تلك الأوسمة و الخطابات، غدت بدون قيمة بسبب التعديات التى يبررهـا الاستعمار البريطانـــى ضد الإخوة المسلمين• و فى نفس الفترة دعا المهاتما الأمة الهندية للعصيان المدنى الذى كان المولانا آزاد اقترح باللجوء اليه فى مجلة " الهلال " و قد أفتى بذلك ٥٠٠ من العلماء المسلمين الذين اختلفوا عن غيرهم من علماء العالم الاسلامى، و بجانب انشغالهم فى أمور الدين، شاركوا فى الجهـــــاد و الحركات السياسية أيضا• و فى طليعة هؤلاء العلماء كان المولانا آزاد الذى لقب بـ " *إمام الهند* " فى عام ١٩٢١م، و تحدث عنه شيخ الهند المولانا محمود حســن، فقال انه ذكّر العلماء واجبهم المنسى• هذا الصوت قرع الآذان، و وصل دويه الى كل زاوية من زوايا الوطن النائيـــة، و استجابة له خرج ألوف من الأبطال و هم على استـعداد لفداء أنفسهم فى سبيل الوطن• و من بينهم كان القائد البطل جاى براكاش نراين، الذى اتجه بقيادة قوافل الحرية بعد أن اطلع على أفكار المولانا آزاد من خلال خطاباته•

فى خضم هذه الوقائع نهض المولانا آزاد، إماما لقافلة الحرية، فأعلن أنه يتوجب على كل هندى يحب وطنه العمل على احباط المخططات لتهريب أموال البلاد، و استخدامها لمدّ غطرسة الاستعمار• و قال ان الهندوس كفاحهم يهدف الى كسب الاستقلال لبلدهم- الهند، بينما المشاركة الاسلامية فى هذا الكفاح موجهة الى تحرير أرض الاسلام من مشارقها الى مغاربها، و الى التخلص من براثن الاستعمار البريطانى الذى لايهمه عدا النيل من شرف الاسلام، و تشويه تاريخه المجيد الممتد على ١٣ قرنا•

و أضاف المولانا " بأن الهند بمثابة مركز الانطلاق بالنسبة للمستعمر، و من هنا تنفذ المخططات الاجراميـــة ضد المسلميـــــن فى سمرنا و الباسفورس، و الشام و فلسطين•

هذه الانتفاضة بلغت أشدها عندما أصدر المشاركون فى اجتماع بومباى

بيانا جاء فيه :

" نغتنم هذه الفرصة للاعلان بأن كل مواطن، جندى فى الجيش الوطنى، اذا ما يرفض الخدمة لنظام أوقع البلاد فى الذل و الهوان سياسيا و اقتصاديا و خلقيا، و استعمل الجيش(الهندى) لقمع الحركات الوطنية، و به هاجم مصر و تركيا و البلدان العربية، و قضى على استقلالها، رغم انها لم تضر مصالح البريطانيين فى الهند بأى وجه من الوجوه• و من واجب كل موظف حكومى ـ مدنيا كان أو عسكريا ـ أن يقطع صلاته مع هذا النظام"

و من أبرز القادة الوطنيين الذين وقعوا ذلك البيان، كان المهاتما غاندى، المولانا آزاد، الحكيم أجمل خان، لالا لاجبت راى، موتى لال نهرو، سروجنى نايدو، عباس طيب جى، راج غوبال أشاريا، الدكتور راجيندر براشاد، الدكتور أنصارى، مولانا حسرت موهانى، رام داس دولت رام•

بصدور هذا البيان بادر آلاف من الطلاب فى كافة أنحاء البلاد للانضمام الى حركة الاستقلال بعد مهاجرة المدارس و الجامعات، و فى مقدمتهم كان طلاب الجامعة الملية الاسلامية و قائدهم الدكتور ذاكر حسين (رئيس جمهورية الهند الثالث)• هذه التطورات أتت متزامنة مع اعلان العلماء بأن الهند دار الحرب، و مهاجرة ثمانية عشر ألف منهم الهند الى بلدان أخرى رافضين الخضوع للاستعمار البريطانى•

فى هذه المرحلة من الكفاح كان المهاتما غاندى و المولانا آزاد يقودان حركة التحرير من موقف نضالى فذة،و عندما ألقت سلطات الحكم البريطانى القبض على المولانا آزاد، انه رفض التعاون مع الاستعمار قائلا :

" لا يمكننى أن أكون من حماة هذا النظام و مؤيدى فكرة استمراره و الحال أننى أراه نظاما جائراً "

لقد تولى المولانا آزاد قيادة حركة التحرير بعد انتخابه رئيسا للمؤتمر الوطنى الهندى فى عام ١٩٢٣م• و تعليقا على قيادته فى تلك الفترة من الزمن قال أشاريا كيربيلانى :

" كلما تعرضت المنظمة (المؤتمر الوطنى الهندى) لمشاكل الانقسام و التشتت، تقدم المولانا قبل غيره، فرأب الصدع و صان المنظمة من الانشقاق على

نفسها، وأعاد توحيدها وتنظيمها من جديد• وكثير من الشواهد تبرهن بأن المولانا قاد الأمة قيادة سليمة "

حركة الخلافــــة الاسلاميـــــة فى الهند انتهت بنهايتها فى تركيا فى ٣/ مارس ١٩٢٤م حيث أعلنها مصطفى كمال باشا دولة علمانية• لكن الحركة قد أوجدت فى نفوس المسلمين حماسا، والمتهم بمكامن القدرات التى تستطيع أن تصنع المعجزات اذا ما توحدت كلمتهم مع الغير من الطوائف والجاليات الأخرى• بذلك الطريق أصبحت حركة الخلافة حضنا تنشأ وتنمو بين جنباته الحركة التى نعرفها بحركة استقلال الهند• ودور حركة الخلافة هذا قد تناوله المهاتما غاندى فى جريدة " *ينغ انديا* " قائلا :

" *لوكنت نبيا أعرف مسبقا ماسيؤل إليه حركة الخلافة، لانضممت اليها، وأسهمت فيها بنشاط وتحمس أشد، فالحقيقة أن الفضل فى تيقظ الشعب يعود الى هذه الحركة* "

بيد أن الصحوة العامة هذه أتت مقرونة مع نزعات طائفية خطرة لاقصاه، والتى استمرت فى نمو مشئوم خلال السنوات التى تلت انتهاء حركة الخلافة• فقد كان الاستعمار يتطلع لأية فرصة سانحة لتحويل مسار الظروف، ويدبر من وراء الكواليس مخططات لاثارة الخلافات بين مختلف الطوائف• من جانب جرت المحاولات لإغراء حلفاء الاستعمار من بين الهندوس على ارجاع المسلمين إلى ديانتهم الأم (الهندوسية) التى تخلوا عنها اثناء فترة حكم المسلمين، ومن جانب آخر شجع الاستعمار مواليه المسلمين على تكثيف نشاطات الدعوة، وجلب أكبر عدد ممكن من الهندوس الى الاسلام• وفى نفس المرحلة بادرت السلطات الى الإفراج عن أحد قادة الهندوس الذى شن حركة لتهنيد المسلمين بعد إجراء لقاء مع الحاكـــم الانجليــــزى• وفى الفترة ذاتها تولدت المنظمة الهندوسية (آر- أس- أس•) التى اشتهرت بأفكارها الرجعية اليمينية المتطرفة• هذه العناصـــر دبرت الاضطرابات الطائفيـــــة بين الهندوس والمسلمين فى عدة مناطق، وتمكنت حتى من زرع بذور الخلاف فى صفوف القيادة الوطنيـــة، وضرب أهداف الحرية والاستقلال عرض الحائط•

فى خضم هذه التطورات استمر المولانا آزاد والمهاتما غاندى وغيرهما

من القادة الوطنيين يحذرون من أخطار الطائفية و لكن بدون جدوى• فالعناصر من اليمين الرجعي غدت تشجع على التفرقة و التوتر، و بتحفيز الانجليز تلقى كلمات تثير شكوكا فى نفوس عامة المسلمين• و القيادات الاسلامية الطائفية بدورهـا استغلت تلك المخاوف لاثارة الكراهيـة• و القادة من أمثال المولانا آزاد تعرضوا لانتقادات و تساؤلات، وَوُجّهوا بانواع من المطالب و الشكوك خاصة حول الحركة التى تمثلت فى منظمة المؤتمر الوطنى• و بالرغم منه فان المولانا آزاد راح يقول للمسلمين :

" هل يتصور أن يكون المسلم بضاعة تباع و تشترى فى سوق السياسة مقابل إزالة شكوك و أوهام، لا سيما و الحال أن أجداده اشتروا قسمات الأمم فى السوق ذاتها• ألا يوجد فينا من يقدر على منع هذه المزايدة البزيئة، و احباط تلك المحاولات الرخيصة اذا لم يكن بامكانه شراء همم الشعوب بثمن مطالب"

" العالم كله يعترف بالدور الذى لعبته الأمة المسلمة على مدى ثلاثة عشر قرنا• فهل من اهانة أكبر من أن تتوجه الأمة نفسها الى المؤتمر الوطنى أو غيره من المنظمات السياسية، فتقول ان انضمامها الى الحركة الوطنية مرهون بازالة الريب المفتعلة• الحقيقة أن الأمم تحافظ على حقوقها بالاعتماد على النفس بدلا من الشكوك أو المخاوف"

" المشاكل الخلافية بينى و بين القادة الآخرين، ناشئة عن خلافنا على بناء مستقبل الأمة أن يكون على أسس الايمان و العزم أو على التشكيك و الخوف"

لكن هذه النداءات لم تجد اسماعا صاغية بين أذناب المسلمين الذين تصوروا أن استقلالية الأمة المسلمة عن غيرها من الطوائف و الجاليات الهندية مرهونة بالانفصال التام، و طالبوا فى نهاية المطاف بتقسيم البلاد كاعتراف منهم بأن الاسلام فى شبه القارة أخفق فى استلطاف الآخريـن، و همّ أتباعه الوحيد هو تقسيم الأرض، و إيصال القادة الى عرش الحكومة ليكونوا دمى فى أيادى قوات الاستبداد البريطانى•

الأحداث التالية أتت وفق المخطط الاستعمارى، فتحققت أمانى أعداء الدين و البلد، و تهيأ الجو للتفرقة و الاضطراب و الانقسام، و أثمرت الشجرة التى غرسها ولاة الحكم الانجليزى بالتأمر مع أذنابهم المحليين منذ خمسين سنة•

قام حزب المؤتمر الوطنى باعادة انتخاب المولانا آزاد رئيسا له فى اجتماع رام جره عام ١٩٤٠م• و بتلك المناسبـــة خاطب المولانا الاجتماع قائلا :

" منذ بزوغ فجر التاريخ قدر لأرض الهند أن تكون مهدا لديانات و حضارات متنوعة و جاليات و اعراق مختلفة• هذه الأرض استقبلت قوافل الواردين برحابة الصدر، و احتضنت الشعوب على اختلاف أجناسهـــا• و قوافل المسلمين كانت آخر حلقة فى سلسلة القوافل التى اتجهت اليها و اتخذت منها مستقرا لها، تولت قوافل المسلمين على عاتقها اعادة بناء هذا البلـــد، وسخت بجميع ما حملته من قيم و فنون، و على رأسها الدين الاسلامى الحنيف، و رسالته السماوية التى كانت أرض هذا البلد بأمس حاجة اليها "

" فى كفاحنا هذا (ضد تقسيم البلاد على الأسس الدينية) نرى وجه الاستعمار بنفس القدر من الوضوح الذى رأيناه فى كفاحنا السابق• و لكننا لانود أن نقف إلى جانبه فى انتصاراته، أو نشد ازره فى تمديد فترة الاستعباد"

ثم توجه إلى المسلمين يناديهم :

" ليت الأمة المسلمة لندائى فى عام ١٩١٢م، لكن ابناء ذات الأمة يعارضوننى الآن فى أفكارى و آرائى• ليس من همّى أن أوجه اليهم اللوم على ذلك، بيد أننى أود أن أقول و بكل صراحة ان الموضوع- الاختيار بين التقسيم و الوحدة- يرتبط بمصير الشعب والوطن، و لايجوز أن نبت فيه من منطلق عاطفـــى• و للعلم بأن مثل هـــذه القرارات لايمكن اتخاذهـــا و الغاءها كيفما نشاء، فمن المفروض أن نتأسس من

أول الأمر على الحقائق البحتة• و مع الاعتراف بأن الجو مغبر، أدعوكم للعمل على اجلاء الغيار، و النظر فى الموضوع بجميع الجوانب قبل اتخاذ قرار نهائى"

للمرة الثانية القى المولانا آزاد مع عدد من رفاقه فى درب الكفاح فى السجن عند ما تولى قيادة الحركة التى طالبت الانجليز بمغادرة الهند فى عام ١٩٤٢م• و لما طرحت الاقتراحات حول استقلال الوطن عن الحكم الأجنبى للنقاش فى عام ١٩٤٥م، ارتمى عملاء الاستعمار فى أحضان مستعبديهم، يتضرعون اليهم بتقسيم البـــلاد إلى دولتيـــن لا إسلامية و هندوسية لكى يتسنى لهم العيش فى مأمن بعد مهاجرة الملاك الانجليز الى بلدهم•

فى هذا الاثناء استمرت المباحثات بين الجهات الوطنية وسلطة الحكم البريطانى المتمثلة بلجنتى كريبس و كابينت حول الاستقلال التام عن بريطانيا• و فى وجه تزايد القوى الطائفية اصرارا على مطالبها الانقسامية، عرض المولانا آزاد خطة لتأمين حماية حقوق المسلمين اذا ما وافق قادتهم على معايشة الهندوس فى بلد موحد، و لكن بدون جدوى• وفى نهاية الأمر تمزقت البلاد الى كيانين، بعد أن أعطى الزعماء حتى من أمثال المهاتما غاندى موافقتهم على ذلك بحجة أنه لايمكن منع إراقة الدماء الا بذلك الطريق• و لشدّ ما كان الشعور باليأس و خيبة الأمل عند المولانا آزاد وقتما وجد أنه و زملاءه من القادة الوطنيين- مثل المولانا حسين أحمد المدنى، و خان عبد الغفار خان و المولانا حفظ الرحمان- فشلوا فى احباط مخطط التقسيم•

لقد كان داهية الاستعمار البريطانى زرع نفس البذر فى قلب فلسطين، و وزعها بين اليهود و العرب تاركا وراءه الويلات التى لازالت شعوب المنطقة تعيش تحت نيرها•

بعد هروب صانعى مخطط التقسيم الى قطعة أرض وهبها الاستعمار مقابل خدماتهم، ضاقت أرض الهند على المسلمين رغم رحابتها، و فى ١٥ أغسطس- يوم استقلت الهند عن حكم الاستعمار- غدوا يتهمون فى أرضهم و أرض أجدادهم بالخيانة و الغدر• ثم أتت سلسلة من المجازر الرهيبة التى لم تصن منها حتى العاصمة، و فى وجهها لاذ ألوف منهم بالفرار تحت ستار الهجرة• فى هذه الظروف العصيبة وقف المولانا آزاد يخاطب المسلمين من منبر جامع دلهى قائلا :

" أشتكى اليكم مما لاقيته من معاملة الجفاء•
أحاسيس جريحة و قلب ممزق• انظروا فى أمركم•
أين وصل بكم الطريق الذى اتخذتموه لأنفسكم؟•
أعود فأقول من جديد• اتركوا التشكيك و التردد،
أنفضوا عنكم الكسل و التوانى• و انظروا الى منارة
هذا المسجد، انها تتساءل عن أوراق تاريخكم أين
فقدتم إياها• هذه النقوش و الزخارف الزاهية ذكريات
ماضينا المجيد- أتت بها قوافل أجدادكم الى أرض
هذا البلد• لاتنسوا إياها و لاتنبذوا بها نبذا•
تمسكوا بها ورثة لها• تعالوا نتعاهد أن هذا البلد،
بلدنا، و بدوننا لن تكتمل مسيرته نحو المستقبل"

بعد الاستقلال استنار الوطن بأفكار أبى الكلام، و بخدماته الجليلة حصل على مكانة العز بين الشعوب، و فى ظل قيادته واصلت القوافل الوطنية زحفها على طرق الانجازات، و بلغت ذروتها• انه صنع مجد الهند الحديثة العلمانيـــة، و كان آخر من تحدث عن ضمير آسيا بعد الزعيم جمال الدين الأفغانى، و آخر من تجسدت فى شخصه بصيـــرة ابن تيمية و حركة ولى الله و عظمة مجدد الألف الثانى الشيخ أحمد السرهندى• انه نفخ صورا قامت به القيامة، و كسر الأصنام الزائفة التى ظلت تعبد على مدى المئات من السنين• انه هو أبو الكلام آزاد الذى لايكفى العمر للكتابة عن شخصيته الممثلة بدوره القيادى أروع تمثيل•

تعريب : راشد على

فردية مولانا أبى الكلام آزاد

بقلم : السيد شهاب الدين الدسنوى
عميد كلية صابو صديق بومبائى سابقاً

الفراغ من تعلم الفارسية فى السنة الثالثة عشرة من العمر و تكميل مناهج التعليم النظامى فى السنة الرابعة عشرة من عمره و رئاسة تحرير مجلة " *لسان الصدق* " الغراء فى السنة الخامسة عشرة من العمر ثم العمل كمدير تحرير مجلة " *الندوة* " الشهرية على إيماء العلامة شبلى النعمانى و إلقاء الخطبة أمام ألوف من الناس فى إجتماع عقدته جمعية حماية الإسلام بلاهور أيام شبابه بحيث يسحر المستمعين و الحضور و فى السنة الرابعة و العشرين من عمره إصدار مجلة " *الهلال* " التى بلغت شعبيتها فى عدة أشهر إلى خمسة و عشرين ألف مشترك كل هذه الخصائص كانت توجد فى تلك الشخصية المحيرة للعقول التى كانت تدعى أبى الكلام آزاد و التى قال عنها العلامة شبلى مخاطبا إياها بالذات :

" إن ذهنك من عجائب الزمان، ينبغى أن تعرض أنت
و تقدم فى معرض عملى كأعجوبة"

ألحق أن القادر الخلاق أظهر فى تشكيل أجزاء شخصية العلامة أبى الكلام سخاءاً بالغاً و غير عادى حيث وهبه ذهنا و ذكاءاً و ذاكرة تليق بها و بقدر لايوجد له مثال إرتفع بفضلها إلى مستوى العبقرى و لإظهار هذه العبقرية تولدت فى طبيعته انفرادية غير محدودة• انفرادية لايكاد يوجد لها مثال• يعبر بعض من درس حياة و مآثر مولانا أبى الكلام آزاد بامعان النظر عن انفراديته هذه بكلمة " *الأنانية* " و البعض الآخر "*بالايغو*" و بعضهم "*بالاجتهاد*" و بعضهم يقولون بأنها "*الاعتماد الذاتى*" و البعض يقولون بأنها "*ثورية*" • و الحق أن انفراديته أو فرديته

كانت تشمل جميع هذه المميزات• نستهدف فى هذا المقال الوجيز البحث عن هذه الفردية فى العلامة أبى الكلام آزاد•

لقد كتب مولانا آزاد فى " *التذكرة* " و " *غبار الخاطر* " و هما من أهم مؤلفاته كل ما كان يريد أن يخبرنا عن نفسه و لكن الامكانات الكثيرة الموجودة فيه لم تستطع أن تظهر أمام العالم على حسب قول الباحـــث و العالم الباكستانى غلام رسول مهر الذى كان على علاقة ودية خاصة معه• إن الفردية تختص بكل طبيعة إلى حدما و لكن نموها مثل المحسوسات المعنوية تكون له أنواع مختلفة فى أحوال شتى كما يصح أيضا أن الانفرادية التى تظهر فى شكل الأنانية تعكس صورتها فى المرآة الداخلية لكل فرد و إن الصورة التى تنعكس فى مرآة بعض الناس يبدو وجودها كبيرة و لكن تبدو هذه الصورة بالذات فى مراء الخارج معاكسة يعنى أن هذه الصورة تبدو أصغر فأصغـــر• يعبر مولانا آزاد عن هذه الحقيقـــة بكلمـــات أخرى هكذا :

" *إن الأنا الذى يكون ذا أهمية كبيرة لشخص يصبح*
نفس الأنا فى أنظار الآخرين بدون أهمية "

إن نوعا من إظهار الأنانية هو الذى يقدم فيه شخص " أنانيته " على شكل معرض أمام الآخرين بدون تكلف و الذى يفهم فيه شخص أنانيته عظيمة جدا غير أنها تكون صغيرة جدا فى أنظار الآخرين و لكن العالم لايستطيع مع ذلك أن ينكر قبوليته لدى القلوب و أن العالم لا تتوفر له مهلة ليقيس مقدار أنانيته:

و النوع الثالث للأنانية عند مولانا أبى الكلام آزاد هو الذى لايكون قدره إضافيا و لكن يكون من النوع العام• يعنى أن أنانية مثل هذه الشخصيات تبدو كبيرة عند الآخرين بقدر كبرها فى الظاهر• إن أشخاصا كهؤلاء لايمكن وزنهم فى الموازين العامة للفكر و الرؤية• يضطر العالم إلى أن يعترف بحقهم فى أن يلفظوا كلمة " أنا " متى شاءوا و حيث شاءوا فإن كل " أنا " من جانبهم يكون أحسن وقعاً فى القلوب من كل " هو " و " أنتم " من جانبهم" •

(غبار الخاطر)

إن أنانية مولانا آزاد يمكن أن توضع فى هذه الخلية الثالثة للفردية أو الانفرادية• و برهانه يوجد بكثرة و وفرة فى كل جانب من حياته خصوصا فى مؤلفتيه " *التذكرة* " و " *غبار الخاطر* " •

" *غبار الخاطر* " هو المؤلف الذى كتبه مولانا آزاد أيام حركة الاستقلال

عندما كان محبوسا فى قلعة أحمد نجر و توفرت له الخلوة و الهدوء و هو فى شكل الرسائل التى لم ترسل إلى مخاطبيها • لقد إتخذ فى هذا المؤلف أسلوبا فريداً و سلّط الأضواء على حياته و على الجوانب المختلفة لفكره و نظره •

تربى مولانا آزاد فى أسرة كانت متدينة و تؤمن بتقاليد و قيم الزوايا و الخانقاه • فكانت العزة و الشهرة تنتظرانه لتقبلا قدميه فى هذه البيئة كانت طائفة كبيرة من أتباع والده المحترم تريد أن تكرم نجل مرشده الروحى و تحله محل الإجلال و الاحترام و كانت تتمنى أن يخلف هذا النجل والده المرشد الكريم و لكن نفسية مولانا آزاد المنفردة كانت متضائقة من هذه البيئة • إن ذهنه الموهوب و ذكاءه المنقطع النظير و عبقريته كانت تريد أن تبحث عن تحديات سبل الحياة و العقل و الفكر • إنه تجنب عن إرثه العائلى بل و بغى منه • و برزت فرديته فصار مشغولا فى البحث عن العقيدة الواقعية لا العقيدة التقليدية • و تعرضت عقيدته التقلدية للاضطراب الأول • طرأت هذه الحالة عليه عندما كان يبلغ من العمر خمسة عشر عاما فقط ! إنه يعترف بذلك حيث يقول :

> *" إن جميع الأسس التى أرستها الأسرة و العائلة و التعليم و التربية و البيئة و الظروف كلها تزعزعت و انهارت مرة واحدة ثم حان الوقت الذى هدمت فيه هذا الجدار المتزلزل بيدى و بنيت جدرانا جديدة مكانها "* (غبار الخاطر)

و لما تحرر هو من القيد التقليدى و الوراثى أضاف إلى إسمه " محى الدين أبو الكلام " لقب آزاد الذى يعنى " الحر " كانت خطوة مولانا أبى الكلام آزاد هذه فى الهند المحبة للقدم و القديم و التى يعتبر فيها المثل و التقاليد أصل الإيمان خطوة مليئة بالجرأة و الإرادة الكبيرة • ماذا عمل لصياغة عقيدته فى قالب جديد يكتب عن هذا قائلا :

> *" إلى أى طريق إنطلقت، إبتعدت فيها عن منازل الوقت إلى حد بعيد حتى أننى لما التفت إليها و نظرت ملويا رأسى، ماوجدت شيئا سوى غبار الطريق و هذا الغبار أيضا كان قد أثارته سرعة سيرى • نفطت اخماص قدمى بهذه السرعة و لكن لاعجب إذا كانت بعض الكناسة و التبن قد أزيلت*

أيضا"

كانت إنفرادية طبيعته قد أوصلته إلى مكان عال فى البحث عن الطريق يذكر عن ذلك فى رسالة له بهذه الكلمات :

" إن أية حالة عشتها، عاش قلبى بعيدا عن النقص وعدم الكمال و تجنبت عادة التقليد• أينما كنت و فى أى لون عشت، لم أبحث عن أثر أى شخص آخر• بحثت عن طريقى بنفسى و خلفت أثرا لغيرى• و إذا كنت فى عالم الخلاعة و الحرص و الهوس فلم أترك هذا العالم أيضا ناقصاً• و إذا غشينى عالم انكار الذات فى الهيام فلم تكن قدماى جاهلتين فى واد أو زاوية من هذا العالم"

قمت بأداء عمل سنة فى لحظات.و ثوان كما قال الشاعر :

" كانت هناك-أشغال كثيرة فى العشق و الهيام
و لكننا نحن يامير فرغنا من القيام بها بسرعة"

و الآن أى طراز و لون تعيش، نتمنى لهما الكمال ها هنا أيضا•

(التذكرة)

إن أمنية الكمال توجد لدى الجميع و لكن القدرة الالهية لاتختار إلا الأفراد القلائل ليكملوا و يحققوا أمانيهم• و لاشك أن مولانا أبى الكلام آزاد كان أحد هؤلاء الأفراد القلائل• لذا لما انقلب الزمان به عادت قدماه إلى الصراط المستقيم بنفس السرعة التى اختارتاها بطريق الغواية إنه يبين هذا الاتجاه الفريد لحياته كمايلى :

إن اليد التى كانت قد جذبتنى من حضن الزمن أرشدتنى و هدتنى آخر الأمر إلى الصواب من جميع غواياتى و فى جميع متاهاتى• و لو أننى واجهت عثرات فى كل خطوة من خطواتى و اضطررت أن أشتبتك مع العوائق و الموانع فى كل مكان و لكن الطلب قادنى دائما إلى الأمام و لم تقبل طبيعة التفحص فىّ أبدا أن تقف فى المدارج المتوسطة و أن تستريح• و استرحت آخر الأمر فى وقت كان المنزل المطلوب قد لاح أمام العين و كانت العين الراغبة و المتمنية تستنير بغبار الطريق الموجود فيه•

فى السنة الرابعة العشرين عندما تبدأ فى الناس نشوة و سكر حياة الشباب و يبدأون التمتع بها كنت قد أتممت سفرى و بحثى عن الأماكن و المواضع المقفرة و قد بدأت اجتنى الأشواك من أخمص قدمى• كانت سيرتى فى هذه الحالة أيضا معاكسة للزمن• ففى تلك المرحلة من الحياة التى يشمر فيها الناس عن ساق الجد كنت قد وضعت عن نفسى أثقال هذا الجد و استعد للراحة و الإستجمام"

(غبار الخاطر)

ليس هذا المقتبس نموذجا لأسلوب كتابة مولانا آزاد السامى و المنفرد الذى انتهى به فحسب بل هو مرآة لمحاسبة النفس التى يشاهد فيها مثال غير عادى للجرأة و الشجاعة الكلامية• إن الغلبة و السيطرة على الذات و الطبيعة الإنسانية ثم تلوينهما حسب مرضيات النفس لا تتحقق إلا لتلك النفوس التى وهبها الله من القوة و الإرادة ما لاتحصى• و هذه هى القوة التى ظل مولانا آزاد يستخدمها طوال حياته•

سلم مولانا علبة السجائر المليئة إلى السجّان الموجود على باب سجن أحمد نجر خلال حركة الاستقلال فى عام ١٩٤٢م و تجنب تدخين السجائر تجنبا كاملا و لم يطلب السجائر لثلاثة أعوام أى حتى وقت اطلاق سراحه• لم يكن ذلك إلا بفضل تلك القوة الإرادية• فلما أطلق سراحه أخذ من يد السجان نفسه أول سيجارة و أشعلها يدخن كما أنه لم يحدث أى انقطاع فى دأبه و عادته•

لقد ساعدته قوة ذاكرته الطبيعية و المنفردة كثيرا فى إيصاله إلى منزلته السامية العلمية التى كان يتمتع بها مولانا آزاد فى الأوساط العلمية و الأدبية• فقد كتب الأديب الشهير نياز الفتحبورى أن محادثة جرت ذات مرة عن الفلاسفة المسلمين جاء خلالها ذكر مؤلفات ابن طفيل و ذكر من ضمنها مؤلفه المشهور " حى بن يقظان " فسرد مولانا آزاد قصته الكاملة فى جلسة واحدة كأنها كانت محفوظة فى ذاكرته طبقا لما ورد فى هذا الكتاب•

صحب الزعيم السياسى الشهير الدكتور السيد محمود مولانا أبا الكلام آزاد فى قلعة أحمد نجر أيام حركة الإستقلال، يقول الدكتور السيد محمود أن مولانا ذكر ذات يوم عن لقاء كان قد تم بينهما قبل ستة و عشرين عاما

و أعاد جميع ما دار من محادثات فى تلك اللقاء بالتفاصيل و الذى أدهشنى كثيرا هو أنه لم يكن يتذكر هذا اللقاء فحسب بل و يتذكر أحداثا أخرى وقعت بعد ذلك و لمحات كانت ذكرياتها قد امحت تماما عن ذاكرتنا لكنها كانت محفوظة و مضبوطة لديه كما أنها وقعت أمس فقط.

يقول مولانا آزاد بنفسه :

" *لما كنت أبلغ السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من العمر كنت قد حفظت الفقه الأكبر و التهذيب و خلاصة كيلانى وغيرها من الكتب عن ظهر القلب و أن متون هذه الكتب محفوظة فى ذاكرتى كلمة فكلمة حتى يومنا هذا* " (غبار الخاطر)

لقد صوّر مفسر القرآن و كاتب الأردو الشهير مولانا عبد الماجد الدريابادى ذاكرة مولانا آزاد تصويرا دقيقا و صادقا حيث يكتب :

" *كم من خزائن للعلوم و الفنون العديدة كانت قد اجتمعت فى الذاكرة لايعلمها إلا الله . كل هذه العلوم و الفنون كانت تحت إرادته يحضرها حيث يشاء و متى يشاء. سواء كان الموضوع موضوع الطب أو اللاهوت. موضوع الفقه كان أو الكلام أو كان موضوع الشعر و الأدب أو الموسيقى. تاريخاً كان أم سياسة أيا كان الموضوع و أيا كان الفن. كان هذا الموضوع أو الفن يحتاج إلى من يثيره و يطرحه للنقاش. فكان يبدو أنه ليس أمامنا عالم عادى بالموضوع أو الفن بل هو خبير هذا الموضوع. فكان يحاضر حول ذلك الموضوع المطروح و كانت محاضرته ممتعة و منسقة و مليئة بالفصاحة و البلاغة معا. كانت ذاكرته عجيبة للغاية. و كان ذكائه محيرا و مدهشا للعقل و النفس معا* "

(جريدة " *الصدق* " الأسبوعية)

أصدر مولانا آزاد فى السنة الرابعة و العشرين من عمره مجلة " الهلال" الأسبوعية. كانت صورة و سلوك هذه المجلة تنم عن انفرادية مولانا آزاد وفرت هذه المجلة لعالم الصحافة منعطفا جديدا تماما. فقد كتب الراحل جواهر لال نهرو أن إمتياز مجلة الهلال و ميزتها البارزة كانت فى لغتها

الجديدة و نظرة رئيس تحريرها العميقة فى العلوم الاسلامية•

كان مولانا آزاد يحس بنفسه وقت كتابته المقالات لهذه المجلة أن البحوث الإجتماعية و الفلسفية التى يتناولها قلمـــه تحتاج إلى أسلوب و طراز جديدين للكتابة و الإنشاء•

لم تسمح الظروف لمولانا آزاد أن يبقى فى عالم الصحافة لمدة مديدة لأن الحكومة البريطانية اعتقلته فزعة من تصريحاته و كتاباته الملتهبة على صفحـات مجلة " الهلال " أرغمتـه الحكومة على الإقامة الاجبارية فى مدينة رانشى لمدة أربع سنوات و خلال هذه المدة وضع مولانا مؤلفه الممتاز و الرائع " ترجمان القرآن " يكتب مولانا آزاد عن الدراسة العميقة التى كانت وراء هذا المؤلف مايلى :

" لقد ظل القرآن موضوع تفكيرى و دراستى ليل نهار و لقد بذلت غاية جهدى فى فهم هذا الكتاب العظيم فى فهم سوره سورة فسورة و آياته آية فآية و كلماته كلمة فكلمة و موضوعاته موضوعا فموضوعاً ـ كلها على انفراد و بالتفصيل• و قد تحملت الشدائد الكثيرة فى فهمه كأننى قطعت وديانا و مررت بمراحل عديدة• تناولت جميع مواضيع القرآن و كلماته و لم أهمل أية ناحية من هذه النواحى و أية كلمة من الكلمات القرآنية بفضل اليقظة و الوعى العقلى و بفضل التفحص و الاستيعاب الدراسى" (ترجمان القرآن)

ثم يقول فى مجلة البلاغ :

" لو قلت ...... إن الهداية إلى حقائق القرآن و معارفه لفضل و منة خاصة من عند الله و قد اختار الله تعالى هذا العبد الفقير البائس القلب لكشف معانيه و علومه لصدقت حقا" (مجلة البـــلاغ)

و أى مثال يكون أحسن من هذا لأنانية مولانا أبى الكلام آزاد و هذا هو السبب الذى راعاه العلامة السيد سليمان الندوى عندما وصف شخصية مولانا أبى الكلام آزاد من حيث المجموع بالكلمات التالية :

" إن أمرى يلتبس علىّ إذ أنا أكتب هذه الأسطر هل أنا أكتب سير و مآثر ابن تيمية و ابن القيم أو شمس الأئمة السرخسى و أمية بن عبد العزيز الاندلسى

رحمهم الله جميعاً "

إن المجلات العلمية مثل مجلة " *لسان الصدق* " و مجلة " *الهلال* " و مجلة البلاغ و " *الرسالة* " و نشر سيرته الذاتية بقلمه فى مؤلف " *غبار الخاطر* " و " *التذكرة* " كلها كانت من الأشياء البديعة النادرة فى الأردو لم يحصل له هذا الابداع إلا بفضل قدرته الفائقة و الكاملة على الكلام و أساليبه كما أشار إليه المفكر الشهير الدكتور السيد عابد حسين :

> " *إن جانباً مهما لإنفرادية مولانا أبى الكلام آزاد كان أسلوبه الخطابى • فإنه اختار لكتاباته و خطبه نفس الأسلوب الخطابى الذى حصل له بفضل دراسته العميقة لكتاب الله المعجز* "

كما يقول ذلك الاستاذ رشيد أحمد الصديقى :

> " *نفس الأسلوب فى البيان و نفس القوة فى الكلام و نفس السياط للترهيب و التهديد التى تحدث فى الجبال إرتعاش زئبق • إعادة موضوع واحد مرارا مثل الذكر الحكيم • و بهذه الاعادة و التكرار فى كتاباته و خطبه يستطيع أن يحدث الصاعقة كما يستطيع أن ينثر اللآلى و أن يمطر الأزهار و الجمرات أيضا* "

نجد مثالا لقوة مولانا آزاد فى الكلام فى خطبة ألقاها فى عام ١٩٢٧م عندما اشتعلت الهند بالكراهية الطائفية • و ذلك أن بعض الناس إلتمسوا إليه خلال تلك الأيام فى كلكتا أن يلقى خطبة فى إجتماع عام ليزيل بها مخاوف الرجل العادى و شكوك الجماهير • كان جو المدينة السياسى آنذاك لم يكن يسمح لأى مسلم يؤمن بنظرية القومية الهندية أن يذكر الوحدة و الوئام بين الهندوس و المسلمين لأن ذلك كان يعنى تعريض نفسه للخطر • و لكن مولانا آزاد قبل هذا العرض و أظهر استعداده له • و من ناحية أخرى دبرت المجموعة المعارضة مؤامرة لإحداث الفوضى فى الإجتماع و لإفشال هذه الجلسة فجمعت الأوغاد و المشاغبين و كلهم وصلوا إلى مكان الإجتماع • و هنا ظهرت انفرادية مولانا آزاد و برز اعتماده الذاتى إذ خاطب الإجتماع لمدة ساعتين تقريبا من دون أن يحس بخوف و خطر لحياته حتى أن الأوغاد و المشاغبين و المعارضين الآخرين الذين جاءوا لشن الهجوم عليه بدأوا يبكون من خطبته • كانت كلمات مولانا آزاد تمطر عليهم سهاما و خناجر، كان هذا الحدث اختبارا لإنفرادية مولانا آزاد

الغير محدودة و كان حادثا تذكاريا فى حياته.

و هناك حكايات كثيرة لعبقرية مولانا آزاد و لسلوكه الممتاز و الأمثل فى الحياة لايمكن لى أن أسرد جميعها لكم فى مقال وجيز كهذا نود الاختصار فنورد ما كتبه القاضى عبد الغفار عنه فى سيرته بقلمه :

> *"لو لم يكن هو أديبا و كاتبا كبيرا كما هو الآن لكان رساما و مطربا كبيرا و شاعرا مبدعا. و لو لم تتقيد رومانسيته بقدسية الدين و طهارته من جانب وجدية السياسة من جانب آخر لكنا نرى فى بلادنا تصورات شوبنهار و أفكار نيتشه أو تخيلات عمر الخيام تتولد من قلمه السلسال"*

تعريب : محمد رضا خان الندوى

جوانب من عبقرية مولانا أبى الكلام آزاد

بقلم : د/ شمس تبريز خان
محاضر فى قسم العربى بجامعة لكناؤ

إمام الهند مولانا أبو الكلام آزاد عصامى و عبقرى بمعنى الكلمة و نابغة عصره و فريد دهره، من الطراز الأول• فهو لم يتأثــر بعصره بل أثر فيــه و لم يقلد زمانه و لكن الزمان قلّده و تابع سيره و اقتفى أثره، فكان حقا له أن يتمثل بشعر المتنبى :

و ما الدهر إلا من رواة قصائدى   اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فهو مثل كبار العالم الانسانى و عظماء التاريخ أنشأ حركة شاملة اجتماعية و ثقافية من مجلته الشهيرة فى الآفاق *"الهلال"* و ألهب النفوس الخامدة بمجامر قلبه و لهيب قلمه و خطب خطبات رنانة ايقظت النائميـن و انهضت و أثارت الهمم و العزائم من الغافليـــن و زعزع بحركة قلمـــه و لسانه أركان الامبراطورية البريطانية الغاشمة التى قيل فيها أن الشمس لاتافل و لاتغرب فى سماء دولتها و سلطتها الواسعة، و أقام بكتاباتــــه و خطبه الملايين من الجماهير الهندية تجاه الانكليز و استعماره و اشتدت حركة تحرير الهند و اسرعت فى مسيرتها و ايذعت و نجحت أخيرا و فازت الهند بحّريتها و استقلت البلاد و استعاد الجمهور حريتهم و كرامتهـــم و حقوقهم الانسانية المسلوبة•

قد رأينا فيه سياسيا خبيرا و محنكا و خطيبا مصقعا بليغا، و كاتبا موهوبا، و ناقدا بصيرا، و ترجمانا قديرا و مفسرا كبيرا للقرآن العظيـــم و عالما مجتهدا و شخصية فذة عبقرية، جامعة الجهات و الجبهات، كثيرة الأبعاد و الأركان و متنوعة الألوان، جمع بين الأضداد و الأشتات التى قلما

تجتمـــع فى نطاق شخصيـــة، قال مرة عن نفســـه ان الشاعـــر الأردوى " أسد الله الغالب " نعىٰ على نفسه بأن دقائق الشعر تدفن معه عند موته و لكنى لأدرى كم من الفضائل و الفنون تذهب ادراج الرياح أو تدفن معى فى قبرى"•

و حقا قال فيه العلامة شبلى : ان ذهن آزاد متحف العجائب يمكن أن نعرض و نضعه فى معرض علمى•

شاهدنا فيه ما قرأنا عن نبوغ العباقرة اليونانيين و الرومانيين و عظماء العرب و الفرس فنشأ مبكرا فى صغر سنه حيث لم تمط عنه التمائم و نال شهرة و قبولا مالايوجد به نظير•و طلع " الهلال " من سماء فضله فى ٢٤ عاما من عمره فغير مجرى التاريخ و أنار السبل• و أثار ثورة عارمة ارتجت لها الهند و استيقظت من سباتها العميق، و انقلبت الأحوال الاجتماعيـــة و السياسية رأسا على عقب و تبدلت أرضها و سماؤها و اشمأزت النفوس من عبودية الانكليز و جاشت الصدور بالحرية و عزة النفس و الغيرة الدينية و النخوة القومية و الحسّيات الاسلامية، فمثل العروة الوثقىٰ، للأفغانى أثرت " الهلال " فى المجتمع الهندى أثرا بعيد المدى و طويل الأمد فى عامين و نصف و أقام حركة عامة شملت أرجاء الهند و سمعت فى العالم الاسلامى صداها و نادى بأعلى صوته بالدعوة الاسلامية و الى إحياء علوم القرآن و السنة و تجديدها و اتباعها و الاعتصام بها فى الحياة اليومية، و التوحيد الخالص، و الإيمان الراسخ و الصبر و الصمود فى الأوضاع الدقيقة الحرجة و مواقف بطولية و عزائم صادقة فى معركة حاسمة، مصيرية بين الحرّية و الاستبداد و الاستعباد، و آمن الناس من جديد بحقائق الاسلام و ازدادوا إيمانا مع إيمانهم لما سمعوا صوته الجهورى يندبهم و يناديهم بأن " وَ لاتَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمْ الأَعْلَونَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"•

و دعا من منبر " الهلال " دعوة اسلامية صريحة و صحيحة خالية عن شوائب التقليد و رسوب التبعية و التطفل، حافزة الى التجديد و الاجتهاد، وسعة آفاق الفكر و الذهن و العلم الصحيح و العمـــل الصالح الجـــاد، و السعى الحثيث المثمر، فتفتحت القلوب و تنورت العقول، و تهيأت النفوس و تأكدت العزائم و الهمم لصالح الدين و الدنيا و نجحت دعوتـــه و أثمرت و اينعت و بلغت غايتها التى قلما تيسرت للحركات الاسلامية•

فرجع الناس الى القرآن فى شئون الحياة كلها• و رأوا فى القرآن بنظرة

عبرة و بصيرة و كدستور شامل للحياة و منارا عاليا يهدى الى شاطىء النجاة، و وجدوا فيه دواء علتهم و رواء غلتهم و انجاح حاجتهم و وجدوا فى السنة النبوية أسوة حسنة و قدوة مثالية• و نهجا نجيحا و رسالة خالدة و نظاما شاملا للحياة و المجتمع و ازداد إيمانهم بالاسلام كدين أبدى صالح لكل مصر و عصر و قوى اعتمادهـــم و اتكالهم بتاريخ الاسلام المجيـــد و التراث الاسلامى القيم الخالد، و نظروا الى مشاهير الاسلام بالاعتـــزاز و الافتخار فعم الوعى الاسلامى بين الأوساط العلمية و الاجتماعية و بدأت النهضة الاسلامية تسيطر النفوس و اليقظة الثقافية تأخـذ بمجامع القلوب و خابت الثقافة الغربية و السياسة الافرنجية و خسرت فى تسخير العقول، وعلاوة على هذا فقد خدم " الهلال " اللغة الأردية خدمة لاتنساها هذه اللغة، فكم من ألفاظ جديدة و تراكيب حديثة و محاورات لطيفة و طريقة ظهرت أولا فى صفحاتها و نالت الرواج و القبول بين الأوساط العلمية فتوفرت و تنوعت الأساليب البيانية فى هذه اللغة الحديثة• و فوق كل ذلك اخترعت " الهلال " أسلوبا قويا و صوتا عاليا، و لهجة حيوية تحرك كوامن النفوس و تؤثر فى اعماق الضمائر و الصدور، و تنادى العقل و القلب معا، حتى قال أديب شهير سجاد الأنصارى " لو أن القرآن نزل فى الاردية فنزل فى أسلوب الهلال " و كذلك أياد جميلة لكتابيه " تذكرة " و " غبار خاطر" فى الأدب و الإنشاء و الترسل• قد ترك فيهما نفسه على سجيّتها و حرّيتهـــا و أثار البحوث العلمية و الأدبية و الاجتماعية فى طياتهما، و أفاد الأدب الأردوى بافادات قيمة من حيث المفاهيم و الأساليب البديعة و الرائعة•

و كذلك ظهرت عبقريته و تجلت فى تفسيره " ترجمان القرآن " الذى شاهـــدناطق لفضيلته العلمية و الفكرية و لاصابة رأيه وسعة آفاق فكـــره و علو مستوى ذهنه و المعية طبعه و لطافة ذوقه و تنور وجدانه و ضميره فكان قد مضى قرن كامل لما فسر القرآن الكريم حكيم الاسلام ولى الله الدهلوى و أبناؤه العظام حسب مقتضى عصرهم و زمانهم•

و قد تغيرت الأحوال الاجتماعية و السياسية و تبدلت متطلبات العصـــر و سيطرت العلوم الجديدة و الآراء الفلسفية على الأذهان و سادت الثقافية الغربية و تسلطت على ثقافات الشرق الغرب و بدأ الغارات العلمية و الهجوم الثقافى للمستشرقين و الحرب الشعواء ضد مبادىء الاسلام و أصوله و الافتراء عليه بأنه دين السيف و القتال و الأعتقاد الاعمى و أنه لايساير ركب الحياة و لايرافقه العلم و العقل و لايوافقه التقدم و الرقى و التطور

فقام مولانا آزاد فى هذا الموقف الحرج و البيئة الحديثة و الجو القاتم خير قيام و دافع عن الاسلام و القرآن أحسن الدفاع و جادل عصره بالجدال الحسن و بالحكمة و الموعظة الحسنة و فسّر القرآن الكريم مخاطبا للذوق السليم و الفطرة المستقيمة و الوجدان الصحيح و الضمير الحىّ و العقل الحرّ• و خالف طريق المفسرين المتأخرين بعد المأة الرابعة من الهجرة و نهج منهجا جديدا فطريا و سبر أغوار الفطرة الإنسانية و استشهد بدلائل الآفاق و الأنفس تبعا لقوله تعالى " وَ فِىْ أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُوْنَ" و لقوله عز و جل " سَنُرِيهِمْ ءَايٰتِنَا فِىْ الآفَاقِ وَ فِىْ أَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ "• (فصلت : ٥٣)

و انتقد نقدا لاذعا على الذين يجعلون القرآن تابعا لأذواقهم و أفكارهم و ميولهم و الأفكار السائدة فى زمانهم من الشرق و الغرب و يقولون فيه من عندهم و يعجبهم آراؤهم فعدّ هذا الطريق من الأسباب و المؤثرات المانعة لفهم الحقيقة و قال : " ان القرآن فى وضعه و أسلوبه و بيانه و خطابه و فى طريق استدلاله و فى كل شىء لايتقيد بالأوضاع و التقاليد الدنيوية و الصناعية و ماكان ينبغى له ان يتقيد بها و فى كل الأحوال له أسلوبه الفطرى الخالص و هذه الميزة التى تميز سنن الأنبياء عليهم السلام فى الهداية من التقاليد الوضعية للعلم و الحكم" (١)

و أصر على هذا المبدأ ان الدين واحد و الشرائع مختلفة و القرآن يدعو العالم كله بأن يأتى الى كلمة سواء للتوحيد الحقيقى و العقيدة المشتركة للرسالة و الآخرة و الأمور المتفقة بين المعروف و المنكر فان فعلوا هذا و تحرروا من تقاليدهم الوضعية و رسومهم القومية و عصبياتهم و تخرباتهم فيجتمعون حول الدين الفطرى الحقيقى الذى هو الاسلام، فان القرآن لايدعى لنفسه انه كتاب جديد بل يعد نفسه مهيمنا على الكتب و مصدقا لما بين يديه و مؤيدا بسلسلة الأنبياء و معترفا بها فى كل زمان و مكان و يقول : ان الانسان الذى يضعه القرآن هو المسلم الموحّد المؤمن برحمة اللّه و جماله فى الكون كله و لايكون متعصبا لقوم أو متحزبا بالحزب الخاص بل يكون انسانا عالميا معتقدا بالانسانية العالمية و هذه هى الروح الحقيقية للدعوة القرآنية• (٢)

فالتفسير " ترجمان القرآن " تفسير عصرى ظهر فى شاكلة عصره و طبق مستوى فكره، و عواطفه و أمياله فى أسلوب أخاذ و جذّاب، و مشحونا بالمواد العلمية و التاريخية، مستفيدا باكتشافات أثرية حديثة و مستندا

من كتابات غربية و شرقية و بحوث علمية جديدة، فسعى المفسر سعيا مشكورا و موفقا ان يقوم لنا حقائق القرآن و رسالته كما هى فى أصالتها و فى ضوء العلوم الجديدة و الأفكار الحديثة التى هى نتائج الفكر الانسانى عبر تاريخه الطويل و مبلغ العقل البشرى حتى الآن.

كان يقتضى عصر أبى الكلام آزاد (الذى اكتوى بنار الحرب العالمية الأولى) بالسلام العالمى و الإخوة الانسانية و رفع تنازع الأديان و المذاهب و الملل و النحل، و كلمة سواء بين الأقوام و الشعوب و الأمور المشتركة و المتفق عليها و الأقدار الانسانية العالمية و نظام شامل كافل تسعد به الانسانية البائسة المضطهدة، فقام مولانا آزاد ترجمانا للقرآن و داعيا الى الاسلام حسب مقتضى و مستوى عصره راعيا لذوق زمانه و متطلباته فأتى بشىء جديد فى أوانه و مكانه و ملأ الفراغ الفكرى و سدد الخلل العلمى و أجاد و أفاد.

قال فيه معاصره السيد سليمان الندوى : لا شك ان مجلتى " الهلال " و " البلاغ " لآزاد قد كونتا الذوق القرآنى لدى الشباب المسلمين و فتحتا نوافذ جديدة امام الجيل الجديد و عرضتا الآيات القرآنية بأسلوب بلاغى يتسم بالحكمة و جودة الصياغة و القوالب الفنية التى انارت القلوب بنور الإيمان و اليقين و فتحت أبواب البيان و التبيين و كشفت معانى القرآن و سمو قول الرحمن و روعة بيانه.(٣)

و تجلت عبقرية مولانا آزاد فى ناحية أخرى مهمة أعنى السياسيات الملّية و الوطنية فساند حركة الخلافة الاسلامية بكل طاقاته و وسعه و جاهد فى سبيلها بنفسه و نفيسه و بلسانه و بنانه و نبه زعماء القومية العربية من خطرها و مضارها و تفرق شمل المسلمين و الخلاف بين كلمتهم و وحدتهم و تضامنهم و أرسل صديقه الشيخ رشيد رضا المصرى فى هذا الشان فكتب فى إحدى رسائله بشأن احياء القومية العربية واستقلال البلاد العربية " ان هذا الرأى رزين و اننى معكم فى هذا القول لكن علينا بالتأنى و التأمل فان الطريق ذات غور و نجد و أن يمر من مجاهل سياسية يجول فيها أغوال أوربا و يفتكون بالرباب الحذر (الجمع الكثير) فكيف بالبسيط الغرير و لاسيما ان المسلمين قد بلغت منهم الغرة و البساطة و الجهل و الخيانة الى حدّ انهم كلما قاموا للاصلاح ازدادو فسادا أو حاولوا أغلاق باب للأجانب فتحوا الآخر(٤) ثم توجه الى السياسيات القومية فنادى بترك الموالاة و اللاتعاون مع الانجليز المستبدين بالهند

و العالم الاسلامى بالجور و الاعتساف و ألقى مرافعته التاريخية أمام المحكمة الانجليزية بجراءة نادرة و شهامة فائقة و استقام على مبدأ اللاعنف و المقاومة السلبية مع قواد الحركة التحريرية للهند: غاندى و نهرو، و مولانا محمد على و مولانا حسين أحمد المدنى، فحبس و صودرت مطبعته و جرائده و اضطهد فى سبيل الاسلام و الحرية بيد الانجليز المستعمرين صابرا محتسبا و ترأس حزب المؤتمر الوطنى عشرسنين و أجرى المفاوضات مع وفود الحكومة البريطانية باللباقة و اللياقة •

و ظهر نبوغه المدهش و ذكاءه المفرط و بصيرته النافذة و حكمته العملية فى الإجتهاد و تقديم خطة سياسية للمسلمين حيث دعاهم ليشتركوا فى حزب التحرير الوطنى مع إخوانهم الهنادك جنبا بجنب و سواء بسواء لينالوا الحرية و الكرامة بسعيهم الذاتى و بذل جهودهم الملية لكى يبقى لهم الاستحقاق السياسى فى الهند المتحررة و أصر كذلك على مبدأ القومية المتحدة الهندية التى تجمع بين الهنود و المسلمين و المواطنين الآخرين فى القارة الهندية فى الاتحاد السياسى مع البقاء على دياناتهم و ثقافاتهم المختلفة و عدّ هذا التنوع من محاسن الثقافة الهندية المشتركة التى تظهر كألواحة الجملية تفتخر بأزاهيرها المتنوعة الفاتنة •

و قد استدل مع جمعية علماء الهند بالسنة النبوية بعد الهجرة الى المدينة المنورة حيث عاهد النبى صلى الله عليه وسلم مع اليهود و القبائل المجاورة و عدّهم أمة واحدة فى مقابلة الآخرين و رأى فى تقسيم القارة الهندية بين دولتى الهند و الباكستان تهلكة سياسية و دينية بعيدة المضار للاسلام و المسلمين حيث تنشأ الخلافات الوطنية و السياسية و التنافس المستمر و العداوة و البغضاء بين الهنادك و المسلمين التى تكون خطرا مستقلا للأمن و السلام و خسارة فادحة لدعوة الاسلام فى الهند و يصير مسلمو الهند كرهائن سياسية، مستضعفين غير مكرمين، مطعونين و ملومين •

و لكنه لم ينجح فى منع التقسيم لدهاء الانجليز و التنافس السياسى بين زعماء حزب الرابطة الاسلامية و حزب المؤتمر الوطنى و الاصرار على مواقفهم المختلفة • و قسمت الهند على أشلاء و جثث المستضعفين و الأبرياء من الجانبين و اشتعلت نيران الحروب و الاضطرابات الطائفية فقام مولانا آزاد لإخماد هذه النيران الملتهبة •

" ابتعدوا عن التذبذب و الشك و تسلحوا باليقين و قوة الارادة و اجعلوا

العزم رائدكم و الحزم قائدكم و سيروا الى الأمام بخطى ثابتة و تقدموا الى ميدان العمل و النجاح بقلوب مليئة بالأمل و الرجاء و استاصلوا من عقولكم الخمول و الكسل فان الخوف مجلبة المصائب و اليآس منبع الهزائم•

أيها الإخوة لابد ان تطوروا وجهات نظركم تطويرا اساسيا و ان تتسلحوا بعقول ثابتة و أفكار صائبة فان اسلافكم العظام قد ركبوا البحار و عبروا الجبال و تحملوا المشقات فى سبيل المجد و الكرامة و لم يسر اليآس أو الخوف سبيلا الى قلوبهم و لم يفتروا و لم يضجروا و لم يفشلوا فى الوصول الى أهدافهم النبيلة•

و أنتم أبناء هؤلاء العظام فكيف تسمحون لأنفسكم بالفرار خوفا من المصائب و جزعا من الأهوال، تاركين وراءكم تراثكم التاريخى و أمانتكم التى تحملتموها على عواتقكم فان فعلتم ذلك و لذتم بالفرار فان ذلك يكون جريمة لاتغتفر فى حق أجدادكم العظام و وصمة عار فى جبين تاريخكم و نقطة سوداء فى مستقبلكم"(٥)

و نجح فى استعادة الهدوء و الطمانينة فى أوساط المسلمين و ايجاد الثقة و الاعتماد على النفس و التوكل على الله فى نفوس المسلمين و سعى سعيا مشكورا لبقاءهم فى الهند، و تحفيظ المعاهد و الآثار الاسلامية و الثقافة المسلمة التاريخية فى الهند و اتخاذ خطة مدروسة ايجابية لهم و دافع عنهم دفاعا مجيدا فى الأوساط السياسية المتغيرة، و خطابه فى المسجد الجامع بدلهى، نموذج رائع لخطابته و رسالته فنقدمه هٰهنا شاكرين للاستاذ عبد المنعم النمر لترجمة هذا الخطاب التاريخى :

" أيها الاخوان المواطنون ان هذه البقعة التاريخية ليست جديدة علىّ فقد ساعدنى الحظ و سمح لى القدر أن ألقى بين ظهرانيكم خطبا عديدة هنا من قبل يوم ان كان الفرح يهلل وجوهكم و الغبطة تثلج صدوركم و الكرامة ترتفع رؤوسكم، و بينما الآن أرى آثار الفزع بادية على وجوهكم و مظاهرا لقلق ظاهرة على اساريركم،

اعدد بذاكرتى إلى الحوادث الماضية، و الأيام السابقة حين كنت أدعوكم إلى شاطىء النجاة فقطعتم لسانى، و كنت أناديكم بملء قلبى إلى التعقل للحوادث

و التنبه إلى الظروف فقطعتم يدى (أى لم تقبلوا نصحى) و نبهتكم إلى المخاطرالتى كنت أراها منتشرة إلى رأيى و لم تلبوا دعوتى فوقع ما كنت أتوقع و اضطربت الأحوال و تأزمت الأمور و كاد الزمام أن يفلت من الأيدى و ها أننا الآن بين ظهرانيكم بقلب حائر و صدر محزون*

أيها الاخوة المواطنون لاتتركوا للخوف ثغرة يتسرب منها إلى نفوسكم فانه داء عضال و لاتسمحوا للياس بفجوة ينفذ منها إلى قلوبكم فانه قاطع للأوصال و مثبط للهمم فاصبروا و أثبتوا فان ماترون الآن ليس إلا نتائج أعمالكم فلا يلومن أحد منكم إلا نفسه لقد قلت لكم مرات من قبل هذا*

الهوامش :

١- " ترجمان القرآن " ٦٦/١ (دلهى ١٩٣١م)
٢- " ترجمان القران " ١٧٤/١
٣- " أبو الكلام آزاد " للاستاذ عبد المنعم النمر ١١٠/١
٤- " أبو الكلام آزاد " للاستاذ عبد المنعم النمر ١٣٩/٢ و الرسالة كتبت فى مايو سنة ١٩١٣م*
٥- " أبو الكلام آزاد " للاستاذ النمر ١١٩/٢ - ١٢٠

المولانا أبوالكلام آزاد فى مرآة مؤلفاته

بقلم : رياض الرحمن الشيروانى

استاذ اللغة العربية بجامعة عليجره الاسلامية سابقاً

اخترنا ثلاثة مؤلفات لمولانا أبى الكلام آزاد *تذكرة، ترجمان القـــرآن، غبار خاطر* - لتناول سيرته شابا و كهلا و شيخا • لقد ألف " *تذكرة*" و هو مازال فى مقتبل شبابه، ممتلئا بالحيوية و النشاط• و اتجه الى التفسير عند مانضجت أفكاره و ترسخت تجاربه• و بوصوله الى عتبة الشيخوخة كتب " *غبار خاطر*" • هذه الكتب الثلاث من مؤلفاته العدة، على اختلاف مواضيعها و أساليبها، تعطى فكرة جلية عن خصائص شخصيته فى المراحل المذكورة•

إن الدعوة و الاصلاح من الأنشطة التى تستدعى قدرا كبيرا من التحمس و الطموح و الحيوية و الاندفاعية• هذه الخصائص تتوفر فى الشباب أكثر من أية مرحلة أخرى من حياة الانسان• و الكتابة حول المواضيع الدينية تتطلب الجد و التعمق و علو التفكر.. الصفات التى تتحقق بالوصول الى مرحلة النضج ، أما عن الأدب و الإنشاء ، فانهما يتطلبان وفرة المعـــارف و نمو الذوق و الوجدان بجانب الهدوء فى الفكر، و المرء لايتمكـن منها الا بعد أن جرب الحياة بحلوها و مرّها• كما ان الكتابات - دينيـــة كانت أو أدبية أو اخلاقية- بمثابة مرآة لشخصية الكاتب، تنعكس فيها سيرته بنواحيها المتعددة• و الكتب الثلاث سابقة الذكر، مع اختلاف المواضيـــع و الأزمنة، تسفر النقاب عن سمات المولانا آزاد الشخصية، عن أنانيته و تفرده، و عن مكانته الفكرية المميزة بين المعاصرين•

إستمد المولانا آزاد أفكاره و نظرياته من القرآن و تعاليم الدين الاسلامى الحنيف• و ميوله و نزعاته الدينية نفسها وجدت انعكاسا فى

المؤلفات المذكورة• فترجمان القرآن - كما يتضح باسمه - كتاب يتناول موضوعا دينيا بحتا، و الأمر كذلك بالنسبة " لتذكرة " التى تتركز على الدين أكثر من أى شىء آخر• أما عن " غبار خاطر " فانه يعرف بقيمته الأدبيــــة، لكنه يتضمــــن فى ذات الوقت رسائل تتطـــرق إلى " *التوحيد* " و " *الحاجة للدين* " و تلك تعالج المواضيع معالجة تفوق حتى الكتب المؤلفة حولها• هذه المؤلفات تتغاير أسلوبا و موضوعا بحسب الأزمــــنة، و شأنها فى ذلك شأن السور القرآنية التى يمكن تمييز المكية منها عن المدنية بالنظر فى الأسلوب و الموضوع• و بالرغم منه فان جملة مؤلفاته حلقات فى سلسلة ترتبط بمجموع شخصيته ارتباطا عضويا، و فيها دلالة على أن المولانا عاش حياة فكرية أصيلة و متماسكة أبعد ماتكون عن الشـــذوذ و الشرود• إنه ألّف كتابه " *تذكــرة* " عــن عمر ثلاثيــن سنـــة، و " *غبار خاطـر* " وقتما بلغ وسط الخمسينات• المؤلفان - كما ذكرنا سابقا يختلفان بعضا عن بعض اختلافا جوهريا، و مع ذلك اذا القينا نظرة فاحصة فى محتوياتهما، فنجد أن " *غبار خاطر* " ينطوى على نفس التفكير و النزعة التى تعكسه " تذكرة " و تماثلية الأفكـــار و الاتجاهات بعينها تتجسد- فى المؤلفين- فى دعوته لمعرفة الذات، اصراره على الحق و الصـــــدق و الانابة إلى الله، و حتى فى اختياره للشعر•

إتجه المولانا آزاد الى كتابة " *تذكرة* " عندما تم زجه فى سجن رانجــى (١٦-١٩٢٠م) و طلب منه صديقه الميرزا فضل الدين أحمد أن يسجل وقائع سيرته الذاتية• لكن المولانا خصص الفصول البدائية لأحوال أجداده، و فى آخر الكتاب اكتفى بالإشارة إلى بعض جوانب سيرته• و من بين السلف وقع اختياره على الشيخ جمال الدين الدهلوى، و ابنه الشيخ محمد، و الشاه محمد أفضل و المولانا منور الدين(الأخيران من أجداد المولانا آزاد)• قام الميرزا فضل الدين أحمد بتقسيم الكتاب الى جزءين، يتضمن الجزء الأول المطبوع أحوال الشيخ جمال الدين الدهلوى و المولانا آزاد نفسه• و الجزء الثانى لم يتم طبعه، أسوة بعدد من مؤلفات أخرى اشار اليها المولانا فى "تذكرة"•

يقول المثل الإنكليزى ان المرء يعرف بأصدقاءه• لكننى أعتقد بأن الابطال الذين يتخذهم أحد قدوة له، هم خير وسيلة لمعرفة اتجاهاتــــه و أفكاره، و سلوكه و عاداته• و بمطالعة " تذكرة" يتوضح أن المولانا آزاد اختار رجالات التاريخ الاسلامى، كان الثبات على الحــق و الصـــــدق،

و الصمود فى وجه المكاره، قاسما مشتركا بينهم جميعـــا • منهم الامام أحمد بن حنبل، ابن تيمية، الشيخ أحمد السرهندى ، الشاه ولى الله الدهلوى- كلهم رموز الحق و الصواب، و متمسكون بهما أمام التحديات مهما تكن شديدة • و لو استعرضنا حياة المولانا آزاد، فنجد أنه بدوره ظل ثابتا على الحق، آمنا به، و فى سبيله تحمل جميع الأنواع من المتاعب، سواء أ كان الأمر اتصل بالدين أو السياسة، بالعلـــم أو الأدب، بالصحافـــة أو الخطابة • و من ميزات شخصيته أنه فى قراراتـــه حافظ دائما على العدل و التوازن بعيدا عن الافراط و التفريط كما يتجلى ذلك فى رأيه بأن الشيخ داؤد لم يكن يتفق مع مرشده سيد محمد حول ادعاءه بالمهدوية رغم أنه اعترف بتقواه • (الشيخ داؤد كان من مسترشدى سيد محمد جونفـــورى، و لأجله واجه مصائب و آلاما شديدة)•

إن الكتاب " تذكرة " اصلا حكاية طريفة للصراعات التى كانت و لاتزال تدور بين العلماء الذين وزعهم المولانا- بحسب مصطلحـــه- إلى علماء الحـق و علماء السـوء ، و أعاد معاناة المحقيـــن منهم إلى الزمرة التـــى لم يكن همها عدا كسب منافع دنيوية • علاقة الجدلية هذه بين الزمرتين من العلماء المسلمين تجسدت فى استئثار احداها بالفقر و الجوع، الاســر و المحن، فى سبيل اعلاء كلمة الحق، و اشتغال الأخرى فى كسب رضى الملوك و الأمراء، ابتغاء للنفوذ و القوة و المتعة الدنيوية • و ان كان ذلك على حساب مصالح العلماء أنفسهم • و هذه الظاهرة لم تكن تخص زمنـــا أو مكانا معينـــا، و انما استمرت تتكرر فى جميع العصور و الأمكنة باوجه مختلفة •

و المولانا آزاد نفسه انتمى الى المسلسل الذهبى الذى كانت حلقته الرئيسية الشيخ جمال الدين الدهلوى، و الحلقات الأخرى تألفت من الإمام أحمد بن حنبل و ابن تيمية و الشيخ داؤد و الشيخ نيازى و مالك بن أنس، و الشيخ أحمد السرهندى و الشاه ولى الله الدهلوى • و من نفس السلسلة الشيخ علائى الذى تناول المولانا آزاد سيرته فى تذكرة، فذكر كيف تغيرت أحواله من العناد و الكبر الى التواضع و الاستخفاف من نفسه بعد أن قابل الشيخ نيازى •

و تصديا لعلماء السوء و المساوىء التى تلصق بهم هذه الصفة، ذكر المولانا خاصة البدعة و التقليد الأعمى، و ضمن القائمة ايضا المغالطة فى التأويل و الاغترار بالعقيدة و القياس بها على خلاف مافيه الخير، و الكلام

بالرأى فى أمور الدين، و حب الدنيا و التجاوز على الحـــق• و بعد أن ذم هذه المساوى بأشد الكلمات، قال ان من اتصف بها من بيـــن العلماء، و اعجبته الدنيابزينتها و أموالها، انه أسوأ حتى من فاسق غير مبال بأمر دينه• و فى ذلك احتج بأن فاسقا غير عالم، لايعدو ضرره إلى غيره من الناس، بينما يؤدى انحراف العالم عن طريق الحق و انغماسه فى الفجور إلى تضليل كثير من عامة الناس• و هذه المثالب تزداد ضررا عندما تأتى مقرونة بالعنجهية و التعالى بالنفس• الأمر الذى يتناوله المولانا آزاد فى " تذكرة " فيقول : الفرق بين عالم و فاسق تستهويهما الدنيا بمافيها من وسائل ترفية و تسلية، أن الأخير تمارس اللهو و هو عارف بذنبه، و الأول يتستر بالتدين و يحتال على الشريعة لتبرير اعماله• الحقيقة ان الباحثين عن مكائد النفس و خدع الشياطين فى الملاهى، يجدون هدفهم يتحقق بسهـــولة لو اتجهوا بدلا منـــه الى المــــدارس و الصوامع•

أما عن الفضائل التى تميز العالم الحق عن أشرار العلماء، فهى - كما ذكر المولانا آزاد فى تذكرة- الاقتصاد و الاعتدال، الثبات على الحق، عزيمة الدعوة، التجديد و احياء الدين، الترفع الى مكانة الصديقين، الحكمة و العمل على هدى السنة، الانابة الى اللّٰه، و الحياة بعيدا عن الطمع و الخوف• فى هذه الفضائل يتمثل الصراط المستقيم، و بالاتصاف بها يصبح العالم عالما بالحق و من حملة تراث الأنبياء بالمعنى الواقعى للكلمة•

المولانا يفرق بين الدعوة و عزيمة الدعوة و يطالب من العالم الاتخاذ بالعزيمة التى كان الحسين بن على رضى اللّٰه عنه أفضل مظهر لها•

يرى المولانا آزاد أن اتباع سنة النبى عليه السلام شفاء للعلل الروحية برمتها• و بدراسة " تذكرة " يتبين أيضا ان المولانا وجد فى حب النبى عليه السلام شفاء لغليله، و كان من أكثر الناس اجلالا و احتراما لمكانـته• الحقيقة أن الحب عاطفة سامية تعلو قدرا بعلو مكانة المحبوب، و له مظاهر عدة أسماها الاقتداء بأسوته• و على هذا يركز المولانا أكثر من أى شئ آخر•

هنا يتوجب علينا أن نوضح بأن المولانا آمن بختم النبوة- على صاحبها أفضل الصلوٰت و السلام- و بدونه يعتبر الإيمان غير كامل• و القرآن عنده مفسر(بفتح السين) فى سيرة الرسول، و من أمنياته أن يقوم بتدوين السيرة النبوية على أضواء القرآن• فيقول فى مكان :

" إنّ فى سيرة من انزل عليه القرآن، و حياته الشريفة، دواء لكل داء القلب، و شفاء لعلل الروح• القـــرآن و السنة النبوية، وحدة متكاملة بعضا لبعض.. فالقرآن متن، و السنة شرحه، القرآن علم و السنة صورته العملية• البشرية لن تجد أحدا غيره يستحق أن يتبع، فهو إنسان باسمى مفاهيم الانسانية، و عبد بأشرف معانى العبدية، و خليق أن نؤمن برسالته دائما كمن نؤمن به برأى العين• الصحف و الألواح التى انزلت لهداية الناس فى أزمنة غابرة، مرت جميعها بالتغيير و التحريف، و من أعظم الدلائل على عظمة محمد صلى الله عليه وسلـــم و عصمتـــــه و معصومنيته، و سمو مكانته بين الرسل، و رفعة سيرته المقدسة انه لم تمح نقطة من ألواحها المحفوظة• فانه فى كنه ذاته غاية الغايات قديمها و حديثها، مصدر الروح و الحياة و نقطتهما النهائية "

هذه الاسطر تبين وراء الشبهة أن المولانا على حبه للنبى صلى الله عليه وسلم، لم يتعـــد الحدود فى وصفه، و اعاد عظمتـــه الى إنسانيتـــه و بشريتـــه و عبديتـــه، و ان تكن هذه المفاهيم قد تجسدت فى شخصه باسمى معانيها• كثيرا ما يخطىء الناس فى فهم هذه النقطة، و يقع معظمهم فى مهاوى البدع و الضلال•

القرآن لايفرق بين الرسل و بهذا الخصوص اشار المولانا الى نقطة فى غاية الأهمية، فقال :

" التفريق بين الرسل شىء و فضل بعضهم على بعض شىء آخر"

وفى موضع آخر فى كتابه " تذكرة " يقول :

" الأنبياء كلهم من أصل واحد"

و يتناول نفس الموضوع فى مكان آخر قائلا :

"بأن آخر حلقة فى هذه السلسلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم الأديان، مكمّل الشرائع، متمم النعم، و الجامع بين كافة الحلقات التى سبقته"

مكانة المرء و قيمته عند المولانا تتعين بكماله و مواهبه، لا بنسبـــــه•

و مع ذلك فانه يكرم السلف الصالح على الاتصاف بصدق القول و ملازمة الحق و الصواب، و الاستغناء عن الدنيا و احترام النفس، و يستوجب اتباعهم فى تلك المكارم• و فى بداية " *تذكرة* " يقول :

" *أشد ما كرهته أن اتاجر بالنسب فى سبيل الشرف•*
المقياس لمعرفة قيمة الانسان من ناحية الكرامة،
يجب أن يكون مواهبه الذاتية و مبلغه من العلوم
و المعارف، بدلا من الامجاد التى يكون قد توارثها
من آباءه "

و يرى المولانا أنه ليس من الرجولة أن يعتمد الإنسان على أمجاد من سبقوه، و إنما خليق به أن يكون معلما يتعرف الناس به على سلفه• فأولو الهمة من كبار الأبطال شقوا طريقهم دائما بالاعتماد على النفس، و بوسائلهم الذاتية وحدها بنوا قصور الأمجاد•

بجانب ذلك فإن المولانا يركز على العمل أكثر منه على العلم، فيقول :

"*كثير من الأصاغر أصبحوا بفضل العمل أكابر،*
و بدونه تحول الكبار من الناس إلى صغارهم•
و بذلك الصدد يستدل بشخصيات الصدر الأول من
تاريخ الاسلام مثل بلال الحبشى و سلمان الفارسى
و صهيب الرومى رضى الله عنهم أجمعين"

لقد عاش المولانا مثالا حيا للمبادىء التى تبناها، و النظريات التى دعا الناس إليها• و لعالم بعبقريته لم يكن من الممكن أن يتخذ من النسب عمدة له، و على أساسه يبحث عن مكانة الشرف فى مجتمعه، فانه ظل جامعا بين العلم و العمل طيلة السنوات التى تخللت وفاته عن عمر ٧٢ سنة، و قوله بأن من واجب الانسان أن يكون معلما يتعرف به الناس على نسبه و هو شاب من ثلاثين سنة•

ذكرنا فى مستهل المقال أن " *تذكرة* " يتطرق الى بعض جوانب سيرة المولانا الذاتية عن طريق الاشارة و فى أسلوبه الشعرى الغامض• و بالرغم منه فان هذه الاشارات تكشف الستار عن جوانب هامة تعين على بناء فكرة عن شخصيته• و ربما تعمد الغموض ليزيد الطالب بحثا عن المراد•

فى الفصول الخاصة بسيرته الذاتية تطرق المولانا إلى " *علاقة الحب* " بوجه عابر دون أن يتمعن فى التفاصيل• هذا الاكتشاف هام جدا من ناحية

أنه يسلط الأضواء على رؤيته ازاء الحياة بعد أن أخفق فى حبه و هو مازال فى مقتبل الشباب• لم يكن المولانا ممن تعوزهم الهمة، و معنوياتهم تتحطم بمثل هذه التجارب، فيعيشون مضمحلين فاترى العزيمة طوال سنوات حياتهم• فى اعقاب ذلك الحدث واجه المولانا الحياة بهمومها و آلامها بقوة أكثر، و بدلا من الغياب فى مجاهل اليأس و الحرمان ، اندفع بالمزيد من القوة الى العمل و معالجة آلام البشرية•

بمطالعة الأوراق ذاتها نتعرف أيضا على الأشواط التى قطعها المولانا آزاد فى سن الثلاثين من عمره• فانه يعترف بضلاله الفكرى و العملى الذى لم يدم طويلا• و يقول :

" ضلال العمل و العقيدة يؤدى فى نهاية المطاف الى الفسق و الالحاد "

خرج المولانا من ظلمات الجهل و الضلال الى نور الهداية و الايمان، بصفاء طبيعته و سلامة ذوقه• و الفضل فيه أيضا يعود الى مايعرف فى مصطلح الصوفية (على حد اعتراف المولانا) بالعشق المجازى• فانه ذكر :

" طلع وجه التوفيق من وراء ستار العشق المجازى عن طريق صدفة• الأهواء و المهاترات ارتادت بى تلقائيا إلى طريق الحب الحقيقى• لم يكن ذلك الازلة، لكن بماذا نسمى الزلة التى تتمالك فتهوى بنا على أقدام الحبيب، غاية كل موجود• الزلة و السكر إذا مايهدى بالمرء الى سواء الطريق، فانه أفضل من الثبات بألوف أشكاله• و انما الأجدر أن تكون آلاف الصحوات فداء لها "

فى نفس الصفحات يتصدى المولانا للعشق، و يكشف الستار عن اسراره قائلا :

" إن العشق هو الأول و هو الآخر، ليس فى الكون شىء غيره، فانه عماد السماوات و محور الأرض، و به كل ماهو ظاهر، و منه جميع ماهو مخفى و مستور• والخلاصة أن العشق أصل الوجود "

العشق عند المولانا وحدة خالصة لاتقبل الكثرة• و انه يعيد الكثرة إلى ضيق النظر، فيقول :

" ثمة حقيقة واحدة تعرف بتسميات متعددة لا لسبب

سوى ضيق النظر كم من حجب اسدلتها العقول*
الزائفة المنقسمة بين التعدد، أمام حقيقة سرمدية
ذات وجه واحد ولون واحد "

إن الوصول إلى هذا المقام فى الحب الالّهى يتطلب عبور كثير من الصعاب و تجاوز العقبات* و المولانا بدوره لاقى فى هذا الطريق مايلاقيه غيره* و إنه بيّن فى أسلوبه المميز متاعب السفر فقال :

" القربة غاية، ادراكها يكون مرهونا بقطع مسافات
شاقة و طويلة لقاء الواحد الأوحد، انفصال عن غيره*
كله، فتح هذا الباب، يستوجب اغلاق جميع الأبواب
الأخرى "

الحقيقة الاسمى- خالق الكون بمافيه من موجودات- هى الغاية المنشودة ، و غاية الغايات كلها، و للوصول اليها يمكن أن تكون ثمة دروب شتى و طرق مختلفة، لكن الطريق الوحيد الكفيل بالايصال إلى المقصود، هو- كما يقول المولانا- المحبة و الجذب :

" قائل من عارفى الطريقة يقول إن أسوأ مايبلى به
المرء فى هذا الدرب، خير ألف مرة من الحريات التى
لايقارنها ألم و لا احتراق الانهزام فى هذه المعركة*
ليس أقل قيمة من الانتصار "

و المولانا بدوره وصل إلى الغاية بعد أن جرب السلوك بجميع مشاقه و معاناته* و التقهقر عنده فى هذا الطريق اثم لا اثم أكبر منه، و حرمان لايوازيه أى حرمان* انه ينصح بالمضى قدما فى هذا الدرب حتى نيل المقصود* و يقول :

" الفوز فى هذا الطريق لايتوقف على المراحل و لا
على تعدد السبل و المناهج و انما المطلوب هو*
الاقدام و التحرك بعزيمة اينما تتوقف الخطى، يصبح*
نفس المقام صنما، و السالك المتوقف عنده، من
عبدته.. من شغلك عن الله فهو صنمك المداومة على*
السير، هى النجاح فى هذا الطريق، و الارهاق أو
التوقف هو الفشل و سالك هذا الطريق شأنه إما*
شأن العنادل و القمرى، يشرد • يتأوه، أو أمره
كالشمع يحترق بهدء. "

فى ضوء تجارب عارفى الطريق استنتج المولانا بأن الاحتراق كالشمع بهدوء أصعب كثيرا من التململ و التشرد الذين يؤديان عادة إلى سوء الأدب و عدم الضبط دونما رعاية للحدود التى يستلزمها الاحتراق• المعلوم أن الاندلاع كاللهيب أهون من الاضطرام من الداخل مثل التنـــور و مايتطلبه من الآداب و المراسيم• و المولانا اختار لنفسه الطريق ثانى الذكر، فاتبع العارفين الذين اتخذوا من الاحتراق تدريجيا مسلكا لهـــــم، و صارفى آخر سنوات عمره كتنور محترق من الداخل•

أما عن ميادين السياسة و الصحافة و الأدب وغيرها من نواحى الحياة عامة كانت أو شخصية، فقد اتخذ المولانا من الكمال و الاتقان نصب عينيه، و أشار إليه فى سياق التعرض لتجارب أوائل سنوات عمره :

> *" عشت نفورا عن النقص، و أتحاشى التقليد و محاكاة عامة المسالك، كارها اقتفاء غيرى فى آثاره• دائما حاولت أن أشق طريقى بنفسى و أجعل منه مثالا للآخرين• مارست السكر و الأهواء فانغمست فيها إلى قرارتها، توغلت و أدى المحبة و العشق فلم أترك حجرا إلا و قبلته• و أمنيتى الآن أن أحقق نفس الكمال و أطوى نفس المدارج فى الطريق الذى اسلكه حاليا "*

لقد كان المولانا بطبيعته يحب الحرية، و يرفض القيود، مما عرضه لكثير من المشاكل و المصاعب، و لكن ميوله و نزعاته نفسها، تكمن فيها عظمته و تفرده•

تعريب : راشد على

إبداعيــــة أبى الكلام آزاد
فى عــــلم الالهيات

بقلم : اصغرعلى المهندس

مدير معهد الدراسات الإسلامية بومبائى

لم يزل و لايزال المسلمون يومنون بأن القرآن المقدس هو كتاب منزّل من السماء• و لم يرتاب أحد منهم أبدا فى هذا الأمر مع أنهم قد اختلفوا فيما بينهم حول المفهوم الحقيقى لكلمة أو آية معينة و حول كيفية نزول هذا الكتاب•

على أى حال انه جدير بالملاحظة ان المسلمين اختلفوا اختلافا شديدا حول فهمهــم للقــرآن الكــــريم، و لاغـــرو لذلك فى واقع تعدد و كثرة التفـــاسيــر•و الحق يقال ان هذه التفاسير تكثر وتتعدد بعدد يوجد به المفسرون (١)• و لذلك خطأ فى الاعتقاد بأن الحروف الأصلية لا تفاسيرها منزلة من السماء• و هناك مشكلة كبيرة فـى هذا الخصوص تتعلق بالتفسير بالرأى، فقد رفض و استنكر التفسير بالرأى مخافة من أن المفسر الذى يعتمد على رأيه الشخص فى تفسير القرآن قد يضل سواء السبيل و لايبقى مخلصا و ملتزما تجاه الارادة الالٰهيــــــة• و ان مولانا أبو الكلام آزاد هو من بين من تهجّموا على التفسير بالرأى (٢)•

بيد أنه من الصعب أن يتحاشى المفسر تماما عن التفسير بالرأى حيث لايوجد مانع لتسرب الآراء الشخصية الى التفسير• فكل مفسر يحاول أن يقدر و يخمّن المفهوم السماوى لما ورد فى القرآن• و لذلك لايمكن رفض و ادانة التفسير بالرأى بالجملة، بل ينبغى ادانته عندما يبدو أن المفسر قد انحرف كثيرا عن جادة الصواب• على أى حال فان الرأى الانفرادى مازال جزء لايتجزأ لكل تفسير، و هذا الأمر مسئول عن كثير من الخلافات بين المفسرين مهما كان مستواهم من العلم و التقوى• و اننا بهذا الصدد

نجدأن أباالكلام آزاد قد قدّم أسهاما ممتازا فى مجال التفسير عن طريق كتابه المعروف " ترجمان القرآن".(٣) يتميز عن غيره من التفاسير بسبب واحد على وجه التحديد، و هو الطابع الشخص الممتاز لرأى صاحبه و رؤياه و مستواه العلمى •

و فى البداية نود أن نقول شيئا عن أبداعية علم الالٰهيات• ما هو المفهوم من هذه الابداعية؟

هل هى مماثلة للابداعية الأدبية أو مختلفة عنها؟

هل أنها تحمل عنصرا من المعقولية؟ و ربما يندفع البعض الى رفضها فى أول وهلة مؤكدا أن الابداعية فى علم الالٰهيات هى من الأمور المستبعدة• الحقيقة أن هذه الابداعية هى مجموعة محددة من ذى قبل لمبادىء سماوية •

بالنسبة لى فاعتقد أن الابداعية فى علم الالٰهيات هى أمر ممكن و هى مماثلة للابداعية الأدبية و مختلفة عنها معا فهى مماثلة لها فى العمل و تختلف عنها من ناحية أن الاولى من وظائفها استيعاب الاستجابة السماوية المحتملة ازاء تغيرات الأوضاع البشرية •

فالوضع الانسانى كما يعترف به الجميع ليس من الأمور الجامدة بل انه يخضع للتغيرات و الخالق لايتوقف أبدا عن ابداع أوضاع جديدة فقد قال اللّٰه سبحانه و تعالىٰ فى القرآن الكريم :

يَسْئَلُه مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ• كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (٥٥ : ٢٩)-

و هكذا فان اللّٰه يبدى نفسه دائما فى مظهر جديد للمجد و العظمة و بشكل أكثر غرابة من المظاهر و الأشكال السابقة و بتعبيرآخر فان ابداعيته ليست جامدة و يرى الشاعر و الفيلسوف الابداعى المعروف محمد اقبال أن الانسان شريك للّٰه فى الابداع و هذه هى المرتبة الأعلى و الاسمىٰ التى بامكان الانسان أن يصل اليها •

ماهو علم اللاهوت أوالالهيات ياترى؟ انه فى الواقع عبارة عن السعى لمعرفة اللّٰه و الاطلاع على ما قد هدى اليه و الغرض الحقيقى وراء الهداية و الارشاد• و بما ان اللّٰه مبدع فيجب أن يكون هذا العلم أيضا كذلك، فهو يتناول الأغراض السماوية و طرقا جديدة لمظاهر الخالق المبدع و أشكال مجده و عظمته و قدرته على خلق أوضاع جديدة فكيف يمكن أن يبقى الباحث عن حقيقة اللّٰه كائنا جامدا و غير مبدع؟ فالباحث عن الحق مضطر لاستيعاب الأوضاع المتغيرة و فهم الأشكال الجديدة لمظاهر اللّٰه و ان علم

اللاهوت لامغزى له ما لم يكن مترسخ الجذور فى وضع خاص و متجاوزا له فى نفس الوقت• و ان هذا التضارب بين كونه مترسخ الجذور فى وضع خاص و بين تجاوزه لذلك الوضع هو الذى يجعله ابداعياً•

هذا و ان علم اللاهوت يجمع بين ميزتين فهو فى آن واحد معيارى و ذو صلة بقرائن الأوضاع و لايمكن أن تفوته احدى هاتين الميزتين فان كان يخلو من صلته بالقرائن فسوف لايبقى مفيدا للعناصر البشرية لعصر معين و منطقة خاصة و ان كان يخلو من الميزة الثانية فسوف يكون دائما مؤيدا للوضع الراهن و لن ينجح فى ايحاء الانسانية الا فى وضع خاص دون آخـر و هكذا نرى أن اللاهوتية الابداعية ليست الا استجابة الانسان لوضع متغيـر لا خالق له الا الله و يجب ان تكون هذه الاستجابة ديناميكية لكى تكون غنية بفحواها و فى هذا تكمن أهمية ابداعية علم الالٰهيات• نشأ مولانا أبو الكلام آزاد فى بيئة متحفظة للغاية و كان أبوه متصوّفا عمليا و لكنه لميحدث أى تغيير فى الأفكار و الآراء التقليدية و لايعرف بأى نظرة جديدة تجاه أية مشكلة و تلقى آزاد تعليمه فى هذه البيئة المتحفظة حيث تشبّع من كافة القيم القديمة و سيكون من الممتع ابراز بيئة طفولته على أساس المفكرات التى قد سجّلها آزاد نفسه :

> " من مفكراتى الأولية مايتعلق بجو للحداثة و القداسة حيث وجدت أسرتى مشرّفة و مبجّلة و بدت كأنها صنم من أصنام و تمثال من التماثيل، و رغم كونى طفلا كان ألوف من الناس يأتوننى و يقبلون يدى و قدمى باعتبارى ابنا لمرشدهم الروحى و فضلا عن أعضاء أسرتى لم أر أى شخص إلا انه كان تجسيدا للاحتـرام و التقدير و من هؤلاء الزوّار كان رجال ذوكفـــاءة و متقدموا السن فكانوا يأتون و يجلسون جلسة الاحترام و التقدير كأننى كنت شيئا جديرا بالعبـادة و التقديس بالنسبة لهم، و ما من كلمة تخرج من شفتى مهما كانت سخيفة الا و أنهم كانوا يستمعون اليها برؤوس منحنية و بتمام الثقــة و الاحتـــرام وما كانت استجابتهم الا بكلمة نعم دون سواها"(٤)

و من أجل التخلّص و التحرر من هذا الجوّ الخانق و الفاسد قام آزاد ببذل جهود جادة و ضخمة، و الحقيقة ان الكفاح الفكرى الذى خاضه آزاد

بدأ من اوائل طفولته و انه لم يعد متآثرا بعلم الالٰهيات التقليدى لمدة طويلة حيث باشر مطالعة الكتب و من خلال دراسته و مطالعته لكتب كثيـــرة أصبح متأثـــرا و معجبا بكتابات المصلح المعروف السير سيد أحمد خان و كانت هذه تجربة لتحرير الذات بالنسبة له فوجد فى شخص السيرسيد أحمد خان شخصية مثالية و حتى انه أصبح يدعوه المجتهد المطلق (المفسر الابداعى المطلق) و أصبح يطمح لاقتداء أسلوبه فى كتاباته.

و مما يجدر بالملاحظة ان السيرسيد أحمد خان كان متأثرا لحد كبير بالفلاسفة خاصة منهم المسلمون المتأثرون بالأفكار اليونانية و أفكار المعتزلة. و من المعلوم ان المعتزلة حاولوا تطوير علم لاهوتى عقلانـــى و تأثر كثير منهم بالفلسفة و الأفكار اليونانية. و هكذا فان المعتزلة هم أول من حاولوا ابداع علم لاهوتى تحت وطأة متطلبات الوضع الجديد السائد حينذاك. و كانت الكوفة و البصرة و بغداد مراكز معروفة لهم فى عصر الدولة العباسية حيث كان التيار الفكرى الاسلامى يمتزج بدون مانع مع التيارات الفكرية الأخرى اليونانية منها و الايرانية و الهندية و من هنا ظهرت تحديات جديدة عديدة. حاول المعتزلة الردّ عليها باستخدام الأدوات اليونانية و ايجاد علم لاهوتى ابداعى غير أن هذا العلم لم يتمكن من اكتساب الشعبية و القبول فى العالم الاسلامى.

قضىٰ مولانا آزاد أيام طفولته بمدينة كلكتا التى كانت العاصمة البريطانية فى الهند حينـــذاك و هكذا شهد و عاش بعض الابتكـــارات و الابداعات العصرية التى قام بانجازها البريطانيون و منها سِكك الحديد و شبكات البريد و التلغراف و ما الى ذلك، و هكذا ازداد اتصاله و اعجابه بالعلوم العصرية و تصوراتها و مبادئها و حتى أنه خطط تأليف كتاب حول موضوع العلوم الجديدة و الاسلام و ازداد هذا النفوذ و التأثير للعلوم العصرية فى نفسه لحد أنه صار ملحدا فى مرحلة من مراحل عمره مع أنه استمر فى الظاهر فى اتباع المراسم و الأركان الدينية و قد كتب آزاد نفسه :

> " لقد أصبحت حتى ذلك الوقت ملحدا كاملا يفتخـــر و يعتزّ بإيمانه بالمادية و العقلانية و لايشهد فى الدين الا الجهل و دامت هذه الفترة من عام ١٩٠٢م

حتى عام ١٩١٠م أى من الرابع عشر الى الثانـــــى
و العشرين من عمره"

انتعش آزاد من إلحاده و عاد الى إيمانه و عقيدته فى عام ١٩١٠م عندما كتب مقالة المعروف حول الشاعر الشهير " سرمد " و يجب أن يعتبر هذا نقطة تحول فى حياة أبى الكلام آزاد، و كما ذكر آنفا كان آزاد نشـــأ و ترعرع فى جوّ صوفى و بالثانى أصبح خاضعا لنفوذ العقلانية و الماديـــة و مع انه خرج من هذه المرحلة فيما بعد بقيت آثار لها فى ذهنه أثناء المراحل الأخيرة لفكره و فى الوقت الذى خلق التصوف نظرة إنسانية عميقة فى نفسه عملت العقلانية على توسيع أفق تلك النظرة و يجب أن ننظر الى مقاله حول السرمد فى هذا السياق فقال و هو يكتب على هذا الشاعر الشهير :

" فى بحثه عن الهدف اهمل سرمد التمييز بين المسجد و المعبد الغير الاسلامى فأصبح يبدى الثقـــة و العقيدة تجاه النسّاك الهنادكة بقدر ما كان يحنى رأسه مع التواضع و الاحترام أمام المتصوفين المسلمين• هل يعترض أحد ممن قد رزقوا بتجربة صوفية حقيقية و خالصة على هذا المبدأ ياترى؟ فاذا كنا نصر فى هذا المجال أيضا على ضرورة التمييـــــز و الفرق بين العقيدة و اللاعقيدة فهل سيبقى هناك فرق بين الاعمى و البصير؟ على أى حال أن الفراشة هى التى عليها أن تبحث عن السراج و ان كانت الفراشة تعشق سراج البنايات المقدسة لمكة المكرمة فقط فان سعيه للاحتراق ليس بكامل• (ثم ينقل بيتا فارسيا معناه أن العاشق ليس نصيبه إلا الخسران من ناحية الاسلام و أيضا من ناحية الكفر و الفراشة لاتميز بين مصباح المسجد و بينه لمعبد غير الاسلامى"(٥)

و قال أبو الكلام آزاد أيضا أن العشق من أى نوع كان يمثل دائما الخطوة الأولى فى اتجاه الحق بل الأحرى أن يقال ان العشق هو الباب الذى يجب أن يمر به المرء قبل كونه انسانا بالمعنى الحقيقى للكلمة، فالذى لم يجرح قلبه و لم تبلّ عيناه بالدموع لايستطيع إن يدرك مفهوم الانسانية(٦)•

هذه الكلمات تحمل رسالة للحب العالمى، الحب للانسانية و ليس للمعتقدات المعتمدة على تقسيم المذاهب و المسالك• و يجب أن ننظر الى كتابات آزاد الأخيرة حول الالٰهيات فى هذا الضوء و أيضا فى ضوء الموقف الجديد الذى نشأ اثناء كفاح التحرير و الذى كان من مقتضياته الائتلاف بين الهنادكة و المسلمين بغية اخراج العدو المشترك- الحاكم البريطاني- من البلاد•

و كتب آزاد تفسيره المعروف " ترجمان القرآن " فى الفترة بين ١٩٣٠م و ١٩٣٦م فكانت هذه فترة خطيرة للغاية فى تاريخ كفاح تحرير البلاد حيث كانت الحركات مثل حركة الدعوة و التبليغ لدى المسلمين و حركة " شودهى "(الارتداد التى شنتها العناصر الهندوكية المتطرّفة) قد أقامت حاجزا قويا للحقد و الكراهة بين الهنادكة و المسلمين• و المجلد الأول لتفسيره " ترجمان القرآن " كان قد صدر حتى عام ١٩٣٠م و يعنى هذا أنه ظل مشغولا فى كتابته طوال العشرينات و هى نفس الفترة التى شهدت بداية التوتر فى العلاقات بين الهنادكة و المسلمين ذلك على أثر ظهور حركة الخلافة و الحادث الطائفى فى بلدة " تشاورى تشاورا" (CHAURI CHAURA) و جاءت حركة " شودهى (الارتداد) و حركة التبليغ كعاملين لتصعيد هذا التوتر•

الواقع ان آزاد كان يكتب استجابة لوضع خاص اذ أن فهم الكلام السماوى لدى أحد لايمكن ان يبقىٰ غير متأثر بالوضع الذى يعيشه هو نفسه و لذا لاغرو فى ان آزاد خلال تلك الفترة اختار موضوع وحدة الأديان كموضوع رئيسى للمجلد الأول لتفسيره و فى مجلده الثانى اختار موضوعا هاما آخر و هو المساواة بين الجنسين و ان كان ذلك أدنى أهمية من موضوع وحدة الأديان•

غير أنه لايعنى هذا ان آزاد هو أوّل من تناول موضوع وحدة الأديان بل الواقع ان الشاه ولى الله الدهلوى (١٧٠٣-٦٢م) كان قد تناول هذه الفكرة بالاشارة الى بعض الآيات القرآنية• و منها الآية رقم ٥٢ و الآية رقم ٥٣ من سورة المؤمنون :

" وَ إِنَّ هٰذِهٖ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوْنِ- فَتَقَطَّعُوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً- كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ"

و كان المفسرون الآخرون أيضا واعين بموضوع وحدة الأديان و من

بينهم القاضى ثناء الله العثمانى البانى بتى (م/ ١٨١٠م) صاحب تفسير مظهرى، ففى معرض تفسيره للآية رقم ١٣٠ من سورة الأنعام يقول إن مبادىء الديانة الهندوكية تماثل مبادىء الدين الاسلامى الحنيف و لكن الخلافــات بينهمـا هى من صنع الشيطـان(٧) و هناك أمثلة أخرى كثيرة بهذا الصدد.

و السؤال الذى يبرز هنا هو : ماهو الفرق بين نظرة مولانا آزاد و بينها لغيره من المفسرين؟ الحقيقة ان الفرق لايختص بالنظرة و لكنه يختص بالتوكيد فأبو الكلام آزاد على عكس غيره من المفسرين قد جعل من وحدة الأديان الموضوع الرئيسى لمجلده الأول و أكد على أهميته لاقصى حد ممكن و لاشك ان هذه كانت نظرة ابداعية اختارها آزاد استجابة للوضع الهندى الجديد، الوضع الذى لم يعد منحصرا فى الهند حيث بدأت بلدان جديدة تظهر الى حيزّ الوجود فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وكانت المجتمعات فى معظم تلك البلدان مُتعددة الأديان و هكذا فان وضوع وحدة الأديان كان يهم تلك البلدان الجديدة أيضا بقدر ما كان يهم الهند.

بالاضافة الى هذا علينا أن لاننسى ان أبو الكلام آزاد لم يكن عالما فقط يكتب تفسيره محصورا فى غرفة و لكنه كان زعيما سياسيا نشيطا أيضـــا و فى عام ١٩٢٣م كان رئيس حزب المؤتمر الوطنى الهندى الأمر الذى كان قد أثقله بمسؤليات ضخمة و معلوم ان هذا الحزب كان حزبا علمانيــا و لذا كان عليه أن يحظى بتائيد الهنادكة و المسلمين علـــى الســواء. و بحكم كونه رئيسا لمنظمة كهذه كان من الطبيعى أن يعير آزاد اهتماما كبيرا للاتحاد بين الهنادكة و المسلمين و ان نظرية وحدة الأديان أتاحت له أساسا فلسفيا و أيدولوجيا لذلك.

فى خطابه الذى القاه كرئيس حزب المؤتمر الوطنى الهندى فى ديسمــبر ١٩٢٣م أشار آزاد بوجه خاص الى الضرورة الملحّة للاتحاد بين الهنادكة و المسلمين، فقال ان هذا الاتحاد هو الأساس الأول لبناء كياننا القومى و بدون ذلك فان حرية بلادنا بل و كل مانحتاج اليـــــه للعيــش و التقدم ليس الا حلما و خيالا بل و اننا لن نحقق الحرية بدون هذا الاتحاد و لن نستطيع ان نستحدث المبادىء الاساسية للانسانية فى داخل أنفسنا.

و مضى يقول " اذا نزل ملك من السماء و أعلن من رأس منارة قطب

أن الاستقلال يمكن الحصول عليه فى ظرف ٢٤ ساعة اذا تخلّت الهند عن الاتحاد بين الهنادكة و المسلمين فاننى لن أتقبل الاستقلال بهذا الشرط و لن أتخلى عن الوحدة الهندوكية المسلمة لأنه اذا تأخر الاستقلال فسيكون ذلك خسارة للهند فقط و لكن اذا خسرنا الوحدة فانه سيكون خسارة الانسانية جمعاء"

و هكذا نرى ان الاتحاد بين الهنادكة و المسلمين لم يكن احتياجا عمليا فقط و انما كان مبدأ من مبادىء الانسانية و عليه فان آزاد لم يكن راضيا بأن يتقبل حرية البلاد على حساب هذا المبدأ، و الوحدة الانسانية هى أكثر أهمية لديه بالمقارنة مع حرية البلاد، و من هذا المنطق تناول آزاد موضوع وحدة الأديان ليس كاستجابة لإقتضاء الظروف و إنما كمبدء من مبادىء علم الالٰهيات الثابتة و الراسخة فى قضية هذا العلم كما أنه بعكس غيره من المفسرين قد جعل من هذا الموضوع مبدأ أساسيا لعلوم القرآن الكريم و لهذا السبب قد خصص مجلدا كاملا تقريبا من جملة أربعة مجلدات لتفسيره لهذا الغرض.

و هنا نود أن يلقى ضوء على المناقشة التى تدور حول مبدأ علم الالٰهيات و علاقته بسياق الظروف. عند المقارنة بين اقتضاء سياق الظروف و المبدأ من ناحية الأهمية يجب أن نأخذ بالاعتبار أنه لايمكن التغاضى عن أى واحد منهما. الحقيقة ان المفسر يختار من بين المبادىء الكثيرة أساسية كانت أو ثانوية مبدأ يكون أكثر ملائمة لظروفه و لكن هذا الاختيار لايعنى عدم اعترافه بأهمية المبادىء الأخرى. و لكن هذه مسئلة متطلبات القرائن أيضا و هنا اكتفى بمثال واحد لايضاح هذه النقطة. ان الفكرة القرآنية الرئيسية التى أكد عليها آيــة اللّه الخمينى و أتباعه فى ايران أثناء نضالهم ضد الشاه هى النضال بين "المستضعفيــن و المستكبريـــن" و هكذا فان الآية رقم: ٥ من سورة القصص أصبحت ذات أهمية أساسية لدى علماء الالهيات الايرانيين و على رأسهم آية اللّه الخمينى حيث قال اللّه تعالى :

"وَ نُرِيْدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُـــــوْا فِىْ الأَرْضِ
وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِيْنَ"

هنا أيضا اجتمع كلا الأمرين أى سياق الظروف و المبدأ. الحقيقة أن ابراز مبدأ فى ضوء احتياج السياق لايمكن أن يوصف بالانتهازية بل انه فى الواقع تطبيق ابداعى لمبدأ مهم لعلم الالٰهيات. فكما أكد الخمينـــى و أتباعه (و أيضا عناصر منظمة " مجاهدين خلق ايران" التى تؤمن

بالاشتراكية الاسلامية) على أهمية حقوق المستضعفين على الأرض فى ظروفهم الخاصة، أكد مولانا آزاد و زملاؤه من المفسرين الذين تمثلهم جمعية علماء الهند على ضرورة الاتحاد بين الهنادكة و المسلمين فى اطار مبدأ وحدة الأديان•

و فى هذه الخلفية يجب أن ننظر الى التطبيق الابداعى للعلوم القرآنية من قبل أبى الكلام آزاد•

يعلّق أبو الكلام آزاد الأهمية الكبرى على سورة الفاتحة و يرى أن كافة المبادىء الأساسية الواردة فى القرآن مستنبطة من هذه السورة و لاغرو اذا فى أنه يخصص المجلد الأول لتفسيره لهذه السورة القصيرة التى لاتشتمل على أكثر من سبع آيات و لكن كل واحدة من هذه الآيات حافلة بالمعانى و المدلولات و قد اجمع المفسرون المتقدمون منهم و المعاصرون على أن هذه السورة تعكس فلسفة القرآن بالجملة•

تمشيا مع فلسفته لوحدة الأديان يؤكد أبو الكلام آزاد على أهمية تصور رب العالمين و يلقى ضوءاً على ذلك فيقول "ان التصور بالله باعتباره رب العالمين أو رب المخلوقات كلها هو فى الواقع التصور به ليس كخالق كل شىء فى هذا الكون و انما كمصدر للتغذية و قدرة البقاء أيضا• و ان النظام الذى قد وضعه الله لبقاء و نمو كل شىء وضعه فى اطار خطة ممتازة و كفيلة بتزويد كل كائن بما تتطلبه طبيعته الخاصة لبقائه• و فى الوقت ذاته يتم كل هذا بكامل المراعاة للظروف و الحاجات المتغيرة•

و قد أثار آزاد نقطتين هامتين يمكن تقديمهما كمثالين لتفكيره الابداعى- أولا: الله رب العالمين بمعنى أنه يوفر الغذاء و القوة للبقاء للكائنات جمعاء و هكذا فان تصور رب العالمين عنده لا يؤكد فقط على وحدة الانسان و انما يؤكد على وحدة الكون بالجملة و من ثم تقترب هذه النظرية من نظرية وحدة الوجود لصاحبها محى الدين ابن العربى• الحقيقة ان فكره متأثر بالتأكيد بخلفيته للتصوف• ثانيا : انه يؤكد أيضا أن الربوبية تشمل الرعاية بمتطلبات أو ظروف الحاجات المتغيرة- و هذه النظرية أيضا فى رأيى لاتقل أهمية فعلم الالٰهيات يجب أن يكون مرتبطا بالظروف و الحاجات المتغيرة• فالربوبية بهذا المفهوم هى من صفات الله رب العالمين• و عندما توجد كل ذرة من هذا الكون مجهّزة بقدرة التكيف فى الأوضاع المتغيرة فما هو المانع فى كون علم الالٰهيات مجهّزا بهذه الميزة ياترى؟

و أكد آزاد على أهمية هذه النقطة فقال ان الانسان اذا نظر الى نفسه فلاحظ أن حياته فى كل لحظة تكتشف عالما حافلا بالنشاط و الحيوية تحركه ربوبية اللّٰه فقال اللّٰه تعالى :

" وَ فِى الأَرْضِ آيٰتٌ لِلْمُوْقِنِيْنَ٥ وَ فِىْ أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُوْنَ٥ (٥١ : ٢٠ و ٢١)

و هكذا يرى آزاد أن الربوبية تغطى التغير و هو عبارة عن عالم للنشاط و الحيوية تحركه ربوبية اللّٰه• و ان هذه الفكرة الدينامية و العالمية للربوبية تمثل أسهاما ابداعيا من قبل أبى الكلام آزاد• و لايستطيع عالم الآ اذا كان يرتبط بحركة أن يتقدم بمثل هذه الأفكار• و لم يكن آزاد عالما للالٰهيات جالسا فى كرسيه فقط بل انه كان عالما نشيطا• و ان علمه متأثر بنشاطه و حيويته و أيضا بمتطلبات حركة التحرير الوطنى• و فى هذا الخصوص قد سبقه أسلاف مثل مولانا قاسم النانوتوى فانه أيضا قد أكد على ضرورة الاتحاد بين الهنادكة و المسلمين• و اشار الى ان الكتب الدينية للهنادكة (الفيدا) ربما تكون كتبا مقدسة، و ان رام و كرشنا ربما كانا من أنبياء اللّٰه فى عصرهمــــا، و لكن آزاد قد تميّز عنه فى التاكيد على الاحتياج للتغير و النشاط الذى تحركه ربوبية اللّٰه•

و جدير بالذكر ان ابداعية آزاد فى علم الالٰهيات قد تناولت المساواة الجنسية أيضا• و معلوم أن قضية حقوق المرأة قد ازدادت أهمية فى عصرنا هذا• و على الرغم من عدم تواجد حركة نسائية قوية فى عصر آزاد الا أنه ادرك أهمية المساواة الجنسية• و المفسرون فى القرون الوسطى فسروا القرآن بمراعاة مقتضيات عصرهم و جعلوا المرأة خاضعة للرجل ففرضت عليها قيودا شديدة يبقى الكثير منها حتى الآن فى الدول الاسلامية، و لكن ابداعية آزاد شقت طريقة مختلفة و من ثم انه أصبح داعيا للمساواة الجنسية و لم يواجه أى صعوبة فى تاييد نظريته بالآيات القرآنية- و استند فى هذا الخصوص على تلك الآيات التى اهملها المفسرون المتقدمون أو فسروها تفسيرا مختلفا• فلنأخذ مثلاً هذه الآية القرآنية :

" وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِىْ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوْفِ٥"

هذه الآية فى رأى مولانا آزاد ليست قليلة الأهمية حيث تشير فقط الى التعامل العادل مع المرأة و انه يرى ان هذه الكلمات تمثل ثورة اجتماعية فيقول ان القرآن باعلانه لهذه الكلمات " لهن مثل الذى عليهن " قد أعلن بأكبر ثورة للحياة الاجتماعية• فهذه الكلمات الأربع تعطى المرأة كل ما

تستحقه و لكن لم تنله أبدا قبل الآن• و هذه الكلمات تنقذها من مذّلة الحرمان و الشقاء• و هذه الكلمات أخرجتها من غبار الحرمـــان و الشقـــاء و جعلتها تجلس على عرش الكرامة و المســـاواة فهذه الكلمات فى رأيه جاءت تحمل بشرى للمساواة بين الرجل و المرأة•

و أوضح آزاد وجهة نظره مزيدا بالاشارة الى الآية القرآنيـــــة الأخرى و تفسيرها تفسيرا ابداعيا و تتعلق الآية بمكانة الرجل و المرأة، يرى آزاد أن القرآن يعلن بكون الرجل قواما (مسئولا عن وقايتها) ليس بسبب تفوق جنسى طبيعى بل لأنه كان مسئولا عن اكتساب لقمة العيش بحكم طبيعة الصيغة الاجتماعية لذلك الوقت و كانت تلك الصيغة الاجتماعية لاتسمح للمرأة بأن تتولى هذه المسؤلية و هكذا فان تفوق الرجل على المرأة كان مسئلة اجتماعية محضة لا علاقة لها بالدين فيقول آزاد " ان هذا التمييز لايعطى أى تفوق للرجل بحكم الولادة بل إنه نظام خاص للحياة الاجتماعية قد اعطاه هذه المكانة الاجتماعية- و لو افترضنا ان النظام العائلى للشعوب المتحضرة يتحول يو ما ما الى حالة تسيطر فيه المرأة على النظام الاقتصادى فان هذا الامتياز أو التفوق سيكـــون للمرأة لا للرجــــــل• و مما يلاحظ أن هذه الآية كانت و لاتزال موضع استدلال لاثبات تفوق الرجل على المرأة• و ان كافة المفسرين تقريبا قد اتفقوا على هذا و لكن آزاد يبدع طريقا جديدا و يفسر الآية تفسيرا ابداعيا لاثبات أنها تعطى الرجل التفوق الاجتماعى لا التفوق الجنسى و انه قد نقل آية قرآنية أخرى أيضا لاثبات هذه النقطة•

لم يكن آزاد مفكرا ابداعيا فقط بل كان شاعرا و مبدعا لأسلوب خاص فنثره أيضا يعكس ابداعيته الفكرية و كان يملك ملكة خيالية شعرية ربما لاتبدو ميزة جيدة لعالم للالٰهيات و ربما تكون هذه الميزة مصدر ضعف لدى مفسر آخر دون آزاد• فانه يبقىٰ على أوج الكمال مثل أى مفســــــر• و ان بحثه فى " ذى القرنين" أيضا يثبت انه كان باحثا جيدا الى جانب كونه مفسرا ابداعيا• و انه كان من أصحاب الرؤيا فالخلق السماوى عنده ليس بمقصور على عصر أو فترة معينة بعكس رأى المفسرين الآخرين و هو يؤمن بالدينامية و التغير المستمر للكون الأمر الذى دفعه للتطبيق الابداعى للكلمة السماوية فى كل الظروف و الأوضاع المتغيرة و أفضل اشادة لهذا العالم و المفسر و المفكر الابداعى هو مواصلة تقليده

للابداعية فى علم الالٰهيات بما يلائم مقتضيات الظروف و الأوضاع المتغيرة٠

تعريب : د/ زبير أحمد الفاروقى

الهوامش :

١- أصفر على المهندس ـ " مفسر القرآن " معهد الدراسات الاسلامية بومبائى المجلد : ٤ العدد : ٢ (فبرايـر ١٩٨٨) انظـروا أيضا محمـود أيوب ـ "القرآن و مفسروه " مطبعة جامعة نيويارك ١٩٨٤م)

٢- يرى ج ١/ (إين هندرسون دوغلاس) أن أبو الكلام آزاد نفسه يتورّط فى التفسير بالرأى و يعد ذلك من سلبيات تفسيره " ترجمان القرآن " ـ أنظروا كتابه "أبو الكلام آزاد " ـ سيرة حياة فكرية و دينيـة اعداد غاثل مينولث و كرستيان دبلو ترال (مطبعة جامعة آكسفورد ١٩٨٨م) ص : ٢١٨

٣- فى هذا البحث جميع الاشارات موجهة إلى " ترجمان القرآن " (ساهتيا اكادمى دلهى ١٩٨٠م و الترجمة الانكليزية لمجلده الأول من قبل سيد عبد اللطيف ، دار آسيا للطباعة و النشر ١٩٦٥م)

٤- عبد الرزاق مليح آبادى ـ " ذكر آزاد" (كلكته مكتب صحيفة" آزاد هند " ١٩٦٠م) ص : ٢٥٣

٥- انظر ملاحظة المحرر فى " أبو الكلام آزاد " ص : ٥٦

٦- " آزاد ـ " سرمد شهيد" ص : ١٦-١٧، " أبو الكلام آزاد " ص : ٢٢٨

٧- أيضا ـ ص : ١٤

مولانا أبو الكلام آزاد :
شخصية ذات أبعاد متعددة

بقلم : تارا تشاند رستوجي
بيروبارى - جووا هاتى (آسام)

إن الدهر يخلق عظماء و هؤلاء يخلقون المستقبل؟ يوجد لدى هؤلاء القابلية لمواجهة الصعوبات و للإبحار ضد تيار الريح• كان أبو الكلام آزاد أحد تلك النجوم اللامعة التى تكوّن المجرة الهندية للمفكرين و الزعماء و الرسامين و الشعراء و الماهرين فى المجالات الأخرى و الذين لمعوا بكل جمالهم منذ بداية القرن العشرين• كان مولانا أبو الكلام آزاد يعرف من قريب كبار الهنود من أمثال فيفيكا نائدا و المهاتما غاندى و الباندت جواهر لال نهرو و سوبهاش تشاندرا بوس و أوروبيندو و رابيندرناث طاغور و سرفا باللى رادا كريشنان و عددا كبيرا من العظماء الآخرين و إن مولانا نفسه كان من ذوى فضل عظيم فى مجال العلم و السياسة، كان رجلاً ذات خبرة واسعة فى الدين و زعيما وطنيا، كان عالما باللغة العربية من ذوى معلومات واسعة النطاق فى العلوم الاسلامية، كان كاتبا باللغة الأردوية يكتب النثر مع النغمات الشعرية، كان رائدا فى مجال الصحافة الأردوية يكتب النثر مع النغمات الشعرية، كان رائدا فى مجال الصحافة الأردوية و شارحا للثقافة الهندية• كان مولانا أبو الكلام آزاد زميلا قريبا للمهاتما غاندى و الحكيم أجمل خان و أخوى على (محمد على و شوكت على) كان السيد جواهر لال نهرو يحترمه كثيرا و يعتبره ناصحا له مخلصا• و حتى نعرف أكثر عن هذا العالم الكبير و عن قابلياته عديمة النظير فلنتحول إلى مقاله المعنون بـ " حكاية برق و خرمن " (أى حكاية البرق و كومة المحصول الزراعى) ظهرت هذه الحكاية فى مجلة " الهلال " ٢٤ يونيو ١٩٢٧م• نورد فيما يلى أجزاء من هذا المقال مترجمة فى اللغة العربية :

"إنما حالة مكونات أفكارى غريبة للغاية وكذلك هى

حالة أوراق تخيلاتى المنــثورة• الحب للمعـــــــرفة و الالتزام بالاعمال السياســــية أمــران متناقضان ولايمكن أن يتواجد الاثنان سويّا•كلما أحاول أن أقوم بعمل الاثنين فى وقت واحد فاننى أواجه مشاكل كثيرة• (كيف يمكن أن نضع قطعة قطن فى مكان حيث وقعت جمرة!).... لقد رسم العالم خطابين الفكــر و العمل..... ربما متابعة العلم و ممارسة السياسة أمران لاينسجمان أبدا إلا انهما قد تعادلا لى، اذا كان الأول قد أحبه الذهن فان الثانى يشتاق إليه القلب (سطح النهر جنة و قعرها نارملتهبة) ..... أما فيما يتعلق بى، فوجدت لى هناك اضطرابات سياسية و فى أكثر الأحيان كنت أجدنى فى السجن و لكنه على الرغم من ذلك استمررت فى متابعة العلوم .... لايمكن للعالم أن يلغى الصفات الأساسية (للمادة)• يجب أن يظهر البرق و يحرق كومة المحصول الزراعى• و النتيجة كانت أننى استمررت فى الكتابة و استمرت الأحداث السياسية فى إحراقها... استمرت هذه العملية من ١٩١٦م حتى ١٩٢١م و ما كان أى مفر من ذلك• كانت المثابرة هى حصن الحصين .... عندما نفيت من البنغال ذهبت إلى رانشى و كان ذلك حوالى نفس الوقت الذى كنت فيه مدير تحرير " البلاغ " و " دار الارشاد" أن بدأت أدوّن أفكارى و أشذب كتاباتى• كانت هذه الأفكار و الكتابات تتعلق بمختلف الأمور و الأشيـــاء و كانت تظهر من وقت إلى وقت الجوانب و الزوايا الجديدة للأفكار فلذا لم يمكن لى جمعها كلها فى مجلدات• خلال هذه الفترة ظهر للوجود عدد من المخطوطات و الأوراق و الملاحظات الوجيزة فيما يتعلق بوجهات النظر الهامة• عادة، كنت أدون هذه الملاحظات باللغة الفارسية أ(باللغة العربية• و ذلك لأن اللغة الأردوية قلما تقدر على إحتواء هذا الإيجاز• كانت مساكنى أغيرت و سلبت مرتين فى رانشـــى

و ثلاث مرات فى كالكوتا• كانت تجرى هذه التفتيشات تحت اشراف الضباط البريطانيين من رجال الشرطة البنغاليين الذين كانت لهم المعرفة السطحية للغة الأردوية (اذا وجد بينهم مسلم)• و بالنتيجة، إن كل سطر كتبته شكل لهم لغزا و سرا سياسيا ... كانوا يجدون هذه الكتابات و يأخذونها معهم إلى مخافر الشرطة ... لم أستعد و لا مرة هذه الكتابات سالمة ... و حصل مرة أن نشب الحريق فى مكتب مفوض الشرطة حيث كانت وضعت المواد المصادرة، و بالنتيجة احترقت كتاباتى أيضا مع أشياء المكتب الأخرى .... كان ضمن هذه الكتابات التى ذهبت ضحية الحريق ، عدد من الأعمال التى كنت أنهيتها و أعطيتها الشكل النهائى، منها : تاريخ معتزلة (تاريخ المعتزلين)" سيرة شاه ولى الله (سيرة الشاه ولى الله) و" تبصره بر ديوان غالب اردو" (ديوان الشاعر غالب مع الدراسة النقدية باللغة الأردوية) و خصائص مسلم و أمثال القرآن و"مقدمة تفسير كى ناتمام أجزاء"(الأجزاء غير الكاملة لمقدمة التفسير) و ترجمان القرآن و تفسير البيان — سورة النساء و مقالات و مجموعات الملاحظات• كنت بدأت أكتب، خلال اقامتى برانشى كتيبين : أحدهما فى موضوع القوانين، الضابطة للعالم و الثانى فى موضوع إفادية العالم• و كان هذان الكتيبان أيضا ضمن هذه الكتابات ......

"إن الذين توجد لهم الدراية بالأمور التى تتعلق بالكتابة و التأليف يدركون أيضا بالاجهاد الذى يعانى منه الكاتب عندما يجلس ليعيد كتاباته من جديد .... كان لى أن أستسلم للحقيقة أن لا ضرورة لى لأخاف من نتائج أساليب حياتى ... أحسن حيث قال الصوفى سرمد :

(إما أن يضحى الانسان بحياته على إيمـاء الصديق
أو يجب أن لاينظر الانسان إلى محبوبه البتة •)

إن الاقتباسات المنقولة هنا مترجمة باللغة العربية بالرغم من كونها خالية من جمال أسلوب مولانا و لكنها تقدم شهادة كافية إنه كان مولعاً ، بإكتساب العلوم• الحقيقة، أن مولانا كان بدأ يصدر مجلة " الهلال " الأسبوعية عن كلكتا بهدف إحاطة قارئى اللغة الأردوية، بالأحوال السياسية الحاصلة فى الهند فيما يتعلق بالشؤون الوطنية و الدولية و هكذا حاول إشراكهم فى محاولات تحرير الوطن من القبضة الأجنبية• كان مولانا بهذه الطريقة قد أدخل عصرا جديدا فى الصحافة الأردوية و الحقيقة أنه كان الرائد فى هذا المجال• من هنا بدأت الصحافة الأردوية تعالج المشاكل الوطنية و الفضل فى ذلك يرجع إليه فقط• فيما بعـــد، أنه أصدر مجلـــة " البلاغ"، بنفس الأهداف و الأغراض•

تظهر ميول و نزعات مولانا أبى الكلام آزاد مـــــــن تأليفه الشهيـر"ترجمان القرآن"• فى خالص مقدمة كتابه هذا يؤكد مولانا على ضرورة فهم الروح المعنوية لكتاب المقدس، إنه يؤكد على ضرورة إزالة الأسرار و رفع الستائر الخارجية• كان مولانا يخالف بشدة استخدام الأساليب البروكروستانية لشرح الآيات القرآنية حيث يسود على ذلك عنصر الأغراض الأنانية• (Procrustes كان لصا قطع أعضاء ضحاياه أو مدّدها طبقا لطول سريره ـــ المترجم•)، إن القرآن يحوى كل شىء و يحيط بكل جوانب الحياة و ليست هناك أية ضرورة لتقديم شروح و تفاسير له إضافية • كان يرى مولانا أبو الكلام آزاد أن التعليمات الاسلامية تحث على الحب للوطن، الدين الإسلامى الحنيف هو دين سلام يعلّم الحب لكل البشريـــة و يناشد هذا الدين الكريم جميع المؤمنين على محاربة الظلم و الجـــور و على حماية المنكوبين• تقديم المعونة للمنكوبين و الضعفاء هو العنصر الأساســى للتعليمات الإسلامية، حياة الصدق و الحق لاتحتاج شيئا دون الصدق و الحق•

إن مولانا أبا الكلام آزاد فى مقدمته لرباعيات سرمد يتحدث باختصار عن الظلم الذى عوقب به الصوفى سرمد الذى كان أسكره حبه للرب العظيم• كان ضُربَ عنق سرمد بموجب مرهوم القاضى• ياليت، كان عرف الحقيقة الكامنة فى الشعر الفارســى الذى يقول :

(العاشق بغض النظر عن كونه مسلما أو غير مسلم فدائما تجدونه مسكرا بالحب، إن حشرة لاتفرق بين شمعة الحرم و التى تضاء فى الكنيسة•)

إن سرمد حين أمر بضرب رأسه قال : يا الهى، إننى أستطيع أن أعرفك فى كل صورة تظهر فيها• يرى أبو الكلام آزاد أن سرمدا لم يكن مخطئا فان الخطأ كان يكمن فى الأسلوب غير الاسلامى الذى كانوا تبنوه فى ذلك الوقت•

كان مولانا أبو الكلام آزاد صديقا حميما لباندت جواهر لال نهرو، و كان ناصحا له مخلصا• خلال حبسه من ١٩٤٢ إلى ١٩٤٥م وجد الباندت جواهر لال نهرو وقتا كافيا للاستفادة من علم مولانا آزاد• فى عدد من رسائله التى كتبها إلى ابنته انديرا غاندى و التى توجد فى صورة كتاب باسم، " *الكتابات المنتخبة لباندت جواهر لال نهرو*"، إنه يصف مولانا أبا الكلام آزاد بأنه " موسوعة "• كان أبو الكلام آزاد يتمتع بذاكرة مدهشة• كان يذكر الأحداث التاريخية عن ظهر قلبه و كان يتحدث عنها بطريقة تجعل الباندت جواهر لال نهرو يشعر بأنه يرى الماضى يتراقص أمامه حيّاً• علاوة عن ذلك فان مولانا ساعد الباندت جواهر لال نهرو على تعلم اللغة الأردوية و اللغة الفارسية• كما كان جواهر لال نهرو يعتبره معلما مثاليا• كان مولانا أبو الكلام آزاد ينفخ النشاط فى المناقشات و المباحثات• كان مولانا محبوسا متى وصله نبأ وفاة زوجته و طبعا شعر مولانا بالألم البالغ• خلال فترة الحبس هذه ألف مولانا " *عبار خاطر*" و نقّح " *ترجمان القرآن* " • كان جواهر لال نهرو مشغوفا بمولانا للغاية و ذلك يتضح من حديث بدر الدين طيب — و هو كان موظفا فى الخدمة المدنية الهندية (ICS) و سفيرا سابقا، فى مقابلة له تلفزيونية (برنامج الصباح)• مرة خرج نهرو مع عدد من الناس بمن فيهم طيب هذا و لكن بعد قليل أفلت نهرو بدون اشعار• فتفرق الناس إلى هنا و هناك باحثين عنه و وجدوه واقفا بجانب قبر مولانا آزاد، كان حزينا كئيبا منهمكا فى التفكير•

كان وُفّق لماسينيون (MASSIGNON) و هو مستشرق فرنسى ذوسمعة عالمية، ان اجتمع مع مولانا آزاد لمرات عديدة، كانا التقيا لآخر مرة فى باريس فى ١٤ يوليو/ تموز ١٩٥٥م•

قال "ماسينيون" فى مقال له فى كتاب " مولانا أبو الكلام آزاد " من تأليف همايون كبير إن مولانا كان يرغب بشدة فى أن يظهر المسلمون فى

العالم كقوة روحانية عظمى •

أما فيما يتعلق بالسيد ج - ب - كريبلانى فكان يعتبره مولانا " صوت المعقولية "، كان يعتقد مولانا آزاد أن مسلمى آسيا لن يأمنوا من براثن الأمبريالية حتى تتحرر الهند من نير الحكم البريطانى • كان مولانا عالما متبحرا و هذه الحقيقة تظهر أيضا من الكتب التى تركها خلفه، هذه الكتب المتعددة الموضوعات تجذب الاهتمام بصورة دائمة •

عانت الهند الخسارة الفادحة فى وفاته عام ١٩٥٨م لأنه كان أحد الزعماء الكبار الذين حاربوا بحماس و اخلاص شديدين حرب الاستقلال الهندى، إنما وفاته عصرت قلوب أولئك الملايين الذين يؤيدون الثقافة الهندية المركبة من مختلف العناصر و الديانات • و أخيرا و ليس آخرا، فان وفاته سوف يندبها دائما أولئك الذين يودون كل خير للدراسات الإسلامية •

تعريب:سيد احسان الرحمن

المصادر :

١- أبو الكلام آزاد : "غبار خاطر"

٢- أبو الكلام آزاد : "ترجمان القرآن "

٣- أبو الكلام آزاد : " رباعيات سرمد "

٤- ملفات الهلال و البلاغ :

٥- همايون كبير : مولانا أبو الكلام آزاد : ذكريات

٦- الجامعة : (العدد الخاص، فبراير ١٩٨٨م)

٧- أبو الكلام آزاد : تحصل الهند على استقلالها (India Wins Freedom)

٨- غوبتا، ن . ل : نهرو و الطائفية (Nehru on Communalism)

لقاءات مع مولانا آزاد

بقلم : كنور مهندر سينغ بيدى

شخصيات تظهر على وجه هذا الكوكب المادى يكونها التاريخ، و شخصيات تأتى لتكون التاريخ، و تحمله ليسجل عن أحوالها، و أولئك هم الرجال الذين يعرفون بعد ببناة التاريخ، و لاشك فإن العلامة آزاد كان من تلك الشخصيات الفذة الهامة التى يندر نظيرها فى التاريخ.

دار أول لقائى معه حين زرت مقرّه فى وفد فلما تمت المحادثات معه و كاد الوفد أن يخرج، منعنى من الذهاب فلما انفض الوفد ذهب بى إلى غرفة الاستقبال، دعا الخادم و طلب منى أن أجلس بازائه، و كنت إذا أريد أن أجلس جانبا عنه، و ذلك بمقتضى الاجلال و التكريم، و لكنه أبى إلاّ أن يجلسنى بجنبه، حتى جاء الخادم و قدّم الشأى و إننى بطبيعتى أعاف الشأى، و من الممكن أن يعتبر قولى من باب المجازفة و المبالغة أننى لم أشرب الشائ أكثر من أربع أو خمس مرات طيلة حياتى، فحارت نفسى، وقعت فى مشكلة و صراع، و لكننى أخذت الكأس فى طواعية بمقتضى الاحترام و حتى تناولت رشفات بحكم جلالته، و كنت مطلعاً قبل ذلك بأنه يحب الشائ كثيراً، حتى إن نفسه خبير فى صنع الشائ، و فى أثناء ذلك التفت إلىّ مولانا قائلا : إنه و إن لم يتيسر لى لقاءك عن كتب حتى الآن، إلا أننى سمعت عنك كثيرا يذكره الناس. فقلت : أبعدك الله من الجهة الأخرى للصورة، فبدأ يتبسم على ذلك و قال : إننى على علم من كافة جهاتك و جوانبك و ليس عليها أى عيب و لاشائبة، و كانت هذه الكلمات التى خرجت من لسان مولانا مبعثا كبيراً لسرورى و غبطتى، و كان من طبيعة مولانا أنه كان يظل صامتا رغم كونه خبيراً بكل شىء، و كان كل شخص يعرف طبيعته هذه، و لما قدم الخادم الشأى قال : كلّ شىء موجود

فى بلادنا، لقد حققنا الاستقلال أيضا، و لكننا الآن فى أمسّ حاجة إلى الجهد و الايثار و التسامح و السلام و الوئام للحفاظ على هذا الاستقلال، إنه تعدد علينا مسئوليات مع الاستقلال، فإذا لم نقم بها فستحيط بنا أوضاع أسوأ من التبعية و العبودية، ثم قال : نحن فى أشد حاجة إلى عاملين يمنعون العناصر الطائفية المتعصبة من الامتداد و اتخاذ الجذور و إنك حسن و ذو ثقة فى أعين الناس، فإننى مسرور و سعيد بلقائك ايّاى، فوجهت إليه كلمة الشكر، و أيقنته بأننى سوف أسعى بقدر مستطاعى لخدمة البلاد •

كان هذا أول لقائى معه، و ظلت الأيام تمضى على منوالها، و الأوضاع تتغير، حتى أتى حين تعكر فيه جو البلاد بسبب التقسيمات بين الهندوس و المسلمين، و يمكن ارجاع واحد من أسباب ذلك إلى الجروح العنيفة التى أصيبت بها كلتا الطائفتين نتيجة المجازر و النزف الهائلة خلال فصل البلاد و إثره، التى كان من الصعب اندمالها فى وقت قريب، و الآخر يمكن إرجاعه إلى أن الحكومة لما أحرزت الاستقلال و قامت مستقلة بذاتها، بدأت جميع الطوائف تطالب أن تتولى وحدها زمام الأمور، و مما زاد الطين بلّة أن السياسين و الزعماء الانتهازيين كانوا يوقظون فيهم هذه العواطف عمداً لإرضاء مصالحهم الشخصية، فكان من السهل جدا الاندفاع مع هذا التيـــار، إلا أن ذلك جعـــل مستقبل البلاد مظلما أكثر من قبل، فكان مولانا آزاد فى ذلك الوقت الحرج من الشخصيات العديدة التى أصبحت مشعلا للطريق، و صمدت فى وجه كل طوفان كالصخرة، و كان من بينها غاندى جى و نهرو، و سردار باتيل و القادة الآخرون الذين تناولوا الشعب بالتوجيه و القيادة فى مثل هذه الساعة الحاسمة •

لقد أتيحت لى لقاءات كثيرة مع مولانا آزاد، فلم أصادفه قط فى حالة الغضب، كان حليم الطبع، يبدى رأيه فى كافة القضايا بعد دراسة جميع جوانبها بالجدية • و لأجل ذلك، فإن غاندى جى و نهرو كانا يقـــدران رأيه و يحتفيان به •

و عقب فصل البلاد فورا ثارت قضية إسكان اللآجئين الذين كانوا قبضوا على بيوت المسلمين التى أجلوها، و ألقى المحليون أقفالهم على بعضهـا، و كانت الحكومة تطالب بإجلاء هذه الدّور، فطبعاً كنت أنا و آخرون مسئولين عن إجلاء تلك البيوت و المساجد كذلك التى احتلّها اللآجئون، حتى نجحنا فى اجلاء كثير من البيوت و المساجـــد، و إن كان ذلك على

حساب غاية من الجهد و الالحاح و الضراعة، و لكن بعض الناس شكوا إلى مولانا بطء سير العمل، فطلبت عند مولانا، فلما وضعت أمامه سائر الأحداث أقنعهم بأن العمل يمضى على غراره الصحيح، لأن الاسراع به يمكن أن ينتج أثرا معاكساً حتى لما توصل ذلك إلى النهاية دعانى مولانا و شجعنى و أخبر غاندى جى عن التفاصيل كلها•

ظلت الأيام ماضية، و انتقلت من دلهى إلى سونى بت روهتك ثم إلى غور غاوْن كحاكم للمديرية، حيث كانت كذلك قضية اسكان اللاجئين الميواتيين من جديد• وكان لابد من ايجاد حل لها، و قد تم ذلك بجمال و كمال، و كنت إذ أتمتع بثقة مولانا، و كان ذلك يبعثنى على الافتخار، و بعد ذلك بقليل كان من المقرر انعقاد انتخاب المجلس الشعبى فدعانى مولانا و قال خلال محادثاته بأنه عرض عليه أن يترشح للانتخاب من عدة مديريات، و لكنه يريد أن يترشح من غور غاوْن، و فعلا ترشح للانتخاب من غور غاوْن•

و خلال الانتخابات بدأت الأحزاب السياسية المعارضة تحكى دعايات ضده على أساس أنه يريد كسب الصوت بالحديد و النار، و إلاّ لكان عليه أن يزور الناس و يطلب منهم الصوت و سألنى أجمل خان عن رأيى فى هذا الأمر، فقلت أما الناس فإنهم كما أدركتهم فى تأييد مولانا، و إن لم يكن له إلاّ أن يزور فليفعل ذلك بعد الانتخاب ليوجه إلى الجمهور كلمات الشكر• و فعلاً تمّ الانتخاب على انتصاره الزاهر الباهر، و ذهبت جميع محاولات الأحزاب المعارضة أدراج الرياح و لم تكلل بالنجاح، و بعد الانتخاب بأسبوع زار مولانا مديرية غور غاوْن و خاطب الجمهور فى حفلات كبيرة فى بالوال و فريد آباد و غور غاوْن، و غيرها و شكر الجمهور فيها، و من العادة أن الناس ينسون جميع الوعود التى يعتنقونها خلال الحملة الانتخابية، ولكن مولانا راعاهم مراعاة كاملة، و لم يزل يمد إليهم يد المساعدة فى كل مناسبة واجبة•

إننى قد كنت قرأت بعض أعداد مجلة " الهلال " و قرأت كذلك "غبار خاطر" فكنت أعلم أنه كان فى الواقع صاحب طراز منفرد فى كتابة النثر، يكتب مسجعا و لكن بلغة سهلة نقية موثرة للغاية، و يبدى فيها كل ما يريده، و كانت خطبته كذلك تحمل نفس هذه الخصائص، كان يحفظ آلافاً من الأبيات الأردية و الفارسية و يستعملها عامة فى كتابته، و قد اشتهرت ذاكرته، بأنه إذا رآى أحداً أو شيئاً انتقش فى ذاكرته كنقش الصورة فى آلة

التصوير•

ذات يوم زرته أنا و الشاعرجوش المليح آبادى، أما جوش فكان حضوره لضرور
تتعلق به و صحبته أنا فقط و كان مولانا مشغولاً بالزائرين، فتوقفنا قليلا
و لم نحظى بلقائه ، فاقترح على جوش بالرجوع• فحاولت كثيراً افهامه بأن
ما جئنا بدون اعطاء وقت من مولانا• فلنترقب قليلا، و لكن جوش
مليح آبادى كان بطبيعته ذوى حساسية زائدة فى مثل هذه الأمور، فكتب
فور ساعته بيتاً، و قدمه إلى الخادم، و انطلق خارجاً و كان مفهوم البيت :

" لاينبغى أن تضيقونا بكثرة الانتظار فإلى وقت آخر"

و لم نذهب قليلاً إلاّ و جاءنا أجمل خان ، و هو يلهث، و قال إن مولانا علم
الآن بقدومكم ، تعالوا يدعوكم ، فرجعنا، و دعانا عنده، و اعتذر أيضا على
انتظارنا له، قال : إن صحبة السياسيين تستغرق معظم وقتى، و أشتاق أن
يتيسّر أحيانا لقاء علمى، فلو تشرفتما بقدومكما فى أيام فإن ذلك يسعدنى
كثيرا، فوعد جوش بذلك، و بما أننى كنت معه وجّه إلىّ الدعوة كذلك،
و الواقع أنى كنت ضئيلاً أمامهما•

و بهذا الصدد حضرنا خدمته مساءاً فى الساعة الثامنة، و لم نكد نجلس
إلاّ و جاء أجمل خان، و قال متوجها إلى مولانا أن بندت جواهرلال نهرو
أخبر عبر مكالمة هاتفية أنه قادم عندك لمشورة طارئة، فقال اتصل بالهاتف
وأخبر إننى مشغول الآن، و هناك لم تمنعه جميع تأكيداتنا بأننا لم نأت لأمر
ضرورى من الاصرار فى موقفه، و لم نلبث إلا و جاء أجمل خان و قال إن
نهرو قد خرج عن بيته و ربما يمكن أن يحضر فى دقائق، فأردنا القيام،
و لكنه أبىٰ إلاّ أن نجلس، حتى جاء نهرو فأمر الخادم أن يجلسه فى
قاعة الاستقبال، و رغم ذلك ظل معنا ساعة ربما تكون خمس أو سبع دقائق،
لكنه لما شعر بغاية ما كنا نتألم قام و قال : لاتذهبوا حتى أفرغ من
المحادثة مع نهرو و أرجع إليكم، و فعلاً عاد إلينا بعد نحو خمسة عشر
أو عشرين دقيقة، و لم يزل يتجاذب معنا أطراف الحديث نحو ثلثين أو
خمس و أربعين دقيقة تقريباً، و فى ضوء هذه الواقعة يمكن التقدير
الصحيح لمدى جلالته و أنفته، و ضيافته و مكانته، و إلاّ فمن ذالّذى يمنع
نهرو من الحضور•

كان جوش مليح آبادى ، ملك الشعراء الاردية، كانت عنده ذخائر للألفاظ
و الكلمات التى قلما يحملها أحد، و لكن كانت هناك شخصيتان ، كان
جوش يؤثر الصمت أمامهما، مولانا عبد السلام نيازى و مولانا أبو الكلام

آزاد، و ذات يوم سئلت جوش مليح آبادى عن سبب سكوته أمامهما عامة، فأجاب : بأننى أشاهد فيهما فاضلين مثقفين جليلين، و اذن بعافية فى أن لا أنبس ببنت شفة عندهما •

كان أسلوب تدخينه عجيبا للغاية، كان يأخذ السيجارة بين ابهامه و سبابته و يدورها بنعومة و يدخن مع ذلك، و ذلك كان لايحوجه إلى اعطاء هزة لإسقاط رماد السيجارة •

و لم ألبث إلا و انتقلت إلى سنفرور، بعيد بقليل من دلهى، كحاكم للمديرية، و لكن لم يحل ذلك دون زيارتى لدلهى مرة فى أسبوع أو عشرة أيام، و خلال ذلك زرته مرة فسألنى عما أفعل بعد التقاعد؟ فقلت و إن كان أوان معاش التقاعد قد اقترب، إلاّ أننى لم أفكر حتى الآن فى هذا الصدد، فاقترح عَلَىّ بالنزول فى ساحة السياسة • و قال : سوف أعينك فى مجلس الشيوخ بعد التقاعد، و إن شئت أحصلك على تذكرة المؤتمر الوطنى، و بعد مدة أصيب مولانا بفالج و كنت إذ استخبره فى دقائق من سنفرور عبر الهاتف، و كان أجمل خان يتصل بالهاتف و يتحدثنى، فيقول : هو الآن أشد احتياجاً إلى الدعاء منه إلى الدواء، فدعونا و آلاف الناس كذلك لحياته، و لكنه دعواتنا لم تحل دون مشية اللّٰه فيه • فالتحق بالرفيق الأعلى، و كل من أتى على هذه الأرض لابد أن يذهب فى يوم من الأيام، كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، إلاّ أن وفاته أحدثت فراغاً فى سياسة البلاد لم يملأ حتى الآن •

فيا مرحبا بأبى الكلام آزاد، إنه سيبقى ذكراك إلى يوم القيامة، انك قضيت أعواماً طوالاً خلف قضبان السجن، و حررت البلاد من القيد و العبودية •

تعريب : مجيب الرحمان الندوى

مولانا أبوالكلام آزاد :
بعض الانطباعات الخالدة

بقلم : د/ س ـ ن ـ جاوا

مدير مدرسة اللغات الأجنبية لوزارة الدفاع سابقاً

كان مولانا آزاد شخصية فذة عملاقة و مهيبة بالنسبة لنا نحن، الطلبة الشباب، فقد كنا قرأنا الكثير عنه• قرأناه بالاردوية فى مقالاته و رسائله المقررة علينا فى الجامعة فى مجموعة *"مقالات آزاد" و" غبار خاطر"* •

إن تدريس كتابات هذا العالم العبقرى ذات الصبغة الفارسية مع ألفاظ عربية وافرة، كان يتطلب من المدرس أن يكون ملما بالعربية و الفارسية و عالما بآدابهما و إلاّ لواجه صعوبات قصوى فى شرح ما تحتويها من معان عميقة•

قد حدث أن زار المولانا كراتشى فى الأربعينات فى رحلة سياسية لتسوية مشاكل وزارية تهم بعض الساسة المعروفين بإقليم السنده و هم غلام حسين هداية الله و الله بخش و خسرو و غيرهم• كنت فى ذلك الوقت فى كلية أدرس الفارسية و الاردية• لم يكن الطلبة آنذاك إلا القليلون منهم يرغبون فى ان يتخصصوا فى هاتين المادتين• إلا أن مجموعتنا مع صغرها كونت جمعية باسم *" بزم أدب "* - الجمعية الأدبية - كنا نعقد مرة فى الشهر اجتماعا لنقدم فيه ما كتبناه من مقالات أو قصص قصيرة أو نلقى فيها الأبيات و الخطب• كنا من المعجبين بالمولانا• فطبعا كان يؤدنا أن ننتهز هذه الفرصة لنلتقى به• فذهب ثلاثة منا - منهم أنا كسكريتر الجمعية و طالبان آخران، واحد من القسم العربى و الثانى من القسم الفارسى - لزيارته فى مقر إقامته• كان الوقت المحدد لنا السابعة صباحا حيث انه لم يكن لديه وقت آخر بعد ذلك• فلما دقّت الساعة السابعة، كنا أمام المولانا فى حجرة أنيقة مع جريدة صباحية فى يده و الشاى على طاولة أمامه• أشار المولانا إلى الخادم للمزيد من الشاى• أحضر الشاى• نحن ذقنا لأول مرة فى حياتنا الطعم اللذيذ لذلك الشاى النادر• قبل

دخولنا حجرته حييناه بقولنا " السلام عليكم" و هو ردّ علينا بـ " و عليكم السلام" مع هيئة بين الوقوف و الجلوس• و ما إن عرف أننا طلاب العربية و الفارسية، حتى تخلى عن حديثه العادى بالاردية و بدأ يتحدث فى الفارسية الفصيحة الرصينة نحن ما إستطعنا أن نجيب بالفارسية حيث أننا لم نكن متمرنين على التحدث فى هذه اللغة• فإلتفت إلى طالب العربية و سأله عما دفعه إلى تعلم اللغة العربية و لكنه هو الآخر إنهار أمام الهجوم المفاجئ بالعربية و تأثير شخصيته الرهيبة• نحن اعتذرنا له بالاردوية عن تقصيرنا و لكنه شجعنا على تعلم التكلم و قال : " إن الأوان لم يفت أبداً "•

من البديهى أنه لقلة الوقت لم يستطع المولانا أن يستجيب لرجائنا لإلقاء كلمة فى كليتنا إلاّ انه دعانا إلى إجتماع عام كان من المقرر أن يخطب فيه فى ميدان رام باغ غارى كهات فى قلب المدينة•

خرجنا من عنده فرحين مبتهجين بفوزنا بلقائه و عاقدين العزم على اتقان اللغة تكلما أيضا ففى نفس اليوم اتصلت بصاحب مطعم إيرانى من " يزد " ليعلمنى التكلم بالفارسية مقابل تعليمى له الأردية• تلك المقابلة مع المولانا مازالت ماثلة أمام عينى•

فى الخمسينات أبرمت اتفاقية ثقافية بين الهند و إيران• قبل توقيع الاتفاقية كان السفير الايرانى قد ذهب لمقابلة وزير التعليم الهندى " المولانا أبو الكلام آزاد " للاستعدادات التمهيدية• إننى فى تلك الأيام كنت أساعد السفير الإيرانى فى اعداد و نشر الجريدة الرسمية للسفارة الإيرانية فى نيودلهى " *إيران إمروز* " أو إيران اليوم • فى تلك المقابلة كنت مع السيد حكمت• رغم أن كلا منهما كان يعرف الفارسية، فان المولانا اختار أن يتكلم بالاردوية• أنا قمت بمهمة الترجمان• كان ذلك بالنسبة لى عملا شاقا لمعرفتى أن المولانا يتقن اللغتين• إلا أننى لمست منهما كل الشفقة و العطف حتى ذهب عنى الرعب و قمت بواجبى براحة تامة• عند اختتام المقابلة هنأنى المولانا على تأديتى ظنا منه أننى موظف إيرانى فسألنى " أنت تتكلم الاردية جيدا، أين تعلمتها؟" أجبته منحنيا رأسى أمامه باحترام " إننى تعلمت الاردية من الصف الأول فى المدرسة إلى الماجستير فى الجامعة•

أنا هندى بالولادة• فابتسم المولانا و قال : " إذن علىّ أن أهنئك على معرفتك للفارسية، و أين تعلمت التكلم بالفارسية على هذا النحو الجديد•

Thaqafat al-Hind: Statement of ownership and other particulars.
FORM IV
(See Rule 8)

1. Place of Publication	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110002
2. Periodicity of its publication	Quarterly
3. Printer's Name	Lalit Mansingh
(Whether citizen of India?)	Yes
Address	Director General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, I.P. Estate, New Delhi.
4. Publisher's Name	Lalit Mansingh
(Whether citizen of India?)	Yes
Address	Director General, ICCR, Azad Bhavan, I.P. Estate, New Delhi.
5. Editor's Name	N.A. Faruqi
(Whether citizen of India?)	Yes
Address	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, I.P. Estate, New Delhi.
6. Names and address of individuals who own the newspaper and partners or share holders holding more than one per cent of the total capital.	Lalit Mansingh, Director General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhawan, I.P. Estate, New Delhi.

I, Lalit Mansingh hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Dated: 27.2.88

Lalit Mansingh
Publisher

استذكرت فى ذلك الوقت مقابلتى الأولى معه فى كراتشـــــــى ثم دراستى الفارسية و بعد ذلك تعيينى بالسفارة الهندية فى إيران كمترجـم و أخيرا و ليس آخرا نصيحته و تشجيعه فى كراتشى للتمرن على التكلم بالفارسية• سرّ المولانا و قال فى ظرافة للسيد حكمت " أنت جئت به كمترجم لك• هذه خسارة لى و مكسب لك "•

فى يوم عصيب و حزين لم يكن فيه المولانا فى حالة جيدة، كان ينفس أنفاسه الأخيرة فى نيودلهى• استدعتنى الاذاعة الهندية لإعداد حديث عنه فى الفارسية• بقلب مثقل بالهموم و حزن عميق اعددت حديثا لأقرأه بنفسى فى الاذاعة، وبعد وفاته قرأت الخبر أيضا فى الاذاعة بالفارسية• عملت ذلك بعيون باكية و الدموع تتساقط على خدى و لكن على غير مرأى من الناس•

تعريب : شميم الحسن أمانة الله